



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الأثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري جمعاً ودراسة عقديّة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد

يوسف بن حمود الحوشان

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بكلية أصول الدين بالرياض

١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده لا شريك له والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

والحمد لله الذي هدانا صراطاً مستقيماً، غير صراط المغضوب عليهم ولا الضالين، والحمد لله الذي أرسل لنا رسولاً منا يتلو علينا آيات الله ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، فأخذ عنه صحابته عقيدة صافية غير مشوبة، بيضاء نقية، وتلقاها تابعوهم من سلف هذه الأمة فنقلوا لنا ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن صحابته وبلغوها خلفاً عن سلف،

وقام من أئمة السلف من جمع هذه الآثار والأقوال السلفية النقية في مؤلفات عظيمة، بينوا لنا فيها أصول الدين وأحكامه منهم: الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في كتابه الحافل (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) الذي يعد عمدة التفاسير المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين.

وقد قام بعض الزملاء الباحثين في جمع مرويات السلف وأقوالهم في عدد من أبواب الاعتقاد كالربوبية والألوهية وأصول الإيمان واليوم الآخر وغيرها من الأبواب. وهناك جانب مهم وعظيم في هذا الكتاب الحافل وهو جانب الأديان والفرق وما ورد عن السلف من آثار في اليهود وغيرهم، حيث جاءت آثار كثيرة في بيان حال هؤلاء، فاخترت أن أكتب في هذا الموضوع وهو:

(الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري)

(جمعاً ودراسة عقديّة)

خطة البحث:

التمهيد: وفيه:

ترجمة موجزة للإمام الطبري.

التعريف (بجامع البيان عن تأويل آي القرآن) وقيّمته العلمية

عرض مجمل لحديث القرآن عن اليهود

الروايات الإسرائيلية في التفسير

الباب الأول: (الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود و أبرز صفاتهم)

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة في حقيقة اليهود. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في تسميتهم.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في مترلتهم ونعم الله عليهم

المبحث الثالث: الآثار الواردة في عقاب الله لهم.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في أبرز صفات اليهود. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في قسوة قلوبهم

المبحث الثاني: الآثار الواردة في اتباعهم الهوى

المبحث الثالث: الآثار الواردة في تزكيتهم أنفسهم

المبحث الرابع: الآثار الواردة في نقضهم العهود

المبحث الخامس: الآثار الواردة في كذبهم وافتراءهم

المبحث السادس: الآثار الواردة في حسدهم

الباب الثاني: الآثار الواردة عن السلف في عقيدة اليهود في أصول الإيمان.

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالله

الفصل الثاني: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالملائكة

الفصل الثالث: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالكتب

الفصل الرابع: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالأنبياء

الفصل الخامس: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان باليوم الآخر

الباب الثالث: الآثار الواردة عن السلف في موقف اليهود من النصرانية والإسلام

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة في موقف اليهود من النصرانية وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في موقفهم من مريم-عليها السلام-

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من عيسى عليه السلام

المبحث الثالث: الآثار الواردة في موقفهم من النصارى

الفصل الثاني موقف اليهود من المسلمين وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من المسلمين

المبحث الثالث: علاقة اليهود بالمنافقين

الخاتمة: وفيها أهم النتائج

المراجع والفهارس المتنوعة

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التالي:

- ١- قمت بقراءة التفسير من أوله إلى آخره، قراءة متأنية واستخرجت منه جميع الآثار المروية عن السلف، مما له صلة باليهود من قريب أو بعيد، ثم قمت بقراءة هذه الآثار مرة أخرى واستبعدت كل ما ظهر لي عدم صلته بالموضوع، أو كانت صلته بالموضوع ضعيفة.
- ٢- رتبت هذه الآثار المروية عن السلف في اليهود، حسب خطة البحث السابقة.
- ٣- رتبت الآثار المتعلقة بالمبحث الواحد حسب ترتيبها في تفسير الطبري في الأعم الأغلب، ذاكراً أولاً الآية التي ورد في تفسيرها ذكر الأثر؛ وذلك ليهتدي القارئ إلى الأثر في تفسير الطبري مهما كانت طبعة الكتاب التي لديه. وقد أقدم بعض الآثار على خلاف ترتيبها في التفسير لمعنى يقتضيه.
- ٤- احتفظت بأرقام هذه الآثار حسب طبعة دار الفكر - بيروت ١٤٠٥هـ - . وإذا لم يكن له رقم في التفسير وضعت له الرمز التالي: ○
- ٥- أوردت الآثار كاملة، إلا إذا كان الأثر طويلاً جداً، فأكتفي بموضع الشاهد منه.
- ٦- ترجمت لقائلي الآثار ترجمة موجزة، دون غيرهم من رجال السند، لكونهم المعتمد على قولهم في البحث. وجعلت هذا في ملحق في نهاية البحث.
- ٧- وثقت الأثر، خاصة من الكتب المسندة كتفسير ابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، وإن لم أجده فيهما فإني أوثقه من السنن والمسانيد والمصنفات وغيرها، خاصة تفسير الدر

المنثور للسيوطي، لاحتوائه على غالب التفسير بالمأثور خاصة الكتب المفقودة منها، ثم من تفسيري القرطبي وابن كثير، ثم من فتح الباري وتاريخ دمشق، ناقلاً ما أفق عليه من أقوال العلماء في الحكم عليه. ولم أقم بدراسة الأسانيد والحكم عليها - رغم أهميته - لأن القيام بذلك يستغرق وقتاً طويلاً جداً عند المختصين، فكيف بغيرهم. لكنني حرصت على ذكر ما وقفت عليه من حكم أهل العلم بالحديث على الأثر، وخاصة المتقدمين منهم كالحافظ ابن كثير وابن حجر، لأن النفس تطمئن إلى تصحيح المتقدمين، فإن لم أجد لهؤلاء حكماً استفدت من حكم المتأخرين كعلامة مصر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وعلامة الشام الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله ، ووجدت أن الدكتور حكمت بشير ياسين في موسوعته النافعة في التفسير المسماة (الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) قد جمع ذلك كله فكان هو المرجع الرئيس في الآثار الصحيحة والحسنة، وكذلك استفدت مما وقفت عليه من أحكام بعض المحققين لكتب السنة، وكذا ما صنعه بعض طلبة العلم في المدينة النبوية من مذكرة سموها (إيضاح بعض أسانيد الطبري من أحكام الشيخ أحمد شاكر مع الزيادة عليها)، أو غيرهم من المحققين.

٨- عملت دراسة لتلك الآثار، ركزت فيها على فهم السلف للآيات الواردة في اليهود مع إيراد الأحاديث النبوية الموضحة لها وكلام أئمة السلف من المفسرين خاصة الإمامين ابن جرير الطبري وابن كثير عليهما رحمة الله، ولم أطل فيما كانت دلالاته على المسألة واضحة.

٩- عزوت الآيات إلى سورها، وجعلت العزو في المتن ثلثاً أثقل الحاشية بكثرة الحواشي وخاصة أن الآيات كثيرة في البحث.

١٠- خرجت الأحاديث التي في الدراسة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخرجه منهما، وإن لم يكن كذلك فإني أخرجه من السنن والمسانيد والمصنفات.

١١- ترجمت لأهم الأعلام الذين ورد ذكرهم في أبواب البحث. كما ترجمت لأصحاب الآثار في ملحق خاص في نهاية البحث ترجمة مختصرة.

١١- عرفت بالفرق والأماكن التي ورد ذكرها في البحث.

١٢- شرحت المفردات الغريبة الواردة في البحث كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

١٣- في تخريج الأحاديث، والآثار، وترجمة الأعلام، والتعريف بالفرق، وشرح الغريب من الألفاظ، أذكر ذلك في أول موضع يرد فقط، تجنباً للتكرار، ولا أشير إلى مكان ذلك، مكتفياً بعمل فهرس للأعلام في آخر البحث لمن أراد الوقوف على أماكن تكرار ورود العلم في البحث.

١٥- اعتمدت في استخراج الآثار طبعة دار الفكر ١٤٠٥هـ.

١٦- وحرصاً على الاختصار في الحواشي، اقتصر في التخرج على ذكر طرف من أسماء الكتب، ولم اتكثر بها لكثرة الآثار وحصول المقصود ببعضها.

وبعد فقد بذلت في هذا البحث قدر وسعي، ومبلغ طاقتي، ومع ذلك فإني لم أوف الموضوع حقه، ولا أدعي الإصابة فيما كتبت لقول الله ﷻ: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [سورة النساء ٤/٨٢] ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : ((كل بني آدم خطأ، وخير الخطائين التوابون.)) (١)، فما كان في البحث من صواب فمن الله وحده وبتوقيقه وفضله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي، واستغفر الله منه، وجزى الله خيراً من رأى فيه اختلافاً فأرشدني إليه لأصلحه، أو رأى خطأً فدلني على تصويبه أو صوبه.

وفي الختام فإني أحمد الله وأشكره على توفيقه وهدايتي لهذا الموضوع، وأن أتم الله علي فضله ومنته بإنجاز هذا البحث وإتمامه، وإني لأدعو الله لوالدي بالمغفرة على ما بذلاه من حسن تربية وأقول رب ارحمهما كما ربياني صغيراً.

ثم أشكر شيعي الفاضل الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل على رعايته للبحث من فكرته الى مناقشته فأحسن الله اليه

وكذلك أشكر الاستاذ الدكتور احمد بن عطية الغامدي على قبوله للمناقشة وحسن

إفادته

ثم اشكر المشرف على هذا البحث الأستاذ الدكتور: / يوسف عبد الغني ، أحسن الله

اليه

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩).

كما أشكر -أيضاً- كل من أعانني في بحثي هذا من المشايخ والزملاء سواءً كان ذلك بفائدة علمية، أو إعارة كتاب، أو غير ذلك. وأخص منهم أخي في الله سعود بن عبد العزيز العقيل على مساعدته لي وفقه الله وذريته للخير وأخيراً لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين وفي قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة منها، وذلك لمنحي هذه الفرصة لإعداد رسالتي هذه .

وأسأل الله ﷻ أن يجعل أعمالنا صالحة، ولوجهه الكريم خالصة، وأن لا يجعل لأحد فيها شيئاً، كما أسأله ﷻ أن يوفقنا لما يرضيه، وأن يجنبنا سخطه ومعاصيه، وأن يعيذنا من فتنة القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: يوسف بن حمود الحوشان

التمهيد: وفيه:

ترجمة الطبري (١)

- (١) اختصرت ترجمة الإمام الطبري هنا لكثرة الدراسات التي قدمت عنه وعن جهوده العلمية - في كتب ورسائل جامعية - واشتملت على ترجمة وافية له . ومن تلك الدراسات ، عدة رسائل علمية مثل:
- ١- القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه - رسالة الماجستير قدمها الشيخ/ محمد عارف عثمان المرري عام ١٤٠٣ - ١٤٠٤ هـ . وقد طوّل في ترجمة الطبري حيث بلغت ٨٤ صفحة من الرسالة .
- ٢- استدرآكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره - رسالة الدكتوراه ، قدمها الشيخ / أحمد عمر عبد الله الغاني ، عام ١٤٠٥ هـ . واستغرقت الترجمة ٤٠ صفحة .
- ٣- استدرآكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في تفسيره - رسالة الدكتوراه ، قدمها الشيخ / شايح بن عبده بن شايح الأسمري ، عام ١٤١٧ هـ . وقد اختصر في الترجمة .
- وهناك دراسات أخرى عنه ، منها :
- ٤- الطبري - للدكتور أحمد محمد الحوفي ، بحث من سلسلة أعلام العرب ، رقم (١٣) . وقد قدم ترجمة مستفيضة للطبري .
- ٥- الطبري ومنهجه في التفسير - للدكتور محمود بن الشريف ، وقد اعتمد كثيرا في الترجمة على ما سطره ياقوت الحموي في معجم الأدباء .
- ٦- الإمام الطبري ، شيخ المفسرين ، وعمدة المؤرخين ، ومقدم الفقهاء المحدثين ، صاحب المذهب الجريري- للدكتور محمد الزحيلي ، بحث من سلسلة أعلام المسلمين رقم (٣٣) . وهو بحث نفيس لرجوع المؤلف إلى مصادر غزيرة ، بلغت ٩٠ مصدرا .
- ٧- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - سيرته ، عقيدته ، ومؤلفاته - للشيخ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل ، تكلم المؤلف عن سيرة الطبري بشيء من التفصيل . ، وطبع عام ١٤١٧ هـ . هذا بالإضافة إلى الترجمة المقدمة من قبل بعض الناشرين أو المحققين لكتب الطبري ، كترجمة الشيخ محمد محمود الحلبي - مدير شركة مكتبة ومطبعة مصطفى أبي الجلي بمصر - في مقدمة التفسير ، وترجمة العلامة المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة تاريخ الطبري .
- أما ترجمته في كتب التراجم:
- الأعلام (٦٩/٦) ، إنباه الرواة (٨٩/٣) ، الأنساب (٤٦/٤) ، البداية والنهاية (١٤٥/١١ - ١٤٦) ، تاريخ الأدب العربي (٤٥/٣) ، تاريخ التراث العربي (٥١٨/١) ، تاريخ بغداد (١٦٢/٢) ، تاريخ دمشق (١٦٠/١٥) ، دول الإسلام (١٨٧/١) ، سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤) ، شذرات الذهب (٢٦٠/٢) ، طبقات الحفاظ (ص ٣٠٧) ، طبقات الشافعية الكبرى (١٢٠/٣) ، طبقات المفسرين للداوودي (١٠٦/٢) ، طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٩٥) ، العبر في خبر من غير (٤٦٠/١) ، الفهرست (ص ٣٣٤) ، كشف الظنون (٤٣٧/١) ، لسان الميزان (١٠٠/٥) ، مرآة الجنان (٢٦١/٢) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢١٥/١٣) ، معجم الأدباء (٤٠/١٨ - ٩٤) ، معجم المؤلفين (١٤٧/٩) ، ميزان الاعتدال (

١- نسبه:

هو محمد بن جرير بن يزيد والي جدة، اتفق المؤرخون في نسبه ثم اختلفوا فمنهم من قال: (يزيد هذا هو ابن كثير بن غالب)، وعلى هذا الرأي جمهرة المحققين من المؤرخين ولم يتوقفوا في هذا بل قطعوا به.

ومنهم من قال إن يزيد هو ابن خالد (١).

على أن أبا جعفر نفسه رحمه الله تعالى لم يكن يزيد في نسبه اسماً آخر على أبيه فقد صأل سائل عن نسبه فقال: محمد بن جرير قال السائل زدنا في النسب فأنشده بيت رؤبة (٢) بن العجاج:

قد رفع العجاج ذكرى فادعي باسمي إذا الأنساب طالت يكفن

٢- الحالة السياسية والعلمية في عصره:

لقد عاش الطبري رحمه الله تعالى في عهد العباسيين بعد أن مضى من عصره الذهبي اثنان وثلاثون عاماً تقريباً، وفي هذه الفترة التي عاش فيها ابن جرير تولى الخلافة المعتصم بالله، وهو أبو إسحاق، محمد بن ابن الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة تسع وسبعين ومائة وبينه وبين أخيه المأمون تسع سنين، وكان في عهد أخيه المأمون والياً على الشام ومصر، وكان المأمون يميل إليه بشجاعته فولاه عهده وترك ابنه، وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون ببلاد الروم ببيع بالخلافة في تسعة عشر رجب ١٩ - سنة ٢١٨ - ولم يزل خليفة إلى أن توفي بمدينة سامراء في ١٨ ثمانية عشر ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ، فكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام (٣).

٣/٤٩٨) ، النجوم الزاهرة (٣/٢٠٥) ، هدية العارفين (٢/٢٦) ، الوافي بالوفيات (٢/٢٨٤) ، وفيات الأعيان (٤/١٩١) .

وتعتبر ترجمته عند ياقوت الحموي أقدم وأوسع ترجمة حيث بلغت ٥٠ صفحة من الكتاب . واعتمد ياقوت كثيراً في الترجمة على كتاب في سيرة الطبري ، ألفه عبد العزيز بن محمد الطبري ، وكتاب لأبي بكر بن كامل ، كما صرح بذلك في آخر الترجمة . انظر : معجم الأدباء (١٨/٩٤) .

(١) انظر وفيات الأعيان ٣/٣٣٢ - مطبعة السعادة

(٢) هو أبو محمد رؤبة بن العجاج ، والعجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري التميمي السعدي توفي سنة ١٤٥هـ انظر معجم الأدباء . ١١/١٤٩-١٥٠ .

(٣) انظر محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسية" تأليف الشيخ محمد الخضري بك ص ٢٢٩

ثم تولى بعده الخلافة الواثق: (٢٢٧ - ٢٣٢) ويعتبر عهد الواثق نهاية العصر الذهبي للدولة العباسية، ثم تولى بعدهم في عصر نفوذ الأتراك المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧) والمنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨) والمستعين (٢٤٨ - ٢٥٢) والمعز (٢٥٢ - ٢٥٥) والمهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦) والمعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩) والمقتصد (٢٧٩ - ٢٨٩) والمكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥) والمقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠).

وقد عاش الطبري في عصر الدولة العباسية الذهبي، وفي عصر نفوذ الأتراك وانقسام البلاد الإسلامية إلى دويلات متفرقة، فبدأ بعهد المتوكل إلى نهاية الدولة العباسية، وقد عاش الطبري في هذا العصر ولكن هذا الضعف السياسي لم يؤثر على الحركة العلمية، فلقد سارت الحياة العلمية سيراً حسناً، وكان أصحاب الإمارات يكرمون العلماء ويتنافسون في إكرامهم، مما دفع بعجلة العلم والبحث إلى التقدم في مسيرته الطيبة. أما الحياة العلمية في عهد الطبري: فهي حياة حافلة بالتصنيف والرواية، ودونت أهم أقوال المذاهب الأربعة، ووصلت القراءات إلى حد بعيد من التأليف. وكذلك النحو والصرف والعروض والأدب كلها قد سارت حُطًى مباركة، وقطعت شوطاً كبيراً.

وقد طوف الطبري رحمه الله تعالى في طبرستان والعراق والشام ومصر، واستقى من ينابيع الثقافة في كثير من المدن، وقد تخرج في هذه المدن كثير من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين واللغويين والنحاة والأدباء.

٣ - حياته العلمية ونبوغه:

لم يكد أبو جعفر رحمه الله تعالى يبلغ السن الذي يؤهله للتعلم حتى عهد به والده إلى علماء (أمل)، وسرعان ما تفتح عقله وبدت عليه مخايل النبوغ وهو صغير، فقد قال: إني حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة. (١)

(١) انظر معجم الأدباء ٤٩/١٨.

وكان هذا النبوغ المبكر حافظاً لأبيه على الجد في إكمال تعليمه، وخاصة أنه رأى حلمًا تفاءل من تأويله، قال الطبري رحمه الله تعالى: رأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعني مخللة مملوءة بالأحجار وأنا أرمي بين يديه. وقص رؤياه على المعبر فقال له: إن ابنك إن كبر نصح في دينه وذب عن شريعته. ولم يطل حبس هذه الرؤيا عن الابن إذ أخبره بها أبوه فزادت من رغبته ونشاطه، وكان لها من الأثر على الابن المقبل على العلم الشيء الكثير، فاجتمع له ركنا التحصيل والتعليم وهما الاستعداد الفطري، وتيسر العامل الكسبي مع توفيق الله وعونه طلبه للعلم. وقد بدأ الطبري رحمه الله تعالى دراسته وحياته العلمية في بلدة (آمل)، وحفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم من علمائها الأجلاء.

٤- شيوخه وتلاميذه:

أ- شيوخه:

لقد كان لتحوال الإمام الطبري في البلدان لطلب العلم أثر في كثرة شيوخه ومن أبرز أولئك الشيوخ:

١- هناد بن السري التميمي الكوفي^(١) الإمام الزاهد الحافظ توفي سنة ٢٤٣هـ . لقيه ابن جرير بالكوفة وروى عنه الحديث.

٢- أحمد بن منيع البغوي^(٢) البغدادي الإمام الحافظ الثقة، يعد من أقران الإمام أحمد، توفي سنة ٢٤٤هـ ، وقد روى عنه ابن جرير ببغداد لما فاته الأخذ عن الإمام أحمد.

٣- محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب^(٣) الإمام الحافظ، المتوفى سنة ٢٤٤هـ سَمِعَ منه الطبري بالبصرة.

٤- محمد بن عبد الأعلى الصنعاني^(٤) البصري، أحد الحفاظ الثقات الكبار، مات سنة ٢٤٥هـ ، والتقى به ابن جرير بالبصرة، وسمع منه وأخرج له في التفسير كثيراً.

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١١/٤٦٥/١١٨.

(٢) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١١/٤٨٣/١٢٧.

(٣) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١١/١٠٣/٣٢.

(٤) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد

معروف، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية ١٤٠٣. ٢٥/٥٨١/٥٣٨٥.

- ٥- محمد بن العلاء الهمداني (١) أبو كريب الكوفي، المتوفى سنة ٢٤٧هـ ، حافظ الكوفة المتقن، أكثر ابن جرير الرواية عنه، حتى قيل: إنه بلغ ما تلقاه عنه مائة ألف حديث (٢).
- ٦- محمد بن حميد الرازي (٣) التميمي، المتوفى سنة ٢٤٨هـ ، أحد الشيوخ الذين أكثر ابن جرير الرواية عنهم، فبلغ ما تلقاه عنه أكثر من مائة ألف حديث، وقد أخذ عنه التفسير والحديث في بلاد الري، وهو من أكثر الشيوخ الذين روى عنهم في تفسيره.
- ٧- محمد بن بشار العبدي (٤) البصري المعروف ببندار المتوفى سنة ٢٥٢هـ ، من مشاهير رواة الحديث لقيه ابن جرير بالبصرة، وأكثر الرواية عنه.
- ٨- سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي، (٥) المتوفى سنة ٢٥٢هـ ، أخذ عنه القراءات في الكوفة.
- ٩- الربيع بن سليمان بن داود الأزدي، (٦) المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، لقيه ابن جرير عند دخوله إلى مصر، وأخذ عنه فقه الإمام الشافعي ومروياته.
- ١٠- إسماعيل بن يحيى المزني، (٧) المتوفى سنة ٢٦٤هـ ، صاحب الإمام الشافعي، أخذ عنه ابن جرير الفقه حين لقائه به في القاهرة.
- ١١- أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، (٨) الكوفي المعروف بثعلب، المتوفى سنة ٢٩١هـ ، إمام نحاة الكوفة أخذ عنه ابن جرير النحو والعربية وآدابها عندما ارتحل ابن جرير إلى الكوفة.

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١١/٣٩٤/٨٦.

(٢) انظر: معجم الأدباء ١٨/٥٢.

(٣) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١١/٥٠٣/١٣٧.

(٤) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٢/١٤٤/٥٢.

(٥) انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة ١٤٠٢هـ.

٣١٤/١.

(٦) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٩/٨٦/١٨٦٣.

(٧) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٢/١٨٠.

(٨) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٤/١/١.

هؤلاء من أشهر شيوخ ابن جرير، الذين أخذ عنهم فنوناً من العلم، مما كان له الأثر الواضح والكبير فيما تركه من آثار ومؤلفات.

ب- تلامذته:

تتلمذ على يد الإمام الطبري كثيرون، وروى عنه جمع غفير، ولعلّ سعة اطلاعه، وطول حياته، من أسباب كثرة تلامذته فمن أشهر تلامذته:

- ١- القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف، (١) قاضي الكوفة ألف كتاباً في ترجمة شيخه ابن جرير، نقل منه ياقوت الحموي كثيراً في معجم الأدباء عند ترجمته لابن جرير.
- ٢- عبد العزيز بن محمد الطبري، وله كتاب في تاريخ أستاذه، نقل ياقوت كثيراً منه.

٣- أبو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الطبري، مؤلف كتاب في التاريخ، موصول بكتاب الطبري، ضمنه من أخبار أبي جعفر وأصحابه شيئاً كثيراً، وله كتاب الرسالة، وكتاب جامع الفقه (٢).

٤- أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علم الدين، وهو صاحب كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه، وكتاب الإجماع في الفقه، على مذهب أبي جعفر.

٥- أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، (٣) الإمام المقرئ المحدث المحدث النحوي، المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، أخذ عن ابن جرير القراءات.

٦- الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (٤) المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ، صاحب المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير.

٧- أبو أحمد عبد الله بن عدي، (٥) المتوفى سنة ٣٦٥ هـ ، والمشتهر بكتابه الجامع (الكامل في ضعفاء الرجال).

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٥/٥٤٤/٣٢٣.

(٢) الفهرست لابن النديم ص/٣٢٨.

(٣) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٥/٢٧٢/١٢١.

(٤) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/١١٩/٨٦.

(٥) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/١٥٤/١١١.

٨- أبو الفرج المعافي بن زكريا النهرواني، (١) المتوفى سنة ٣٩٠هـ، من أشهر علماء وقته يعرف بابن طرّار، وهو من أبرز تلاميذ ابن جرير، والمتأثرين به، شرح بعض كتب ابن جرير كـ (الخفيف في أحكام شرائع الإسلام) وغيره وقد لازم ابن جرير وهو صغير، وسمع منه وأخذ عنه الفقه والتفسير .

٩- علي بن عبد العزيز بن محمد الدولابي، مؤلف كتاب القراءات، وكتاب أصول الكلام، وكتاب الأصول الأكبر، وكتاب الأصول الأوسط وكتاب إثبات الرسالة.

١٠- أبو مسلم الكجي. (٢)

٥- مكانته العملية وثناء العلماء عليه:

قال مسلمة بن قاسم : « كان حصوراً لا يعرف النساء ، ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثني عشرة سنة ؛ سنة ست وثلاثين ، فلم يزل طالبا للعلم مولعا به ، إلى أن مات .»

قال أبو معبد عثمان بن أحمد الدينوري : « حضرت مجلس محمد بن جرير وحضر الفضل بن جعفر بن الفرات بن الوزير ، وقد سبقه رجل ، فقال الطبري للرجل : ألا تقرأ ؟! فأشار إلي الوزير . فقال له الطبري : إذا كانت النوبة لك ، فلا تكترث بدجلة ولا الفرات . قال العسقلاني في اللسان معلقا : « قلت : وهذه من لطائفه وبلاغته وعدم التفاته لأبناء الدنيا .»

قال الخطيب البغدادي في تاريخه : « وكان أحد أئمة العلماء ، يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه ؛ لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من الخالفين ، في الأحكام ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في « تاريخ الأمم والملوك » ، وكتاب في « التفسير » ، لم يصنف أحد مثله ، وكتاب سماه « تهذيب الآثار » ، لم أر سواه في معناه !

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/٥٤٤/٣٩٨.

(٢) الفهرست لابن النديم ص/٣٢٨.

إلا انه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه.

وقال أيضاً: «سمعت علي بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوي، المعروف بالسهماني يحكى أن : محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة.»

وقال أيضاً : «بلغني عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفرائيني أنه قال : لو سافر رجل إلى الصين، حتى يحصل له كتاب « تفسير » (محمد بن جرير) ، لم يكن ذلك كثيراً، - أو كلاماً هذا معناه - .

وقال أيضاً: « أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد، قال : ثنا علي بن أحمد ابن الصناع، وعبيد الله بن أحمد السمسار، وأبي : أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه : أنتشطون لتفسير القرآن؟! قالوا كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه . فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. » (١)

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق يعني بن خزيمة : «قد نظرت في (التفسير) من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض اعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة.»

قال الحسين بن علي التميمي - حسينك : «لما رجعت من بغداد إلى نيسابور سألني محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لي : ممن سمعت ببغداد؟ فذكرت له جماعة ممن سمعت منهم. فقال : هل سمعت من محمد بن جرير شيئاً؟ فقلت له : لا ، إنه ببغداد لا يُدخَلُ عليه؛ لأجل الحنابلة، - وكانت تمنع منه - فقال: لو سمعت منه لكان خيراً لك من جميع من سمعت منه سواه» . (٢)

وقال أبو علي الطوماري : «كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد إلى المسجد لصلاة التراويح ، فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر من داره ، واجتاز على مسجده فلم يدخله ، وأنا معه ، وسار حتى انتهى إلى آخر سوق العطش ،

(١) تاريخ بغداد (١٦٣/٢) .

(٢) تاريخ بغداد ج:٢ ص:١٦٤ والكامل في التاريخ ج:٧ ص:٩

فوقف بباب مسجد (محمد بن جرير) ، ومحمد يقرأ (سورة الرحمن) ، فاستمع قراءته طويلاً ثم انصرف . فقلت له : يا أستاذ ! تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا؟ فقال : يا أبا علي ! دع هذا عنك ، ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة . أو كما قال» . (١)

وقال أبو العباس البكري - من ولد أبي بكر الصديق - : «جمعت الرحلة بين محمد بن جرير ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد ابن هارون الروياني ، بمصر ، فأرملوا ، ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، وأضر بهم الجوع فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ، ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على (محمد بن إسحاق بن خزيمة) ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة. قال:فاندفع في الصلاة ، فإذا هم بالشموع ، وخصي من قبل والي مصر ، يدق الباب ، ففتحوا الباب ، فتزل عن دابته فقال :- أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل هو هذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا ، فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن جرير ؟ فقالوا هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا ، فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقالوا هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا ، فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقال هو ذا يصلي . فلما فرغ ، دفع إليه الصرة ، وفيها خمسون دينارا ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس ، فرأى في المنام خيلاً قال : إن الحماد طووا كشحهم جيعاً ؛ فانفذ إليكم هذه الصرار ، وأقسم عليكم، إذا نفدت فابعثوا إلي أمدكم» .

وقال محمد بن علي بن محمد بن سهل بن الإمام: «سمعت أبا جعفر الطبري وجرى ذكر علي _ فقال أبو جعفر : من قال : أن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى أيش هو؟ فقال له ابن الأعلم: مبتدع. فقال له الطبري منكرأ عليه: مبتدع؟! مبتدع؟! هذا يُقتل! من قال أن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى يُقتل، يُقتل» . (٢)

(١) تاريخ بغداد ج:٢ ص:١٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج:٥٢ ص:٢٠٠

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج:٥٢ ص:٢٠١ سير أعلام النبلاء ج:١٤ ص:٢٧٥

وقال الذهبي في السير: «الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، صاحب التصانيف البديعة. أكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاءً، وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله، وكان من أئمة الاجتهاد». وقال فيه أيضاً: «كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه، والإجماع، والاختلاف، علامة في التاريخ، وأيام الناس، عارفاً بالقراءات، وباللغة وغير ذلك». (١)

قال الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان): «وإنما نيز بالتشيع، لأنه صحح حديث (غدير خم)، وقد اغتر شيخ شيوخنا أبو حيان بكلام السليماني فقال في الكلام على الصراط في أوائل تفسيره: وقال أبو جعفر الطبري وهو إمام من أئمة الإمامية: الصراط بالفساد، لغة قريش إلى آخر المسألة. ونهت عليه لئلا يغتر به؛ فقد ترجمه أئمة النقل في عصره وبعده فلم يصفوه بذلك؛ وإنما ضره الاشتراك في اسمه، واسم أبيه، ونسبه، وكنيته، ومعاصرتة، وكثرة تصانيفه، والعلم عند الله تعالى، قاله الخطيب». (٢)

ثم قال «أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ؛ فقال: كان يضع للروافض. كذا قال السليماني قال الذهبي: وهذا رجم بالظن الكاذب؛ بل (ابن جرير) من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، وما ندعي عصمته من الخطأ، ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى؛ فإن كلام العلماء بعضهم في بعض، لا ينبغي أن يتأتى فيه؛ ولا سيما في مثل إمام كبير» (٣).

٦- عقيدته ومذهبه الفقهي:

إن الطبري من كبار أئمة أهل السنة والجماعة. ألف عدة كتب في بيان العقيدة الصحيحة والذب عنها: منها كتاب "صريح السنة"، و"التبصير في معالم الدين". ومن قرأ ما كتبه في مباحث العقيدة، عرف قدره ومثرتة. وتفسيره الذي بين أيدينا يعتبر من أجل التفاسير لأهل السنة والجماعة.

(١) سير أعلام النبلاء ج: ١٤ ص: ٢٧٠

(٢) لسان الميزان ج: ٥ ص: ١٠٠.

(٣) لسان الميزان ج: ٥ ص: ١٠٠

ومجمل عقيدة الإمام الطبري - رحمه الله - نجده فيما كتبه في " صريح السنة وأما مذهبه الفقهي ، فكان على المذهب الشافعي في بداية أمره، ثم تبخر في المذاهب الفقهية الأخرى حتى صار إماماً في الفقه المقارن، إلى أن بلغ مرتبة المجتهد المطلق(١). فصار له مذهب مستقل ، يعرف بـ " الجريري " (٢)، وتبعه أناس ، كما قال ابن الأثير في ترجمة أبو الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طراز الجريري بفتح الجيم منسوب إلى محمد بن جرير الطبري لأنه كان يتفقه على مذهبه. (٣)

٧- مؤلفاته :

أثنى الإمام الذهبي على الطبري ، فوصفه بقوله : " وكان من أفراد الدهر علما ، وذكاء ، وكثرة تصانيف . قل أن ترى العيون مثله " (٤). ومن نظر في مؤلفات الطبري ، ليعجب من كثرتها ، وتنوعها ، ونفاستها .
وفيما يلي بعض مؤلفاته(٥) :

- ١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المعروف بتفسير الطبري (٦). سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث التالي.
- ٢- تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء ، المعروف بتاريخ الطبري (٧).

(١) انظر : معجم الأدباء (٥٣/١٨) .

(٢) الإمام الطبري للزحيلي (ص ١٦٢) .

(٣) الكامل في التاريخ ج: ٨ ص: ١٥

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤) .

(٥) لمزيد من التفصيل ، ينظر : معجم الأدباء (٤٢/١٨ - ٩٤) ، وتاريخ الأدب العربي (٤٦/٣ - ٥١) ، وطبقات الشافعية الكبرى (١٢١/٣) ، والطبري للحوفي (ص ٨٩ - ٩٨) ، والإمام الطبري للدكتور محمد الزحيلي (ص ٥٠ - ٥٣) ، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري للشيخ علي بن عبد العزيز الشبل (ص ٩٤ - ١٢٠) . ذكر الحوفي في كتابه ٢٨ كتابا ، وزاد عليه الدكتور الزحيلي بكتاب واحد ، وهو "الرسالة في أصول الفقه " . وأما الشيخ علي الشبل فقد ذكر ٣٧ كتابا ، ببيان مفصّل لكل كتاب ، من حيث اسمه، ومحتواه ، ونسخه ، وطبعاته . وقد أجاد وأفاد .

(٦) طبع عدة طبعات ، منها بتحقيق الأستاذين محمود وأحمد شاكر - رحمهما الله - ، وصل التحقيق إلى الآية: ٢٧ من سورة إبراهيم . وبقية التفسير لم يتم تحقيقه .

(٧) طبع عدة طبعات ، أحسنها طبعة دار المعارف ، بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

- ٣- كتاب ذيل المذيل (١).
- ٤- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام ، المعروف باختلاف الفقهاء (٢).
- ٥- لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام.
- ٦- الخفيف في أحكام شرائع الإسلام ، وهو مختصر للكتاب السابق.
- ٧- بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام.
- ٨- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار (٣). توفي الطبري قبل تمامه.
- ٩- آداب القضاة.
- ١٠- أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة أو أدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة. توفي الطبري قبل أن يتمّه.
- ١١- كتاب المسند المجرد. ولم يتمّه.
- ١٢- الرد على ذي الأسفار.
- ١٣- كتاب القراءات وتزويل القرآن (٤).
- ١٤- صريح السنة أو شرح السنة (٥).
- ١٥- التبصير في معالم الدين أو تبصير أولى النهى ومعالم الهدى ، وقد سُمّي بـ " البصير في معالم الدين " (٦) .

(١) طبع منه جزء باسم " المنتخب من كتاب ذيل المذيل " ، وألحق في آخر تاريخه ، بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) طبع منه جزء ، بتحقيق د . فردريك كيرن ، وهو مستشرق ألماني ، وطبع بمصر بمطبعة الموسوعات سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) طبع ما وُجد منه بتحقيق الأستاذ محمود شاكر - ، ، .

(٤) يوجد منه نسخة خطية بالأزهر .

(٥) طبع الجزء الأخير من الكتاب في الهند سنة ١٣٢١ هـ ، ثم طبع بمصر . كما طبعه معلقا على أجزاء منه الشيخ عبد الله بن حميد بمكة سنة ١٣٩١ هـ ، وحقّقها أخيرا بدر بن يوسف المعتوق . انظر : الطبري للحوفي (ص ٩٥) ، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري للشيخ علي الشبل (ص ١٠٩ - ١١٠) .

(٦) طبع الكتاب بتحقيق الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل . ويرى المحقق أن تسمية الكتاب بـ " البصير في معالم

١٦- فضائل علي بن أبي طالب .

١٧- فضائل أبي بكر وعمر . ولم يتمّه الطبري .

١٨- فضائل العباس . ولم يتمّه أيضا .

١٩- مختصر مناسك الحج .

٢٠- مختصر الفرائض .

٢١- العدد والتزويل .

وقد فصل القول في وصف مخطوطات ومطبوعات كتب الإمام الطبري الشيخ (علي بن عبد العزيز الشبل) - حفظه الله تعالى - في الترجمة التي جمعها للطبري في (١٣٢ صفحة) والتي سماها « إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين الطبري » والصادرة عن (دار الوطن) في (الرياض) (سنة ١٤١٧ هـ) وفي تقديمه لكتاب الطبري « التبصير في معالم الدين » ..

٨-وفاته :

توفي الإمام الطبري في بغداد سنة ٣١٠ هـ (١)، وعمره ست وثمانون سنة . بذل أكثر عمره لخدمة الدين والعلم ، فجزاه الله عنا وعن سائر المسلمين خير ما يجزي به عباده المؤمنين الصالحين ، ورحمه رحمة واسعة ، وأدخله فسيح جناته .

ورثاه كثير من معاصريه منهم أبو سعيد(٢) بن الأعرابي بقوله:

دق عن مثله اصطبار الصبور	حدث مفضل وخطب جليل
قام ناعي محمد بن جرير	قام ناعي العلوم أجمع لما
مؤذونات رسومها بالذثور	فهوت أنجم لها زاهواقي
ثم عادت سهولها كالوعور	وغدا روضها الأنيق هشيماً
غير وان في الجسد والتشميمير	يا أبا جعفر مضيت حميداً
موفور وسعي إلى التقى مشكور	بين أجو على اجتهد موفور

الدين " ، تصحيف ظاهر .

(١) تاريخ بغداد (١٦٦/٢) ، وطبقات الشافعية الكبرى (١٢٦/٣) .

(٢) هو ابن سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ابن الأعرابي مؤرخ من علماء الحديث من أهل البصرة له كتاب الإخلاص .. انظر الأعلام ١/١٩٩ - ولد سنة ٢٤٤ ت ٣٤٠ هـ.

جنة عدن في غبطة وسرور مستحقاً به الخلود لدى
ورثاه ابن دريد (١) بقصيدة منها:
فاستنجد الصبر أو فاستشعر الحوبا لن تستطيع لأمر الله تعقياً
قضى المهيمن مكروهاً ومحبوباً وافزع إلى كنف التسليم وارض بما
أعظم بذا صاحباً إذاك مصحوباً أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا
بل أتلفت علماً للدين منصوباً إن المنيّة لم تتلف به رجلاً

تنبيه مهم : هناك من اسمه أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي . له عدة كتب ، منها كتاب الرواة عن أهل البيت ، رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني . وقال هو من هو من الروافض صنف كتباً كثيرة في ضلالتهم له كتاب الرواة عن أهل البيت وكتاب المسترشد في الإمامة. (٢)

التعريف «جامع البيان عن ناول آي القرآن» وقيمه العلمية:

قدم الطبري لتفسيره بمقدمة تعتبر منهجاً لمن أراد تفسير الكتاب العزيز فيقول معرفاً بمنهجه: نحن في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه، منشئون - إن شاء الله ذلك - كتاباً، مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه جامعاً، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافياً، ومخبرون في كل ذلك، بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الأمة، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه(٣).

قال الحلبي في مقدمة التفسير وهو تفسير ذو منهج خاص: يذكر الآية أو الآيات من القرآن، ثم يُعقِبها بذكر أشهر الأقوال التي أثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في

(١) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان من قحطان أبو بكر من أئمة اللغة والأدب صاحب المقصورة الدريدية ولد سنة ٢٢٣ - ٢١هـ انظر الأعلام للزركلي ٦/٣٠٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/٢٨٢ و نوايغ الرواة في رابعة المئات ج: ١ ص: ٨ وهو في رجال الشيعة للمطهر المقدسي وصف ابن جرير الرافضي بانه غير ابن جرير (العامي)؟

(٣) مقدمة التفسير.

تفسيرها. ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة، في الآية كلها، أو بعض أجزائها، بناء على خلاف في القراءة أو اختلاف في التأويل. ثم يعقب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات، واختيار أولاهما بالتقدمة، وأحقها بالإيثار. ثم ينتقل إلى آية أخرى، فينهج نفس النهج: عارضاً، ثم ناقداً، ثم مرجحاً.

وهو إذ ينقد أو يرجح، يردّ النقد أو الترجيح الى مقاييس تاريخه، من حال رجال السنن في القوة والضعف، أو إلى مقاييس علمية وفنية: من الاحتكام إلى اللغة التي نزل بها الكتاب، نصوصها وأقول شعرائها، ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها، ومن رجوع إلى ما تقرّر بين العلماء من أصول العقائد أو أصول الأحكام، أو غيرهما من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير، وجمع مادة لم تجتمع لكثير غيره من كبار علماء عصره.

وقد نقل ابن جرير روايات عن أشهر مفسري الصحابة والتابعين، كابن عباس رضي الله عنهما من خمسة طرق، وعن سعيد بن جبير من طريقين، وعن مجاهد من ثلاثة طرق أو أكثر في بعض المواضع، وعن قتادة بن دعامة من ثلاثة طرق، وعن الحسن البصري من ثلاثة طرق، وعن عكرمة من ثلاثة طرق، وعن الضحاك بن مزاحم من طريقين، وعن عبد الله بن مسعود _ من طريق واحد. وذكر من التفاسير تفسير عبد الرحمن بن زيد بن مسلم، وتفسير ابن جريج، وتفسير مقاتل بن حيان، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به، فانه لم يدخل في كتابه شيئاً من كتاب محمد بن السائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي، لأنهم عنده أظنّاء.

وقد ذاعت شهرة تفسير ابن جرير في الآفاق الإسلامية، وأصبح مضرب المثل في غزارة المادة، واستقامة المنهج:

قال السيوطي في الإتقان بعد أن ساق أسماء جماعة من المفسرين بالمأثور قبل الطبري: (وبعدهم ابن جرير الطبري، وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها).

ثم قال: فإن قلت: فأبي التفاسير ترشد إليه، وتأمّر الناظر أن يعول عليه؟ قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف مثله. قال النووي في تهذيبه: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله. (١)

(١) الإتقان ٢ (١٦٠/).

ثم اختلف بعد ذلك مناهج المفسرين، ولم يتقيدوا بالمنقول عن الصحابة والتابعين، وتميز كل تفسير منها بطابع خاصّ غلب على صاحبه، فمنها ما عُنيَ ببيان العقائد، ومنها ما اقتصّ بالأحكام الفقهية، ومنها ما بالغ في شرح قصص القرآن، ومنها ما التزم بيان الخصائص الأسلوبية والبلاغية المرتبطة بالإعجاز، ومنها ما جمع أطرافاً من كل ذلك، ومن اللغة والنحو والإعراب... الخ.

ولا يزال الناس حتى يومنا هذا يرومون تفسير الكتاب العزيز، ولا يكاد يخلو تفسير مما ألف في النصف الأول من القرن العشرين من معنى جديد، أو مذهب مستطرف.

عرض مجمل لحديث القرآن عن اليهود:

حتم الله — تبارك وتعالى — كتبه إلى العباد بكتابه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان فيه الوعظ والقصة والتوجيه والترغيب والترهيب وحكاية الأمم السابقة وبداية لخلق ونهايته وخبر الآخرة، فما فرط الرحمن في القرآن من شيء.

قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي

الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ [سورة الأنعام ٦/٣٨]

وكان للأديان السابقة والأنبياء وأتباعهم نصيب من الكتاب العزيز.

والملاحظ أن بني إسرائيل كان لهم نصيب كبير نسبة إلى غيرهم بل يصعب أن تمر بجزء ليس فيه ذكرهم، ومن الإحصاءات في هذا الشأن أنهم ذكروا في نحو خمسمائة موضع، فكان خمس القرآن حديثاً عنهم فيما يقرب من ستة أجزاء، وكان حديث القرآن عن اليهود؛ مذكراً لهم بنعم الله، عليهم من بداية دخولهم لمصر، في تفضيل ليوسف وإخوته أبناء إسرائيل نبي الله يعقوب عليهم السلام، إلى تصوير لحالهم مع فرعون وقومه وما حصل لهم فيه من اضطهاد وقتل، ثم منة الله عليهم بإرسال موسى ودفاعه عنهم وتعليمهم الدين الحق وتفضيل الله لهم على عالمي زمانهم.

ثم خرج موسى ومعه هارون عليهما السلام ببني إسرائيل من مصر هرباً من بطش فرعون، وفصل القرآن ذلك في عدة سور من سور القرآن، انتهت بنجاتهم وإغراق فرعون ومن معه.

ثم بين الله عنادهم، وما حصل منهم في سيناء، ولقاء موسى بربه، وعبادتهم للعجل، ثم حكم الله عليهم بالتيه، ثم ذهابهم إلى الأرض المقدسة، وقص الله علينا في القرآن أخبار بعد أنبيائهم، وسيرهم مع أقوامهم، وما حصل من قتل وتكذيب، وأبان القرآن ونوع في موقفهم من آخر أنبيائهم وهو عيسى بن مريم عليه السلام، وقولهم فيه وأمه واتهامهم بالعظائم.

وقص علينا بعض أخبار آحادهم، وما فيها من العبر؛ كأصحاب الجنة وأهل القرية، وما في قصة هاروت وماروت، وغيرها مما هو داخل في الحديث عنهم. وفي أثناء ذلك كان حديث القرآن منبهاً على صفاتهم التي ميزتهم: من قسوة القلب، والكذب، والحسد وأكل الربا، ونقض العهد وتحريف الكتاب، وقتل الرسل. وكان الحديث عن موقفهم من بعثة سيد الخلق قبل الهجرة، وتعاونهم مع الكفار، أو بعد الهجرة وولادة النفاق بين أظهرهم وفي أحضانهم، وموالاتهم للكافرين، ونقضهم للعهود، والصد عن الدعوة الجديدة، وتشويه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل ومحاوله قتله.

وتحدث عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، والقتال معهم، وأحكامه التي انتهت بقتل كثير منهم وإجلاء بقيتهم. وكان خير أصدق القائلين منصفاً لمن آمن منهم، مثنياً عليهم ومحذراً في الوقت نفسه من موالاتهم والالتقاء معهم.

وجاء الحديث عن اليهود في السور المكية التالية: الأعراف، يونس، الإسراء، طه، الشعراء، القصص، غافر، الدخان. وأطال عنهم في السور المدنية التالية: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والمجادلة، والحشر، والصف، والجمعة.

الروايات الإسرائيلية في التفسير:

لا تخلو كتب التفاسير غالباً من آثار مصدرها أهل الكتاب، وخاصة الرواية في عهد متأخري التابعين، وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الضابط فيما يروى عنهم فقال: بعد أن ذكر أن الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد-: فإنها على ثلاثة أقسام:

١- أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذلك صحيح.

٢- والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

٣- والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجاوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك.

كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أجمعه الله في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [سورة الكهف ٢٢/١٨]

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته: إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: {قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ} فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: {فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافاً في مسألة، ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً، فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معاً فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب(١).

ويعلل العلامة السعدي - رحمه الله - بقاء الروايات الإسرائيلية بقوله:

وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة تطبيقها على الأقوال ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم حتى يظن أنها الحق فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع(٢).

موقف الطبري من الإسرائيليات :

معلوم عناية الإمام الطبري - رحمه الله - بأمر الإسناد وهي عناية فائقة ، وقد التزم بذكر الأسانيد في جميع الأقوال التي أوردتها في تفسيره . والذي يتأمل في هذا التفسير العظيم يجد هذا الإمام الجليل قد ذكر نحو أكثر من ثمانية وثلاثين ألف رواية مسندة في تفسيره ؛ ما بين حديث وأثر(٣).

وقد علل العلامة محمود شاكر سبب ذكر الطبري للإسرائيليات ، وهو أنه ما قصد بذكرها إلا تحقيق معنى لفظ ، أو بيان سياق عبارة ، فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٦ - ٣٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٢/٢٤٦

(٣) حسب ترقيم طبعة دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ - ، بلغ عدد الروايات في هذا التفسير بكامله ٣٨٣٩٧ رواية .

تفسير آي التنزيل الكريم ، بل يسوقها للغرض السابق . وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم (١).

أورد الإمام الطبري بعض الإسرائيليات عن عدد الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت ، وذلك عند قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ } [سورة البقرة ٢/٢٤٣] وقصد الطبري بإيرادها بيان معنى (أوف) ، هل هي بمعنى جماع (ألف) ، أو بمعنى (مؤتلفون) . (٢)

وعلى ما سبق بيانه فإن استدلال الطبري بالإسرائيليات لبيان معنى لفظ أو عبارة يعتبر من أحد الأسباب التي حملته على ذكر بعض الإسرائيليات في تفسيره. ولكن هذا ليس في كل ما أورده من الإسرائيليات ، لأن الكثير منها لا صلة لها بالاستدلال اللغوي. والأمثلة على هذا كثيرة جداً، يصعب حصرها. وعلى سبيل المثال ، ما ذكره الطبري من الإسرائيليات في بيان المراد بالذين سلطوا على بني إسرائيل (٣).

والطبري رحمه الله يبين - أحياناً - نقده لبعض الأسانيد من ذلك:

قوله: حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن مرة عن ابن مسعود _ ، وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ثم قال: (فإن كان ذلك صحيحاً - ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً ...) (٤). ونقده هذا الإسناد المتكرر في تفسيره يكفينا مؤنة الحكم عليه.

وأحياناً تكون صيغة الأداء من الصيغ التعارف على ضعفها عند أهل الصناعة الحديثية، كحدثت عن فلان وروي عن فلان، وهذا كثير في تفسيره رحمه الله وأما نقده للمتن فواضح، وفيه نفس العالم الرباني الذي جعل مقياسه الوحيين.

كنتيبيه كثيراً على على عدم الفائدة من الخوض في تفاصيل الأمور التي لم يبينها القرآن الكريم ولا الأحاديث الصحيحة ، وكثير من هذه التفاصيل من الإسرائيليات. مثاله:

(١) ينظر : جامع البيان (٤٥٣/١ - ٤٥٤) - حاشية .

(٢) انظر : جامع البيان (٢٦٦/٥ - ٢٧٦) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢١/١٥ - ٤٤) .

(٤) ينظر : جامع البيان (٣٤٧/١ - ٣٤٨ ، ٣٥٤) .

قوله تعالى : { وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } [سورة البقرة ٢/٣٥] ، فقد ذكر الطبري الروايات الواردة في تعيين نوع الشجرة ، وبين أنه إذا علم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به (١). وكذلك عند قوله تعالى : { فَكَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (٢) ، فقد عقب الطبري على الإسرائيليات الواردة في تعيين " البعض " من البقرة ، بقوله : " ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القليل ، ولا ينفع العلم به. " (٣)

بقي أن يقال أن الإمام الطبري ذكر الأسانيد وخرج من عهدتها، كما ذكر شيئاً من ذلك في تاريخه فقال: (فما يكن في كتابي هذا من خير ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعُه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أديننا ذلك على نحو ما أدّى إلينا) (٤).

قال الأستاذ محمد حسين الذهبي: "ثم إن ابن جرير وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها ، إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف ، لأنه كان يرى - كما هو مقرر في أصول الحديث - أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح ، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة ... " (٥) قال ابن حجر في - ترجمة الطبراني - : "أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلم جرا، إذا ساقوا الحديث بإسناده، اعتقدوا أنهم برئوا من عهدته" (٦)

(١) انظر : جامع البيان (١/٥٢٠ - ٥٢١) .

(٢) سورة البقرة : ٧٣

(٣) انظر : جامع البيان (٢/٢٣١) .

(٤) مقدمة تاريخ الأمم والملوك للطبري: ١ ص: ١٣

(٥) التفسير والمفسرون (١/٢١٢) .

(٦) لسان الميزان ٣/٧٤

الباب الأول : الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود و أبرز صفاتهم

وفيه فصلان :

الفصل الأول : الآثار الواردة في حقيقة اليهود

الفصل الثاني : الآثار الواردة في أبرز صفات اليهود

الفصل الأول: الآثار الواردة في حقيقة اليهود

المبحث الأول: الآثار الواردة في تسميتهم.

أولاً: الآثار:

المطلب الأول: تسميتهم بني إسرائيل

قوله تعالى: { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } [سورة البقرة ٤٠/٢]

١-٦٦٦- حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس،

عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن إسرائيل كقولك عبد الله. (١)

٢-٦٦٧- حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن الأعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحارث قال: إيل:

الله بالعبرانية. (٢)

٣-٦٦٨- حدثنا به ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي

أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } قال: يا أهل الكتاب للأحبار من

يهود. (٣)

المطلب الثاني: تسميتهم باليهود:

قوله تعالى: { إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ } [سورة الأعراف ١٥٦/٧]

٤-٩١٤- حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: إنما سميت اليهود من

أجل أنهم قالوا: { إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ } (٤)

٥-١١٨٠٢- قال: ثنا أبي عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال: إنما سميت اليهود

لأنهم قالوا { إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ } (٥)

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٤٨) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٥٣) إسناده ضعيف لضعف ابن حميد انظر: تهذيب الكمال ٩٧/٢٥ والتقريب ٩٦/٢.

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٨٢) - فتح الباري (١٦٥/٨) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٩٥) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣١٨) - تفسير الطبري (٩ / ٧٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٨٢) - تفسير ابن

كثير (٢ / ٢٥١).

(٥) تفسير الطبري (١ / ٣١٨) - تفسير الطبري (٩ / ٧٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٨٢) - تفسير ابن

٦- حدثني المثني قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما :
{إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ} يعني: تبنا إليك. (١)

٧- حدثنا ابن البرقي قال: ثنا عمرو قال: سمعت رجلا يسأل سعيدا: {إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ} قال: إنا تبنا
إليك. (٢)

المطلب الثالث: تسميتهم أهل الكتاب:

قوله: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ
وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [سورة البقرة ٤٠/٢]

٨-٦٦٨ - حدثنا به ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} قال: يا أهل الكتاب للأخبار من
يهود. (٣)

٩-١٤٨١ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق. وحدثنا أبو كريب قال: ثنا
يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني
سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان حبي بن أخطب وأبو ياسر بن
أخطب من أشد يهود للعرب حسداً إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدين في رد
الناس عن الإسلام، بما استطاعا، فأنزل الله فيهما: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة البقرة ١٠٩/٢ الآية. (٤)]

١٠-٥٦٧٨ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: بلغنا أن نبي الله صلى
الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى ذلك فأبوا عليه فجاهدهم، قال: دعاهم إلى قول الله عز وجل :
{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [سورة آل عمران ٦٤/٣] .. الآية. (٥)

كثير (٢ / ٢٥١)

(١) تفسير الطبري (٩ / ٧٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٥٧٧) - صحيح البخاري (٤ / ١٦٩٥)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ٧٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٥٧٧) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٧١)

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٩٥) (إسناده ضعيف)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٤٨٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٠٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٦٠) (إسناده ضعيف).

(٥) تفسير الطبري (٣ / ٣٠٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٦٩) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٣٤)

١١-٥٦٨٩ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى كلمة السوء، وهم الذين حاجوا في إبراهيم وزعموا أنه مات يهودياً. فأكذبهم الله عز وجل ونفاهم منه فقال: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾} [سورة آل عمران ٦٥/٣] (١)

١٢-٦٠٤٤ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: ثني محمد بن محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه قالت: أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ} [سورة آل عمران ١١٣/٣] إلى قوله: {وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤﴾} (٢)

١٣-٦٦٣٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا الثوري عن أبي الجحاف عن مسلم البطين قال: سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿٨٧﴾} [سورة آل عمران ١٨٧/٣] فقام رجل إلى سعيد بن جبير فسأله فقال: وإذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب يهود "ليبيننه للناس" محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتُمونه فنبذوه. (٣)

١٤-٢١٦٢٣ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير وعمن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا: أنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحبي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا مكة على قريش فدعوه إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فقال لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول

(١) تفسير الطبري (٣ / ٣٠٥) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٣٤) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (٤ / ٥٢) حسنه في التفسير الصحيح (١/٤٥٢-٤٥٣) تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٩٦) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٤ / ٢٠٣) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٤١)

والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه. (١)

المطلب الرابع: تسميتهم بالعبرانيين:

قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُتُّهُ حَتَّى حِينٍ ﴿٣٥﴾} [سورة يوسف ٣٥/١٢]

١٥-١٤٧٣٩ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي: {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُتُّهُ حَتَّى حِينٍ ﴿٣٥﴾} قال: قالت المرأة لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس، يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري، فيما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر وإما أن تحبسه كما حبستني فذلك قول الله تعالى: {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُتُّهُ حَتَّى حِينٍ} (٢)

١٦-١٣٤٦ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: "إيل" الله بالعبرانية. (٣)

١٧-١٤٧٤٤ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي قال: لما دخل يوسف السجن قال: أنا أعبر الأحلام. فقال أحد الفتيين لصاحبه: هلم نجرب هذا العبد العبراني نتراءى له! فسألاه من غير أن يكون رأياً شيئاً. فقال الخباز: إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه وقال الآخر: إني أراي أعصر خمراً. (٤)

١٨-٢١١٨٥ - حدثنا محمد بن المثني قال: ثنا عثمان بن عمر قال: أخبرنا علي بن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية. فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون.)) (٥)

(١) تفسير الطبري (٢١ / ١٢٩) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١٢ / ٢١٣) - تفسير الدر المنثور (٤ / ٥٠٣)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٨٢) - فتح الباري (٨ / ١٦٥) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (١٢ / ٢١٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢١٤٣) - تفسير الدر المنثور (٤ / ٥٠٣)

(٥) تفسير الطبري (٢١ / ٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٣٠٧٠) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٤٦٩) - تفسير

ابن كثير (٣ / ٤١٧)

الدراسة:

اليهود هم أمة موسى صلى الله عليه وسلم واختلف في تسميتهم على أقوال:

١- اليهود التوبة وقوله عز وجل {إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ} [سورة الأعراف ٧/١٥٦] أي تبنا إليك، قاله النووي رحمه الله .

٢- وقال غيره هاد في اللغة معناه: مال، يقال: هاد زفر هيادة وهوداً. وقال المبرد في قوله تعالى: {هُدَيْنَاكَ إِلَيْكَ} أي: ملنا إليك ويقال لمن تاب: هاد؛ لأن من تاب من شيء مال عنه.

ثم اختلف فيما تابوا عنه:

١- فقال الليث: سميت اليهود يهوداً اشتقاقاً من هادوا أي: تابوا من عبادة العجل، فعلى هذا القول لزمهم هذا الاسم في ذلك الوقت.

٢- وقال غيره: سموا بذلك؛ لأنهم مالوا عن دين الإسلام، وعن دين موسى عليه السلام، فعلى هذا إنما سموا يهوداً بعد أنبيائهم.

٣- وقال ابن الأعرابي يقال هاد إذا رجع من خير إلى شر ومن شر إلى خير، وسموا اليهود بذلك لتخليطهم وكثرة انتقاهم من مذاهبهم.

٤- وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال سميت اليهود لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة، وعلى هذا: التهود تفعل من الهيد بمعنى الحركة، يقال: هدته أهيدته هيداً كأنك تحركه ثم تصلحه.

٥- وقيل: اليهود معرب يهوذا بن يعقوب عليهما السلام بالذال المعجمة عرب ثم نسب الواحد إليه.

٦- ويقال: هاد إذا دخل في اليهودية، وهود إذا تشبه بهم ودخل في دينهم، وهود إذا دعي إلى اليهودية، ومنه الحديث ((فأبواه يهودانه.)) (١)

وقال البخاري: "هادوا صاروا يهوداً، وأما قوله: (هدنا) تبنا هائد تائب." (٢)

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج: ٣ ص: ٣٥٧

(٢) صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١٤٣٤

وقال ابن منظور: "المُؤدُّ: التَّوْبَةُ هَادَ يَهُودُ هَوْدًا وَ تَهَوَّدَ: تَابَ وَ رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ فَهُوَ هَائِدٌ. وَقَوْمٌ هُوْدٌ: مِثْلُ حَائِلٍ وَ حُوْلٍ وَ بَازِلٍ وَ بُزْلٍ؛ قَالَ أَعْرَابِيٌّ: إِنِّي أَمْرٌ مِّنْ مَدْحِهِ هَائِدٌ وَ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: {إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ} أَي تَبْنَا إِلَيْكَ وَهُوَ قَوْلٌ مَّجَاهِدٌ وَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَ إِبْرَاهِيمُ. قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ: عَدَاهُ بِالِأَلْفِ لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى رَجَعْنَا، وَ سَمِيَتِ الْيَهُودُ اشْتِقَاقًا مِّنْ هَادُوا أَي تَابُوا وَ أَرَادُوا بِالْيَهُودِ الْيَهُودِيِّينَ وَ لَكِنَّهُمْ حَذَفُوا يَاءَ الْإِضَافَةِ.

قال سيويه: "وفي الحديث: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ.)) (١) ؛ معناه أَنَّهُمَا يَعْلَمَانِهِ دِينَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصَارَى وَيُدْخِلَانِهِ فِيهِ. وَ التَّهْوِيدُ: أَنْ يُصَيَّرَ الْإِنْسَانَ يَهُودِيًّا. وَ هَادًا وَ تَهَوَّدَ إِذَا صَارَ يَهُودِيًّا. (٢)

، أخرج ابن أبي حاتم بسنده إلى عبد الله بن مسعود _ قال: ((نحن أعلم الناس من أين تسمت اليهود باليهودية بكلمة موسى عليه السلام إنا هدنا إليك، ولم تسمت النصارى بالنصرانية من كلمة عيسى عليه السلام كونوا أنصار الله.)) وقال أنه المروي عن أبي الطفيل، وأبي العالية، ومجاهد وسعيد بن جبیر، وإبراهيم التيمي، والنخعي، وعكرمة، وعطاء الخراساني، والربيع بن أنس، والضحاك، وقتادة. (٣) وأخرج أبو الشيخ عن ابن مسعود _ قال: ((نحن أعلم الناس من أين تسمت اليهود باليهودية ولم تسمت النصارى بالنصرانية إنما تسمت اليهود باليهودية بكلمة قالها موسى إنا هدنا إليك فلما مات قالوا هذه الكلمة كانت تعجبه فتسموا اليهود، وإنما تسمت النصارى بالنصرانية لكلمة قالها عيسى من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله فتسموا بالنصرانية.)) (٤)

وقد ورد ذكر اليهود في القرآن الكريم ثمان مرات بلفظة اليهود وهو الاسم الذي يصفهم به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما يطلق عليهم إلى اليوم.

(١) رواه البخاري ج: ١ ص: ٤٦٥ وله عدة روايات

(٢) لسان العرب ج: ٣ ص: ٤٣٩

(٣) تفسير ابن أبي حاتم الجزء: ٥ الصفحة: ١٥٧٧

(٤) تفسير الدر المنثور ج: ١ ص: ١٨٢.

نشأتهم :

تعود بداية اليهود كأمة ذات تاريخ وعقيدة إلى تلك الفترة التي أرسل الله تعالى فيها نبيه موسى - عليه السلام - إليهم بالتوراة لهدايتهم وتخليصهم من عبادة ماسواه.

واليهود هم تلك الأمة التي نشأت في مصر إثر استقرار أبناء يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام فيها. فقد عاشوا فيها حياة مستقرة منذ عهد يوسف بن يعقوب عليهما السلام وتكاثروا في مصر وتناسلوا وصاروا الطبقة العاملة عند الأقباط.

ثم إن فرعون رأى في منامه ، كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر، وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحذقة والسحرة وسألهم عن ذلك فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النساء، وهو قوله تعالى: {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} [سورة الأعراف ١٤١/٧].

واستمر الحال على هذا إلى أن "شكا القبط إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور، وخشوا أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ماكان بنو إسرائيل يعالجون، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً."

وفي عام المسامحة ولد هارون عليه السلام وفي عام القتل ولد موسى عليه السلام وأراد الله تعالى لموسى أن يعيش في بيت فرعون نفسه يقول عز وجل :

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا } [سورة القصص ٧/٢٨].

وقد صدق الله وعده لأم موسى حينما بعثه إلى فرعون وبني إسرائيل يدعوهم لعبادته. حيث آمنوا به وخرجوا معه من مصر على إثر الاضطهاد الذي لحق بهم من فرعون مصر ثم لم يلبثوا أن ارتدوا إلى عبادة العجل يقول تعالى: {قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} [سورة البقرة ٩٣/٢].

ويسبب قسوة قلوبهم وعصيانهم فرض الله تعالى عليهم التيه قال تعالى: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَأْتَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [سورة المائدة ٢٦/٥]. وفي هذه الفترة توفي موسى عليه السلام ولم يدخل الأرض المقدسة ودخلها بنو إسرائيل بعد ذلك بقيادة نبي الله يوشع بن نون عليه السلام .

الأسماء التي اشتهروا بها

أطلق على اليهود من خلال تاريخهم الطويل عدة أسماء مشهورة مثل:

- ١- العبريين أو العبرانيين
 - ٢- وأيضاً ورد في القرآن الكريم بعضاً من أسمائهم مثل: بنو إسرائيل.
 - ٣- وأهل الكتاب الذي يطلق عليهم بالاشتراك مع النصارى.
 - ٤- وأما في العصر الحديث فقد ظهر لهم اسم آخر هو : بنو صهيون أو أحباء صهيون ومنه الصهيونيون .
- ولكل من هذه الأسماء معنى وسبب من أجله سموا به، ولكنها في النهاية تدل في الأغلب على أتباع الدين الذي جاء به موسى-عليه السلام- .
- وتفصيلها كما يلي:

أولاً: اليهود:

هو من الأسماء المشهورة ويستخدم للدلالة على أتباع موسى - عليه السلام - وقد ورد ذكره في القرآن الكريم حوالي ثمان مرات بلفظة اليهود وقد اختلف في اشتقاق هذه الكلمة على رأيين :

- ١- الأول : أنها نسبة إلى صفة الندم والتوبة وهو الهود المذكور في قوله تعالى: {إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ} وهي بذلك تكون نسبة إلى كلمة عربية.
- ومعنى هدنا: "أي تبنا ورجعنا وأبنا إليك" (١) قال تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا} يقول القرطبي: "وأجاز الفراء أن يكون هوداً بمعنى يهودياً حذف منه

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢/٣٣٤.

الزائد وأن يكون جمع هائد. " (١) وعند ابن منظور أن الهود هو: "التوبة هاد يهود هوداً
وتهود: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد والهود: اليهود هادوا يهودون هوداً وسميت
اليهود اشتقاقاً من هادوا أي تابوا وهود الرجل: حوله إلى ملة يهود قال
سيبويه: وفي الحديث: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو
ينصرانه)) (٢) معناه: أنهما يعلمانه دين اليهودية والنصارى ويدخلانه فيه والتهويد أن يصير
الإنسان يهودياً. " (٣)

٢- أما الرأي الثاني : أنه نسبة إلى إسم يهوذا وهو الإبن الرابع ليعقوب عليه السلام
" ويهوذا إسم عبري معناه حمد. " (٤)

والكثيرون على أنه نسبة إلى الهود وهو التوبة والرجوع إلى الحق وهو الحق كما صح
في الآثار. يذكر الشهرستاني ذلك فيقول: "هاد الرجل: أي رجع وتاب وإنما لزمهم هذا
الاسم لقول موسى عليه السلام {إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ} " (٥)
وقد وردت صيغ عديدة في القرآن لكلمة (اليهود):

هادوا: وقد وردت عشر مرات مسبوقة دائماً بالاسم الموصول: {الذين هادوا}
هدنا: ووردت مرة واحدة في معرض إقرارهم وتوبتهم وهم من اختارهم موسى للقاء الله.
هود: وردت ثلاث مرات وكلها في البقرة.

ثانياً: العبرانيون :

عرف اليهود في تاريخهم القديم باسم العبريين، حيث لم تكن لفظي اليهود، أو بني
إسرائيل قد شاعتا بعد، واختلفت آراء الباحثين حول أصل التسمية على أقوال أهمها: نسبة
العبريين إلى فعل العبور والتنقل. يقول الدكتور: أحمد سوسه: "وقد ظلت هذه التسمية أي
تسمية عبري وعبراني تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة
فلسطين إلى مصر، وعلى هذا الأساس صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين

(١) القرطبي، ٢/٧٤.

(٢) صحيح البخاري ح ١٣١٩

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥/١٥٥-١٥٦.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٨٥.

(٥) الملل والنحل، ج ١/٢٥٠.

باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية." (١)

ثالثاً: بنو إسرائيل :

سمى الله نبيه: يعقوب بن إسحق بن إبراهيم - عليهم السلام - إسرائيل فقال تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأْتُلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [سورة آل عمران ٩٣/٣] وقد ذُكِرَ هذا الاسم في القرآن إحدى وأربعين مرة، خمساً وعشرين مرة في السور المكية، وستة عشر مرة في السور المدنية.

وجاء في تاج العروس: "وإسرائيل: هو مخفف عن إسرائيل ومعناه: صفوة الله وقيل عبد الله وهو يعقوب عليه السلام." (٢) وقال السدي أن معناه "سري الله" (٣) وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((.. ولم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا إسرائيل وعيسى عليهما السلام فإسرائيل يعقوب وعيسى المسيح.)) (٤) أما بنو إسرائيل فهم: رأوبين - شمعون - لاوي - يهوذا - يساكر - زبولون - يوسف - بنيامين - جاد - أشير - دان - نفتالي. (٥)

وقد كون هؤلاء ونسلهم ما عرف فيما بعد بالأسباط الاثني عشر، وفي عهد رحبعام بن سليمان انقسمت مملكة اليهود إلى قسمين:
١- أحدهما: مملكة بني إسرائيل في الشمال، وعاصمتها شكيم وتتكون من جميع قبائل بني إسرائيل ما عدا قبيلتي يهوذا وبنيامين اللتين كونتا المملكة الجنوبية.
٢- مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم.

(١) د.أحمد سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م، دار الحرية للطباعة، ص ٥٠٥. وفصل في التسمية د. رفقي زاهر، قصة الأديان، دراسة تاريخية مقارنة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، دار المطبوعات الدولية، ص ٣٣. و إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، دارالقلم، ١٩٨٠م، بيروت، ص ٧٧.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: إبراهيم الترزي ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢، ١٠/٥٢.

(٣) تاريخ الطبري ج: ١ ص: ١٩٢ وقال في قصة يعقوب ﷺ: .. فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار ولذلك سمي إسرائيل وهو سري الله.

(٤) المستدرک على الصحيحین ج: ٢ ص: ٤٠٥ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم جزء : ١ صفحة : ٢٤٣ ورواه عن أبي العالية وغيره.

و عندما يطلق القرآن عليهم لفظ بني إسرائيل فإن هذا يكون في معرض المدح لهم، والتذكير بفضل الله تعالى عليهم، ورضاه عنهم، وما ينبغي أن يكونوا عليه، يقول الله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَأَمْنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ} [سورة البقرة ٤٠/٢-٤١].

وينسب القرآن من آمن منهم إلى هذه النسبة مثل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأحقاف ٤٦/١٠] في من قال أنها نزلت في عبد الله بن سلام _ كما في الصحيحين عن عامر بن سعد عن أبيه قال: ((ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام _)) قال: وفيه نزلت {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ} [سورة الأحقاف ٤٦/١٠] (١)، ومن جنس قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [سورة الشعراء ٢٦/١٩٧] {

قال الطبري: "عني بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل في عصره." (٢)

واليهود اليوم يطلقون على أنفسهم بني إسرائيل وذلك للدلالات الدينية الخاصة حيث تربطهم بيعقوب نسباً، وحتى يخلعوا على أنفسهم بهذا الوصف معنى القوة والقدرة واكتساب صفات الغلبة، ليتيسر لهم أن يحيوا الحياة التي يريدون، وبالأسلوب الذي يحبونه، وتتعلق به عواطفهم ويتفقوا استعدادهم." (٣)

وأما تفصيل وجهة نظرهم الخاطئة فهي كالتالي:

تنسب تسمية "إسرائيل" إلى يعقوب عليه السلام، حيث ترد في التوراة قصة مفادها أنه خاض عراكاً ضد رجل حتى مطلع الفجر عند جدول صغير في منطقة الأردن يدعى "يبوق"، ولما رأى الرجل أنه لا يقدر عليه، طلب منه أن يطلقه، فقال له لا أطلقك حتى

(١) رواه البخاري ٣٨١٢ ومسلم ٢٤٨٣.

(٢) تفسير الطبري جزء: ١٩ صفحة: ١١٣.

(٣) صابر طعيمة، اليهود في موكب التاريخ، مكتبة القاهرة الحديثة، ص ٥٤.

تباركني، فباركه وقال له "لن يدعى اسمك يعقوب من بعد، بل إسرائيل، لأنك صارت
الله والناس وغلبت." (١).

ولفظة إسرائيل مكونة من كلمتين ساميتين قديمتين هما: (إسر) : بمعني غلب، و(إيل) :
أي الإله أو الله، وقد أصبحت هذه التسمية مصدر فخر من الناحية القومية لبني إسرائيل
وأصبحوا ينسبون أنفسهم لها فيقولون: "بيت إسرائيل" أو "آل إسرائيل" أو "بني إسرائيل"،
وكثيراً ما يختصرون التعبير فيقولون "إسرائيل" فقط كما رأينا في مآثور التلمود والاسم
العبري لفلسطين هو "إيرتس يسرائيل" أي "أرض إسرائيل".

وبالرغم من أن تيودور هرتسل زعيم الصهيونية السياسية، ورئيس المؤتمر الصهيوني
العالمي الأول الذي عقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧، لم يتردد في تسمية كتابه
المتضمن لدعوته هذه "دولة اليهود" فإن هذه الدعوة الصهيونية آثرت عند الكتابة عن
فلسطين أن تسميها "أرض إسرائيل"، حرصاً على تأكيد انتماء هذه الأرض إلى من
يزعمون أنهم أسلافهم الأوائل، وهم أبناء يعقوب، أو "بنو إسرائيل".

وعندما أعلنت الصهيونية قيام دولتها في فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨، أطلقت عليها
اسم "إسرائيل" وطبع هذا الاسم في الأعداد الأولى من "الجريدة الرسمية" في رأس صحيفة
تدعى "إسرائيل"، ولكن بعد أن قامت موجة من النقد تجاه هذه التسمية قامت الحكومة
الإسرائيلية بتغيير الاسم إلى "دولة إسرائيل" وإن كان الشائع هو استخدام الاسم المختصر
في جميع أجهزة الإعلام الإسرائيلية.

وقد فضل الصهاينة استخدام هذا الاسم "دولة إسرائيل" لدولتهم، بدلاً من الاسم الذي

كان قد اختاره هرتسل وهو "دولة اليهود" لأسباب نذكر منها:

إيجاد تناسق بين اسم الدولة، والاسم العبري لفلسطين، وهو "أرض إسرائيل".

إيثار الصفة العنصرية الكافية في اسم إسرائيل على الصفة الدينية في لفظة اليهود.

عدم الرغبة في التذكير بالحدود القديمة لمملكة يهود البائدة، التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبي من فلسطين من
دون ساحل البحر، مما يمثل قيلاً تاريخياً للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم
أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربي.

(١) سفر التكوين ٢٠:٢٣ وما بعدها

وقد خلقت هذه التسمية عدة مشاكل أمام المشرعين الصهاينة، حيث انتقلت صفة الإسرائيلي من الشعب (وهي صفة مذكرة في العبرية) إلى الدولة (وهي صفة مؤنثة في العبرية)، وهو الانتقال الذي أدى إلى انطباق هذه الصفة على كل من يقيم داخل إسرائيل من العرب والمسلمين والنصارى وأرغم السلطات الإسرائيلية على اعتماد هؤلاء العرب المقيمين فيها في عداد المواطنين الذي يتمتعون بالجنسية الإسرائيلية.

وقد أصبح اليهودي المقيم خارج إسرائيل، وفقاً لقانون العودة، الصادرة في ٥ يوليو ١٩٥٠، هو الآخر "إسرائيلياً".

والخلاصة أن الإسرائيلي وفق هذا المفهوم هو أولاً وأخيراً اليهودي المقيم في إسرائيل واليهودي المقيم خارج إسرائيل أيضاً، بشرط أن يكون صهيونياً متمسكاً بالولاء لإسرائيل، ومن هنا اكتسبت لفظة "إسرائيل" في المصطلح السياسي المعاصر دلالة مختلفة تماماً عن الإسرائيلي قبل الصهيونية، والإسرائيلي في بداوة العبريين الأولى. وقد تجدر الإشارة إلى عدم الخلط في إطار تحديد مفاهيم هذه الاصطلاحات بين اصطلاحات مثل "دولة إسرائيل" و "أرض إسرائيل".

إن "دولة إسرائيل" هي اصطلاح سياسي محدد، بينما "أرض إسرائيل" هي اصطلاح جغرافي فدولة إسرائيل يمكن أن تمتد على كل "أرض إسرائيل" أو على جزء من منها، أو حتى على أجزاء ليست تابعة "لأرض إسرائيل" (مثل شرم الشيخ والجولان على سبيل المثال)، ودولة إسرائيل هي الإطار الحاسم بالنسبة للمبدأ الصهيوني. (١)

رابعاً: أهل الكتاب :

هذا الاسم مما أطلق على اليهود ويشترك معهم فيه النصارى. وقد ورد ذكره في القرآن إحدى وثلاثون مرة وقد عرّفهم الشهرستاني بقوله: "الخارجون عن الملة الحنيفية، والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وقد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل: التوراة والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب..." (٢).

(١) د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ١٩٧٥. وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية له أيضاً الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني،

١٩٨٤.

(٢) الملل والنحل، ج ١/٢٤٧.

وعلى تعريف الشهرستاني هم إذن من أنزل عليهم كتاب سماوي وأرسل فيهم الرسل، وقد كان يقابلهم قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين الذين كانوا على عبادة الأوثان والأصنام فأطلق عليهم هذا الاسم لتمييزهم عنهم، وقد ورد ذكر هذه التسمية في القرآن في معرض الإنكار عليهم، وتذكيرهم بما يجب أن يكونوا عليه، مثل قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ} [سورة آل عمران ٦٤/٣] الآية. وقوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ} [سورة آل عمران ٧٠/٣] وغيرها من الآيات. ولكن سياق الآيات وأسباب النزول الواردة فيها تحدد -غالباً- المقصود بأهل الكتاب.

خامساً: بنو صهيون :

وهذا أيضاً من الأسماء التي تطلق على اليهود، وهو ما تنتسب إليه غالب طوائف اليهود اليوم، وكلمة صهيون هي نسبة الى المنطقة أو الجبل المطل على البيت المقدس. كما في الأثر الذي ساقه الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال: ((لما اشتملت مريم على الحمل كان معها قرابة لها يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك فكانا يلبان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهاداً وعبادة منهما. (١)

وقال عنه ياقوت الحموي: "موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون أيضاً حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص." (٢) وجاء في قاموس الكتاب المقدس: "صهيون: رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم، ورد ذكرها للمرة الأولى في العهد القديم كموقع لحصن ييوسي، فاحتل داود الحصن وسماه مدينة داود، وإليها أتى بالتابوت فمندئذ صارت الرابية مقدسة." (١)

(١) تفسير الطبري (١٦ / ٦٤) باختصار

(٢) معجم البلدان ج: ٣ ص: ٤٣٦

وأما الصهيونية فهي: منظمة يهودية تنفيذية، مهمتها تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل -اليهود- وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل ثم السيطرة من خلالها على العالم تحت ملك (ملك يهوذا) المنتظر.

- وقد ظهر مصطلح الصهيونية (Zionism) لأول مرة على يد الكاتب الألماني ناثن برنباوم سنة ١٨٩٣م.

- في عام ١٨٨٢م ظهرت في روسيا لأول مرة حركة عرفت باسم (حب صهيون) وكان أنصارها يتجمعون في حلقات اسمها (أحباء صهيون) وقد تم الاعتراف بهذه الجماعات في عام ١٨٩٠م تحت اسم "جمعية مساعدة الصناع والمزارعين اليهود في سوريا وفلسطين وإحياء اللغة العبرية.

- الصهيونية الحديثة وهي الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل الصحفي اليهودي المجري ولد في بودابست في ٢/٥/١٨٦٠م، حصل على شهادة الحقوق من جامعة فينا ١٨٧٨م، وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءاً بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية.

- وقد أقام هرتزل أول مؤتمر صهيوني عاملي سنة ١٨٩٧م، مستغلاً محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بالخيانة ١٨٩٤م لنقله أسراراً عسكرية من فرنسا إلى ألمانيا، لكن ثبتت براءته فيما بعد ونجح هرتزل من تصوير المأساة اليهودية في زعمه من خلال هذه الواقعة الفردية وأصدر كتابه الشهير الدولة اليهودية الذي أكسبه أنصاراً لا بأس بعددهم، مما شجعه على إقامة أول مؤتمر صهيوني في بال بسويسرا ٢٩-٣١/٨/٤٧ وقد علق عليه بقوله: "لو طلب إلى تلخيص أعمال المؤتمر فيني أقول بل أنادي على مسمع من الجميع إنني قد أسست الدولة اليهودية." ونجح في تجميع يهود العالم حوله، كما نجح في جمع دعاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم وهي بروتوكولات حكماء صهيون المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها، ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٨ .

وأصبحوا يتحركون بدفة ودهاء وخفاء لتحقيق أهدافهم التدميرية التي أصبحت نتائجها واضحة للعيان في زماننا هذا.

وللمنظمة الصهيونية جانبا مهمان: ديني وسياسي

أما الجانب الديني فيتلخص فيما يلي :

١- إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم، لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين).

٢- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

٣- إثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

أما الجانب السياسي فيتلخص فيما يلي:

١- محاولة تهويد فلسطين (أي جعلها يهودية داخليا) وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين (وهي عبارة عن مجمعات سكنية حديثة كاملة المرافق تمولها الصهيونية من تبرعات اليهود والدول الموالية لهم في العالم)، وتوطيد الكيان اليهودي الناشئ في فلسطين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

٢- تدويل الكيان الإسرائيلي في فلسطين عالمياً ، وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين وشرعيتها، وضمان تحقيق الحماية الدولية لها، وفرضها على العالم، وعلى المسلمين على وجه الخصوص. لذلك نجد أن الصهيونية تقوم بدور رئيس في دفع أمريكا وروسيا وأكثر الدول في أوروبا لحماية إسرائيل سياسياً وعسكرياً ودعمها اقتصادياً وبشرياً، فبالرغم من أن أمريكا ودول أوروبا - دول نصرانية - ، وبالرغم من أن روسيا شيوعية تحارب الأديان وبالرغم -أيضاً- من أن شعوب هذه الدول تكره اليهود بحق إلا أنها لا تزال تحمي دولة إسرائيل وتدعمها. وما ذلك إلا بتأثير الصهيونية الواضح.

٣- متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلامياً وتمويلها اقتصادياً، ودعمها سياسياً.

٤- توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراداً وجماعات ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم.

هذه أهم أهداف وأساليب الصهيونية بإيجاز. (١)

(١) انظر كتاب الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، للشيخين: ناصر القفاري وناصر العقل الموسوعة الميسرة في الأديان للندوة العالمية للشباب الاسلامي ١/٥٢٩.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في منزلتهم ونعم الله عليهم.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تفضيلهم على العالمين:

الآثار:

قوله تعالى: {وَأَتَى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾} [سورة البقرة ٤٧/٢]

١٩-٧٢٧ - حدثنا به محمد بن عبد الأعلى الصنعائي قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن

بن يحيى قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة: {وَأَتَى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} قال:

فضلهم على عالم ذلك الزمان. (١)

٢٠-٧٢٨ - حدثني المثنى قال: حدثنا آدم قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية: {وَأَتَى

فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} قال: بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان

فإن لكل زمان عالماً. (٢)

٢١-٧٢٩ - حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: قال مجاهد في

قوله: {وَأَتَى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} قال: على من هم بين ظهرائيه. (٣)

٢٢-٧٣٠ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: سألت ابن زيد عن قول الله:

{وَأَتَى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾} قال: عالم أهل ذلك الزمان. وقرأ قول الله: {وَلَقَدْ احْتَرْنَا هُمْ

عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾} [سورة الدخان ٣٢/٤٤] قال: هذه لمن أطاعه واتبع أمره وقد كان

فيهم القردة وهم أبغض خلقه إليه وقال لهذه الأمة: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ

الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [سورة آل عمران ١١٠/٣] قال: هذه لمن أطاع الله واتبع أمره واجتنب محارمه. (٤)

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٦٤) - تفسير الطبري (١ / ٢٦٥) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٦٥) صححه في

التفسير الصحيح (٢٦٢/٣)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٦٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٠٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٦٥) - تفسير

ابن كثير (١ / ٨٩) حسن إسناده الحافظ في الفتح (٣٦٦/٦).

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٦٥) صححه في التفسير الصحيح (١٢٢/٣)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٢٦٥)

قوله تعالى: { وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } [سورة المائدة ٥/٢٠]

٢٣-٩٠٨٣ - حدثنا سفيان بن وكيع قال: ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد: { وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } قال: المن والسلوى والحجر والغمام. (١)

٢٤-حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: { وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } يعني أهل ذلك الزمان المن والسلوى والحجر والغمام. (٢)

قوله تعالى: { وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ } [سورة الدخان ٤٤/٣٢]

٢٥-٢٤٠٨٣ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة { وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ } أي اختيروا على أهل زمانهم ذلك ولكل زمان عالم. (٣)

قوله تعالى: { أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي مُسَخَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } [سورة الأعراف ٧/١٥٤]

٢٦-١١٧٥٢ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: { أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي مُسَخَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } قال: رب إني أحد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أحد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون: أي آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أحد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه - قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم - قال: رب اجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أحد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاثلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الأعداء الكذاب فاجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أحد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ثم يؤجرون عليها وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها ناراً فأكلتها، وإن ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع، قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال: رب اجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أحد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة رب اجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أحد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإذا عملها

(١) تفسير الطبري (٦ / ١٧٠) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٧) - تفسير القرطبي (٦ / ١٢٤)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١٧٠)

(٣) تفسير الطبري (٢٥ / ١٢٧) - تفسير ابن كثير (٤ / ١٤٤) حسنه في التفسير الصحيح (٤ / ٣١٨)

كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفوعون والشفوع لهم فاجعلهم أمي! قال: تلك أمة أحمد. قال: وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد! قال: فأعطي نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبي قال الله: { يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي فَحَدِّ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } [سورة الأعراف ١٤٤/٧] قال: فرضي نبي الله. ثم أعطي الثانية: { وَمَنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [سورة الأعراف ١٥٩/٧] قال: فرضي نبي الله عليه السلام كل الرضا. (١)

(١) تفسير الطبري (٩ / ٦٥) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

الدراسة:

يذكر الله تبارك وتعالى لبني إسرائيل ما منّ به على أسلافهم يوم أطاعوا أمره واتبعوا نبيه، وأن هذا ما لهم لو اتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقد فضلهم بالتوحيد والطاعة على أهل زمانهم، وهو المراد بهذه الآيات كما صرح بهذا جمع من السلف، كمجاهد وأبي العالية وفتادة كما في الآثار السابقة.

وليس في هذه الآيات حجة لمن أراد تنزيلها على اليهود في كل الأزمان لما يلي:

١- روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ألا إنكم وفيتم سبعين أمة" قال يعقوب في حديثه: "أنتم آخرها". وقال الحسن: "أنتم خيرها وأكرمها على الله)). (١)

قال الطبري رحمه الله: "فقد أنبأ هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بني إسرائيل لم يكونوا مفضلين على أمة محمد عليه الصلاة والسلام وأن معنى قوله: {وَفَضَّلْنَاكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} وقوله: {وَأَتَى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} ما بينا من تأويله.

وقد قال الطبري في أول الآيات: "ويعني بقوله {وَأَتَى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} أي فضلت أسلافكم، فنسب نعمه على آبائهم وأسلافهم إلى أنها نعم منه عليهم؛ إذ كانت مآثر الآباء مآثر للأبناء، والنعم عند الآباء نعماً عند الأبناء؛ لكون الأبناء من الآباء، وأخرج جل ذكره قوله: {وَأَتَى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} مخرج العموم وهو يريد به خصوصاً؛ لأن المعنى وأني فضلتكم على عالم من كنتم بين ظهريه وفي زمانه." (٢)

٢- ولقوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [سورة آل عمران ١١٠/٣] ، فقوله {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} يعلن أنهم غير مقصودين بالفضل المطلق، بل هي دعوة لهم للفضل بدخولهم لهذا الدين، وهكذا

(١) رواه أحمد حديث رقم ٢٠٠٣٧ ج٥/ص٣ والبيهقي في سننه ج٩/ص٥ والدارمي ج٢/ص٤٠٤ وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط.

(٢) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٢٦٤-٢٦٥

يدور التفضيل مع التوحيد، فيوم أن كانوا موحدين وغيرهم مشرك فضلوا، ولما جاءهم الحق وتركوه صاروا المغضوب عليهم.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المسألة فقال: ((إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود على قيراط قيراط، ثم عملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عمالاً وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء.)) (١)

منطلق اليهود في دعواهم:

ينطلق اليهود في نظرهم لغيرهم من الأمم - وخاصة المسلمين - من خلال أمرين هما:
١ - الادعاء بالاصطفاء والاختيار والتفضيل لهم من الله - تبارك وتعالى - وتبعاً لذلك فهم يقولون بالأمر الثاني.

٢ - أحقيتهم في أرض فلسطين باعتبارها الأرض التي وُعد بها آباؤهم من قبل (إبراهيم - إسحاق - يعقوب عليهم السلام).

ولكي تتضح صورة موقف العهد القديم من الأمم الأخرى كان لابد من مناقشة هذين الأمرين:

أولاً: الإدعاء بالاصطفاء والتفضيل :

ينظر اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم مختارون ومفضلون على الناس جميعاً، وأن هذا التفضيل جاء بناءً على اختيار واصطفاء من الله - تبارك وتعالى - ورد ذلك في نصوص العهد القديم كثيراً، ومن أمثله ما جاء في سفر الخروج : "والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي، فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب، لأن جميع الأرض لي، وأنتم تكونون لي مملكة أحبار وشعباً مقدساً" (٢).

(١) صحيح البخاري ٧٩٢/٢

(٢) سفر الخروج ١٩ : ٥ - ٦ .

وأيضاً ماورد في سفر التثنية : "لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض." (١)
وجاء فيه أيضاً: "لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اصطفاك الرب لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض." (٢)

الرد علي هذا الإدعاء :

أثبتت نصوص التوراة - كما مرَّ سابقاً - أفضلية بني إسرائيل على غيرهم وعند مناقشة هذا الأمر فإنه لا بد من ورود بعض التساؤلات مثل:

- هل حقاً فُضِّلَ بني إسرائيل على غيرهم؟
- وإذا كان الأمر كذلك فمتى كان هذا التفضيل؟ وهل يصح أن يُطلق أمره بدون ضوابط؟ وماهي هذه الضوابط؟
- ثم هل التزم بها اليهود لتصح مقالتهم بأنهم شعب الله المختار؟

الحقيقة أن نصوص القرآن الكريم أثبتت أن بني إسرائيل فضلوا على غيرهم من الناس، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم يقول - تعالى - في سورة البقرة: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَتَى فُضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [سورة البقرة ٤٧/٢] وفي سورة البقرة أيضاً جاء قوله - تعالى - {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَتَى فُضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [سورة البقرة ١٢٢/٢] وفي سورة الأعراف أيضاً: {قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [سورة الأعراف ١٤٠/٧] وفي سورة الجاثية: {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [سورة الجاثية ٤٥/١٦] .

ففي الآيات السابقة أثبت القرآن الكريم مسألة تفضيل بني إسرائيل على العالمين، بل إن الله تعالى أنعم عليهم بأن جعل منهم أنبياء وملوكاً، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين،

(١) سفر تثنية ٧ : ٦ .

(٢) سفر تثنية ١٤ : ٢ .

يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [سورة المائدة ٥/٢٠] (١).

إذن قضية التفضيل صحيحة ومسلم بها بنص القرآن الكريم، لكن متى كان بنو إسرائيل يتميزون عن غيرهم؟ الواقع أن ذلك الأمر كان حين لم يكن على وجه الأرض مؤمن سواهم، فقد كانت الأرض -على وقتهم- تعج بالوثنية وعبادة غير الله -تعالى- خاصة في مصر التي كان يسكنها بنو إسرائيل قبل خروجهم منها على يد نبي الله الكريم موسى - عليه السلام -، فقد كانوا الفئة المؤمنة الموحدة بالله -تعالى-، وكانوا أيضاً الأمة المستضعفة التي تعاني من فرعون وظلمه - كما أخبر بذلك القرآن الكريم-، وتبعاً لإيمانهم والتزامهم بما شرع الله -تعالى- كان تفضيلهم، ومع هذا فإن إطلاق أمر الاضطفاء والاختيار بدون قيود أو شروط أمر لا يصح؛ إذ أن لهذا الاختيار والتفضيل شروط لم يلتزم بها بنو إسرائيل، فالله -تبارك وتعالى- فضلهم بشرط الإيمان به -سبحانه وتعالى-، والالتزام بما شرعه لهم وأوصاهم به، فبتحقيق هذين الأمرين يكون لبني إسرائيل الفضل على غيرهم في ذلك الوقت، والذي عليه واقع بني إسرائيل بعد ذلك أنهم لم يلتزموا بما أمرهم به الله -تبارك وتعالى-، بل نقضوا ماعاهدوا الله عليه، وأول مانقضوا -الوصايا العشر- التي أوصاهم بها -سبحانه-، فقد ورد في التوراة: "لا تقتل لا تزني لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك." (٢) وأيضاً: "لا تقتل لا تزني لا تسرق لا تشهد على صاحبك شهادة زور لا تشته زوجة صاحبك ولا تشته بيته ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لصاحبك." (٣)

فالأساس الذي شرعه الله -تبارك وتعالى- من أن تفضيلهم لم يكن إلا بسبب إيمانهم وتقواهم، فمتى ما تركوا ذلك انتقض حقهم في التفضيل والاختيار، فالميزان في ذلك هو: الالتزام بالإيمان بالله -تعالى- وحده لا شريك له، والقيام بما شرع، وأداء ما أمر به.

(١) سورة المائدة، آية ٢٠ .

(٢) سفر الخروج ٢٠ : ١٣ - ١٧ .

(٣) تث ٥ : ١٧ - ٢١ .

وهكذا كان تفضيل الله لهم لأنهم آمنوا حيناً ببعض الأنبياء، وعرفوا نور التوحيد في الوقت الذي كانت فيه معظم الشعوب مُعرضة عن عبادة الله، فلم يكن اختيار الله لهم بسبب العنصر أو العرق أو النوع أو اللون أو غير ذلك من أباطيلهم، وإنما كان تكليفاً لبني إسرائيل، واختياراً وابتلاءً أيشكرون أم يكفرون، ولهذا قرن القرآن الكريم بين آيات الاختيار والاختبار معاً فقال: {وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾} [سورة الدخان ٤٤/٣٢-٣٣] والبلاء هو الاختبار والله قد يختبر عباده بالنعم، كما يختبرهم بالنقم، ولكن اليهود سقطوا في امتحانهم، فلم يشكروا نعمة اختيار الله لهم، وإنما انحرفوا عن منهج الله، وحرفوا كتبه، وكذبوا رسله، وهنا غضب الله عليهم ولعنهم وعدد مساوئهم وكفرهم، {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِّ مُؤَكَّرًا فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾} [سورة المائدة ٥/٧٨-٧٩] كما يناقشهم القرآن في دعواهم مناقشة منطقية فيقول: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾} [سورة الجمعة ٦٢/٦-٧] فاليهود يدعون أن الله قد أفردهم بولايته وحبه واختياره، ولكن القرآن يصف كلامهم بأنه مجرد زعم باطل، ومع ذلك يطلب منهم أن يتمنوا الموت لكي يسارعوا إلى لقاء الله الذي يحبهم إن كانوا صادقين، بل يعقب في صراحة ووضوح بأن واحداً منهم لن يتمنى الموت لأنهم يعلمون أنهم كاذبون في دعواهم.

(١)

إذن يتضح من ذلك أن مسألة التفضيل حقيقة - ولكن ليس على إطلاقها - إنما لها شروطها التي لم يلتزم بها بنو إسرائيل فمن الشروط: الإيمان بالله - تبارك وتعالى -، فمن آمن بالله والتزم سواءً من بني إسرائيل أم من غيرهم فله الفضل على غيره، فأساس التفاضل إنما هو عبادة الله - تعالى -، فأكرم الناس أتقاهم كما أخرج عن ذلك القرآن الكريم، يقول - تبارك وتعالى -: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [سورة الحجرات ٤٩/١٣]

(١) انظر: العقيدة اليهودية، وخطرها على الإنسانية، ٣٥٥-٣٥٦ .

وعلى هذا تكون أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس، يقول تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [سورة آل عمران ١١٠/٣] وهي خيرية ليست على إطلاقها أيضاً وإنما باستيفاء شروطها، وهي: {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [سورة آل عمران ١١٠/٣].

يقول ابن كثير رحمه الله: " فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح، كما قال قتادة: ((بلغنا أن عمر بن الخطاب _ في حجة حجها رأى من الناس سرعة، فقرأ هذه الآية {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها.)) (١).

ثم إن نص التوراة يؤكد على هذه الشروط فقد جاء فيه: "والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي... " (٢). وهو ما يدل حقيقة على أن التفضيل هو بسبب الامتثال لشرع الله -تعالى- وأوامره لا لشيء آخر.

ووردت أيضاً نصوص أخرى تدل على هذا المعنى منها: "وإن نسيت الرب إلهك، واتبعت آلهة غريبة وعبدتها، وسجدت لها، فأنا شاهد عليكم اليوم بأنكم تهلكون هلاكاً كالأمم التي أبادها الرب من أمامكم، تهلكون لأجل أنكم لم تسمعوا لصوت الرب إلهكم" (٣). وأيضاً: "انظروا إني تال عليكم اليوم بركة ولعنة: البركة إن سمعتم لوصايا الرب إلهكم، وزغتم عن الطريق التي أنا سأئها لكم اليوم إلى اتباع آلهة غريبة لم تعرفوها" (٤). فهذان النصان يدلان على أن امتثال الأوامر بعبادة الله وطاعته هو الركيزة الأساسية للتفضيل وأنه متى ما حاد هؤلاء عن ذلك انتقضت دعواهم بالتفضيل على العالمين فنصوصهم -من كتبهم- شاهدة عليهم. (٥)

(١) تفسير ابن كثير، ١/٥١٦ .

(٢) سفر الخروج ١٩ : ٥ .

(٣) سفر التثنية ٨ : ١٩-٢٠ .

(٤) سفر التثنية ١١ : ٢٦-٢٨ .

(٥) لو أن باحثاً جمع آيات القرآن الكريم عن اليهود، واستخلص منها ما تدل عليه من مثالبهم ومساوئ أخلاقهم وأفعالهم، والتواء طبيعتهم، لجمع - أو كاد - جميع خصال السوء، واخلاق الرذيلة. فكيف يتبحسون مع هذا بأن القرآن يقصد امتيازهم على جميع من سواهم من الأمم، وكيف يستمسكون بما يفهمون من ظاهر آية أو

المطلب الثاني: كثرة الانبياء فيهم

الآثار:

قوله تعالى: {اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [سورة البقرة ٤٠/٢]

٢٧-٦٧٢ - وحديثي يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: {نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} قال: نعمه عامة، ولا نعمة أفضل من الإسلام والنعم بعد تبع لها. وقرأ قول الله {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة الحجرات ١٧/٤٩] (١)

قوله تعالى: {يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [سورة البقرة ٤٩/٢]

٢٨-٧٤٧ - حدثنا به العباس بن الوليد الأملي وتميم بن المنتصر الواسطي قالا: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا الأصمغ بن زيد قال: حدثنا القاسم بن أيوب قال: حدثنا سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً، وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار، يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا. فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم وأن الصغار يذبحون قال: توشكون أن تفتنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر فقتل أبناؤهم ودعوا عاماً. فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية أمه حتى إذا كان القابل حملت بموسى. (٢)

قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة البقرة ٥٦/٢]

آيتين وقد تحالفت آيات القرآن التي نزلت فيهم على غير ما فهموا؟ والخلاصة أن القرآن حسين قرر أنهم فضلوا على العالمين، وأهم أوتوا ما لم يؤت أحد من العالمين، انما ساق ذلك في معرض الامتنان عليهم بالنعم واثبات أنهم يحدونها ويكفرون بها، فهو الزام منطقي بلومهم، حيث أو ثروا وأوتوا النعم فكفروا وتولوا واستغنى الله! (محمود شلتوت- تفسير القرآن ص ٢٤١)

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٤٩ - ٢٥٠)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٧٢) - تفسير الدر المنثور (٥ / ٥٦٩) - تفسير ابن كثير (٣ / ١٤٩) صححه في التفسير الصحيح (١/١٦٦)

٢٩-٨٠٤ - حدثني بذلك موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: أي بعثناكم أنبياء. (١)

قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾}. [سورة البقرة ٥٦/٢]

٣٠-٨٠٧ - حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط بن نصر عن السدي: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضاً كما أمرهم به أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً، فاختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا. فلما أتوا ذلك المكان {قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة} فإنك قد كلمته فأرنا. فأخذهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ نُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَتَتْ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿٥٥﴾} [سورة الأعراف ١٥٥/٧] فأوحى الله إلى موسى عليه السلام إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل فذلك حين يقول موسى: {إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء إنا هدنا إليك} وذلك قوله: {وَإِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكَ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾} [سورة البقرة ٥٥/٢] ثم إن الله جل ثناؤه أحياهم فقاموا وعاشوا رجلاً رجلاً ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فقالوا: يا موسى أنت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء! فدعا الله تعالى فجعلهم أنبياء فذلك قوله: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾} [سورة البقرة ٥٦/٢] ولكنه قدم حرفاً وآخر حرفاً. (٢)

قوله تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ نُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَتَتْ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿٥٥﴾}. [سورة الأعراف ١٥٥/٧]

٣١-١١٧٧٢ - حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالوا: ثنا يحيى بن يمان قال: ثنا سفيان قال: ثنا أبو إسحاق عن عمارة بن عبد السلولي عن علي - قال: انطلق موسى وهارون وشبير وشبير فانطلقوا إلى سفح جبل، فنام هارون على سريره فتوفاه الله. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله.

(١) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٢٩١

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٩٢) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٥)

قالوا: أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه - أو كلمة نحوها - قال: فاختاروا من شئتم! قال: فاختاروا سبعين رجلاً. قال: فذلك قوله: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَا أَتَّهَلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } قال: فلما انتهوا إليه قالوا: يا هارون من قتلك؟ قال: ما قتلني أحد ولكنني توفاني الله. قالوا: يا موسى لن نعصي بعد اليوم! قال: فأخذهم الرجفة. قال: فجعل موسى يرجع يمينا وشمالاً وقال: يا { رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَا أَتَّهَلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } قال: فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم. (١)

قوله تعالى: { إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ } . [سورة المائدة ٥/٢٠]

٣٢-٩٠٧١ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ } قال: كنا نحدث أنهم أول من سخر لهم الخدم من بني آدم وملكوا. (٢)

قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ } [سورة غافر ٤٠/٧٨]

٣٣-٢٣٤٥٦ - حدثنا علي بن شعيب السمسار قال: ثنا معن بن عيسى قال: ثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار عن محمد بن المنكدر عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثمانية آلاف من الأنبياء منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل. (٣)

(١) تفسير الطبري (٩ / ٧٣) - تفسير ابن كثير (٢ / ٢٥١) وقال: هذا أثر غريب جدا وعمارة لا أعرفه و ايده

الذهبي في الميزان ١٧٧/٣

(٢) تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٦) - تفسير الطبري (٦ / ١٦٩) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٣) تفسير الطبري (٢٤ / ٨٦) - المستدرک على الصحيحين (٢ / ٦٥٣) - تفسير القرطبي (٦ / ١٩) -

تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٧)

الدراسة:

وهذه منة أخرى من الله على بني إسرائيل أن جعل الأنبياء فيهم أرسلهم اليهم وبعثهم منهم وقد ذكر موسى عليه السلام بني إسرائيل بذلك يوم أن دعاهم لقتال الجبارين. ونقل الطبري عن السدي أن المقصود هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات الله ثم أخذتهم الصاعقة.

قال الطبري: "وتأويل الكلام على ما تأوله السدي: فأخذتكم الصاعقة ثم أحييناكم من بعد موتكم وأنتم تنظرون إلى إحيائنا إياكم من بعد موتكم، ثم بعثناكم أنبياء لعلمكم تشكرون. وزعم السدي أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير والمؤخر الذي معناه التقديم." (١)

ومعلوم أنه لم يبعث في أمة مثل ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء، بل إن الله جعل الأنبياء هم الساسة كما قال صلى الله عليه وسلم: ((كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لاني بعدي)). (٢)

وأخرج ابن المنذر والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة. نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ومحمد عليهم السلام)). (٣)

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قلت: ((يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟)) قال: ((رجل قتل نبياً، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف)). ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: { وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ } [سورة آل عمران ٢١/٣] إلى قوله { وما لهم من ناصرين } ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من عباد بني إسرائيل

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٩١)

(٢) صحيح البخاري الجزء: ٣ الصفحة: ١٢٧٣

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٢١٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٢١) - تفسير الدر المنثور (٢ / ١٦٩) .

فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوههم عن المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم
فهم الذين ذكر الله.)) (١)

وأما القول بأن السبعين صاروا أنبياء فلا دليل صحيح يعضده، إذ لم يرد من كان نبياً
في زمن موسى عليه السلام غير أخيه هارون عليه السلام ومن بعده يوشع ابن نون
عليهم السلام والرواية في ذلك ضعيفة.

قال ابن كثير رحمه الله: "وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء
السبعين أنهم بعد إحيائهم قالوا: إنك لا تطلب من الله شيئاً إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا
أنبياء، فدعى بذلك فأجاب الله دعوته، وهذا غريب جداً إذ لا يعرف في زمان موسى نبي
سوى هارون ثم يوشع بن نون." (٢)

وسيرد مزيد من التفصيل في موقف اليهود من الأنبياء في الباب الثاني - بإذن الله -

(١) تفسير الطبري (٣ / ٢١٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٢١) - تفسير الدر المنثور (٢ / ١٦٩)

(٢) تفسير ابن كثير ٢٤٠/١

المطلب الثالث: جعلهم ملوكا:

الآثار:

قوله تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [سورة البقرة ٤٩/٢]

٣٤-٧٤٧ - حدثنا به العباس بن الوليد الأملي وتميم بن المنتصر الواسطي قالا: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا الأصبع بن زيد قال: حدثنا القاسم بن أيوب قال: حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس - قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً واتتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا. فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال: توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم ودعوا عاماً. فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية أمه حتى إذا كان القابل حملت بموسى. (١)

قوله تعالى: {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} [سورة البقرة ٤٠/٢].

٣٥-٦٧٢ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: {نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} قال: نعمه عامة ولا نعمة أفضل من الإسلام والنعم بعد تبع لها. وقرأ قول الله {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ} [سورة الحجرات ١٧/٤٩] الآية. وتذكير الله الذين ذكروهم جل ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نظير تذكير موسى صلوات الله عليه أسلافهم على عهده الذي أخبر الله عنه أنه قال لهم وذلك قوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَنَا كُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [سورة المائدة ٢٠/٥] (٢)

قوله تعالى: {الَّذِينَ تَرَى إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ ائْتِ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ} [سورة البقرة ٢٤٦/٢]

٣٦-٤٣٩٢ - حدثنا به محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل قال: حدثني محمد بن إسحاق عن

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٧٢) - تفسير الدر المنثور (٥ / ٥٦٩) - تفسير ابن كثير (٣ / ١٤٩) صححه في

التفسير الصحيح (١٦٦/١)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٥٠)

وهب بن منبه قال: خلف بعد موسى عليه السلام في بني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله. ثم خلف فيهم كالب بن يوقنا يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله تعالى. ثم خلف فيهم حزقييل بن بوزي وهو ابن العجوز. ثم إن الله قبض حزقييل وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله. فبعث الله إليهم إلياس بن يس بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبياً. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يبعثون إليهم بتحديد ما نسوا من التوراة. وكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له أحاب، وكان يسمع منه ويصدقه، فكان إلياس يقيم له أمره. وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً، إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرقة بالشام، كل ملك له ناحية منها يأكلها. فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه يقوم له أمره ويراه على هدى من بين أصحابه يوماً: يا إلياس والله ما أرى ما تدعو إليه الناس إلا باطلاً! والله ما أرى فلاناً وفلاناً - يعدد ملوكاً من ملوك بني إسرائيل - قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويتنعمون مالكين ما ينقص من دنياهم، وما نرى لنا عليهم من فضل. (١)

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} [سورة المائدة ٥/٢٠]

٣٧-٩٠٧١ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} قال: كنا نحدث أنهم أول من سخر لهم الخدم من بني آدم وملكوا. (٢)

٣٨-٩٠٧٣ - حدثنا الزبير بن بكار، قال: ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، قال: سمعت زيد بن أسلم، يقول: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} فلا أعلم إلا أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان له بيت وخدام فهو ملك." (٣)

٣٩-٩٠٧٤ - حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، أنه تلا هذه الآية: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} فقال: وهل الملك إلا مركب وخدام ودار. (٤)

٤٠-٩٠٧٥ - حدثنا سفيان بن وكيع وابن حميد، قالوا: ثنا جرير، عن منصور، قال: أراه عن الحكم:

(١) تفسير الطبري (٢ / ٥٩٦ - ٥٩٧) (باختصار)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١٦٩) تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٦) حسنه في التفسير الصحيح (١ / ٢٢٣)

(٣) تفسير الطبري (٦ / ١٦٩) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٧) - تفسير القرطبي (٦ / ١٢٤)

(٤) تفسير الطبري (٦ / ١٦٩) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٧)

- {وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا} قال: كانت بنو إسرائيل إذا كان للرجل منهم بيت وامرأة وخدام، عد ملكاً. (١)
- ٩٠٧٦-٤١ - حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا} قال: البيت والخدام. (٢)
- ٩٠٧٧-٤٢ - حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: {وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا} قال: جعل لكم أزواجاً وخداماً وبيوتاً. (٣)

(١) تفسير الطبري (٦ / ١٦٩) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٦) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١٦٩) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٨٧) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٦)

(٣) تفسير الطبري (٦ / ١٦٩) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٧)

الدراسة:

من المنن العظيمة التي يذكر الله بها بني إسرائيل جعلهم ملوكاً واختلف في المراد بذلك وذكر الطبري - رحمه الله - ثلاثة أقوال:

- ١- قيل: وجعلكم ملوكاً سخر لكم من غيركم خدماً يخدمونكم.
- ٢- وقيل: إنما قال ذلك لهم موسى عليه السلام لأنه لم يكن في ذلك الزمان أحد سواهم يخدمه أحد من بني آدم.

٣- وقال آخرون: إنما عني بقوله: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} أنهم يملكون أنفسهم وأهليهم وأمواهم، بعد الذل والعبودية لفرعون وقومه، وملكهم الدور والمساكن بعد التيه، وأخدمهم الخدم والعبيد بعد أن كانوا هم الخدم والعبيد في مصر، فالمرء يشعر بأنه ملك لأنه سيد في نفسه، سيد في تصرفه، وعلى العكس من ذلك الذليل الخاضع الذي لا تصرف له في نفسه، ولا يتمتع بحقه الطبيعي في التصرف، فهو عبد مملوك، وشتان بين العبد المملوك والسيد المالك.

"وقد استشكل بعض الناس على الآية: بأنه لم يعرف أن بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان فيهم ملوك وإن وجد فيهم ملوك بعد ذلك، وهذا الاستشكال مبني على فهم أن المراد بالملوك أصحاب السلطة والصولجان، وهو فهم لا يساعد عليه نص الآية، ولا ما جاء في السنة تفسيراً لها. فنص الآية {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} ، ولو كان المراد ملوك السلطان والصولجان لجاء النص: (وجعل فيكم أو منكم ملوكاً)، لأنه لم تجر العادة بأن يكون أفراد الشعوب جميعاً ملوكاً بهذا المعنى، ويؤازر ذلك أن الآية فرقت في التعبير بين جعل الأنبياء وجعل الملوك فقالت إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} ولا سر لهذا إلا إرادة معنى في جعلهم ملوكاً يصلح أن يقع فيه الفعل على ضمير المخاطبين، وهذا المعنى هو ما ذكرناه من أنهم صاروا أحراراً متصرفين سادة لأنفسهم." (١)

(١) تفسير القرآن محمود شلتوت ص ٢٣٩ مجلة رسالة الإسلام عدد ٢٧

المطلب الرابع: نجاتهم من عدوهم وما صاحبها

الآثار

قوله تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾} [سورة البقرة ٥٠/٢]

٤٣-٧٦٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن أبي إسحاق الهمداني عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} قال: لما خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال: لا تتبعوهم حتى يصيح الديك. قال: فوالله ما صاح ليلتذ ديك حتى أصبحوا، فدعا بشاة فذبحت ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط. فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط. ثم سار فلما أتى موسى عليه السلام البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون: أين أمرك ربك يا موسى؟ قال: أمامك! يشير إلى البحر. فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر (١) فذهب به ثم رجع فقال: أين أمرك ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت ولا كذبت! ففعل ذلك ثلاث مرات ثم أوحى الله جل ثناؤه إلى موسى: {أَنْ اصْرَبْ بِبَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [سورة الشعراء ٦٣/٢٦] يقول: مثل جبل. قال: ثم سار موسى ومن معه وأتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تماموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك قال: {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} قال معمر: قال قتادة: كان مع موسى ستمائة ألف وأتبعه فرعون على ألف ألف ومائة ألف حصان. (٢)

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَىٰ} [سورة طه ٧٧/٢٠]

٤٤-١٨٢٧٣ - حدثني علي قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَىٰ} يقول: {لَا تَخَافُ} من آل فرعون {دَرَكًا وَلَا تَحْشَىٰ} من البحر غرقاً. (٣)

٤٥-١٨٢٧٤ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة {لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَىٰ}

(١) أي الماء الكثير . اللسان (٢٩/٥)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٧٦) و أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٤٥/١ - ٤٦)

(٣) تفسير الطبري (١٦ / ١٩١) - تفسير الدر المنثور (٥ / ٥٩٠)

يقول: لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك. (١)

قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ} [سورة الشعراء
[٥٢/٢٦]

٤٦-٢٠٢٢٢- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا ابن علية عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن قيس بن عباد قال: وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني إسرائيل قال: فحدثنا أن الشزيمة الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ست مئة ألف قال: وكان مقدمة فرعون سبعة مئة ألف، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة وفي يده حربة وهو خلفهم في الدهم. فلما انتهى موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى البحر قالت بنو إسرائيل. يا موسى أين ما وعدتنا؟! هذا البحر بين أيدينا وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا! فقال موسى للبحر: انفلق أبا خالد قال: لا لن أنفلق لك يا موسى أنا أقدم منك خلقاً قال: فنودي أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر وكانوا اثني عشر سبطاً. قال الجريري. فأحسبه قال: إنه كان لكل سبط طريق قال: فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر هابت الخيل للهب؛ قال: ومثل لحصان منها فرس وديق، فوجد ريحها فاشتد فاتبعه الخيل؛ قال: فلما تمام آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني إسرائيل أمر البحر فانصفق عليهم فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون وما كان ليموت أبداً فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام قال: فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يترآه بنو إسرائيل. (٢)

قوله تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ} [سورة الصافات ١١٥/٣٧]

٤٧-٢٢٦٧٥- حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي في قوله:

{وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ} قال: من الغرق. (٣)

٤٨-٢٢٦٧٦- حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة {وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ

الْعَظِيمِ} أي من آل فرعون. وقوله: {وَنَصَرْنَاَهُمْ} يقول: ونصرنا موسى وهارون عليهما السلام

وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم {فَكَانُوا هُمُ الْعَالِيِينَ} لهم. (٤)

قوله تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} [سورة

البقرة ٥٠/٢]

(١) تفسير الطبري (١٦ / ١٩١) حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

(٢) تفسير الطبري (١٩ / ٧٥ - ٧٦) مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٣٣٣)

(٣) تفسير الطبري (٢٣ / ٦٧ ، ٩٠) حسنه في التفسير الصحيح (٤/٢٠٩)

(٤) تفسير الطبري (٢٣ / ٩٠) حسنه في التفسير الصحيح (٤/٢٠٩)

٧٥٩-٤٩ - حدثني موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال: حدثنا أسباط بن نصر عن السدي: لما أتى موسى عليه السلام البحر كناه أبا خالد وضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، فدخلت بنو إسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقاً في كل طريق سبط (١)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [سورة البقرة ٥٠/٢]

٧٦٤-٥٠ - حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا أبو سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله جل وعز إلى موسى عليه السلام أن أسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون. قال: فسرى موسى بيني إسرائيل ليلاً، فأتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستمائة ألف، فلما عاينهم فرعون قال: {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾} [سورة الشعراء ٥٤/٢٦-٥٦]، فسرى موسى بيني إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا، فإذا هم برهح (٢) دواب فرعون، فقالوا: يا موسى، أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا! هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون قد رهقنا (٣) بمن معه. قال {عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [سورة الأعراف ١٢٩/٧]، قال: فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، وأوحى إلى البحر: أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك. قال: فبات البحر له أفكل (٤) - يعني له رعدة - لا يدرى من أيّ جوانبه يضربه. قال: فقال يوشع لموسى: بماذا أمرت؟ قال: أمرت أن أضرب البحر. قال: فاضربه. قال: فاضرب موسى البحر بعصاه، فانفلق، فكان فيه اثنا عشر طريقاً، كل طريق كالطود العظيم، فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه. فلما أخذوا في الطريق، قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا؟ قالوا لموسى: أين أصحابنا لا نراهم؟ قال: سيروا! فإنهم على طريق مثل طريقكم. قالوا: لا نرضى حتى نراهم.

٥١- قال سفيان، قال عمار الدهني (٥): قال موسى عليه السلام: اللهم أعني على أخلاقهم السيئة. قال: فأوحى الله إليه: أن قل بعصاك هكذا، وأوماً بيده يديرها على البحر. قال موسى

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٧٥) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٢٩٤) - تفسير ابن كثير (٣ / ٣٣٧)

(٢) الرهح: الغبار. النهاية (٢ / ٢٨١).

(٣) أي دنونا منه. انظر النهاية (٢ / ٢٨٣).

(٤) أي الرعدة من برد أو خوف. النهاية (١ / ٥٦).

(٥) عمار بن معاوية الدهني، أبو معاوية البجلي الكوفي، صدوق يتشيع التقريب (٤٨٣٣)

بعصاه على الحيطان هكذا ، فصار فيها كُؤَى ؛ ينظر بعضهم إلى بعض .
٥٢- قال سفيان : قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : فساروا حتى
خرجوا من البحر ، فلما جاز آخر قوم موسى عليه السلام ، هجم فرعون على البحر هو وأصحابه ،
وكان فرعون على فرس أدهم ذئوب حصان^(١) . فلما هجم على البحر هاب الحصان أن
يقتحم في البحر ، فتمثل له جريل على فرس أنثى وديق . فلما رآها الحصان تقحّم
خلفها . وقيل لموسى : اترك البحر رهوا- قال : طرقتاً على حاله - قال : ودخل فرعون
وقومه في البحر ، فلما دخل آخر قوم فرعون وجاز آخر قوم موسى أطبق البحر على فرعون
وقومه فأغرقوا.^(٢)

(١) أي وافر شعر الذنب . النهاية (١٧٠/٢) .

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٧٦ - ٢٧٧) صححه في التفسير الصحيح (١٥٨/١)

الدراسة:

يذكر الله تبارك وتعالى ليهود المدينة منته على أسلافهم يوم كانوا مستعبدين عند فرعون وقومه، وكيف أنجاهم منهم وأقر أعينهم بهلاك عدوهم أمامهم، وكيف خلصهم يوم كانوا يسومونهم سوء العذاب يذبحون الذكور ويستبقون الإناث.

قال القرطبي (١) {يَسُومُونَكُمْ} قيل معناه:

١- يذيقونكم ويلزمونكم إياه، وقال أبو عبيدة: يولونكم يقال: سامه خطة خسف، إذا أولاه إياها، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أئينا أن نقر الخسف فينا
٢- وقيل يذيمون تعذيبكم، فقد جعل فرعون بني إسرائيل خداماً وصناعاً ومن لم يستخدمه ضرب عليه الجزية. ثم أبدلهم الله بالمعجزات على ضعفهم وفقرهم، ففلق لهم البحر معجزة باقية يتلوها الناس إلى يوم القيامة، وأغرق عدوهم الجبار الذي دعاهم إلى عبادته أغرقه وقومه أمامهم.

وفي هذه المعاني من الإشارات ما يلي:

١- نجاة أسلافهم من الهلاك والعذاب من فرعون وقومه نجاة لهم، فهم الخلف الذين ورثوا الكتاب، والدين من بعدهم فليشكروا الله على ذلك وليتبعوا نبيه.

٢- تذكير اليهود بما كان عليه سلفهم من الذل والضعف، وعدوهم من الجبروت والعظمة، إلا أن الحق كان معهم والباطل مع خصمهم، ومع ذلك كانت الغلبة والظهور لصاحب الحق مع فقره وضعفه، فلا يغتروا بقوتهم وضعف محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فليس لهم إلا متابعتة والإيمان بما جاء به. (٢)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره معلقاً على عدد الذين خرجوا مع فرعون: "فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات من أنه خرج في ألف ألف وستمئة ألف فارس، منها مائة ألف على خيل دهم، وقال كعب الأحبار: فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم - ففي

(١) تفسير القرطبي ١/٣٤٨ وما بعدها

(٢) انظر: الطبري ١/٣١٤ وابن كثير ١/٢٣٤ ومفاتيح الغيب للرازي ٣/٧٤ (بتصرف)

ذلك نظر . والظاهر أنه من مجازفات بني إسرائيل . والله سبحانه وتعالى أعلم . والذي أخطر به هو النافع ، ولم يعين عدتهم إذ لا فائدة تحته ، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم" (١)

وفي نجاتهم من عدوهم ، مع قلة عددهم ، وضعفهم ، وتشردهم ، وكثرة عدوهم وقوته: آية صدق يقيس بها اليهود بين ظهراي الرسول صلى الله عليه وسلم يوم قدم عليهم المدية ، فوجب إيمانهم به . لأن الله سينصره وصحبه ، كما نصر موسى عليه السلام وقومه ، فكان عليهم الاستفادة مما حصل لأسلافهم ولا يجحدوا نعمة الله عليهم .

كما أن فيه تسلية وعبرة وعظة للمسلمين جميعاً ، وألا يكونوا في حياتهم مثل بني إسرائيل ، بل يلتفتوا طائعين منقادين مستسلمين لما يأمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خاصة في حالة ضعفهم وقتلهم كما قال تعالى مذكراً أصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضله عليهم فقال: {وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾} [سورة الأنفال ٨/٢٦]

فالواجب الصبر والشكر وسؤال الله النصر .

(١) تفسير ابن كثير (١٥٣/٦)

المطلب الخامس: بعثهم بعد الموت

الآثار:

قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة البقرة ٥٦/٢]

٥٣-٨٠٦- حدثنا به محمد بن حميد قال: ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق قال: لما رجع موسى إلى قومه ورأى ما هم فيه من عبادة العجل وقال لأخيه وللسامري ما قال وحرق العجل وذراه في اليم؛ اختار موسى عليه السلام منهم سبعين رجلاً الخير فالخير وقال: انطلقوا إلى الله عز وجل فتوبوا إليه مما صنعتم، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم! فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم. فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء الله: يا موسى اطلب لنا إلى ربك لنسمع كلام ربنا! فقال: أفعل. فلما دنا موسى عليه السلام من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى عليه السلام فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا. وكان موسى عليه السلام إذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه الحجاب. ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل. فلما فرغ من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعاً. وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: {قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَايَ} [سورة الأعراف ١٥٥/٧] قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما تفعل السفهاء منا؟ أي أن هذا لهم هلاك اخترت منهم سبعين رجلاً الخيراً فالخير أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد فما الذي يصدقوني به أو يأموني عليه بعد هذا؟ {إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ} [سورة الأعراف ١٥٦/٧] فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم فطلب إليه التوبة لبني إسرائيل يل من عبادة العجل فقال: لا إلا أن يقتلوا أنفسهم. (١)

٥٤-٨٠٨- حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: قال لهم موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل، فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم، فقال: إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمره الذي أمركم، به ونهيه الذي نهاكم عنه. فقالوا: ومن يأخذ بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ وقرأ قول

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٩١) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٤)

الله تعالى: {لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} [سورة البقرة ٥٥/٢] قال: فجاءت غضبة من الله عز وجل فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول الله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ} [سورة البقرة ٥٦/٢] فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله! فقالوا لا فقال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: أصابنا أنا متنا ثم حينئذ. قال: خذوا كتاب الله! قالوا لا. فبعث الله تعالى ملائكة ففتقت الجبل فوقهم. (١)

٥٥-٨٠٩ أ- حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: {فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} [٥٥] ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ [سورة البقرة ٥٥-٥٦] قال: أخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم. (٢)

٥٦-٨٠٩ ب- حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله: {فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ} قال: هم السبعون الذين أختارهم موسى عليه السلام فساروا معه. قال: فسمعوا كلاماً فقالوا: {لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} قال: فسمعوا صوتاً فصعقوا. يقول: ماتوا. فذلك قوله: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ} فبعثوا من بعد موتهم؛ لأن موتهم ذاك كان عقوبة لهم فبعثوا لبقية آجالهم. (٣)

٥٧-٧٩٦ - وكما حدثنا به القاسم بن الحسن قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: {حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} قال: علانية. (٤)

٥٨-٨٠٠ - حدثنا به الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: {فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ} [سورة النساء ١٥٣/٤] قال: ماتوا. (٥)

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٩٢) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٥)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٩٢) - تفسير عبد الرزاق (١ / ٤٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١١٢) صححه في التفسير الصحيح (١/١٦٤)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٩٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١١٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٧٠)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٢٨٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١١١) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٣) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٧٠)

(٥) تفسير الطبري (١ / ٢٩٠) - تفسير عبد الرزاق (١ / ٤٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١١٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٧٠) صححه في التفسير الصحيح (١/١٦٤)

الدراسة:

من نعم الله على بني إسرائيل أن جعلهم يرون بأعينهم الموت ثم يحييهم بعد ذلك، وهي آية عجيبة، ومنة عظيمة، وإن كان ظاهرها العقوبة ولكنها لم تدم عليهم، وذلك حين اختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً من قومه ليتوبوا إلى الله من اتخاذهم العجل، وجعل هارون خليفته على الباقيين، وكان الموعد جبل الطور، (١) وكان هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام هم أصلح القوم، فلما جاؤا لميقات الله، وكلم الله نبيه وكليمه عليه السلام وهم يسمعون وأبت نفوسهم المشبعة بالعناد إلا أن يروا الله جهرة كما قال تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُم مِّنَ الصَّاغِرَاتِ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} [سورة البقرة ٥٥/٢] فهلكوا جميعاً، فقام موسى عليه السلام يعتذر إلى ربه، ويدعوه فاستجاب له ربه قال تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَارْحَمْنَا لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} [سورة لأعراف ١٥٥/٧]

وقد وردت أقوال كثيرة في السبب الذي من أجله طلبوا الرؤية، غالبها من الروايات الإسرائيلية. قال الطبري رحمه الله: "فهذا ما روي في السبب الذي من أجله قالوا لموسى: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى تقوم به حجة فتسلم لهم. وجائز أن يكون ذلك بعض ما

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ج: ٤ ص: ٤٧: طور بالضم ثم السكون وآخره راء والطور في كلام العرب الجبل وقال بعض أهل اللغة لا يسمى طورا حتى يكون ذا شجر ولا يقال للأجرد طور وقيل سمي طورا ببطور بن إسماعيل Æ أسقطت باؤه للاستثقال ويقال لجميع بلاد الشام الطور وقد تقدم لذلك شاهد في طرآن بوزن قرآن من هذا الكتاب وقال أهل السير سميت بطور بن إسماعيل بن إبراهيم Æ وكان يملكها فنسبت إليه وقد ذكر بعض العلماء أن الطور هذا الجبل المشرف على نابلس ولهذا يحجه السامرة وأما اليهود فلهم فيه اعتقاد عظيم ويزعمون أن إبراهيم أمر بذبح إسماعيل فيه وعندهم في التوراة أن الذبيح إسحاق Æ وبالقراب من مصر ثم موضع يسمى مدين جبل يسمى الطور ولا يخلو من الصالحين وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجرة العليق وعليه كان الخطاب الثاني لموسى Æ ثم خروجه من مصر ببني إسرائيل وبلسان النبط كل جبل يقال له طور فإذا كان عليه نبت وشجر قيل طور سيناء والطور جبل بعينه مظل على طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ على رأسه بيعة واسعة محكمة البناء موثقة الأرجاء

قالوه، فإذا كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يقال: إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له: {يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} كما أخبر عنهم أنهم قالوه. وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخاً لهم في كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قامت حجته على من احتج به عليه، ولا حاجة لمن انتهت إليه إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك. وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقاً كما قال: " (١) وكما قال قتادة وغيره إنما هي عقوبة، وردوا لاستيفاء آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة. (٢)

والمخاطب هنا هم يهود المدينة واليهود عامة إلى قيام الساعة، ففي تعداد النعم موعظة للجميع، وعبرة لهم، حتى لا يطلبوا من محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما طلب أسلافهم من موسى عليه السلام، وتذكيراً لسلفهم من اليهود.

(١) تفسير الطبري ٣٣٢/١

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١١٢/١ والقرطبي ٢٧٥/١ والبغوي ٩٧/١

المطلب السادس: تمكينهم من الأرض المقدسة

الآثار:

قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَاكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾} [سورة البقرة ٥٨/٢]

٥٩-٨٣٧ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أنبأنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن قتادة في قوله: {ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} قال: بيت المقدس. (١)

٦٠-٨٣٨ - حدثني موسى بن هارون قال: حدثني عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} أما القرية فقريّة بيت المقدس. (٢)

٦١-٨٤٠ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: سألته يعني ابن زيد عن قوله: {ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا} قال: هي أريحا وهي قرية من بيت المقدس. (٣)

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٩٩) - تفسير عبد الرزاق (١ / ٤٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١١٦) - تفسير

الدر المنثور (١ / ١٧٢) صححه في التفسير الصحيح (١٦٤/١)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٩٩) - فتح الباري (٨ / ٢٠٠)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٩٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٧٢)

الدراسة:

قضى الله على بني إسرائيل بعدم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة يتيهون في الصحراء وهو ما عرف (بالتيه) وسيأتي الحديث عنه، قال تعالى: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [سورة المائدة ٢٦/٥] وفي نهاية هذه المدة الطويلة، قال تعالى: {وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} [سورة الأعراف ١٦١/٧]

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيضاً يا محمد من خطايا فعل هؤلاء القوم، وخلافهم على ربهم، وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: {اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} وهي قرية بيت المقدس، {وَكُلُوا مِنْهَا} يقول: من ثمارها وحبوبها ونباتها {حَيْثُ شِئْتُمْ} منها يقول: أني شئتم منها {وَقُولُوا حِطَّةٌ} يقول: وقولوا: هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا {نَعْفِرْ لَكُمْ} يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم فيعفو لكم عنها فلا يؤاخذكم بها. {سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} منكم وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا.

ثم قال: فذكرهم بذلك جل ذكره اختلاف آبائهم، وسوء استقامة أسلافهم لأنبيائهم، مع كثرة معابنتهم من آيات الله جل وعز وعبره ما تتلج بأقلها الصدور، وتطمئن بالتصديق معها النفوس؛ وذلك مع تتابع الحجج عليهم، وسبوغ النعم من الله لديهم. وهم مع ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلهاً غير الله، ومرة يعبدون العجل من دون الله، ومرة يقولون لا نصدقك حتى نرى الله جهرة، وأخرى يقولون له إذا دُعوا إلى القتال: {فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [سورة المائدة ٢٤/٥] ومرة يقال لهم: {قُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ} [سورة الأعراف ١٦١/٧] فيقولون: حنطة في شعيرة ويدخلون الباب من قبل أستاهم، مع غير ذلك من أفعالهم التي آذوا بها نبيهم عليه السلام التي يكثر إحصاؤها. فأعلم ربنا تبارك وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وجحودهم

نبوته، وتركهم الإقرار به وبما جاء به مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة أمره، كأسلافهم وآبائهم الذين فصل عليهم قصصهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى وتوثبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى مع عظيم بلاء الله جل وعز عندهم وسبوغ آلائه عليهم.

وبسط ذلك كالتالي:

لما طلب موسى عليه السلام من بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، جنبوا عن دخولها، ورفضوا وتعللوا بالقوم الجبارين القاطنين لها، وقالوا أنهم ولن يدخلوها حتى يخرج منها الجبارون، وكان فيهم رجالان ممن يخاف الله، فبينوا لهم أنسب الطرق لدخولها، وما زادهم ذلك غير العناد، بل طلب بنوا إسرائيل من موسى أن يذهب هو وربّه فيقاتلا، ومن النعم العظيمة التي يذكر الله بها اليهود عامة، ما من الله به على أسلافهم، وذلك يوم أن أذن لهم بالخلاص من التيه الذي دام أربعين عاماً، وهي التي حرم الله عليهم فيها الدخول الى الأرض المقدسة، دلهم إلى ما يوجب رحمته والخلاص من عناء التيه والضياع، فأمرهم بالدخول (سجداً) وأن يقولوا (حطة)

قال تعالى : {وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَقَرًا لَكُمْ}. [سورة الأعراف ١٦١/٧]

وقد وعدهم الله بالرزق الرغيد والواسع إن هم أطاعوا أمره.

واختلف في هذه القرية ماهي؟

١- فقيل: بيت المقدس وهو المروي عن السدي والربيع بن أنس وقتادة وأبي مسلم

الأصفهاني وغير واحد. (١)

(١) قال ياقوت الحموي: أيلة بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيلياء بعده قال أبو زيد أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالقوا فمسخوا قرده وخنازير وبها في يد اليهود عهد لرسول الله ' وقال أبو المنذر سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم Æ وقال أبو عبيدة أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعد في بلاد الشام وقدم يوحنة بن روبة على النبي ' من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية وقرر على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار واشترط عليهم قرى من مر بهم من المسلمين وكتب لهم كتاباً أن يحفظوا ويمنعوا: معجم البلدان ج: ١ ص: ٢٩٢

٢- وقيل: أريحا ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعبد الرحمن بن زيد. (١)

٣- وقيل: مصر كما حكاها الرازي في تفسيره.

ورجح ابن كثير رحمه الله أنها بيت المقدس، وقال عن أريحا: هذا بعيد لأنها ليست على طريقهم، وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحاء.

والصحيح الأول أنها بيت المقدس، وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام، وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح، ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب -باب البلد- (سجداً) أي شكراً لله تعالى على ما أنعم عليهم من الفتح والنصر، ورد عليهم وإنقاذهم من التيه والضلال.

واختلف في المراد بالسجود في قوله تعالى: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} على أقوال:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في قوله تعالى: ((أي ركعاً)) وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} قال: ((ركعاً من باب صغير)) ورواه الحاكم (٢) من حديث سفيان به ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان وهو الثوري به وزاد فدخلوا من قبل أستاذهم،

٢- وقال الحسن البصري: ((أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم)) واستبعده الرازي.

٣- وحكى عن بعضهم أن المراد ههنا بالسجود: الخضوع لتعذر حمله على حقيقته، ثم اختلف في المراد بالباب:

١- فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((كان الباب قبل القبلة))

٢- وفي رواية أخرى عنه _ أنه قال: ((هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس)) وهو قول مجاهد والسدي وقتادة والضحاك.

٣- وحكى الرازي عن بعضهم أنه عني بالباب جهة من جهات القبلة.

(١) أريحا بالفتح ثم الكسر وبياء ساكنة والحاء مهملة والقصر وقد رواه بعضهم بالحاء المعجمة لغة عبرانية وهي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت المقدس يوم للفراس في جبال صعبة المسلك

سميت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح Æ : معجم البلدان ج: ١ ص: ١٦٥

(٢) المستدرک ٢/٢٦٢

أما طريقة دخولهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ((فدخلوا على شق)) وعن عبد الله بن مسعود _ ((قيل لهم أدخلوا الباب سجداً فدخلوا مقنعي رؤسهم أي رافعي رؤسهم خلاف ما أمروا))

أما قوله تعالى {وقولوا حطة}

١- فعن ابن عباس رضي الله عنهما {وقولوا حطة} قال: ((مغفرة أستغفروا)) وروي عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحوه

٢- وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما {وقولوا حطة} قال: ((قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم))

٣- وقال عكرمة ((قولوا: لا إله إلا الله))

٤- وقال الأوزاعي ((كتب ابن عباس رضي الله عنهما إلى رجل قد سماه فسأله عن قوله تعالى {وقولوا حطة} فكتب إليه أن أقر بالذنب))

٥- وقال الحسن وقتادة: ((أي احطط عنا خطايانا))

وقوله تعالى {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} [سورة البقرة ٥٩/٢] روى البخاري عن أبي هريرة _ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا: حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا: حبة في شعرة.)) (١)

وروى عبد الرزاق عن أبي هريرة _ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا: حطة نغفر لكم خطاياكم، فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، فقالوا: حبة في شعرة.)) وهذا حديث صحيح رواه البخاري (٢) عن إسحاق بن نصر ومسلم (٣) عن محمد بن رافع والترمذي (٤) عن عبد بن حميد كلهم عن عبد الرزاق به وقال الترمذي حسن صحيح.

(١) البخاري ح ٤٤٧٩

(٢) البخاري ٣٤٠٣

(٣) مسلم ٣٠١٥

(٤) سنن الترمذي ٢٩٥٦

وقال محمد بن إسحاق كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة _ وعمن لا أتهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجداً يزحفون على أستاههم وهم يقولون حنطة في شعيرة)) وقال أبو داود (١) حدثنا أحمد بن صالح، وحدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري _، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ((قال الله لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم)) ثم قال أبو داود (٢).

وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري _ قال: ((سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها ذات الحنظل)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل { ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ } [سورة البقرة ٥٨/٢]))

وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تعالى: { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ } [سورة البقرة ١٤٢/٢] قال: ((اليهود قيل لهم { ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا } قال: ركعاً { وَقُولُوا حِطَّةً } أي مغفرة فدخلوا على أستاههم وجعلوا يقولون حنطة حمراء فيها شعيرة، فذلك قول الله تعالى: { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ } [سورة البقرة ٥٩/٢])) وقال الثوري عن السدي عن أبي سعد الأزدي عن أبي الكنود عن ابن مسعود _: (({ وَقُولُوا حِطَّةً } فقالوا: حنطة حبة حمراء فيها شعيرة، فأنزل الله { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ }))

(١) سنن أبي داود ٤٠٠٦

(٢) سنن أبي داود ٤٠٠٧

قال أسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود _ أنه قال: ((إنهم قالوا هطاً سمعناً أزرية مزبا فهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء فذلك قوله تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ}

وقال الثوري عن الأعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {انْحُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} قال: ((ركعاً من باب صغير فدخلوا من قبل أستاذهم وقالوا حنطة فذلك قوله تعالى {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} وهكذا روي عن عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس ويحيى بن رافع.

وحاصل ما ذكره المفسرون ومادل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أستاذهم، من قبل أستاذهم، رافعي رؤسهم، وأمروا أن يقولوا حطة أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا، فاستهزأوا فقالوا حنطة في شعيرة! وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة، ولهذا أنزل الله بهم بأسه، وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته ولهذا قال {فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [سورة البقرة ٥٩/٢] وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((كل شيء في كتاب الله من الرجس يعني به العذاب)) وهكذا روي عن مجاهد وأبي مالك والسدي والحسن وقتادة أنه العذاب وقال أبو العالية: ((الرجز الغضب)) وقال الشعبي ((الرجز إما الطاعون، وإما البرد)) وقال سعيد بن جبیر: ((الطاعون)) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد يعني ابن أبي وقاص عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الطاعون رجز أو عذاب عذب به من كان قبلكم)) وهكذا رواه النسائي (١) من حديث سفيان الثوري به وأصل الحديث في الصحيحين (٢) من حديث حبيب بن أبي ثابت: ((إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها)) الحديث قال ابن جرير أخبرني يونس بن

(١) سنن البيهقي ٧٥٢٣ م ٢٢١٨

(٢) صحيح البخاري ٥٧٢٨ صحيح مسلم ٢٢١٨

عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس عن الزهري قال أخبرني عامر بن سعد بن للأبي وقاص عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم)) وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين (١) من حديث الزهري ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم بن أبي النضر عن عامر بن سعد بنحوه.

(١) صحيح البخاري ٣٤٧٣ صحيح مسلم ٢٢١٨

المطلب السابع: مضاعفة أجر من آمن منهم

الآثار:

قوله تعالى: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [سورة البقرة ٦٢/٢]

٦٢-٩٢٩ - حدثني المثني قال: ثنا أبو صالح قال: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } فأنزل الله تعالى بعد هذا: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } . [سورة آل عمران ٨٥/٣] (١)

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [سورة الحديد ٥٧/٢٨]

٦٣-٢٦٠٨٦ - حدثني محمد بن سعد. قال: ثنا أبي، ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ } يعني الذين آمنوا من أهل الكتاب. (٢)

قوله تعالى: { وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [سورة القصص ٥١/٢٨]

٦٤-٢٠٩٥٣ - حدثنا ابن سنان، قال: ثنا حيان، قال: ثنا حماد، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن عطية القرظي قال: نزلت هذه الآية { وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } حتى بلغ { إنا كنا من قبله مسلمين } في عشرة أنا أحدهم، فكأن ابن عباس أراد بقوله: يعني محمداً: لعلهم يتذكرون عهد الله في محمد إليهم، فيقرون بنوته ويصدقونه. (٣)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٢٣) - تفسير ابن كثير (١ / ١٠٤) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٤٤١/١٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٧ / ٢٤٥) - تفسير الدر المنثور (٨ / ٦٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٣٤١) - تفسير ابن كثير (٤ / ٣١٨) اسناده مسلسل بالضعفاء ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٠٣/٦: أن هذا اسناد ضعيف، وذكر الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على تفسير الطبري ٢٦٣/١: أن هذا إسناد مسلسل بالضعفاء، من أسرة واحدة .

(٣) تفسير الطبري (٢٠ / ٨٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٨٨) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٤٢٢) - تفسير القرظي (١٣ / ٢٩٦) - تفسير ابن كثير (٣ / ٣٩٤) - المعجم الكبير (٥ / ٥٣)

٦٥-٢٠٩٥٦ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [سورة القصص ٥٢/٢٨] قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا به، وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام. (١)

(١) تفسير الطبري (٢٠ / ٨٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٩٠) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

الدراسة:

وعد الله -تبارك وتعالى - من آمن من اليهود أو النصارى بمضاعفة أجره إن هو آمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويدل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران.)) (١)

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن أبي أمامة قال: ((إني لتحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولاً حسناً جميلاً.)) وقال فيما قال : ((من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين، وله ما لنا وعليه ما علينا.)) (٢)

ويؤيد ذلك ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ} [سورة القصص ٥٤/٢٨] فقد ورد نزولها في طائفة آمنوا من اليهود كعبد الله بن سلام _ كما مر في الأثر.

وهنا إشكال وهو هل لابد لليهودي أن يؤمن ببعيسى عليه السلام أولاً، ثم محمد حتى يضاعف أجره؟

الظاهر من النصوص السابقة عدم التحديد ويؤيد ذلك ما رواه علي بن رفاعة القرظي قال: خرج عشرة من أهل الكتاب - منهم أبي رفاعة - إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمنوا به فأوذوا فنزلت {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [سورة القصص ٥٢/٢٨] الآية. (٣) فهؤلاء من بني إسرائيل ولم يؤمنوا ببعيسى بل استمروا على اليهودية إلى أن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت أنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الحديث.

قال الطيبي: فيحتمل إجراء الحديث على عمومه إذ لا يبعد أن يكون طريان الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم سبباً لقبول تلك الأديان وإن كانت منسوخة.

(١) متفق عليه وهذا لفظ البخاري ٣٢/١ ومسلم ٤٦٤/١

(٢) مسند الامام أحمد ٥/٢٥٩

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥ / ٥٣) وصححه ابن حجر في فتح الباري ج: ١ ص: ١٩١

ويمكن أن يقال في حق هؤلاء الذين كانوا بالمدينة: إنه لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام ؛ لأنها لم تنتشر في أكثر البلاد فاستمروا على يهوديتهم مؤمنين بنبيهم موسى عليه السلام إلى أن جاء الإسلام فأمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فبهذا يرتفع الإشكال إن شاء الله تعالى. (١)

وكما ثبت هذا الأجر لمؤمني أهل الكتاب، فأمة محمد موعودة بالخيرية دائماً فمن آمن بالله ورسوله فقد وعده الله بكفلين (٢) من رحمته. كما روى ابن أبي حاتم بسنده: عن مقاتل بن حيان قال: ((لما نزلت: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [سورة القصص ٥٤/٢٨] فخر مؤمنوا أهل الكتاب على الصحابة رضي الله عنهم فأنزل الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} [سورة الحديد ٥٧/٢٨] فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب.)) (٣)

(١) فتح الباري ج: ١ ص: ١٩١

(٢) قال الطبري وأصل الكفل: الحظ، وأصله: ما يكتفل به الراكب، فيحسبه ويحفظه عن السقوط؛ يقول: يحصنكم هذا الكفل من العذاب، كما يحصن الكفل الراكب من السقوط وقال ابن منظور لكفل: السحط والضعف من الأجر والإثم، وعم به بعضهم، ويقال له: كفلان من الأجر. لسان العرب ج ١١ ص ٥٩٠

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٩٠) واستشهد به ابن كثير على أنهما في حق المؤمنين ٤ / ٣١٨

المبحث الثالث: الآثار الواردة في عقاب الله لهم:

المطلب الأول : عقاب الله لهم في الدنيا:

وفيه ثمان مسائل:

المسألة الأولى: غضب الله عليهم

الآثار:

قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾} [سورة

الفاحة ٧/١]

٦٦-١٦٦ - وحدثننا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بشر بن عمار قال : حدثنا أبو

روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ } يعني اليهود الذين غضب الله

عليهم. (١)

قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِهَا

تَمَنَّا قَلِيلًا} سورة البقرة ٧٩/٢].

٦٧-١١٥١ - حدثني المثني بن إبراهيم قال: ثنا إبراهيم بن عبد السلام قال: ثنا علي بن جرير عن حماد

بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي عن عثمان بن عفان _ عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم : {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} "الويل: جبل في النار". وهو

الذي أنزل في اليهود؛ لأنهم حرفوا التوراة وزادوا فيها ما يجبون ومحو منها ما يكرهون، ومحو اسم

محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة؛ فلذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال: {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا

كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (٢)

٦٨-١٢٨٠ - حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: {فَبَاءُوا بِغَضَبِ عَلِيٍّ

غَضَبٍ} [سورة البقرة ٩٠/٢] غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، وغضب عليهم بكفرهم

بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم . (٣)

٦٩-١٢٨١- حدثني المثني قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: {فَبَاءُوا

(١) تفسير الطبري (١ / ٨٠) - تفسير ابن كثير (١ / ٣١)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٧٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠١) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٨)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤١٧) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٨) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٦) حسنه في

التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

{بِعُضْبِ} اليهود بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، {عَلَى غَضَبٍ} جحودهم النبي صلى الله عليه وسلم وكفرهم بما جاء به. (١)

٧٠-١٢٨٢ - حدثنا المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: {فَبَاءُوا بِغَضَبِ عَلِيٍّ} يقول: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى عليه السلام ، ثم غضبه عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن. (٢)

٧١-١٢٨٣ - حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {فَبَاءُوا بِغَضَبِ عَلِيٍّ} أما الغضب الأول: فهو حين غضب الله عليهم في العجل، وأما الغضب الثاني: فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم. (٣)

٧٢-١٢٨٤ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج وعطاء وعبيد بن عمير قوله: {فَبَاءُوا بِغَضَبِ عَلِيٍّ} قال: غضب الله عليهم فيما كانوا فيه من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم من تبديلهم وكفرهم، ثم غضب عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم إذ خرج فكفروا به. (٤)

قوله تعالى: {يَسْمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبِ عَلِيٍّ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} [سورة البقرة ٩٠/٢]

٧٣-١٢٨١ - حدثني المثنى قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: {فَبَاءُوا بِغَضَبِ} اليهود بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم {عَلَى غَضَبِ} جحودهم النبي صلى الله عليه وسلم وكفرهم بما جاء به. (٥)

قوله تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ} [سورة البقرة ٩٧/٢].

٧٤-١٣٣٠ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس عن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب

(١) تفسير الطبري (٤١٧/١) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٨) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٤٩٤/١٣).

(٢) تفسير الطبري (٤١٧ / ١) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٣) حسن إسناده الحافظ في الفتح (٣٦٦/٦).

(٣) تفسير الطبري (٤١٧ / ١) - تفسير القرطبي (٢ / ٢٨) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٦)

(٤) تفسير الطبري (٤١٧ / ١)

(٥) تفسير الطبري (٤١٧/١) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٨) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٤٩٤/١٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام". فقالوا: ذلك لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلوني عما شئتم" فقالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن! أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعني". فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق فقال: "نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل؟" - قال أبو جعفر: فيما أرى: "وأحب الشراب إليه ألبانها" - فقالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشهد الله عليكم وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبيه بإذن الله، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله؟" قالوا: اللهم نعم! قال: "اللهم اشهد". قال: "وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟" قالوا: اللهم نعم! قال: "اللهم اشهد". قالوا: أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: "فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً فقط إلا وهو وليه". قالوا: فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك. قال: "فما يمنعكم أن تصدقوه؟" قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله عز وجل: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [سورة البقرة ٩٧/٢] إلى قوله: {كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة ١٠١/٢]. فعندها باؤوا بغضب على غضب. (١)

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ

كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [سورة الممتحنة ١٣/٦٠]

٧٥-٢٦١٧٨ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [سورة المجادلة ١٤/٥٨] إلى آخر الآية قال: هم المنافقون تولوا اليهود

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٣١ - ٤٣٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٧٠٤ - ٧٠٥) - تفسير الدر المنثور (١ /

وناصحوهم. (١)

٧٦-٢٦١٧٨ أ- حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة {تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ} قال: هم اليهود تولاهم المنافقون. (٢)

قوله تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ

الْمُشْرِكِينَ} [سورة آل عمران ٦٧/٣].

٧٧-٥٦٩٧ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن

الزهري عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله - لا أراه إلا يحدثه عن أبيه - أن زيد بن عمرو بن

نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينه، وقال: إني لعلي أن

أدين دينكم فأخبرني عن دينكم! فقال له اليهودي: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من

غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنا لا أستطيع فهل

تدلني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم

يك يهودياً ولا نصرانياً وكان لا يعبد إلا الله. فخرج من عنده فلقي عالماً من النصارى فسأله عن دينه

فقال: إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني عن دينكم! قال: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من

لعنة الله. قال: لا أحتمل من لعنة الله شيئاً ولا من غضب الله شيئاً أبداً، وأنا لا أستطيع فهل تدلني على

دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودي: لا أعلمه إلا أن تكون حنيفاً. فخرج من عنده وقد

رضي الذي أخبراه والذي اتفقا عليه من شأن إبراهيم، فلم يزل رافعاً يديه إلى الله وقال: اللهم إني أشهدك

أني على دين إبراهيم. (٣)

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ٢٣) تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٨٠) - تفسير الدر المنثور (٨ / ٨٥) وحسنه في

التفسير الصحيح (٤٥٩/٤)

(٢) تفسير الطبري (٢٨ / ٢٣) - تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٨٠)

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٣٠٧) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٣٧)

الدراسة:

أمة الغضب، هذا هو الوصف الذي ينطبق على اليهود. واستحقوا غضب الله في الدنيا والآخرة كونهم عرفوا الحق ولم يتبعوه، وليسوا مثل النصارى الذين عبدوا الله على غير علم، بل هم أشد انحرافاً وعناداً استحقوا به غضب الله.

وهو أول وصف لليهود يقابلك في كتاب الله، بل في فاتحته: { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } [سورة الفاتحة ٧/١] وهذه العقوبة هي سبب العقوبات الدنيوية والأخروية لهم.

واليهود الذين لُعنوا كانوا يعرفون الحق قبل أن يأتي من يخبرهم عنه، فلعن الذين كفروا من بني إسرائيل وليس كل بني إسرائيل، فقط الذين لا يتناهون عن المنكر مع معرفتهم بأنه منكر فهم مغضوب عليهم.

وكذلك هم مع محمد صلى الله عليه وسلم يعرفونه كما يعرفون آبائهم، وكانوا يتوعدون العرب به ولما جاء من غيرهم وعلى غير ما يخبرون به الأنصار جحدوا نبوته؛ لأنهم يكفرون بآيات الله، ولقتلهم الأنبياء بغير حق، وبما كانوا يعتدون، ولمثل هذا أمرنا ربنا تبارك وتعالى ان نستعيد من طريق المغضوب عليهم والضالين في كل يوم سبعة عشر مرة في فاتحة الكتاب التي تتضمنها كل ركعة، وكان يكفي اليهود أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يحط الله عنهم لعنته وغضبه، ولكن أبت نفوس أكثرهم إلا الضلال.

فعن عوف بن مالك الأشجعي _ قال: ((انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم، وكرهوا دخولنا عليهم))، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه، قال فأمسكوا وما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى آمنتم أو كذبتم، ثم انصرف وأنا معه حتى دنا أن يخرج فإذا رجل من خلفنا يقول كما أنت يا محمد، قال: فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود، قالوا ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك، ولا من أبيض من قبلك، ولا من جدك قبل أبيض، قال فإني

أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا كذبت ثم ردوا عليه وقالوا له شراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم لن يقبل قولكم، أما آناً فتنون عليه من الخير ما أثنتم، وأما إذا آمن كذبتموه وقتتم ما قلتم فلن يقبل قولكم، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وعبد الله بن سلام. (١)

وقوله تبارك وتعالى { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } [سورة الفاتحة ٧/١] لا شك أنه يعني اليهود بالدرجة الأولى، وإن كان يصدق على كل ضال.

وقد استدل لذلك ابن جرير رحمه الله بالقرآن بقوله تعالى: { قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثْوِيَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ } [سورة المائدة ٦٠/٥]

وبالسنة بقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن المغضوب عليهم اليهود)). (٢)

وقد تكرر غضب الله على اليهود، وذلك مع كل عصيان يظهره، كما قال تعالى: { يَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ } [سورة البقرة ٩٠/٢]

فهناك غضب أول، وهو على جرائمهم الأولى من عبادة العجل، والكفر بعيسى عليه السلام، وارتكاب المعاصي وتضييع التوراة. وهناك غضب ثان على كفرهم وتكذيبهم لحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن.

(١) مسند الأمام أحمد ٢٥/٦ وابن حبان ١٢٠/١٦ والحاكم في المستدرک ٤٧٠/٣

(٢) رواه أحمد في مسنده ٣٧٨/٤ والترمذي ٢٩٥٣ وابن حبان ٧٢٠٦ وصححه أحمد شاكر في تخريجه للطبري برقم

المسألة الثانية: اللعن

الآثار:

قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [سورة المائدة ٧٨/٥]

٧٨-٩٦٠٠ - حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} قال: لعنوا بكل لسان؛ لعنوا على عهد موسى عليه السلام في التوراة، ولعنوا على عهد داود عليه السلام في الزبور، ولعنوا على عهد عيسى عليه السلام في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن. (١)

٧٩- حدثني المثني قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} يقول: لعنوا في الإنجيل على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام، ولعنوا في الزبور على لسان داود عليه السلام. (٢)

٨٠- حدثنا ابن وكيع قال: ثنا ابن فضيل عن أبيه عن خصيف عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} قال: خالطوهم بعد النهي في تجاراتهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، فهم ملعونون على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام. (٣)

٨١-٩٦٠١ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا جرير عن حصين عن مجاهد: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} قال: لعنوا على لسان داود عليه السلام فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى عليه السلام فصاروا خنازير. (٤)

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣١٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٨٢) إسناده ضعيف

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٣١٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٨٢) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠ / ٤٤١).

(٣) تفسير الطبري (٦ / ٣١٧) - تفسير الدر المنثور (٣ / ١٢٦)

(٤) تفسير الطبري (٦ / ٣١٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٨٢) - تفسير الدر المنثور (٣ / ١٢٦)

الدراسة:

لعن الله اليهود في كتابه العزيز في مواضع كثيرة، ولأسباب عديدة، بينها الرب تبارك وتعالى، واللعنة يراد بها الإبعاد عن رحمة الله، (١) فأصل اللعن: الطرد والإبعاد عن الخير، (٢) وهو الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره. (٣)
ولعن الله اليهود في كتابه الكريم مراراً، وبين سبب اللعن، ولعنهم على لسان أنبيائه الكرام عليهم السلام، بل إنهم لعنوا في جميع الكتب السماوية كما في الآثار السابقة.
فلماذا استحقوا اللعن؟

١- لعنوا بسبب كفرهم. قال تعالى: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾} [سورة البقرة ٢/٨٨]

٢- ولعنوا بسبب تفضيلهم الشرك وعبادة الأوثان على ما جاء به الرحمن.
قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا مسورة النساء ٤١م ٥١}

٣- ولعنوا لوصفهم الله بالصفات الرديئة قال تعالى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾} [سورة المائدة ٦٤/٥]

٤- ولعنوا لتحريفهم كلام الله ومعصيتهم مع معرفتهم للحق. قال تعالى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِلْسِنَتِهِمْ

(١) قاله النووي في شرح مسلم ١٤٨/١٦

(٢) مختار الصحاح مادة ل ع ن وفتح الباري ٧٧/١٢

(٣) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ٤٥١

وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة النساء ٤/٤٦]

٥- ولعنوا على لسان أنبياء الله كداود وعيسى عليهما السلام لمعصيتهم واعتدائهم وتركهم التناهي عن المنكر، قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [سورة المائدة ٥/٧٨] وهو في حديث ابن مسعود _ قال: قال صلى الله عليه وسلم ((إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل: كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} - إلى قوله - {فاسقون} ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً.)) (١)

٦- ولعنوا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لأمر منه:

- كما روت عائشة رضي الله عنها وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: ((لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه،)) فقال وهو كذلك: ((لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا.)) (٢)

ب- مخادعتهم في مسألة: تحريم الشحوم، وإذابتهم لها ثم بيعها على أنها سمن وليست شحم: فعن بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر _ يقول: ((قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم)) قال: ((لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم فجملوا فباعوها.)) (٣) (٤)

(١) سنن أبي داود ج: ٤ ص: ١٢١ وسنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ٩٣ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم

(٢) صحيح البخاري ج: ١ ص: ١٦٨

(٣) صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١٢٧٥

(٤) وللتفصيل ينظر كتاب لماذا لعن اليهود؟ لأحمد الحاج عن دار ابن حزم ١٤١٥م



المسألة الثالثة: الصاعقة

الآثار:

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} [سورة البقرة ٥٤/٢]

٧٩٣-٨٢ - حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: لما رجع موسى عليه السلام إلى قومه وأحرق العجل وذراه في اليم؛ خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا. سأل موسى عليه السلام ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل فقال: لا إلا أن يقتلوا أنفسهم. قال: فبلغني أنهم قالوا لموسى: نصبر لأمر الله، فأمر موسى عليه السلام من لم يمكن عبد العجل أن يقتل من عبده، فجلسوا بالأفنية واصلت عليهم القوم السيوف فحملوا يقتلونهم، وبكى موسى عليه السلام وبهش إليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم، فتاب عليهم وعفا عنهم، وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف. (١)

٨٠١-٨٣ - حدثت عن عمار بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع: {فَأَخَذْتُكُمْ الصَّاعِقَةَ} [سورة البقرة ٥٥/٢] قال: سمعوا صوتاً فصعقوا. يقول: فماتوا. (٢)

٨٠٢-٨٤ - حدثني موسى بن هارون الهمداني قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: {فَأَخَذْتُكُمْ الصَّاعِقَةَ} والصاعقة: نار. (٣)

٨٠٣-٨٥ - حدثنا به ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: أخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعاً. (٤)

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٨٧) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٤) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٩٠) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٤) إسناده ضعيف لجهالة شيخ المصنف.

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٩٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٤) - تفسير الدر المنثور (٤ / ٦٢٦) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٤)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٢٩٠) إسناده ضعيف.

الدراسة:

عاقب الله بني إسرائيل - حين طلبوا معاندين رؤية الله عياناً - بأن أنزل عليهم الصاعقة، وهولاء هم خيرة بني إسرائيل ولما نظر بعضهم إلى بعض وهم يضربون بالصواعق، هرعوا الى موسى عليه السلام فطفق يدعوا ربه حتى عفى عنهم، كما قال تعالى {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾} [سورة البقرة ٥٥/٢] وكما قال تعالى {وَإِخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿٥٥﴾} [سورة الأعراف ١٥٥/٧]

قال الربيع بن أنس: ((كان موتهم عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم.)) (١)

وفي هذه الآية كما قال ابن القيم رحمه الله: "استعطاف من موسى عليه السلام لربه، وتوسل إليه بعفوه عنهم من قبل حين عبد قومه العجل ولم ينكروا عليهم، يقول موسى عليه السلام إنهم قد تقدم منهم ما يقتضي هلاكهم، ومع هذا فوسعهم عفوك ومغفرتك ولم تهلكهم، فليسعهم اليوم ما وسعهم من قبل، وهذا كما يقول من واخذه سيده بجرم: لو شئت واخذتني من قبل هذا بما هو أعظم من هذا الجرم، ولكن وسعني عفوك أولاً فليسعني اليوم." (٢)

وأصل الصاعقة: كل أمر هائل رآه أو عاينه أو أصابه، حتى يصير من هولته وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم، أو فقد بعض آلات الجسم، صوتاً كان ذلك أو ناراً أو زلزلة أو رجفاً. (٣).

(١) تفسير ابن كثير ٢٣٩/١

(٢) إغاثة اللفهان ج: ٢ ص: ٣٠٧

(٣) تفسير الطبري ٣٣٠/١

وكما في الآثار الواردة فقد فسرت الصاعقة بالموت، وفسرت بالنار، وفسرت بالصيحة والرجفة.

قال الطبري: "وتكون الصاعقة صوتاً أو ناراً أو زلزلة أو رجفاً." (١)

واحتج على أن الصاعقة لا يلزم منها الموت بقوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نَنْظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [سورة الأعراف ١٤٣/٧] يعني مغشياً عليه. ومنه قول جرير بن عطية:

وهل كان الفرزدق غير قرد أصابته الصواعق فاستدارا
فقد علم أن موسى عليه السلام لم يكن حين غشي عليه وصعق ميتاً؛ لأن الله جل وعز
أخبر عنه أنه لما أفاق قال: {بُنَيْتُ إِلَيْكَ} [سورة الأعراف ١٤٣/٧] ولا شبه جرير
الفرزدق وهو حي بالقرد ميتاً ولكن معنى ذلك ما وصفنا (٢).

وأما سبب الصاعقة فهو طلبهم رؤية الله، وقد وردت الآثار باختلاف في السبب الذي من أجله طلبوا لقاء الله، ثم طلبوا رؤية الله، أقربها: ذهابهم للقاء الله و التوبة من عبادة العجل، وقد وردت آثار أخرى تذكر أسباباً غير ما سبق كماورد عن علي _ قال: ((لما حضر أجل هارون عليه السلام أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن انطلق أنت وهارون وابن هارون إلى غار في الجبل فإنا قابضوا روحه، فانطلق موسى وهارون وابن هارون فلما انتهوا إلى الغار دخلوا، فإذا سرير فاضطجع عليه موسى ثم قام عنه فقال: ما أحسن هذا المكان يا هارون فاضطجع هارون فقبض روحه، فرجع موسى وابن هارون إلى بني إسرائيل حزينين فقالوا له أين هارون؟ قال مات. قالوا: بل قتلته؛ كنت تعلم أنا نجبه. فقال لهم موسى: ويلكم أقتل أخي؟ وقد سألته الله وزيراً ولو أني أردت قتله أكان ابنه يدعي؟ قالوا له: بل قتلته حسدناه. قال: فاختاروا سبعين رجلاً، فانطلق بهم فمرض رجلان في الطريق فخط عليهما خطأً، فانطلق موسى وابن هارون وبنو إسرائيل حتى انتهوا

(١) تفسير الطبري ٣٣٠/١

(٢) تفسير الطبري ٣٣٠/١

إلى هارون عليه السلام فقالوا: يا هارون من قتلك؟ قال لم يقتلني أحد ولكني مت. قالوا: ما تقضي يا موسى؟ ادع لنا ربك يجعلنا أنبياء. قال: فأخذتهم الرجفة فصعقوا، وصعق الرجلان اللذان خلفوا، وقام موسى عليه السلام يدعو: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي، أهلكنا بما فعل السفهاء منا، فأحياهم الله فرجعوا إلى قومهم أنبياء.)) (١)

وما رواه الحاكم في مستدركه: عن محمد بن جعفر عن أبيه قال: ((كان علم الله وحكمته في ذرية إبراهيم عليه السلام، فعند ذلك أتى الله يوسف بن يعقوب عليه السلام ملك الأرض المقدسة، فملك اثنتين وسبعين سنة، وذلك قوله عز وجل: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [سورة يوسف ١٠١/١٢] الآية فعند ذلك بعث الله موسى وهارون عليهما السلام فأورثهما مشارق الأرض ومغاربها، وملكهما ملكاً ناعماً، فملك موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل ثمان وثمانين سنة، ثم إن الله تعالى أراد أن يرد ذلك عليهم، فملكهم مشارق الأرض ومغاربها، وآتاهم ملكاً عظيماً، حتى سألوا أن ينظروا إلى ربهم، فقالوا أرنا الله جهرة، وذلك حين رأوا موسى عليه السلام كلمه ربه، وسمعوا فطلبوا الرؤية، وكان موسى عليه السلام انتقى خيارهم ليشهدوا له عند بني إسرائيل أن ربه قد كلمه، فقالوا لن نشهد لك حتى ترينا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.)) (٢)

قال الطبري: "ولا خير عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى تقوم به حجة فتسلم لهم. وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه، فإذا كان لا خير بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يقال: إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له: {يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} [سورة البقرة ٥٥/٢] كما أخبر عنهم أنهم قالوه. وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخاً لهم في كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد قامت حجته على من

(١) كتر العمال للمتقي الهندي رقم الحديث ٤٣٨١

(٢) مستدرك الحاكم ٦٣٢/٢ رقم الحديث ٤١٠٦

احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت إليه إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك. وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقاً كما قال. " (١)

بقي أن يقال أن مما يؤخذ من عذاب الله لليهود تنبيه لليهود والمسلمين أن يسألوا رسول الله أسئلة التعنت، وقد قال تعالى {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [سورة البقرة ١٠٨/٢] وقال تعالى: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّلَكُمْ تَسْؤُوكُمْ} [سورة المائدة ١٠١/٥] وإن كان هذا السؤال نوعاً آخر لكن المقصود أن سؤال الأنبياء حتى سؤال العلم منهم فيه أنواع كثيرة محرمة، وإن كانوا قد يعطون السائل فلا يدل ذلك على أن السؤال مشروع هذا في حياتهم فكيف بعد مماتهم؟ ولم ينقل أحد من أهل العلم أن أحداً من السلف سأل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً بعد موته لا عند قبره ولا عند غير قبره، وكذلك قوم عيسى لما سألوا المائدة قبل رفع عيسى إلى السماء لم يكونوا محمودين في مسألهم، بل كان نزولها ضرراً عليهم، وكذلك قوم موسى سألوا موسى أن يريهم الله جهرة فأخذهم الصاعقة، وقوم صالح عليه السلام سألوا صالحاً آية فكانت سبب هلاكهم، فالسؤال فتنة وشر للسائل وهو للمسؤول أجر وخير ومعجزة.)) (٢)

(١) تفسير الطبري ٣٣٢/١

(٢) الرد على البكري لابن تيمية ج: ١ ص: ٢٠٥

المسألة الرابعة: النيه [وأبرز ما حصل فيه]

الآثار:

قوله تعالى: { قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ } [سورة المائدة ٢٦/٥]

٨٦-٩١٢٦ - حدثني المثني قال: ثنا إسحاق قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال: لما قال لهم القوم ما قالوا ودعا موسى عليه السلام عليهم، أوحى الله إلى موسى: { قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } وهم يومئذ فيما ذكر ستمائة ألف مقاتل، فجعلهم فاسقين بما عصوا، فلبثوا أربعين سنة في فراسخ ستة، أو دون ذلك، يسرون كل يوم جادين لكي يخرجوا منها، حتى يمسا وينزلوا فإذا هم في الدار التي منها ارتحلوا. وإنهم اشتكوا إلى موسى ما فعل بهم فأنزل عليهم المن والسلوى، وأعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم، ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته. وسأل موسى عليه السلام ربه أن يسقيهم، فأتى بحجر الطور، وهو حجر أبيض إذا ما نزل القوم ضربه بعصاه، فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط منهم عين، قد علم كل أناس مشربهم. حتى إذا خلت أربعون سنة، وكانت عذاباً بما اعتدوا وعصوا، أوحى إلى موسى عليه السلام أن مرهم أن يسيروا إلى الأرض المقدسة، فإن الله قد كفاهم عدوهم، وقل لهم إذا أتوا المسجد أن يأتوا الباب ويسجدوا إذا دخلوا ويقولوا حطة. وإنما قولهم حطة أن يحط عنهم خطاياهم. فأبى عامة القوم، وعصوا وسجدوا على خدهم، وقالوا حنطة، فقال الله جل ثناؤه: { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ } [سورة البقرة ٥٩/٢]... إلى: { يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (١)

٨٧-٩١٢٧ - حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا سليمان بن حرب قال: ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله: { فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ } قال: أبداً. (٢)

٨٨-٩١٢٩ - حدثنا المثني قال: ثنا مسلم بن إبراهيم قال: ثنا هارون النحوي قال: ثنا الزبير بن الخريت عن عكرمة في قوله: { فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ } [سورة المائدة ٢٦/٥] قال: التحريم لا منتهى له. (٣)

٨٩-٩١٣١ - حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال: ثنا إبراهيم بن بشار قال: ثنا سفيان قال: قال أبو سعيد

(١) تفسير الطبري (٦ / ١٨١ - ١٨٢)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١٨٢) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥١)

(٣) تفسير الطبري (٦ / ١٨٢)

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دعا موسى عليه السلام قال الله: {فَأَيُّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ} قال: فدخلوا التيه، فكل من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه. قال: فمات موسى عليه السلام في التيه ومات هارون عليه السلام قبله. قال: فلبثوا في تيههم أربعين سنة، فناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الجبارين فافتتح يوشع المدينة. (١)

٩٠-٩١٣٢ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قال الله: {فَأَيُّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً} حرمت عليهم القرى، وكانوا لا يهبطون قرية، ولا يقدرون على ذلك، إنما يتبعون الأطواء أربعين سنة. وذكر لنا أن موسى صلى الله عليه وسلم مات في الأربعين سنة، وأنه لم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناءهم، والرجلان اللذان قالوا ما قالوا. (٢)

٩١-٩١٣٣ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: ثني بعض أهل العلم بالكتاب الأول قال: لما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم، وهمهم بكالب ويوشع إذ أمرهم بدخول مدينة الجبارين، وقال لهم ما قالوا، ظهرت عظمة الله بالغمام على نار فيه الرمز على كل بني إسرائيل، فقال جل ثناؤه لموسى عليه السلام: إلى متى يعصيني هذا الشعب، وإلى متى لا يصدقون بالآيات كلها التي وضعت بينهم؟ أضرهم بالموت فأهلكهم وأجعل لك شعباً أشد منهم. فقال موسى عليه السلام يسمع أهل المصر الذين أخرجت هذا الشعب بقوتك من بينهم، ويقول ساكنو هذه البلاد الذين قد سمعوا أنك أنت الله في هذا الشعب، فلو أنك قتلت هذا الشعب كلهم كرجل واحد لقاتل الأمم الذين سمعوا باسمك: إنما قتل هذا الشعب من أجل لا يستطيع أن يدخلهم الأرض التي خلق لهم، فقتلهم في البرية، ولكن لترتفع أياديك ويعظم جزاؤك يا رب كما كنت تكلمت، وقلت لهم فإنه طويل صبرك، كثيرة نعمك، وأنت تغفر الذنوب فلا توبق، وإنك تحفظ الآباء على الأبناء وأبناء الأبناء إلى ثلاثة أجيال وأربعة، فاغفر أي رب آثام هذا الشعب بكثرة نعمك، كما غفرت لهم منذ أخرجتهم من أرض مصر إلى الآن! فقال الله جل ثناؤه لموسى صلى الله عليه وسلم: قد غفرت لهم بكلمتك، ولكن قد أتى إني أنا الله وقد ملأت الأرض محمدتي كلها، ألا يرى القوم الذين قد رأوا محمدتي وآياتي التي فعلت في أرض مصر وفي القفار، سألوني عشر مرات ولم يطيعوني لا يرون الأرض التي خلقت لأبائهم ولا يراها من أغضبني؛ فأما عبدي كالب الذي كان روحه معي واتبع هواي فإني مدخله الأرض التي دخلها ويراها خلفه. وكان العماليق والكنعانيون جلوساً في الجبال ثم غدوا فارتحلوا في القفار في طريق يجرسون، وكلم الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام وقال لهما: إلى متى توسوس علي هذه الجماعة جماعة السوء؟ قد سمعت وسوسة

(١) تفسير الطبري (٦ / ١٨٣) - تفسير ابن كثير (٢ / ٤١)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١٨٣) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٢) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

بني إسرائيل. وقال: لأفعلن بكم كما قلت لكم ولتلقين جيفكم في هذه القفار وحسابكم من بني عشرين سنة فما فوق ذلك من أجل أنكم وسوستم علي فلا تدخلوا الأرض التي دفعت إليها، ولا ينزل فيها أحد منكم غير كالب بن يوفنا ويوشع بن نون، وتكون أبقالكم كما كنتم الغنيمه. وأما بنوكم اليوم الذين لم يعلموا ما بين الخير والشر، فإنهم يدخلون الأرض، وإني بهم عارف لهم الأرض التي أردت لهم وتسقط جيفكم في هذه القفار، وتيهون في هذه القفار على حساب الأيام التي جسستم الأرض أربعين يوماً، مكان كل يوم سنة، وتقتلون بخطاياكم أربعين سنة، وتعلمون أنكم وسوستم: قد أني لي أنا الله فاعل بهذه الجماعة - جماعة بني إسرائيل - الذين وعدوا بأن تيهوا في القفار فيها يموتون! فأما الرهط الذين كان موسى بعثهم يتجسسون الأرض، ثم حرشوا الجماعة فأفشوا فيهم خبر الشر فماتوا كلهم بغتة وعاش يوشع وكالب بن يوفنا من الرهط الذين انطلقوا يتجسسون الأرض. فلما قال موسى عليه السلام هذا الكلام كله لبني إسرائيل، حزن الشعب حزناً شديداً، وغدوا فارتفعوا على رأس الجبل وقالوا: نرتقي الأرض التي قال جل ثناؤه من أجل أنا قد أخطأنا. فقال لهم موسى: لم تعتدون في كلام الله من أجل ذلك لا يصلح لكم عمل، ولا تصعدوا من أجل أن الله ليس معكم، فالآن تنكسرون من قدام أعدائكم من أجل العمالقة والكنعانيين أمامكم، فلا تقعدوا في الحرب من أجل أنكم انقلبتم على الله فلم يكن الله معكم! فأخذوا يرقون في الجبل ولم يبرح التابوت الذي فيه موثيق الله جل ذكره وموسى من المحلة؛ يعني من الحكمة حتى هبط العماليق والكنعانيون في ذلك الحائط فحرقوهم وطردوهم وقتلوهم. فتيههم الله عز ذكره في التيه أربعين سنة بالمعصية حتى هلك من كان استوجب المعصية من الله في ذلك. قال: فلما شب النواشى من ذراريهم وهلك آباؤهم، وانقضت الأربعون سنة التي تيهوا فيها، وسار بهم موسى ومعه يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، وكان فيما يزعمون على مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون، وكان لهما صهراً؛ قدم يوشع بن نون إلى أريحاء في بني إسرائيل فدخلها بهم، وقتل الجابرة الذين كانوا فيها، ثم دخلها موسى ببني إسرائيل فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم، ثم قبضه الله إليه لا يعلم قبره أحد من الخلائق.

(١)

قصة البقرة

٩٢-٩٧٨ - حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال: ثنا المعتمر بن سليمان قال: سمعت أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم أو عاقر قال: فقتله وليه ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولو النهي: أتقتلون وفيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: فأتوا نبي الله فقال: اذبحوا بقرة! فقالوا: {قَالُوا أَتَّخِذْنَا هُرُوءًا قَالِ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} ﴿١٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ

(١) تفسير الطبري (٦ / ١٨٣ - ١٨٤) إسناده ضعيف.

[سورة البقرة ٦٧/٢-٦٨] إلى قوله: {فَدَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} قال: فُضِرْبُ فَأَخْبِرُهُمْ بِقَاتِلِهِ. قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهباً. قال: ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك. (١)

٩٣-٩٧٩ - وحديثي المثنى قال: ثنا آدم قال: حدثني أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قول الله {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدَبَّحُوا بُقَرَةً} قال: كان رجل من بني إسرائيل وكان غنياً، ولم يكن له ولد، وكان له قريب، وكان وارثه فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق، وأتى موسى عليه السلام فقال له: إن قريبي قتل، وأتى إلي أمر عظيم، وإني لا أجد أحداً يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله. قال: فنادى موسى في الناس: أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا بينه لنا! فلم يكن عندهم علمه، فأقبل القاتل على موسى فقال: أنت نبي الله فاسأل لنا ربك أن يبين لنا! فسأل ربه فأوحى الله إليه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدَبَّحُوا بُقَرَةً} فعجبوا وقالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} ١٧ قالوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ بِهَا يَعْنِي هَرْمَةٌ {وَلَا يَكْرَهُ} يعني ولا صغيرة {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ} أي نصف بين البكر والهرمة {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْثُهَا} أي صاف لونها {تَسْرُّ النَّاطِرِينَ} أي تعجب الناظرين. {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ} ١٨ قال إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُوفٌ} أي لم يذللها العمل {تَثِيرُ الْأَرْضِ} يعني ليست بذلول فتثير الأرض {وَلَا تَسْقَى الْحَرثَ} يقول ولا تعمل في الحرث {مُسَلَّمَةٌ} يعني مسلمة من العيوب {لَا شِيَةَ فِيهَا} يقول لا بياض فيها. {قَالُوا الْآنَ حِجَّتْ بِالْحَقِّ} فَدَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}. قال: ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت إياها ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم. ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: {وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ} لما هدوا إليها أبداً. فبلغنا أنهم لم يجدوا البقر التي نعتت لهم إلا عند عجوز عندها يتامى وهي القيمة عليهم، فلما علمت أنهم لا يزكوا لهم غيرها، أضعفت عليهم الثمن، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة، وأنها سألتهم أضعاف ثمنها، فقال لهم موسى: إن الله قد كان خفف عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها! ففعلوا واشتروها فذبحوها. فأمرهم موسى أن يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القليل ففعلوا فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتاً كما كان. فأخذوا قاتله وهو الذي كان أتى موسى فشكى إليه فقتله الله على سوء عمله. (٢)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٣٧) صححه في التفسير الصحيح (١٧٤/١)

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٨/١ وتفسير ابن أبي حاتم ٦٩٥ والبيهقي ٢٢٠/٦ وابن كثير ٢٦٥/١ حسن إسناده الحافظ

وفاة هارون

٩٤-١١٧٧٢ - حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالوا: ثنا يحيى بن يمان قال: ثنا سفيان قال: ثنا أبو إسحاق عن عمارة بن عبد السلولي عن علي - قال: انطلق موسى وهارون عليهما السلام وشبر وشبير فانطلقوا إلى سفح جبل فنام هارون على سريره فتوفاه الله. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله. قالوا: أنت قتلت حسدتنا على خلقه ولينه - أو كلمة نحوها - قال: فاختاروا من شئتم! قال: فاختاروا سبعين رجلاً. قال: فذلك قوله: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾} [سورة الأعراف ١٥٥/٧] قال: فلما انتهوا إليه قالوا: يا هارون من قتلك؟ قال: ما قتلتني أحد ولكنني توفاني الله. قالوا: يا موسى لن نعصي بعد اليوم! قال: فأخذتهم الرجفة. قال: فجعل موسى يرجع يمينا وشمالاً وقال: يا {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾} [سورة الأعراف ١٥٥/٧] قال: فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم. (١)

قصة قارون:

٩٥-٢١٠٤٧ - حدثنا بشر بن هلال الصواف قال: ثنا جعفر بن سليمان الضبعي قال: ثنا علي بن زيد بن جدعان قال: خرج عبد الله بن الحارث من الدار ودخل المقصورة؛ فلما خرج منها جلس وتساند عليها وجلسنا إليه فذكر سليمان بن داود {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١٨﴾} [سورة النمل ٢٧/٣٨] ... إلى قوله {إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [سورة النمل ٢٧/٤٠] ثم سكت عن ذكر سليمان فقال {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ} [سورة القصص ٢٨/٧٦] وكان قد أوتي من الكنوز ما ذكر الله في كتابه {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ} {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [سورة القصص ٢٨/٧٨] قال: وعادى موسى عليه السلام وكان مؤذياً له وكان موسى يصفح عنه ويعفو للقرابة، حتى بنى داراً وجعل باب داره من ذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملاء من بني إسرائيل يغدون عليه ويروحون، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه، فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة

في الفتح (٦/٣٦٦).

(١) تفسير الطبري (٩ / ٧٣) - تفسير ابن كثير (٢ / ٢٥١) وقال: هذا أثر غريب جدا وعمارة لا أعرفه و ايده

الذهبي في الميزان ١٧٧/٣

بالخنا، مشهورة بالسب، فأرسل إليها فجاءته فقال لها: هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك في نسائي على أن تأتيني والملا من بني إسرائيل عندي فتقولي: يا قارون ألا تنهى عني موسى! قالت: بلى. فلما جلس قارون وجاء الملا من بني إسرائيل، أرسل إليها فجاءت فقامت بين يديه فقلب الله قلبها وأحدث لها توبة فقالت في نفسها: لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكذب عدو الله له. فقالت: إن قارون قال لي: هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك بنسائي على أن تأتيني والملا من بني إسرائيل عندي فتقولي: يا قارون ألا تنهى عني موسى فلم أجد توبة أفضل من أن لا أؤدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكذب عدو الله؛ فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يدي قارون، ونكس رأسه، وسكت الملا، وعرف أنه قد وقع في هلكة، وشاع كلامها في الناس حتى بلغ موسى؛ فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى وقال: يا رب عدوك لي مؤذ، أراد فضيحتي وشيبي، يا رب سلطني عليه. فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك. فجاء موسى إلى قارون؛ فلما دخل عليه عرف الشر في وجه موسى له فقال: يا موسى ارحمني؛ قال: يا أرض خذهم قال: فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين، وجعل يقول: يا موسى فأخذتهم إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى: يا موسى ارحمني؛ قال: يا أرض خذهم قال فاضطربت داره وساخت وخسف بقارون وأصحابه إلى سررهم، وهو يتضرع إلى موسى: يا موسى ارحمني؛ قال: يا أرض خذهم فخسف به وبداره وأصحابه. قال: وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم: يا موسى ما أفضك. أما وعزتي لو إياي نادى لأجبتة.

(١)

(١) تفسير الطبري (٢٠ / ١١٨) حسن اسناده كما في قصص الانبياء ص ٤٩٤

الدراسة:

كتب الله على بني إسرائيل التيه في أرض سيناء ضاعوا فيها أربعين سنة لا يستطيعون الخروج منها، وسبب التيه كما قص الله علينا: امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة بعد أن قال لهم موسى عليه السلام: {يَا قَوْمِ انْحُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [سورة المائدة ٥/٢١]

وهذا العصيان موجب للعقوبة قال تعالى {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [سورة المائدة ٥/٢٦]

يقول تعالى لائماً بني إسرائيل على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم من أبيهم إسرائيل، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فرماهم الله في التيه عقوبة لهم. (١)

وكما في الأثر عن الربيع: ((وكانت عذاباً بما اعتدوا وعصوا)) وكان عددهم كبيراً ومع ذلك احتجوا بقوة عدوهم، قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَحُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} [سورة المائدة ٥/٢٢] (٢)

ولما دعوا للقتال وليستعينوا بالله قالوا فحشاً من القول، قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَنْدَحُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [سورة المائدة ٥/٢٤] وهذه المقولة الشنيعة من بني إسرائيل هي التي ذكر بها المقداد بن الاسود -- النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، قال: ((يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى {فَادْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} ولكن امض ونحن معك.)) (٣)

(١) تفسير ابن كثير ٥/٢

(٢) وردت آثار في تعداد بني إسرائيل كستمائة الف وغيرها وهو عدد كبير لم يرد فيه توقيف ورد مثل هذه المجازفات غير واحد من اهل العلم ونسبها الى الإسرائيليات ومن توسع في ذلك ابن خلدون في مقدمته (مقدمة ابن خلدون ج: ١ ص: ١٠)

(٣) رواه البخاري في المغازي والتفسير ٣٩٥٢ و٤٦٠٩ والنسائي في التفسير ١٦٠

المراد بالأرض المقدسة

وردت آثار مختلفة في المراد :

١- فقييل الطور.

٢- وقيل الشام.

٣- وقيل أريحا.

٤- وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن. وقيل غير ذلك.

ولم أقف على دليل صحيح في هذه المسألة، ولكن لن تخرج عن أن تكون من الأرض

التي ما بين الفرات وعريش مصر للإجماع أن هذه المنطقة هي الأرض المقدسة. (١)

وقال القرطبي في قوله تعالى: {وَإِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ} [سورة

البقرة ٦١/٢] كان هذا القول منهم في التيه، حين ملوا المن والسلوى، وتذكروا عيشهم

الأول بمصر، قال الحسن: ((كانوا ثناني، أهل كراث وأبصال وأعداس، فنزعوا إلى

عكرهم عكر السوء، واشتأقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم، فقالوا لن نصبر على

طعام واحد))، وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان؛ لأنهم كانوا يأكلون

أحدهما وصله فلذلك قالوا طعام واحد، وقيل: لتكرارهما في كل يوم غذاء، كما تقول لمن

يдаوم على الصوم والصلاة والقراءة هو على أمر واحد لملازمته لذلك، وقيل: المعنى لن

نصبر على الغنى فلهذا فيكون جميعنا أغنياء، فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض،

لاستغناء كل واحد منا بنفسه. (٢)

قوله تعالى: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ} [سورة المائدة

٢٦/٥] استحباب الله دعاءه وعاقبهم في التيه أربعين سنة، وأصل التيه في اللغة: الحيرة،

يقال: منه تاه يتيه تيهًا وتوهاً إذا تحير، وتيتهه وتوتهه بالياء والواو والياء أكثر، والأرض

التيهية التي لا يهتدى فيها، وأرض تيه وتيهاء، فكانوا يسيرون في فراسخ قليلة. قيل في قدر

سنة فراسخ يومهم وليلتهم فيصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا، فكانوا سيارة

لا قرار لهم، واختلف هل كان معهم موسى وهرون عليهما السلام؟

(١) انظر الأقوال والترجيح في تفسير الطبري ٥١٣/٤، ٥١٢، وتفسير المنار ٣٢٥/٦

(٢) تفسير القرطبي ٤٢٢/١

١- فقييل: لا؛ لأن التيه عقوبة، وكان سنو التيه بعدد أيام العجل، فقبلوا على كل يوم سنة، وقد قال موسى عليه السلام: فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين.
٢- وقيل: كانا معهم لكن سهل الله الأمر عليهما، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، أي أنهم ممنوعون من دخولها، كما يقال حرم الله وجهك على النار، وحرمت عليك دخول الدار، فهو تحريم منع لا تحريم شرع عن أكثر أهل التفسير كما قال الشاعر:

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري إني أمرؤ صرعي عليك حرام
أي أنا فارس فلا يمكنك صرعي وقال أبو علي: يجوز أن يكون تحريم تعبد.
فإن قيل: كيف يجوز على جماعة كثيرة من العقلاء أن يسيروا في فراسخ فلا يهتدوا للخروج منها؟ فالجواب: قال أبو علي: قد يكون ذلك بأن يحول الله الأرض التي هم عليها إذا ناموا فيردهم.

قلت: الله قادر على حجب الطريق الصحيح دون ما ذكره من افتراض، كما حجب عنا رؤية قوم يأجوج ومأجوج.

مما حصل في التيه:

أولاً: وفاة هارون:

ذكر وفاة هارون بن عمران عليه السلام فإنه مات قبل موسى عليه السلام .
عن وهب بن منبه قال: ((نعى الله هارون لموسى عليهما السلام حين أراد الله أن يقبضه، فلما نعا له حزن، فلما قبض جزع جزعاً شديداً وبكى بكاء طويلاً، فلما عاد في ذلك أقبل الله تعالى عليه يعزيه ويعظه، فقال له: يا موسى ما كان ينبغي لك أن تحن إلى فقد شيء معي، ولا أن تستأنس بغيري، ولا أن تشد ركبك إلا بي، ولا أن يكون جزعك هذا الآن على هارون إلا بي، وكيف تستوحش إلى شيء من الأشياء وأنت تسمع كلامي، أم كيف تحن إلى فقد شيء من الدنيا بعد إذ اصطفتك برسالاتي وبكلامي، وذكر مناجاة طويلة قال فأتى هارون وموسى بن سبع عشرة ومائة سنة، قبل أن ينقضي التيه بثلاث سنين، فأتى هارون وهو بن عشرين ومائة سنة بقي موسى بعده ثلاث سنين حتى تم له مائة وعشرون سنة، وبنو إسرائيل متفرقون عليه، يجتمعون عليه مرة، ويفترقون أخرى.))

عن عبد الله بن مسعود _ وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الله أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أي متوفى هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل، فإذا هم بشجرة مثلها بيت مبني، وإذا هم فيه بسرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيب، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، وقال يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: فتم عليه. قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي. قال له موسى: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فتم. فقال: يا موسى بل نم معي، فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً. فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة، ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وليس معه هارون، قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له، وكان هارون آلف عندهم وألين لهم من موسى عليهما السلام، وكان في موسى بعض الغلظ عليهم، فلما بلغه ذلك، قال لهم: ويحكم إنه كان أخي، أفتروني أقتله، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه))، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. (١)

ثانياً: قصة موسى والخضر

لقي نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم - في فترة التيه - (٢) الرجل الصالح الخضر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تمتاز من خلفه خضراء.)) (٣) وقص الله ما دار بينهما في سورة الكهف، وتفصيلها كما في الصحيحين: عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما: ((إن نوباً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن إسرائيل إنما هو

(١) تفسير ابن كثير ٥/٢

(٢) كان موسى في التيه فلما فارقه الخضر رجع إلى قومه وهم في التيه وقيل كانت قبل خروجه من مصر والله أعلم

قاله العيني في عمدة القاري ج: ٢ ص: ١٩٦

(٣) وردت آثار في اسم الخضر فقيل العزيز وقيل أرميا وقيل غير ذلك كما في تفسير الطبري (٣/ ٢٨)

موسى آخر، فقال كذب عدو الله.)) حدثنا أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به، - وربما قال سفيان أي رب وكيف لي به - قال تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم، - وربما قال فهو ثمه - وأخذ حوتاً فجعله في مكمل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق، فقال هكذا مثل الطاق، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله. قال له فتاه: {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً} [سورة الكهف ١٨/٦٣] فكان للحوت سرباً ولهما عجباً قال له موسى: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدًّا عَلَيَّ أَتَّارِهِمَا قَصَصاً} [سورة الكهف ١٨/٦٤] رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب فسلم موسى فرد عليه، فقال وأنى بأرضك السلام؟! قال: أنا موسى، قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك؟ {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} ﴿٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٨﴾} [سورة الكهف ١٨/٦٧-٦٨] إلى قوله {إِمْرًا} فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كملوهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر، إذ أخذ الفأس فنزع لوحاً، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدم، فقال له موسى: ما صنعت قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً! {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾} [سورة الكهف ١٨/٧٢-٧٣]

[٧٣] فكانت الأولى من موسى نسياناً، فلما خرجا من البحر مروا بـغلام يلعب مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا وأوماً سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً، فقال له موسى: { أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ } قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ } فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض { [سورة الكهف ١٨/٧٤-٧٧] مائلاً أوماً بيده هكذا - وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوق - فلم أسمع سفيان يذكر مائلاً إلا مرة، قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم لو شئت لاتخذت عليه أجراً، { قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَتَّأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا } [سورة الكهف ١٨/٧٨] قال النبي صلى الله عليه وسلم: وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما، قال سفيان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله موسى، لو كان صبر لقص علينا من أمرهما، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما (أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً) وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين ثم قال لي سفيان: سمعته منه مرتين وحفظته منه، قيل لسفيان: حفظته قبل أن تسمعه من عمرو أو تحفظته من إنسان فقال ممن أتفظه ورواه أحد عن عمرو غيري سمعته منه مرتين أو ثلاثاً وحفظته منه.)) (١)

ثالثاً: بقرة بنجي إسرائيل :

وفي التيه حصل ما قص الله من خبر القتل الذي طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يخبرهم بقاتله وقد تقدم في الأثر السابق تفصيل القصة. وفيها توبيخ من الله ليهود المدينة بسبب نقض آبائهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بطاعة أنبيائه، ويقول لهم اذكروا من نقضكم لميثاقي قصة آباءكم مع البقرة التي أمرهم موسى بذبحها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣/ص ١٢٤٦/ح ٣٢٢٠

و مسلم في صحيحه ج ٤/ص ١٨٥٠/ح ٢٣٨٠، ج ٤/ص ١٨٥٢/ح ٢٣٨٠، ج ٤/ص ١٨٥٤/ح ٢٣٨٠.

قال ابن كثير: "أخبر تعالى عن تعنت بني إسرائيل، وكثرة سؤالهم لرسولهم، ولهذا لما ضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم، كما قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد ولكنهم شددوا فشدد عليهم." (١)

رابعاً: قصة قارون

ذم الله تبارك وتعالى قارون في أكثر من آية فقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٣٤﴾} [سورة غافر ٢٣-٢٤/٤٠] ، وقال تعالى: {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَائِقِينَ ﴿٦١﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٢﴾} [سورة العنكبوت ٢٩/٣٩-٤٠]

وألقى النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة بقارون، كما أخرج الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً، فقال: ((من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له برهان ولا نور ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وفرعون وأبي بن خلف.)) (٢)

وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله تعالى: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} [سورة القصص ٢٨/٨١] وهو الراجح للآتي:

- ١- لأن إرسال موسى كان للطغاة الثلاثة: فرعون وهامان وقارون.
- ٢- ولأن الآية نصت على خسف داره والدور لم تكن في الصحراء،

(١) تفسير ابن كثير ٢٦٥-٢٦٦/١ وقال بعد سياق الروايات الكثيرة في اسباب القصة: وهذه السياقات عن عبادة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما والظاهر أنها ما خوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم.

(٢) مسند الامام أحمد ج ٢/ص ١٦٩/ح ٦٥٧٦. أخرجه ابن حبان في صحيحه ج ٤/ص ٣٢٩/ح ١٤٦٧ و عبد بن حميد في مسنده ج ١/ص ١٣٩/ح ٣٥٣. و الدارمي في سننه ج ٢/ص ٣٩١/ح ٢٧٢١. و الطبراني في معجمه الأوسط ج ٢/ص ٢١٣/ح ١٧٦٧

وقد توقف ابن كثير وأورد الاحتمالين. ووجه الدار الى أنها عبارة عن المحلة التي تضرب فيها الخيام، والله أعلم بالصواب. (١)

خامساً: وفاة موسى عليه السلام

مكث موسى عليه السلام ما شاء الله يربي أبناء الذين كتب عليهم التيه، ويعددهم لدخول الأرض المقدسة، ثم حان أجله، وكما في الحديث الصحيح أن الله يخير أنبيائه قبل موتهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها : ((كنت أسمع أنه لن يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة)) قالت فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول: (({مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [سورة النساء ٤/٦٩] قالت فظننته خير حينئذ.)) (٢)

وهكذا موسى عليه السلام جاءه الملك يخبره وخبر ذلك ما قصه لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ففي الصحيحين عن أبي هريرة _ قال: ((أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن، فسأل الله أن يديه من الأرض المقدسة رمية بحجر)) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر.)) (٣)

وهذا هو الصحيح من موته عليه السلام في التيه بدليل طلبه أن يديه من الأرض المقدسة. وفي المسند في سياق حديث الإسراء قال صلى الله عليه وسلم : ((لما أسري بي مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر.)) (٤)

(١) قصص القرآن لابن كثير ٣٧٥

(٢) صحيح البخاري ٤١٧١ وصحيح مسلم ٢٤٤٤

(٣) صحيح البخاري ١٢٧٤ ومسلم ٣٩٩

(٤) مسند أحمد ج ٣/ص ١٤٨/ح ١٢٥٢٦. أخرجه النسائي في سننه ج ٣/ص ٢١٥/ح ١٦٣١، ج ٣/ص ٢١٦/ح ١٦٣٢

والطبراني في معجمه الكبير ج ١١/ص ١١١/ح ١١٢٠٧. وللتفصيل قصص الأنبياء لابن كثير ٥٠٩

وتحديد الكتيب الأحمر خارج الأرض المقدسة يكذب ادعاء وجود قبره داخل فلسطين، وأن بني إسرائيل نقلوا جثمانه معهم ودفنوه بين أريحا وبيت المقدس. (١)

سادساً : غير ذلك من الإسرائيليات فيما حصل في النيه

قال الإمام ابن كثير: "وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا آثارا فيها مجازفات كثيرة باطلة، يدل العقل والنقل على خلافها: من أنهم كانوا أشكالا هائلة ضخاما جدا، حتى إنهم ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفهم في أكامه وحجزة سراويله وهم إثنا عشر رجلاً، فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين، فقال: ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه، وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها، وأن الملك بعث معهم عنباً كل عنبة تكفي الرجل، وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم، وهذا ليس بصحيح، وذكروا ههنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراع هكذا ذكره البغوي (٢) وغيره، وليس بصحيح كما قدمنا بيانه عند قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله خلق آدم عليه السلام طوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن (٣) قالوا فعمد عوج إلى قمة

(١) يدعى ذلك الإسرائيليون الصهاينة ويتابعهم بعض المسلمين انظر القصص القرآني د صلاح الخالدي ٣/١٤١

(٢) معالم التنزيل ٢/٢٥٣

(٣) البداية والنهاية ج: ١ ص: ١٤٤ وله هنا تعليق لطيف أنقله لفائدته في النقل عن أهل الكتاب قال: 'المقصود أن الله لم يبق من الكافرين دياراً فكيف يزعم بعض المفسرين ان عوج بن عنق ويقال ابن عناق كان موجوداً من قبل نوح إلى زمان موسى ويقولون كان كافراً متمرداً جباراً عنيداً ويقولون كان لغير رشدة بل ولدته أمه عنق بنت آدم من زنا وإنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وإنه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيبة التي لك ويستهزئ به ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاثاً إلى غير ذلك من الهذيانات التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها وركاكتها ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الإيمان ولا يهلك عوج بن عنق ويقال عناق وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ولا الصبي ويترك هذا الدعوى الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المريد على ما ذكروا وأما المنقول فقد قال الله تعالى ثم أغرقنا الآخرين وقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ثم هذا الطول الذي ذكره مخالف لما في الصحيحين عن النبي ' أنه قال إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن فهذا

جبل فاقتلعها ثم أخذها بيديه ليلقيها على جيش موسى فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقتها صارت طوقا في عنق عوج بن عنق، ثم عمد موسى إليه فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع، وبيده عصاه وطولها عشرة أذرع، فوصل إلى كعب قدمه فقتله، يروى هذا عن عوف البكالي ونقله ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي إسناده إليه نظر، ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات، وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل، فإن الأخبار الكذبة قد كثرت عندهم، ولا تميز لهم بين صحتها وباطلها، ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم، وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم. (١)

نص الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن أي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم إلى يوم آخره بذلك وهلم جر إلى يوم القيامة وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه فكيف يترك هذا ياهل عنه ويصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المتزلة وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق الا اختلافا من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج: ١ ص: ٢٧٨

المسألة الخامسة: النسليط عليهم و نشريدهم في الارض

الآثار:

قوله تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ }

٩٦-١١٨٨٤ - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ } قال: أمر ربك. (١)

٩٧-١١٨٨٥ - حدثني المثني بن إبراهيم وعلي بن داود قالوا: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ } قال: هي الجزية، والذين يسومونهم: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته إلى يوم القيامة. (٢)

٩٨-١١٨٨٦ - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ } فهي المسكنة، وأخذ الجزية منهم. (٣)

٩٩- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس رضي الله عنهما: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ } قال: يهود، وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة. (٤)

١٠٠-١١٨٨٧ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ } قال: فبعث الله عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة. (٥)

(١) تفسير الطبري (٩ / ١٠٢) صححه في التفسير الصحيح (٣٥٨/٢)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ١٠٢) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٩٢) حسنه في التفسير الصحيح (٣٥٩/٢)

(٣) تفسير الطبري (٩ / ١٠٢) إسناده ضعيف

(٤) تفسير الطبري (٩ / ١٠٢)

(٥) تفسير الطبري (٩ / ١٠٢) - مصنف عبد الرزاق (٦ / ٢٢) حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

١٠١-١١٨٨٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {٧٧} قال: بعث عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة. وقال عبد الكريم الجزري: يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية. (١)

١٠٢-١١٨٨٩ - حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: {وَإِذْ تَأْتِيَنَّكَ رُبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {٧٧} قال: العرب. {سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} {٤١} قال: الخراج. وأول من وضع الخراج موسى عليه السلام، فجى الخراج سبع سنين. (٢)

١٠٣- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: {وَإِذْ تَأْتِيَنَّكَ رُبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {٧٧} قال: العرب. {سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} {٤١} قال: الخراج. قال: وأول من وضع الخراج موسى، فجى الخراج سبع سنين. (٣)

١٠٤- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: {وَإِذْ تَأْتِيَنَّكَ رُبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {٧٧} قال: هم أهل الكتاب، بعث الله عليهم العرب يجوبهم الخراج إلى يوم القيامة، فهو سوء العذاب، ولم يجب نبي الخراج قط إلا موسى عليه السلام ثلاث عشرة سنة ثم أمسك، وإلا النبي صلى الله عليه وسلم. (٤)

١٠٥-١١٨٩٠ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: {وَإِذْ تَأْتِيَنَّكَ رُبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {٧٧} قال: يبعث عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة. (٥)

١٠٦-١١٨٩١ - قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني عبد الكريم، عن ابن المسيب، قال: يستحب أن تبعث

(١) تفسير الطبري (٩ / ١٠٣) - تفسير عبد الرزاق (٢ / ٢٤٠) صححه في التفسير الصحيح (٣ / ٢٦٢)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ١٠٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٦٠٤)

(٣) تفسير الطبري (٩ / ١٠٣) - تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦٠) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٩ / ١٠٣) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٩٢) صححه في التفسير الصحيح (١ / ١٦٤).

(٥) تفسير الطبري (٩ / ١٠٢) - مصنف عبد الرزاق (٦ / ٢٢) إسناده ضعيف.

الأنباط في الجزية. (١)

١٠٧-١١٨٩٢ - حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {وَأَذِ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {٧} يقول: إن ربك يبعث على بني إسرائيل العرب، فيسوموهم سوء العذاب: يأخذون منهم الجزية ويقتلوهم. (٢)

١٠٨-١١٨٩٣ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {وَأَذِ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ليعثن على يهود. (٣)

قوله تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا} [سورة الأعراف ٧/١٦٨].

١٠٩-١١٨٩٤ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا} قال: في كل أرض يدخلها قوم من اليهود. (٤)

قوله تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُوهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ} [سورة الحشر ٣/٥٩]

١١٠-٢٦٢٠٢ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ} خروج الناس من البلد إلى البلد. (٥)

١١١-٢٦٢٠٤ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري قال: كان النضير من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي. (٦)

(١) تفسير الطبري (٩ / ١٠٣)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ١٠٣) - تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦٠) حسنه في التفسير الصحيح (٢ / ٢٨١)

(٣) تفسير الطبري (٩ / ١٠٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٦٠٤)

(٤) تفسير الطبري (٩ / ١٠٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٦٠٥) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٩٢)

(٥) تفسير الطبري (٢٨ / ٣١) - تفسير الدر المنثور (٨ / ٩٨) - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٤) حسنه في

التفسير الصحيح (٤ / ٤٦٣)

(٦) تفسير الطبري (٢٨ / ٣١) تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٨٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٣) - المستدرک علی

الصحيحين (٢ / ٥٢٥) وله شواهد صحيحة انظر التفسير الصحيح (٤ / ٤٦٣)

١١٢-٢٦٢٠٥ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان {وَلَوْلَا أَنْ
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ} وكان لهم من الله نعمة {لَعَدَّيْهِمْ فِي الدُّنْيَا} أي بالسيف {وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} مع ذلك. (١)

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ٣١) إسناده ضعيف.

الدراسة:

كتب الله على اليهود بسبب عصيانهم لأوامره -تبارك وتعالى- من يسومهم العذاب بأخذ الجزية منهم وتشتيتهم في الأرض كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف.

قال ابن كثير رحمه الله : "ويقال أن موسى عليه السلام ضرب الخراج سبع سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة، وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشديانيين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى، وإذلالهم إياهم، وأخذهم منهم الجزى والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية." (١)

وقد أجاب القرطبي عن إشكال يفهم من السياق فقال: "إن قيل: فقد مسحوا، فكيف تؤخذ منهم الجزية؟ فالجواب أنها تؤخذ من أبنائهم وأولادهم، وهم أذل قوم، وهم اليهود." (٢)

ثم كتب الله عليهم التقطيع في الأرض والشتات، فقطعهم إثنتي عشرة أسباطاً أمماً، فلن يكون لهم أمة واحدة مجتمعة مستقرة، ولا يعتد باتفاق مؤقت فإن الأصل التفرق، ففي أيام ملكهم الكبير أيام داود وسليمان عليهما السلام ما لبثوا أن تفرقوا إلى مملكتين؛ مملكة (يهودا) ومملكة إسرائيل، ولم يبق لهم كيان متماسك إلى أن قامت دولة إسرائيل المعاصرة -عجل الله زوالها- فهذا قوله تعالى: {وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا} [سورة الأعراف ١٦٠/٧]

وهناك التقطيع الثاني: وهو تفريقهم أمماً، فهم موزعون في شتى الأرض، فلا يجلب منهم قطر، وتجدهم في كل أسقاع المعمورة. (٣)

وقد مر اليهود عبر التاريخ بأدوار كانت غاية بالسوم والاضطهاد، وهذا مصداق قوله تعالى: {وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ} [سورة الأعراف ١٦٠/٧] وهي تتحدث عن تعقب

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٦/٣

(٢) تفسير القرطبي ٢١٠/٧

(٣) التفسير المنير للزحيلي ١٥٠/٩ وتذكير النفس بحديث القدس للعفان ١١٧/٣ بتصرف

هؤلاء اليهود على مر العصور، ولو لم تكن بهم صفات تخالف صفات الآدميين، وأنهم اصطبغوا بما لم يصطبغ به غيرهم من التعنت والصلف والكبرياء والخسة والغدر والخيانة لما خصهم الله — وهو أعلم بهم سبحانه — بكثير من آياته التي تكشف أعمالهم الخاطئة، وتصرفاتهم الهوجاء، وتبين زيفهم الذي يظهرهم على حقيقتهم، وما جبلوا عليه من فسق وفجور، ولقد مرت بهم حالات كانوا هدفاً للاضطهاد والاحتقار، منبوذين أينما ثقفوا، فقد تحدث القرآن الكريم عن معاملة فرعون لهم، وكيف أنه كان يسوهم سوء العذاب، يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم يستعبدهم ويستذلهم يتسلط عليهم ويقهرهم، وسلط الله عليهم الملك (سرجون) ملك آشور فقضى على مملكة إسرائيل، وشتت شملهم وفرق جموعهم سنة ٧٢١ ق.م (١).

ويذكر المؤرخون كيف غزا (بختنصر) بيت المقدس، وخربها واستحل أهلها، وقاد أكثرهم أسرى حوالي سنة ٥٨٦ ق.م، ثم غزاها ثانياً فقتل المقاتلة وسبى الذرية (٢)، في سنة ٢٠٣ ق.م. اضطهد حكام سوريا اليهود حين استحلوا بلادهم، وأثقلوهم بالضرائب وفتنوهم عن دينهم.

وقد استولى أحد الرومان (بومبيه) على مملكة يهوذا وجعلها أقليماً رومانياً (٣)، وفي سنة ٧٠ للميلاد ثار اليهود على الرومان فاضطروا للاستيلاء على (أورشليم)، وأصدر الأمبراطور (تيتوس) أمراً بإحراق معبدهم، وذبح معظم أهلها، وبيع من بقي منهم، وفي سنة ١٣٥م قامت ثورة ضد الرومان وكانت قد أنشئت مدينة اليهود من جديد، مما جعل الأمبراطور الروماني (أديان) يأمر بهدم المدينة من أساسها، والقضاء على اليهود، وقد ذبح منهم ٥٠٠٠٠٠٠٠ وتم بيع الباقين، وتشريدهم في أرجاء الأرض. (٤).

أجلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعض قبائلهم من المدينة المنورة، وقضى على أخرى بعد أن تبين له غدرهم وخيانتهم وتآمرهم مع أعداء المسلمين، وقتلهم في خيبر حتى استحل بلادهم حين عرف أنهم يكيدون له ويجمعون له الجموع. وسيأتي مزيد

(١) مقارنة الأديان (اليهودية ٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١/٥٣٨) ومقارنة الأديان (٨٥)، اليهود في القرآن (٨٨).

(٣) اليهود في القرآن (٨٨).

(٤) مقارنة الأديان (٩٠)، اليهود في القرآن (٨٩).

تفصيل لذلك في الباب الثالث بإذن الله.

وأجلهم عمر بن الخطاب _ من كافة جزيرة العرب متمثلاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)). (١)

(وقد لبثوا عدة قرون يسامون الخسف من قبل الأمم المسيحية الذين يرون أن مطاردتهم واضطهادهم إنما هو عنوان الصلاح والتقوى عندهم، فقد هاجمهم وامتهنهم واحتقروهم حتى لم ينجحهم منهم إلا الإسلام يتفيتون ضلاله في الأندلس، ولكنه حين قلص هذا الظل واستولى النصارى على الحكم لم يعد ذلك الملاذ لهم، فقررروا إخراج اليهود وتعقبهم في كل مدن الأندلس، وقد بذلك رجال الكنيسة الكاثوليكية كل جهودهم في سبيل طرد العنصر اليهودي، فكان أن أرغم جميع اليهود الذين لم يعتنقوا المسيحية على مغادرة البلاد الأسبانية وإلا حكم عليهم بالإعدام، وقد وقع كثيرون منهم في يد القراصنة، فجردوهم من أموالهم واتخذوهم عبيداً أرقاء، وقد لجأ كثير منهم إلى البرتغال، ولكن القساوسة أثاروا الرأي العام عليهم، فتم إبعاد جميع البالغين منهم، أما الأولاد التي لا تتجاوز أعمارهم أربعة عشر عاماً فقد انتزعوا من أحضان أمهاتهم لكي يربوا، وينشؤوا على مبادئ الدين المسيحي) (٢)، ولم يقتصر طرد اليهود من أسبانيا والبرتغال بل طردوا وشردوا من جميع دول أوروبا.

- ففي إنجلترا طر الملك (إدوارد) اليهود سنة ١٢٩٠م.
- وفي فرنسا طردهم الملك (فيليب) سنة ١٣٠٦ وسمح لعدد ضئيل منهم بالعودة، ولكنهم طردوا بعد ذلك سنة ١٣٩٤م.
- ومن البحر طردوا سنة ١٣٦٠م ولكنهم ما لبثوا أن عادوا حتى طردوا سنة ١٥٨٢م.
- وفي سنة ١٣٧٠م طردوا من بلجيكا.
- وفي تشيكوسلوفاكيا شردوا من براغ سنة ١٣٨٠م وكثيرون منهم عادوا فاستوطنوها سنة ١٥٦٢ وفي سنة ١٧٤٤ طردهم الإمبراطورة (ماريا تيريزا) (٣).

(١) رواه مالك في الموطأ ٨٩٢/٢ والبيهقي في سننه ١١٥/٦ وبنحوه في مسند احمد ٢٧٤/٦

(٢) اليهود في القرآن (٩٠) بتصرف.

(٣) اليهود في القرآن (٩٠).

- وقد تم طردهم من النمسا على يد الملك (البريخت الخامس) سنة ١٤٢٠م.
 - وفي سنة ١٤٤٤م طردوا من أتوريخت في هولندا.
 - ومن إيطاليا طردوا من مملكة نابلي وسردينيا سنة ١٥٤٠م.
 - ونفوا من بافاريا في ألمانيا سنة ١٥٥١م، ثم كثر اضطهادهم على يد النازيين في الحرب العالمية الثانية، وأزهقت أرواح مئات الألوف منهم.
 - أما في روسيا فقد طردوا منها سنة ١٥١٠م ثم عادوا تدريجياً إليها متعرضين لأنواع شتى من الاضطهادات وأبرزها ما حصل في أوكرانيا عام ١٩١٩م. (١).
- وسيستمر أمر الله فيهم حتى يذوقوا المهانة والقتل على يد المسلمين قال صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يحتبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود.)) (٢)

(١) اليهود في القرآن (٩٠ — ٩١).

(٢) رواه مسلم ج: ٤ ص: ٢٢٣٩

المسألة السادسة: المسخ قرده وخنازير

الآثار:

قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً} [سورة البقرة ٦٥/٢]

١١٣ - ٩٥٠ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً} يقول: ولقد عرفتم وهذا تحذير لهم من المعصية يقول: احذروا أن يصيبكم ما أصاب أصحاب السبت إذ عصوني {اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً} يقول اجترؤوا في السبت. قال: لم يبعث الله نبيا إلا أمره بالجمعة وأخبره بفضلها وعظمتها في السموات وعند الملائكة وأن الساعة تقوم فيها فمن اتبع الأنبياء فيما مضى كما اتبعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم محمدا قبل الجمعة وسمع وأطاع وعرف فضلها وثبت عليها بما أمره الله تعالى به ونبهه صلى الله عليه وسلم ومن لم يفعل ذلك كان بمنزلة الذين ذكر الله في كتابه فقال: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً} . وذلك أن اليهود قالت لموسى حين أمرهم بالجمعة وأخبرهم بفضلها: يا موسى كيف تأمرنا بالجمعة وتفضلها على الأيام كلها والسبت أفضل الأيام كلها؛ لأن الله خلق السموات والأرض والأقوات في ستة أيام وسبت له كل شيء مطيعاً يوم السبت وكان آخر الستة؟ قال: وكذلك قالت النصارى لعيسى ابن مريم حين أمرهم بالجمعة قالوا له: كيف تأمرنا بالجمعة وأفضل الأيام أفضلها وسيدها والأول أفضل والله واحد والواحد الأول أفضل؟ فأوحى الله إلى عيسى أن دعهم والأحد ولكن ليفعلوا فيه كذا وكذا مما أمرهم به. فلم يفعلوا فقص الله تعالى قصصهم في الكتاب بمعصيتهم. قال: وكذلك قال الله لموسى حين قالت له اليهود ما قالوا في أمر السبت: أن دعهم والسبت فلا يصيدوا فيه سمكاً ولا غيره ولا يعملون شيئاً كما قالوا. قال: فكان إذا كان السبت ظهرت الحيتان على الماء فهو قوله: {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [سورة الأعراف ١٦٣/٧] يقول: ظاهرة على الماء ذلك لمعصيتهم موسى. وإذا كان غير يوم السبت صارت صيداً كسائر الأيام فهو قوله: {وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} . ففعلت الحيتان ذلك ما شاء الله؛ فلما رأوها كذلك طمعوا في أخذها وخافوا العقوبة فتناول بعضهم منها فلم تمتنع عليه وحذر العقوبة التي حذرهم موسى من الله تعالى. فلما رأوا أن العقوبة لا تحل بهم عادوا وأخبر بعضهم بعضاً بأنهم قد

أخذوا السمك ولم يصبههم شيء، فكثروا في ذلك وظنوا أن ما قال لهم موسى كان باطلاً وهو قول الله جل ثناؤه: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُوتُوا قِرْدَةً خَاسِيَةً ﴿٦٥﴾} يقول لهؤلاء الذين صادوا السمك فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول: إذا لم يحيوا في الأرض إلا ثلاثة أيام ولم تأكل ولم تشرب ولم تنسل، وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الأيام التي ذكر الله في كتابه، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن شاء كما يشاء ويجوله كما يشاء. (١)

١١٤-٩٥٥ - حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُوتُوا قِرْدَةً خَاسِيَةً} قال: لم يمسخوا، إنما هو مثل ضربه الله لهم مثل ما ضرب مثل الحمار يحمل أسفاراً. (٢)

١١٥-٩٥٦ - حدثنا بشار قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {كُوتُوا قِرْدَةً خَاسِيَةً} [سورة البقرة ٦٥/٢] قال: صاغرين. (٣)

١١٦-٩٥٧ - حدثني الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة: {خَاسِيَةً} قال: صاغرين. (٤)

قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا} [سورة البقرة ٦٦/٢].

١١٧-٩٦٠ - حدثنا به أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بشر بن عمارة قال: حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: {فَجَعَلْنَاهَا} فجعلنا تلك العقوبة وهي المسخنة نكالاً. (٥)

قوله تعالى: {لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا} [سورة البقرة ٦٦/٢].

١١٨-٩٦٩ - حدثني به موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدي: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا} قال: أما ما بين يديها: فما سلف من عملهم {وما خلفها} فمن كان

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٢٩- ٣٣٠) - تفسير ابن كثير (١/ ١٠٦- ١٠٧)

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٣٢) - تفسير الدر المنثور (١/ ١٨٥) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٦)

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٣٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٣٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٧)

(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٣٣) - تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٣٣) - تفسير

ابن كثير (١/ ١٠٧) صححه في التفسير الصحيح (١٧٢/١)

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٣٣) - تفسير الدر المنثور (١/ ١٨٥) رواه ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية

انظر التفسير الصحيح (١٧٢/١)

بعدهم من الأمم أن يعصوا فيصنع الله بهم مثل ذلك. (١)

قوله تعالى: {وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ} [سورة المائدة ٦٠/٥].

١١٩-٩٥٣٢ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عن عمرو بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري قال: حدثت أن المسخ في بني إسرائيل من الحنازير كان أن امرأة من بني إسرائيل كانت في قرية من قرى بني إسرائيل، وكان فيها ملك بني إسرائيل، وكانوا قد استجمعوا على الهلكة إلا أن تلك المرأة كانت على بقية من الإسلام، متمسكة به فجعلت تدعو إلى الله حتى إذا اجتمع إليها ناس فتابعوها على أمرها قالت لهم: إنه لا بد لكم من أن تجاهدوا عن دين الله، وأن تنادوا قومكم بذلك فاخرجوا فإني خارجة! فخرجت وخرج إليها ذلك الملك في الناس، فقتل أصحابها جميعاً وانفلتت من بينهم. قال: ودعت إلى الله حتى تجمع الناس إليها، حتى إذا رضيت منهم أمرتهم بالخروج، فخرجوا وخرجت معهم وأصيبوا جميعاً وانفلتت من بينهم. ثم دعت إلى الله حتى إذا اجتمع إليها رجال استجابوا لها أمرتهم بالخروج فخرجوا وخرجت فأصيبوا جميعاً وانفلتت من بينهم. فرجعت وقد أيست وهي تقول: سبحان الله لو كان لهذا الدين ولي وناصر لقد أظهره بعد! قال: فباتت محزونة وأصبح أهل القرية يسعون في نواحيها حنازير وقد مسخهم الله في ليلتهم تلك، فقالت حين أصبحت ورأت ما رأت: اليوم أعلم أن الله قد أعز دينه وأمر دينه! قال: فما كان مسخ الحنازير في بني إسرائيل إلا على يدي تلك المرأة. (٢)

١٢٠-٩٥٣٣ حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله: {وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ} قال: مسخت من يهود. (٣)

١٢١-٩٦٠١ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا جرير عن حصين عن مجاهد: {لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [سورة المائدة ٧٨/٥] قال: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة ولعنوا على لسان عيسى فصاروا حنازير. (٤)

١٢٢- حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} بكل لسان؛ لعنوا على عهد موسى عليه السلام في التوراة، وعلى عهد داود عليه السلام في الزبور، وعلى عهد عيسى عليه السلام في الإنجيل، ولعنوا على

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٣٥)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٢٩٣) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٦ / ٢٩٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٦٥)

(٤) تفسير الطبري (٦ / ٣١٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٨٢) - تفسير الدر المنثور (٣ / ١٢٦)

لسان محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن. (١)

١٢٣- قال ابن جريج وقال آخرون: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ} على عهده فلعنوا بدعوته. قال: مر داود عليه السلام على نفر منهم وهم في بيت فقال من في البيت؟ قالوا: خنازير قال: اللهم اجعلهم خنازير! فكانوا خنازير؛ ثم أصابتهم لعنته. ودعا عليهم عيسى عليه السلام فقال: اللهم العن من افتري علي وعلى أمي واجعلهم قردة خاسئين. (٢)

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣١٧) - تفسير الدر المنثور (٣ / ١٢٦)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٣١٧)

الدراسة:

مما أبتلى الله به بني إسرائيل يوم السبت، وما منعهم الله من صيد الحيتان فيه كما هو مفصل في ما سبق من الآثار.

وأمام هذه المعصية صار القوم ثلاثة أصناف:

١- صنف وقف عند حدود الله ونهى الآخرين عن المعصية.

٢- وصنف أمسك عن المعصية ولكنه سكت عن العصاة.

٣- وصنف وقع في المعصية وانتهك حدود الله.

ووقع خلاف بين السلف عن من وقع عليه الهلاك فيجزمون أن العاصين مسخوا ويختلفون في الذين أمسكوا وقالوا: {لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} [سورة الأعراف ١٦٤/٧]

وقد فصل ذلك ابن كثير ثم قال: "فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا" (١)

١- وقد مسخ الله العصاة وتحولوا الى قردة خاسئين لها أذنان تتعاوى بعدما كانوا رجالاً ونساءً، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وجمع من التابعين.

٢- و ذهب مجاهد رحمه الله الى أن المسخ معنوي كما رواه الطبري، وأنه مسخ لأرواحهم وقلوبهم، وهو مثل ضربه الله كمثل الحمار الذي ضربه يحمل أسفاراً.

قال القرطبي: ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم. (٢)

وقد خالفه الطبري وبين مخالفته للإجماع، وعلل أن فهمه هذا مخالف لظاهر القرآن، وليس بجيد فقال: "وهذا القول الذي قاله مجاهد قول مخالف لظاهر ما دل عليه كتاب الله، وذلك: أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم: {أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً} [سورة النساء ١٥٣/٤] وأن الله - تعالى ذكره- أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم، وأنهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم، وأنهم

(١) تفسير ابن كثير ١/٢٢٣-٢٢٤

(٢) تفسير القرطبي ١/٣٠٠

أمروا بدخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم: { اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } [سورة المائدة ٢٤/٥] فابتلاهم بالتيه. فسواء قال قائل: هم لم يمسحهم قرده وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قرده وخنازير، وآخر قال: لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم من الخلاف على أنبيائهم والعقوبات والأنكال التي أحلها الله بهم. ومن أنكر شيئاً من ذلك وأقر بآخر منه سئل البرهان على قوله وعورض فيما أنكر من ذلك بما أقر به، ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو أثر صحيح. هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه، وكفى دليلاً على فساد قول إجماعها على تخطئته. " (١)

ومما يؤيد أن المسخ حقيقي ولا يستغرب قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أم حبيبة رضي الله عنها وفيه: فقال رجل: ((يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ)) فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الله عز وجل لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلًا، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك.)) (٢)

وهذا الذي عاقبهم به الله ذكر أن أصحابه هم من أشر خلق الله: لعنهم وطردهم من رحمته ومسحهم كما قال تعالى: { قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } [سورة المائدة ٦٠/٥]

كل ذلك تحذيراً لبني إسرائيل المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولمن جاء بعدهم، وللمسلمين حتى يطيعوا أمر الله ولا يتعدوا حدوده، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } [سورة النساء ٤٧/٤] (٣)

(١) تفسير الطبري ٣٧٣/١

(٢) صحيح مسلم ٣٦٦٣ وابن حبان ٢٩٦٩

(٣) يذكر بعض الكتاب أن من الأمور التي دعت اليهودي (دارون) إلى القول بنظرية التطور وأن أصل الإنسان في بعض أطواره كان قرداً تكذيب القرآن، تقول الباحثة انعام قدوح: فلقد كانت اليهودية رائدة علم الطبيعيات الذي وضع أصوله (دارون) على أساس زعمه أن الإنسان أصله قرده؛ ولا يخفى أن الغاية من وراء هذا الزعم هي "تكذيب القرآن في بيان هذه العلة وهي أن الله مسخ عصاة اليهود في عهد نبيه موسى (ع) وجعلهم قرده

المسألة السابعة: نحرير بعض الطيبات

الآثار:

قوله تعالى: {فَيُظْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ} [سورة النساء ٤/١٦٠].
١٢٤-٨٥١٧ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: {فَيُظْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ}... الآية عوقب القوم بظلم ظلموه وبغى بغوه حرمت عليهم أشياء بغيرهم وبظلمهم. (١)

قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} [سورة الأنعام ٦/٤٦].
١٢٥-١٠٩٦٢ - حدثني المثني وعلي بن داود قالا: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} وهو البعير والنعامة. (٢)

١٢٦-- حدثني محمد بن سعد قال: ثنا أبي قال: ثنا عمي قال: ثنا أبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} قال: البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب. (٣)
١٢٧-١٠٩٦٣ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} قال: هو ليس الذي بمنفراج الأصابع. (٤)

١٢٨-١٠٩٦٩ - حدثني الحرث قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا شيخ عن مجاهد في قوله: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} قل: النعامة والبعير شقا شقا قال: قلت: "ما شقا شقا؟" قال كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود البعير والنعامة؛ والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لأنها قد فرجت. (٥)
١٢٩-١٠٩٧٠ - حدثني به يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: {وَعَلَى الَّذِينَ

خاسئين". انظر: أسباب ظهور العلمانية في العالم الاسلامي مقال للباحثة في موقع مجلة البلاغ في الشبكة العنكبوتية

(١) تفسير الطبري (٦ / ٢٣) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (٨ / ٧٢) - صحيح البخاري معلقاً (٤/١٦٩٥) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٣٧٧) وحسن

إسناده الحافظ في الفتح (١٠/٤٤١). وحسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١)

(٣) تفسير الطبري (٨ / ٧٣) إسناده ضعيف

(٤) تفسير الطبري (٨ / ٧٣) - تفسير الدر المنثور عن ابن عباس (٣ / ٣٧٧)

(٥) تفسير الطبري (٨ / ٧٣) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٣٧٧)

هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ { الإبل فقط. (١)

قوله تعالى: { وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا } [سورة الأنعام ١٤٦/٦].

١٣٠-١٠٩٧٤ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: { وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا } قال: إنما حرم عليهم الشروب والكليتين. هكذا هو في كتابي عن يونس وأنا أحسب أنه الكلى. (٢)

قوله تعالى: { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [سورة النحل ١١٨/١٦].

١٣١-١٦٥٨٠ - حدثني يعقوب قال: ثنا ابن عليّة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله: { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ } قال: في سورة الأنعام. (٣)

(١) تفسير الطبري (٧٣ / ٨)

(٢) تفسير الطبري (٧٤ / ٨)

(٣) تفسير الطبري (١٤ / ١٨٩) - تفسير الدر المنثور (٥ / ١٧٥)

الدراسة:

ومما عاقب الله به بني إسرائيل بسبب ظلمهم وبغيهم: أن حرم عليهم طيبات كانت حلالاً لهم، وهو ما عناه الله بقوله: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} يعني في سورة الأنعام وهو قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [سورة الأنعام ١٤٧/٦]

والمعنى: وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر، وهو من البهائم والطيور ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والأنعام والأوز والبط.

قال مجاهد: ((كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود البعير والنعامة؛ والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لأنها قد فرجت.))

ثم حرم الله عليهم شحوم البقر والغنم، واستثنى من ذلك: {مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} ، والحوايا جمع، واحدها حاوية وحاوية وحويه: وهي ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن، وهي المباعر، وتسمى المرائب، وفيها الأمعاء. ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرمناهن شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا. (١)

ثم بين - سبحانه وتعالى - أن هذا التحريم كان نتيجة لطغيانهم. فقال تعالى: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [سورة الأنعام ١٤٦/٦] أي: هذا الذي حرمناه علي الذين هادوا من الأنعام والطيور. ومن البقر والغنم. وهذا التضييق الذي حكمنا به عليهم. إنما ألزمناهم به. بسبب بغيهم وظلمهم. وتعديهم حدود الله - تعالى.

قال قتادة: ((إنما حرم الله ذلك عليهم عقوبة ببغيهم فشدد عليهم بذلك وما هو بجيبث.)) (٢)

(١) تفسير الطبري ٧٦/٨

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٤١١) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٣٧٩)

{وَأِنَّا لَصَادِقُونَ} أي وإنا لعادلون فيما جازيناهم به قال الطبري: وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه. (١)

ومع أن الشحوم جميعها باستثناء ما أحله الله لهم منها محرمة عليهم. فإنهم تحايلوا على شرع الله. وأخذوا يذبيحونها ويستعملونها ويتبايعونها بينهم ويأكلون ثمنها. ولقد لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبب هذا التحليل.

من ذلك ما رواه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعداً خلف المقام، فرفع بصره إلى السماء. وقال: ((لعن الله اليهود - ثلاثاً - إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها، وأكلوا ثمنها، وإن الله لم يجرم على قوم أكل شيء إلا حرم عليهم ثمنه.)). (٢)

وعن جابر بن عبد الله. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح: ((إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام.)) فقيل: ((يارسول الله: أرأيت شحوم الميتة فإنها يدهن بها الجلود. وتطلي بها السفن. ويستصبح بها الناس.)) فقال: ((لا. هو حرام.)) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك. ((قاتل الله اليهود. إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوها - أي: أذابوها - ثم باعوها وأكلوا ثمنها.)) (٣)

ثم حذرهم الله من الكفر والطغيان. فقال الله: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [سورة الأنعام ١٤٧/٦] أي: فإن كذبتك - يا محمد - هؤلاء اليهود. وأمثالهم من المشركين. فيما أخبرناك عنه. من أنا حرمانا علي هؤلاء اليهود بعض الطيبات. عقوبة لهم. فقل لهم: إن الله - تعالي - ذو رحمة واسعة حقاً. ورحمته وسعت كل شيء. ومن مظاهر رحمته: أنه لا يعاجل من كفر به بالعقوبة. ولا من

(١) تفسير الطبري ٣/٤

(٢) صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٢٠٧ و صحيح ابن حبان ج: ١١ ص: ٣١٢ واللفظ له

(٣) صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٧٧٩ صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٢٠٧.

عصاه بالنقمة. ولكن ذلك لا يقتضي أن يرد بأسه. أو يمنع عقابه عن القوم المصرين علي إجرامهم. المستمرين علي اقتراف المنكرات. وارتكاب السيئات. (١)

وقد ذكر الله تبارك وتعالى السبب الذي من أجله حرمت هذه الطيبات فقال: {فَظَلَمِ
مَنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ
الرَّبُّ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ }
[سورة النساء ٤/١٦٠-١٦١]

ففي الآية تعليل للعقوبات التي حلت بهم. فقد بينت هذه الآية الكريمة أن الله تعالي عاقب اليهود. بتحريم طيبات أحلت لهم. بسبب ظلم عظيم ارتكبهوه. وجرائم خطيرة صدرت عنهم. وقد تكفلت الآيات السابقة واللاحقة بتفصيل هذا الظلم. الذي من أجله عاقبهم الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة.

ومن ضروب هذا الظلم الذي ذكره الله - تعالي - في الآيات السابقة: نقضهم لمواثيقهم. وكفرهم بآيات الله. وقتلهم الأنبياء بغير حق. وقولهم علي مريم بهتاناً عظيماً. وتفاخرهم بقتل عيسى عليه السلام في زعمهم. أما تلك العقوبات التي عاقبهم الله بها من أجل تلك الجرائم. والموبقات فبعضها دنيوي. أشار إليها القرآن الكريم بقوله: {حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} وبعضها أخروي وهو ما سنشير اليه في الفصل القادم.

(١) تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ١٨٦ بتصرف

المسألة الثامنة: الرجز

الآثار:

- قوله تعالى: { فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } ﴿٥٩﴾
- ١٣٢-٨٧٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أنا عبد الرزاق قال: أنا معمر عن قتادة في قوله: { رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } ﴿٥٩﴾ قال: عذاباً. (١)
- ١٣٣-٨٧١ - حدثني المثنى قال: حدثنا آدم العسقلاني قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله: { فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ } قال: الرجز: الغضب. (٢)
- ١٣٤-٨٧٢ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: لما قيل لبي إسرائيل: { اتَّخَلُّوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } ﴿٥٨﴾ { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ } ﴿٦٢﴾ بعث الله جل وعز عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحداً. وقرأ: { فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } ﴿٥٩﴾ قال: وبقي الأبناء ففيهم الفضل والعبادة التي توصف في بني إسرائيل والخير وهلك الآباء كلهم أهلكتهم الطاعون. (٣)
- ١٣٥-٨٧٣ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: الرجز: العذاب وكل شيء في القرآن رجز فهو عذاب. (٤)
- ١٣٦-٨٧٤ - حدثت عن المنجاب قال: حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: { رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } ﴿٥٩﴾ قال: كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب. (٥)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٠٥) تفسير عبد الرزاق (١ / ٤٥) تفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٣٠٥٨) صححه في التفسير الصحيح (١/١٦٤)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٠٥) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٢٠) تفسير ابن كثير (١ / ١٠٠) حسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦).

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٠٥)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٠٥)

(٥) تفسير الطبري (١ / ٣٠٦) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٢٠) تفسير الدر المنثور (١ / ١٧٤) إسناده ضعيف

الدراسة:

مما عاقب الله به بني إسرائيل (الرجز) يوم أن أمروا أن يدخلوا القرية وأن يقولوا حطة:
{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا
كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ [سورة البقرة ٥٩/٢]}

واختلف في تفسير الرجز فقليل:

١- العذاب مطلقاً وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني العذاب.))، وهو قول جماعة من السلف كالحسن وقتادة. (١)
٢- وقيل الغضب كما هو المروي عن أبي العالية.

٣- وقيل هو الطاعون وهو الذي رجحه الطبري، وله شاهد في الصحيحين: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ((ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون.)) فقال أسامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه.)) (٢)

وسواء أكان الطاعون أم غيره فإن الرجز يطلق على العذاب الذي نزل بهم.
قال الطبري: "وقد دللنا على أن تأويل (الرجز) العذاب. وعذاب الله جل ثناؤه أصناف مختلفة، وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء، وجائز أن يكون ذلك طاعوناً، وجائز أن يكون غيره، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت أي أصناف ذلك كان." (٣)

(١) تفسير الطبري ٣٠٥/١ وتفسير الحسن البصري ٩٦/١ وابن قتيبة في غريب القرآن ٥٠

(٢) رواه البخاري ١٢٨١/٣ ومسلم ٤/ص ١٧٣٧

(٣) تفسير الطبري (١١٨/٢)

المطلب الثاني: عقاب الله لهم في الآخرة. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: لا ينظر الله إليهم

الآثار:

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة آل عمران ٧٧/٣].

١٣٧-٥٧٥٣ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا قَلِيلًا} في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب. (١)

المسألة الثانية: عذاب النار والخلود فيها

قوله تعالى: {لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ تَمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا} [سورة البقرة ٧٩/٢].

١٣٨-١١٥١ - حدثني المثني بن إبراهيم قال: ثنا إبراهيم بن عبد السلام قال: ثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي عن عثمان بن عفان - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} "الويل: جبل في النار". وهو الذي أنزل في اليهود لأهم حرفوا التوراة وزادوا فيها ما يحبون، ومحو منها ما يكرهون، ومحو اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة؛ فلذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال: {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}. (٢)

قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} [سورة البقرة ٨٠/٢].

١٣٩-١١٥٥ - حدثنا به أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاک عن ابن عباس رضي الله عنهما : {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} قال ذلك أعداء الله اليهود قالوا: لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم الأيام التي أصبنا فيها العجل أربعين يوماً فإذا انقضت عنا تلك الأيام انقطع عنا العذاب والقسم. (٣)

(١) تفسير الطبري (٣ / ٣٢١)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٧٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠١) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٨)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٨١)

١٤٠-١١٥٩ - حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} الآية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوباً: "إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم." وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الجحيم سقر وفيه شجرة الزقوم فزعم أعداء الله أنه إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياماً معدودة. وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم فقالوا: إذا خلا العدد انتهى الأجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك؛ فذلك قوله: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} يعنون بذلك الأجل. فقال ابن عباس: لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة قال لهم خزان سقر: زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياماً معدودة فقد خلا العدد وأنتم في الأبد! فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون. (١)

١٤١-١١٦١ - حدثني المثني قال: ثنا إسحاق قال: ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال: خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها قوم آخرون! يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رؤوسهم: ((بل أنتم فيها خالدون لا يخلفكم فيها أحد)) فأنزل الله جل ثناؤه: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً}. (٢)

١٤٢-١١٦٤ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت يهود يقولون: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً من أيام الآخرة، وإنما سبعة أيام. فأنزل الله في ذلك من قولهم: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً}. (٣)

١٤٣-١١٦٣ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: ((أنشدكم بالله وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى يوم طور سيناء، من أهل النار الذين أنزلهم الله في التوراة؟)) قالوا: إن ربهم غضب عليهم غضبة، فمكث في النار أربعين ليلة، ثم

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٦) - تفسير القرطبي (٢ / ١٠) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٩) إسناده ضعيف

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٨٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٦) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٩)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٨٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٥)

نخرج فتخلفوننا فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كذبتم والله! لا نخلفكم فيها أبداً)).
 فنزل القرآن تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وتكديماً لهم: { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً
 مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا } إلى قوله: { هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (١)
 قوله تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً }
 [سورة البقرة ١٧١/٢].

١٤٤-٢٠٣٧ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: قال لي عطاء في
 هذه الآية: هم اليهود الذين أنزل الله فيهم: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ
 تَمَنَّا قَلِيلًا } [سورة البقرة ١٧٤/٢] إلى قوله: { فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ } [سورة البقرة ١٧٤/٢-١٧٥]
 (٢)

قوله تعالى: { وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 النَّارِ } [سورة الحشر ٣/٥٩].

١٤٥-٢٦٢٠٧ - حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاک يقول
 في قوله: { وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ } أهل النضير حاصرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم
 حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوا نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أراد، ثم ذكر نحوه وزاد فيه: فهذا الجلاء.
 (٣)

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } [سورة الممتحنة
 ١٣/٦٠].

١٤٦-٢٦٣٧٥ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر قال: قال الكلبي: قد يئسوا من الآخرة
 يعني اليهود والنصارى يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها كما يئس الكفار الذي قد ماتوا فهم
 في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار. (٤)

١٤٧-٢٦٣٧٥ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر قال: قال الكلبي: قد يئسوا من الآخرة
 يعني اليهود والنصارى يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها كما يئس الكفار الذي قد ماتوا فهم

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٨٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠٧)

(٢) تفسير الطبري (٢ / ٨٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ٤٠٦)

(٣) تفسير الطبري (٢٨ / ٣٢) إسناده ضعيف

(٤) تفسير الطبري (٢٨ / ٨٢)

في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار. (١)

قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ} [سورة الأعراف ١٥٦/٧]

١٤٨-١١٨٠٤ - حدثني عبد الكريم قال: ثنا إبراهيم بن بشار قال: قال سفيان قال أبو بكر الهذلي: فلما

نزلت: {وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} قال إبليس: أنا من الشيء. فنزعها الله من إبليس قال:

{فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} فقال اليهود: نحن نتقي ونؤتي

الزكاة ونؤمن بآيات ربنا. فنزعها الله من اليهود فقال: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ} [سورة

الأعراف ١٥٧/٧].. الآيات كلها. قال: فنزعها الله من إبليس ومن اليهود وجعلها لهذه الأمة. (٢)

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ٨٢)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ٧٩)

الدراسة:

توعد الله اليهود بالعذاب في الآخرة، بعد أن قالوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، ولن يلبثوا في النار الا أياماً معدودة، كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم فقدم لهم عقوبة الدنيا كما مرّ معنا وأعد لهم تبارك وتعالى عقوبة الآخرة، وأول ما يرد عليهم في ذلك تعذيبهم في القبور كما قال صلى الله عليه وسلم لما خرج وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال صلى الله عليه وسلم : ((يهود تعذب في قبورها.)) (١)

ثم إن الله سيعاقبهم بالعطش يوم القيامة قبل أن يكبهم في النار كما في حديث أبي سعيد الخدري _ : أن أناساً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: ((يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟)) قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء ليس فيها سحاب. قالوا: لا، قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوء ليس فيها سحاب. قالوا: لا، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، بر أو فاجر، وغبرات (٢) أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال لهم: كذبتهم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتهم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فكذلك مثل الأول. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، من بر أو فاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون، تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا

(١) رواه البخاري ١٣٧٥ ومسلم ٢٢٩ والنسائي ١٠٢/٤ وأحمد في المسند ٥/١٧٤

(٢) العُبرَات البَقَايا، واحدها غَابِرٌ، ثم يجمع غُبراً، ثم عُبرَات جمع السجم لسان العرب ٤/٤ و النهاية لابن

لأثير ٣/٣٣٨

الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم لم نصاحبهم، ونحن نتنظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً. مرتين أو ثلاثاً.)) (١)

وأما دخولهم النار وخلودهم فيها فكانوا يزعمون أنهم لن يدخلوها إلا تحلة القسم، وبعدد محدود قدره بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، وربما قالوا سبعة أيام لأن الدنيا عندهم سبعة آلاف عام، سيدخلون بكل ألف عام يوماً واحداً، أو أربعين يوماً كما قلنا بعدد الأيام التي عبدوا بها العجل وغير ذلك مما يتخبرونه. (٢)

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أكذب ظنهم، وبشرهم بالنار، فعن أبي هريرة _ قال: ((لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم.)) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود. فجمعوا له، فقال: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه. فقالوا: نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : (من أبوكم). قالوا: فلان، فقال: (كذبتهم، بل أبوكم فلان). قالوا: صدقت، قال: (فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه). فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبيننا، فقال لهم: (من أهل النار؟). قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (احسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً). ثم قال: (هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه). فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: (هل جعلتم في هذه الشاة سمًا). قالوا: نعم، قال: (ما حملكم على ذلك). قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرنا.)) (٣)

وقوله تعالى: { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } [سورة هود ١١/١٧].

(١) رواه البخاري ٤٥٨١ ومسلم ١٣٤/١

(٢) وهنا نكتة ففي آية البقرة {معدودة} وفي آية آل عمران {أياماً معدودات} ولعل الاختلاف في اللفظ إشارة الى اختلافهم في العدد ففي البقرة إشارة الى السبعة وفي آل عمران إشارة الى الأربعين - ذكر ذلك الشيخ محمد المسند- وقال: ولم أر من أشار إلى ذلك أنظر) أساليب الجرمين في التصدي لدعوة المرسلين لمحمد المسند ص(١٣٨)

(٣) رواه البخاري ٢٩٩٨ وأحمد ٤٥١/٢ وللتفصيل أنظر تفسير ابن كثير ٢٧٨/١

وقوله: {وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} [سورة الرعد ١٣/٣٦] أي يكفر ببعضه وهم اليهود والنصارى. فيفسره قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم يموت قبل أن يؤمن بي إلا دخل النار))

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في هذا الحديث ((فجعلت أقول أين تصديقها في كتاب الله، وقلما سمعت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وجدت تصديقه في القرآن حتى وجدت هذه الآية {وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} فالتأثر موعده { [سورة هود ١١/١٧] قال الأحزاب الملل كلها.))

ولما قالوا أن الجنة لهم هم والنصارى قال الله لهم: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة البقرة ٢/٩٤] قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن اليهود لو تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار.)) الحديث (١)

وقال صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار.)) (٢)

هذا ما أبطله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من مزاعم يهود، وهذا هو مقتضى العدل الإلهي: أن من آمن يأمن، ومن كفر وأعرض وتمنى على الله الأمانى خاب وخسر، كما قال تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيٌّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} ﴿٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا ﴿٤﴾ { [سورة النساء ٤/١٢٤]

وقال الله في حق اليهود: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُمِبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} ﴿١١﴾ [سورة آل عمران ٣/١٨١]

(١) رواه أحمد ١/٢٤٨، عن ابن عباس وصححه أحمد شاكر أسناده كما في المسند ٤/٥١

(٢) رواه مسلم ١٨١٣٤ وأحمد ٢/٣٧١

حديث الفنون الطويل وفيه جامع لحوال بني إسرائيل: (١)

قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} [سورة مريم ١٩/٥٣]

١٤٩-١٨١٩٢ - حدثني العباس بن الوليد الأملي قال: ثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني قال: أخبرنا القاسم بن أيوب قال: ثني سعيد بن جبير قال: سألت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن قول الله لموسى عليه السلام: {وَفَتَّاكَ فُتُونًا فَلْيَبْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ حِجَّتْ عَلَيَّ قَدْرِيَا مُوسَى} فسألته على الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا بن جبير فإن لها حديثاً طويلاً قال: فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني قال: فقال ابن عباس رضي الله عنهما: تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب؛ فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم فقال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فأتمروا بينهم وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم وأن الصغار يذبحون؛ قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر فيقل أبناءهم ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً، فتشب الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكثروا. بمن تستحيون منهم فتخافون مكائرتهم إياكم، ولن يقلوا. بمن تقتلون فأجمعوا أمرهم على ذلك. فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه العلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون، يا ابن جبير مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله إليها {وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [سورة القصص ٢٨/٧] وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم؛ فلما ولدته فعلت ما أمرت به حتى إذا توارى عنها ابنها، أتاه إبليس فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيطان البحر ودوابه، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى آل فرعون، فرأينه فأخذنه فهممن أن يفتح الباب فقال بعضهن لبعض: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملنه كهيته لم يحركن منه شيئاً، حتى دفعنه إليها؛ فلما فتحته رأته فيه الغلام فألقي عليه منها حبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس، {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة القصص ٢٨/١٠] من كل شيء إلا من ذكر موسى. فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم. يريدون أن

(١) تفسير الطبري (١٦ / ١٦٤) - تفسير الدر المشهور (٥ / ٥٦٩) - تفسير ابن كثير (٣ / ١٤٩)

يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير؛ فقالت للذباحين: انصرفوا عني فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فأتي فرعون فأستوهبه إياه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم وإن أمر بذبحه لم ألكم. فلما أتت به فرعون قالت: {قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} قال فرعون: يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه. فقال: والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك. فأرسلت إلى من حولها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظئراً فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق بجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئراً يأخذ منها فلم يقبل من أحد. وأصبحت أم موسى فقالت لأختها: قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً، أحيي ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرحة حين أعياهم الظؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير؛ فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه ورغبتهم في ظؤورة الملك، ورجاء منفعتهم فتركوها؛ فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت؛ فلما وضعت في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنبها، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئراً، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه؛ فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإنني لم أحب حبه شيئاً قط؛ قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينييه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيراً فعلت، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي! وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها فأنبته الله نباتاً حسناً، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة، يمتنعون به من الظلم والسخره التي كانت فيهم. فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أزييني ابني. فوعدها يوماً تزيرها إياه فيه فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمتها: لا ييقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليرى ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم؛ فلم تنزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون. فلما دخل عليها نخلته وأكرمتها وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه، وقالت: انطلقن به إلى فرعون فلينحله وليكرمه. فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى مدها، فقال عدو من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه! وذلك من الفتون يا ابن جبير، بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به. فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت: ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلونني، فقالت: اجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحق، اتت بجمرتين ولؤلؤتين فقرهن إليه فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه

يعقل؛ وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد هم به وكان الله بالغاً فيه أمره. فلما بلغ أشده وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل امتناع. فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة إذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتد غضبه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره؛ فوكر موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: { هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ } [سورة القصص ١٥/٢٨] ثم قال: { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ } [سورة القصص ١٦/٢٨] { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ } [سورة القصص ١٨/٢٨] فأتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله ومن شهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضي بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك؛ فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبناً إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني قال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم { إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ } فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعد ما قال له { إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ } أن يكون إياه أراد ولم يكن أرادته وإنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي فحاجز الفرعوني فقال: { يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ } [سورة القصص ١٩/٢٨] وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته فتتاركا؛ فانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ فأرسل فرعون الذباحين فسلك موسى الطريق الأعظم فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم. وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره الخبر وذلك من الفتون يا ابن جبير، فخرج موسى متوجهاً نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له علم إلا حسن ظنه بربه تعالى، فإنه قال { عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ } [سورة] وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ } [سورة]

القصص ٢٨/٢٢-٢٣] يعني بذلك حابستين عنهما فقال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس فقالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم، وإنما ننتظر فضول حياضهم، فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء بغنمها إلى أبيهما، وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال: { رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٤٤﴾ } [سورة القصص ٢٨/٢٤] والحاصل واستنكر أبوهما سرعة صدورهما حفلاً بطاناً فقال إن لكما اليوم لشأناً فأحيرتاه بما صنع موسى، فأمر إحداهما أن تدعوه، فأتت موسى فدعته فلما كلمه قال { لَا تَحْفَ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [سورة القصص ٢٨/٢٥] ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته، فقالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، فاحتملته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما أمانته، قالت: أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه، وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أبي امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك، ثم قال لي امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا الأمر إلا وهو أمين، فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له: هل لك { أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أُمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾ } [سورة القصص ٢٨/٢٧] ففعل فكانت على نبي الله موسى ثماني سنين واجبة، وكانت سنتان عدة منه ففضى الله عنه عدته فأتمها عشراً، قال سعيد فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا وأنا يومئذ لا أدري. فلقيت ابن عباس رضي الله عنهما فذكرت ذلك له فقال: أما علمت أن ثمانياً كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم لينقص منها شيئاً ويعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عدته التي وعده فإنه قضى عشر سنين. فلقيت النصراني فأخبرته ذلك، فقال الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك، قلت: أجل وأولى فلما سار موسى بأهله كان من أمر الناس والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكنا إلى الله سبحانه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقده لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير الكلام، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداء ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، فأتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه، وأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون عليه السلام فانطلقا جميعاً إلى فرعون، فأقاما على بابه حيناً لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا إنا رسولا ربك. قال: فمن ربكما؟ فأخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن قال: فما تريدان وذكره القتل فاعتذر بما قد سمعت قال: أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل فأبى عليه وقال آتت بآية إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فافتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء سوء يعني برص ثم ردها فعادت

إلى لوئها الأول فاستشار المأل حوله فيما رأى فقالوا له هذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش فأبوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب وقالوا له اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى يغلب سحرك سحرهما فأرسل في المدائن فحشر له كل ساحر متعلم فلما أتوا فرعون قالوا بم يعمل هذا الساحر قالوا يعمل بالحيات قالوا فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل وما أجرنا إن نحن غلبنا قال لهم أنتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى قال سعيد فحدثني بن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهارون استهزاء بما قالوا يا موسى لقدرتهم بسحرهم إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال بل ألقوا فألقوا حباهم وعصيتهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقها صارت ثعباناً عظيماً فاغرة فاها فجعلت العصا تلبس بالحبال حتى صارت جزراً على الثعبان تدخل فيه حتى ما أبتقت عصا ولا حبلاً إلا ابتلعتة فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكنه أمر من الله آمناً بالله وبما جاء به موسى وتوب إلى الله مما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأتباعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وأمرأة فرعون بارزة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى فلما طال مكث موسى فرعون الكاذبة كلما جاءه بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أحلف موعده وقال هل يستطيع ربك أن هذا فأرسل الله عز وجل على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويوافقه على أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك عنه أحلف موعده ونكث عهده حتى أمر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً فلما أصبح فرعون فرأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله تعالى إلى البحر إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفرك اثنتي عشرة فرقة حتى يجاوز موسى ومن معه ثم التق على من بقي بعد من فرعون وأشياعه فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا فأنتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصياً لله فلما تراءى الجمعان تقارباً قال قوم موسى إنا لمدركون أفعال ما التابعين به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب قال وعدني ربي إذا أتيت البحر انفرك اثنتي عشرة فرقة حتى أجازه ثم ذكر بعد ذلك العصا فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرك البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف ألا يكون فرعون

غرق ولا تؤمن بملاكه فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا هلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضى فأنزلهم موسى منزلا وقال لهم أطيعوا هارون فإني قد استخلفته عليكم فإني ذاهب إلى ربي وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فيها فلما أتى ربه أراد أن يكلمه في ثلاثين يوما وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئا فمضغه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان قال يا رب إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح قال أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك ارجع فصم عشرة ثم اتني ففعل موسى عليه السلام ما أمره به فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع ولكم فيهم مثل ذلك وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا همام ولسنا برادين إليهم شيئا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا فحفر حفيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأخرجه فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامري من قوم يعبدون البقر حيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا فقضي له أن رأى أثرا فأخذ منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام يا سامري ألا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر فلا ألقها بشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيت أن يكون ما أريد فألقها ودعا له هارون فقال أريد أن تكون عجلا فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح له حوار قال بن عباس لا والله ما كان قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلكم ففرق بنو إسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق فقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فأنا نتبع قول موسى وقالت فرقة هذا عمل الشيطان وليس بربنا ولن تؤمن به ولا نصدق وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن هكذا قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أحلفنا هذه أربعون قد مضت فقال سفهاؤهم أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه فلما كلم الله موسى عليه السلام وقال له ما قال أخبره بما لقي قوم من بعده فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال لهم ما سمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذره له فانصرف إلى السامري فقال له ما حملك على ما صنعت قال قبضت قبضت من أثر الرسول وفظنت إليها وعميت عليكم فقذفتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى الهلك الذي

ظلت عليه عاكفا لنحرقه ثم لنسفه في اليم نسفا ولو كان إلها لم نخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها ما عملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألوا الخير خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض واستحيا نبي الله صلى الله عليه وسلم من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان الله يتحقق منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فقال يا رب سألتك التوبة لقومي فقلت إن رحمتي كتبتها قومي فليتك أخرجني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة فقال له إن توبتهم أنيقتل كل رجل منهم كل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن ويأتي أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بما فعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى صلى الله عليه وسلم متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بما فتنق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيامهم وهم مصطفون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهو من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلق منكر وذكر من ثمارهم أمرا عجيبا من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ما داموا فيها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأه قال نعم من الجبارين: آمننا بموسى وخرجنا إليه فقالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون من ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ويقول أناس إنهما من قوم موسى فقال الذين يخافون بنو إسرائيل قالوا يا موسى إننا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فأغضبوا موسى عليه السلام فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله تعالى له وسماهم كما سماهم موسى فاسقين فحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين أظهرهم حجرا مربعا وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذي كان فيه بالأمس.

رفع ابن عباس رضي الله عنهما هذا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس رضي الله عنهما حدث هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى أمر القتييل الذي قتل فقال كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب بن عباس فأخذ بيد معاوية فانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له يا أبا إسحاق هل تذكر يوماً حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتييل موسى الذي قتل من آل فرعون الإسرائيلي أفشى عليه أم الفرعوني قال إنما أفشى عليه الفرعوني ما سمع من الإسرائيلي شهد على ذلك وحضره. (١)

(١) رواه ابن ابي حاتم في تفسيره ٣٧٧/٥ والطحاوي في مشكل الآثار (٦٦) وأبو يعلى في مسنده (٢٦١٨) وابن عدي في الكامل ٤٠٠/١ وعلق ابن كثير على هذا بقوله: والأشبه - والله أعلم - أنه موقوف وكونه مرفوعاً فيه نظر وغالبه متلقى من الإسرائيليات وفيه شيء يسير مصرح برفعه في أثناء الكلام وفي بعض ما فيه نظر ونكارة والأغلب أنه من كلام كعب الأخبار وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك والله أعلم وعقب عليه ابن حجر في الفتح ٤٢٧/٦ وقال كأنه لم يثبت عنده في ذلك من المرفوعات على شرطه وأصح ما ورد في جميع ذلك ما أخرجه النسائي وأبو يعلى بإسناد حسن عن عباس في حديث الفتون الطويل وانظر تفسير ابن كثير ٣٧٧/٥ (وقال أحمد شاكر هذا موقوف . وإسناده صحيح إلى ابن عباس . أما صحة المتن، فلا نستطيع أن نجزم بها، لعله مما كان يتحدث به الصحابة عن التاريخ القديم نقلاً عن أهل الكتاب) انظر جامع البيان (٤٢/٢)
(- حاشية (٣) .

الفصل الثاني: الآثار الواردة في أبرز صفات اليهود

وفيه ستنته مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في قسوة قلوبهم :

الآثار:

قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ} [سورة البقرة ٧/٢]

١٥٠-٢٥٥ حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن

جده، عن ابن عباس رضي الله عنهما : {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ

غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} والغشاوة على أبصارهم . (١)

١٥١-٢٥٦ - حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: حدثنا ابن جريج قال: الختم

على القلب والسمع، والغشاوة على البصر، قال الله تعالى ذكره: {فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ

اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وقال: {وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ

وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [سورة الجاثية ٤٥/٢٣]

(٢)

١٥٢-٢٥٧ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد

بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما : {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ

وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} أي عن الهدى أن يصيبوه أبدا بغير

ما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك، حتى يؤمنوا به، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك. (٣)

١٥٣-٢٥٨ - حدثني موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن

السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن مرة الهمداني،

(١) تفسير الطبري (١ / ١١٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٤٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ٧٣) - تفسير ابن

كثير (١ / ٤٧) إسناده ضعيف

(٢) تفسير الطبري (١ / ١١٤) - تفسير ابن كثير (١ / ٤٦)

(٣) تفسير الطبري (١ / ١١٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٤١) - تفسير الدر المنثور (١ / ٧٢) إسناده

ضعيف.

عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَهُمْ عَدَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾} يقول فلا يعقلون، ولا يسمعون ويقول: وجعل على أبصارهم غشاوة، يقول: على أعينهم فلا يبصرون. (١)

قوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فِيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾} [سورة البقرة ٧٤/٢]

١٠٨٨-١٠٥٤ - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما ضرب المقتول ببعضها - يعني ببعض البقرة - جلس حيا، فقيل له: من قتلك؟ فقال: بنو أخي قتلوني. ثم قبض، فقال بنو أخيه حين قبض: والله ما قتلناه. فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه، فقال الله: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} يعني بني أخي الشيخ، {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فِيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾} (٢)

١٠٨٩-١٠٥٥ - حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} يقول: من بعد ما أراهم الله من إحياء الموتى، وبعد ما أراهم من أمر القتل ما أراهم، فهي كالحجارة أو أشد قسوة. (٣)

قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}

١٠٩٢-١٠٥٦ - حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} ثم عذر الحجاره ولم يعذر شقي ابن آدم، فقال: {وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فِيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}. (٤)
قوله تعالى: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ}

(١) تفسير الطبري (١ / ١١٥) - تفسير الدر المنثور (١ / ٧٣) - تفسير ابن كثير (١ / ٤٧)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٦٢) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٤) - إسناده ضعيف

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٦٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٩٧) و صححه في التفسير الصحيح (١ / ١٧٦)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٦٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٩٧) - تفسير القرطبي (١ / ٤٦٤) و صححه في

التفسير الصحيح (١ / ١٧٦-١٧٧)

١٥٧-١٢٣٨ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير بن سلمان، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي، عن عمرو بن مرة الجملي، عن أبي البخترى، عن حذيفة قال: القلوب أربعة. ثم ذكرها، فقال فيما ذكر: وقلب أغلف: معصوب عليه، فذلك قلب الكافر. (١)

١٥٨-١٢٣٩ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } {٣٨} أي في أكنة. (٢)

١٥٩- حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } {٣٨} فهي القلوب المطبوع عليها. (٣)

١٦٠-١٢٤٠ - حدثني عباس بن محمد، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج، أخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد قوله: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } {٣٨} عليها غشاوة. (٤)

١٦١-١٢٤١ - حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا شريك عن الأعمش قوله: { قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } {٣٨} قال: هي في غلف. (٥)

١٦٢-١٢٤٢ - حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } {٣٨} أي لا تفقه. (٦)

١٦٣-١٢٤٣ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } {٣٨} قال: هو كقوله: { قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٠٦) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٤) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٤) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٠٦) - تفسير ابن أبي حاتم بنحوه (٤ / ١٢٧٥) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٢٦٠) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٤) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤٠٦) إسناده ضعيف

(٤) تفسير الطبري (١ / ٤٠٦) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٤)

(٥) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧)

(٦) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٠) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٤) - تفسير

ابن كثير (١ / ١٢٤) وحسنه في التفسير الصحيح (١ / ١٩٤)

مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾. (١)
١٦٤-١٢٤٤ - حدثني المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: {قُلُوبُنَا غُلْفٌ} أي لا تفقه. (٢)

١٦٥-١٢٤٥ - حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾} قال: يقولون: عليها غلاف وهو الغطاء. (٣)
١٦٦-١٢٤٦ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾} قال: يقول قلبي في غلاف، فلا يخلص إليه مما تقول. وقرأ: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ} [سورة فصلت ٥/٤١] (٤)

١٦٧-١٢٤٧ - حدثني عبيد بن أسباط بن محمد، قال: ثنا أبي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾} قال: أوعية للذكر.
١٦٨ - حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا فضيل، عن عطية في قوله: {قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾} قال: أوعية للعلم. (٥)
١٦٩-١٢٤٨ - حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ}. قال: مملوءة علما لا تحتاج إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره. (٦)

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧) - تفسير القرطبي (٢ / ٢٥) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٤) وحسنه في التفسير الصحيح (١/١٩٤)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٨) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٤) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦) وحسنه في التفسير الصحيح (١/١٩٤)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٤)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٤)

(٥) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٨) - تفسير القرطبي (٢ / ٢٥) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٥)

(٦) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٤) إسناده ضعيف

الدراسة:

من أبرز الصفات التي وصف الله بها اليهود: قسوة قلوبهم، وبعدها عن قبول الحق، وهذا الوصف القرآني جاء في عدة آيات منها:

{ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴿١٣﴾ } [سورة المائدة ١٣/٥] وقسوة القلب غلظته يقال: قسا القلب يقسو قساءً، والقسوة: الصلابة في كل شيء، وحجر قاس: صلب، وأرض قاسية: لا تنبت شيئاً، وتأويل قست في اللغة: غلظت ويست وعست، فتأويل القسوة في القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه، وقسا قلبه قسوة وقساوة وقساء بالفتح والمد وهو: غلظ القلب وشدته. (١)

وفي (قاسية) قراءة أخرى هي (قسية) (٢) ومعنى "قسية" غير معنى القسوة؛ وإنما القسية في هذا الموضع: القلوب التي لم يخلص إيمانها بالله، ولكن يخالط إيمانها كفر كالدراهم القسية، وهي التي يخالط فضتها غش من نحاس أو رصاص وغير ذلك، كما قال أبو زيد الطائي:

لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات في أيدي الصياريف
يصف بذلك وقع مساحي الذين حفروا قبر عثمان على الصخور، وهي السلام.
قال الطبري رحمه الله: "وأعجب القراءتين إلي في ذلك قراءة من قرأ: (وجعلنا قلوبهم قسية) على فعيلة، لأنها أبلغ في ذم القوم من قاسية."

وقد بين الله -تبارك وتعالى- أن قسوة قلوبهم هي أشد من قساوة أنواع من الحجارة كما في قصة القتل في سورة البقرة: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾} [سورة البقرة ٧٤/٢]

(١) لسان العرب - ابن منظور ج: ١٥ ص: ١٨١

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي كما نبه عليها الطبري وانظر القراءات العشر المتواترة على هامش المصحف لعلوي بلفقيه ص ١٠٩

قال ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى توبيخاً لبني إسرائيل وتقريراً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه الموتى {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} كله فهي كالحجارة التي لا تلين أبداً، ولهذا نهي الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٦﴾} [سورة الحديد ٥٧/١٦] (١)

والقسوة في قلوبهم صفة لازمة لهم كما قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾} [سورة المائدة ٤١/٥] قال القرطبي: أي لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الطبع عليها والختم، كما طهر قلوب المؤمنين ثواباً له. (٢) فهي عقوبة لازمة لهم؛ إذ لما قست قلوبهم كان الجزاء أن طبع الله عليها وختم وكل ذلك بأسباب كثيرة من ذنوبهم وإعراضهم.

قال الشنقيطي رحمه الله : " .. هذا الطبع والختم على القلوب، وكذلك الأغلال في الأعناق والسد من بين أيديهم ومن خلفهم: أن جميع تلك الموانع المانعة من الإيمان ووصول الخير إلى القلوب: أن الله إنما جعلها عليهم بسبب مسارعتهم لتكذيب الرسل، والتماذي على الكفر، فعاقبهم الله على ذلك بطمس البصائر، والختم على القلوب والطبع عليها، والغشاوة على الأبصار لأن من شؤم السيئات أن الله جل وعلا يعاقب صاحبها عليها بتماديه على الشر، والحيلولة بينه وبين الخير، جزاه الله بذلك على كفره جزاء وفاقاً" (٣)

ووصف الله لقلوبهم أنها أشد من الحجارة قسوة بينه الله من سيرتهم مع الحجارة فيما قص سبحانه وتعالى: فأورد للمخاطب منهم مقارنة بين قلوبهم القاسية وما نكرته من الحق وبين الحجارة التي شاهدوها في مسيرتهم وذلك في قوله: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ} وقد شاهدوا هذا عندما استسقوا موسى عليه السلام فأمره الله فضرب الحجر فتشقق وخرج منه اثنتا عشرة عيناً، {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ

(١) تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ٦٠ التفسير الكبير - الرازي ج: ١١ ص: ١٤٨

(٢) تفسير القرطبي تفسير القرطبي ج: ٦ ص: ١٨٢

(٣) أضواء البيان - الشنقيطي ج: ٦ ص: ٢٨٩

مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ} وهو ما شاهدوه عندما رجع جبل الطور ورفع الله فوق رؤوسهم، ومن قبله ما أخبرهم موسى عليه السلام من ذلك الجبل وهبوطه لما تجلى الله له، وعلى هذا يخلص إلى أن الحجارة ألين من قلوبهم.

هذا وصف الله لقلوب اليهود، أما هم فلهم وصف آخر لقلوبهم على عادتهم في تحريف الكلم وصرفه حسيماً ومعنوياً عن مراده، فقالوا عن قلوبهم إنها (غلف)، قال تعالى {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} [سورة البقرة ٢/٨٨]

قال الطبري رحمه الله: "اختلفت القراءة في قراءة ذلك فقراءه بعضهم (وقالوا قلوبنا (مخففة اللام ساكنة، وهي قراءة عامة الأمصار في جميع الأقطار، وقراءه بعضهم وقالوا (قلوبنا (مثقلة اللام مضمومة، فأما الذين قرءوها بسكون اللام وتخفيفها فإنهم تأولوها أنهم قالوا قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف، والغلف على قراءة هؤلاء جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء، كما يقال للرجل الذي لم يختتن أغلف والمرأة غلفاء. (١) ولكن اليهود يقولون: غلف أي أوعية للعلم وهي في حصن أن يصلها شيء فلا يخلص إليه مما تقول. وهي أوعية للعلم فلا حاجة بنا إلى علم سوى ما عندنا فكذبوا الأنبياء بهذا القول، وهذا من قسوة قلوبهم وضلالهم عن الطريق.

ويكفي في ذلك رد الله عليهم في ختمه وطبعه على قلوبهم كقوله تعالى: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} [سورة النساء ٤/١٥٥]

قال الشنقيطي رحمه الله: "وذلك الختم والأكنة على القلوب جزاء من الله تعالى لهم على مبادرتهم إلى الكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيتهم، كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} [سورة النساء ٤/١٥٥] وقوله: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [سورة الصف ٦١/٥] وقوله: {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} [سورة البقرة ٢/١٠] وقوله: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ رِجْسًا إِلَى

(١) تفسير الطبري ٤٠٦/١

رَجَسِهِمْ} [سورة التوبة ٩/١٢٥] وقوله: {وَتَقَلَّبُ أَعْيُنَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ} [سورة الأنعام ٦/١١٠] إلى غير ذلك من الآيات. (١)

ويلاحظ وصف الله لقلوبهم بالخبث مرة وبالطبع مرة فهل بينهما فرق؟ قال القرطبي رحمه الله: "الخبث يكون محسوساً كما بينا ومعنى كما في هذه الآية: فالخبث على القلوب عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته، والفكر في آياته، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تلى عليهم، أو دعوا إلى وحدانيته، وعلى الأبصار عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته، وعجائب مصنوعاته." (٢)

و فصل الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان _ أنواع القلوب فقال: ((القلوب أربعة: قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه مثل السراج فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدّها ماء طيب، ومثل النفاق كمثل قرحة يمدّها القيح والدم، فأبي المادتين غلبت صاحبتهما أهلكته.)) (٣) وهذه قلوب اليهود مغلفة عن قبول الحق وأشد من الحجر قسوة.

(١) أضواء البيان - الشنقيطي ج: ٢ ص: ١٧٦

(٢) تفسير القرطبي ج: ١ ص: ١٨٦

(٣) الدر المنثور ج: ١ ص: ٢١٤

المبحث الثاني: الآثار الواردة في اتباعهم الهوى

الآثار:

قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾} [سورة المائدة ٥/٧٧]

١٧٠-٩٥٩٨ - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: {وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} قال: يهود. (١)

١٧١-٩٥٩٩ - حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا} فهم أولئك الذين ضلوا وأضلوا أتباعهم. {وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} عن عدل السبيل. (٢)

قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾} [سورة البقرة ٢/٤٤]

١٧٢-٧٠٢ - حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم: أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، وتجددون ما تعلمون من كتابي. (٣)

١٧٣-٧٠٣ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} يقول: تأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم، وغير

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣١٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٨١) - تفسير القرطبي (٦ / ٢٥٢)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٣١٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٠٤) - تفسير الدر المنثور (٣ / ١٢٤) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٥٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٠١) - تفسير ابن كثير (١ / ٨٦) إسناده ضعيف.

ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة {وَتَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (١)
 ١٧٤-٧٠٥ - وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله:
 {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} قال: كان بنو إسرائيل
 يأمرون الناس بطاعة الله ويتقواه وبالبر ويخالفون، فغيرهم الله. (٢)

١٧٥-٧٠٧ - حدثني به يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: هؤلاء اليهود
 كان إذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء، أمروه بالحق، فقال الله لهم: {أَتَأْمُرُونَ
 النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (٣)

قوله تعالى: {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [سورة البقرة ٤٤/٢]

١٧٦-٧١٠ - حدثنا به محمد بن العلاء، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي
 روق عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} يقول: أفلا تفهمون فنهاهم عن
 هذا الخلق القبيح. (٤)

قوله تعالى: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} [سورة البقرة ٦١/٢]

١٧٧-٩٠٠ - حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قال: {أَتَسْتَبْدِلُونَ
 الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} يقول: أتستبدلون الذي هو شر بالذي هو خير منه. (٥)

١٧٨-٩٠١ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج، عن مجاهد قوله:
 {الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ} قال: أردأ. (٦)

قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ

عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سورة البقرة ٨٥/٢]

١٧٩-١٢١٢ - حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن

(١) تفسير الطبري (٢٥٨ / ١) - تفسير الدر المنثور (١٥٦ / ١) - تفسير ابن كثير (٨٦ / ١)

(٢) تفسير الطبري (٢٥٨ / ١) - تفسير عبد الرزاق (٤٤ / ١) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠١ / ١) - تفسير

ابن كثير (٨٦ / ١) و صححه في التفسير الصحيح (١٤٩/١)

(٣) تفسير الطبري (٢٥٨ / ١)

(٤) تفسير الطبري (٢٥٩ / ١) - تفسير الدر المنثور (١٥٦ / ١)

(٥) تفسير الطبري (٣١٢ / ١) - تفسير ابن أبي حاتم (١٢٤ / ١) و صححه في التفسير الصحيح (١٦٧/١)

(٦) تفسير الدر المنثور (١٧٧ / ١) - تفسير الطبري (٣١٣ / ١) صححه في التفسير الصحيح (١٢٢/٣)

أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: { **تَمَّ أَتَمُّ هَوَالٍ** } **تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** { إلى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم، وتخرجوهم من ديارهم معهم. فقال: أنبهم الله على ذلك من فعلهم، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم؛ فكانوا فريقين طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج والنضير وقريظة حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، بظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون حنة ولا ناراً، ولا بعثاً، ولا قيامة، ولا كتاباً، ولا حراماً، ولا حلالاً؛ فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم، تصديقاً لما في التوراة وأخذاً به بعضهم من بعض: يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويُطْلُونَ ما أصابوا من الدماء وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم. يقول الله تعالى ذكره حين أنبهم بذلك: { **أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ** } أي تفادونه بحكم التوراة وتقتلونهم؛ وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من ذلك، ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض من عرض الدنيا. ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة. (١)

١٨٠-١٢١٩ - حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، قال: قال أبو جعفر: كان قتادة يقول في قوله: { **أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ** } فكان إخراجهم كفراً وفداؤهم إيماناً. (٢)

١٨١-١٢٢١ - حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، قال: ثنا الربيع بن أنس، قال: أخبرني أبو العالية: أن عبد الله بن سلام - مر على رأس الجالوت (٣) بالكوفة وهو يفادي من النساء من لم يقع عليه العرب، ولا يفادي من وقع عليه العرب، فقال له عبد الله بن سلام: أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن فادوهن كلهن. (٤)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٩٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٦٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١١) وحسنه

في التفسير الصحيح (١ / ١٨٩-١٩٠)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٩٩) وصححه في التفسير الصحيح (١ / ١٩٠)

(٣) رأس الجالوت اسم يطلق على كبير اليهود وكان يدعى سابقا - القطنون - فتح الباري ج: ١٠ ص: ٥٩٣ والإصابة

في تمييز الصحابة ج: ٤ ص: ٧٦٦

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٩٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٥٥٨) وحسن إسناده الحافظ

١٨٢-١٢٢٢ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج: {أَفْثُوْمُنُونَ بِبَعْضِ

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ} قال: كفرهم القتل والإخراج، وإيمانهم الفداء. قال ابن جريج: يقول: إذا كانوا عندكم تقتلونهم وتخرجونهم من ديارهم. وأما إذا أسروا تفدوهم؟ وبلغني أن عمر بن الخطاب _ قال في

قصة بني إسرائيل: إن بني إسرائيل قد مضوا وإنكم أنتم تعنون بهذا الحديث. (١)

قوله: {وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} [سورة النساء ٤/٤٦]

١٨٣-٧٦٦٥ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن

أبي بزة عن مجاهد، في قوله: {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا

يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [سورة البقرة ٢/٩٣] قال: قالت اليهود: سمعنا ما

تقول، ولا نطيعك. (٢)

قوله تعالى: {وَائْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ

الْغَاوِينَ} وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا

فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة الأعراف ٧/١٧٦]

١٨٤-١١٩٤٤ - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:

{فَانْسَلَخَ مِنْهَا} قال: بلعام بن باعرا، من بني إسرائيل. (٣)

١٨٥-١١٩٥٥ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد

وعكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتابا. (٤)

١٨٦-١١٩٦٤ - حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: انطلق رجل من بني

إسرائيل يقال له بلعم، فأتى الجبارين فقال: لا ترهبوا من بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقتلونهم أذعو

عليهم! فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس. وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه وهو يريد أن يلعن بني

الحافظ في الفتح (٣٦٦/٦).

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٩٩)

(٢) تفسير الطبري (٥ / ١١٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٥) - تفسير ابن كثير (١ / ٥٠٨) إسناده

ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٩ / ١٢٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٦١٨) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٦١٠)

(٤) تفسير الطبري (٩ / ١٢٢) صححه في التفسير الصحيح (٣ / ١٢٢)

إسرائيل، فكلما أراد أن يدعو على بني إسرائيل دعا على الجبارين، فقال الجبارون: إنك إنما تدعو علينا ! فيقول: إنما أردت بني إسرائيل. فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذن الأتان، فأمسكها فجعل يجرها فلا تتحرك، فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت: أنت تنكحني بالليل وتركيني بالنهار؟ ويلي منك ! ولو أني أطق الخرج لخرجت، ولكن هذا الملك يجسني. وفي بلعم يقول الله: {وَأَكُلْ عَلَيْهِمْ تَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا} .. الآية. (١)

١٨٧-١١٩٧١ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتابا، فأخذ إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها، لم ينتفع بما جاء به. (٢)

١٨٨-١١٩٧٩ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، عن سالم أبي النضر: {فَأَقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة الأعراف ١٧٦/٧] يعني: بني إسرائيل، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك، لعلمهم يتفكرون، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر السماء. (٣)

قوله تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [سورة القصص ٥١/٢٨] ١٨٩-٢٠٩٥٣ - حدثنا ابن سنان، قال: ثنا حيان، قال: ثنا حماد، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن عطية القرظي قال: نزلت هذه الآية {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [سورة القصص ٥١/٢٨] حتى بلغ {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} [سورة القصص ٥٣/٢٨] في عشرة أنا أحدهم. (٤)

(١) تفسير الطبري (٩ / ١٢٦)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ١٢٢)

(٣) تفسير الطبري (٩ / ١٣٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٦٢١) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢٠ / ٨٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٨٨) تفسير الدر المنثور (٦ / ٤٢٢) -

تفسير القرظي (١٣ / ٢٩٦) - تفسير ابن كثير (٣ / ٣٩٤) - المعجم الكبير (٥ / ٥٣)

الدراسة:

من أبرز صفات اليهود التي حرت عليهم بسببها غضب الله ومقته: اتباعهم لأهوائهم؛ والهوى: كل ما خالف الحق، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد، فالهوى ميل النفس إلى الشهوة، ثم يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية كما قال الشعبي: ((إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار.)) (١)

وقد ذم الله اليهود لاتباعهم لأهوائهم، حيث قادهم ذلك إلى تبديل شرع الله والكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من الوحي؛ وسبب ذلك اتباعهم لأهوائهم، قال تعالى: { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } [سورة البقرة ١٨٧/٢]. وقال تعالى: { لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ } [سورة المائدة ٧٠/٥]

قال الطبري: "يقول الله جل ثناؤه لهم: يا معشر يهود بني إسرائيل، لقد آتينا موسى عليه السلام التوراة، وتابعنا من بعده بالرسول إليكم، وآتينا عيسى ابن مريم البينات والحجج إذ بعثناه إليكم، وقويناه بروح القدس. وأنتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تمناه نفوسكم استكبرتم عليهم تجبراً وبغياً استكبار إمامكم إبليس؛ فكذبتم بعضاً منهم، وقتلتم بعضاً، فهذا فعلكم أبداً برسلي. (٢)

واتباع الهوى: مما ذمه الله -تبارك وتعالى- في كتابه الكريم، إذ أن من اتبع هواه، فهو مخالف لأمر الله ونهيه، بل وصف الله بعض متبعي أهوائهم عبادا لها كما قال تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [سورة الجاثية ٢٣/٤٥] وقوله: { أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا } [سورة الفرقان ٤٣/٢٥]

(١) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة ج: ١ ص: ١٤٧

(٢) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٤٠٦

ويترتب على من من اتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه، فأمره إلى هلاك كما قال تعالى لنبيه: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [سورة الكهف ٢٨/١٨]

ووصف الله اليهود باتباع الهوى ثم حذر رسوله صلى الله عليه وسلم منهم و أن السبب في عدم استجابتهم له هو اتباعهم لهواهم: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة القصص ٥٠/٢٨] أي آراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان، وإنه لا حجة لهم {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} [سورة القصص ٥٠/٢٨] أي لا أحد أضل منه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة المائدة ٥١/٥]. (١)

وحذر الله النصارى من مشابهة اليهود في اتباع الهوى فقال: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ} [سورة المائدة ٥/٧٧]

قال الطبري: "قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ} يعني بالكتاب: الإنجيل، {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} يقول: لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل، فتقولوا فيه: هو الله، أو هو ابنه؛ ولكن قولوا: هو عبد الله كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. {وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ} ويقول: ولا تتبعوا أيضاً في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه، فتقولون فيه كما قالوا: هو لغير رشدة." (٢)

(١) تفسير القرطبي ج: ١٣ ص: ٢٩٥

(٢) قال ابن الأثير: يقال هذا ولد رشدة إذا كان لِنكاح صحيح كما يقال في ضده وللدُّ زنية بالكسر فيهما وقال الأزهري في فصل بغي كلامُ العرب المعروف فلان ابن زنية وابن رشدة وقيل قيل زنية ورشدة والفتح أفصح اللغتين: (النهاية ٢/٢٢٥)

وتبتهتوا أمه كما ييهتونها بالفرية، وهي صديقة. {وَأَضَلُّوا كَثِيرًا} يقول تعالى ذكره: وأضل هؤلاء اليهود كثيراً من الناس، فحادوا بهم عن طريق الحق وحملوهم على الكفر بالله والتكذيب بالمسيح. {وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ} يقول: وضل هؤلاء اليهود عن قصد الطريق، وركبوا غير محجة الحق وإنما يعني تعالى ذكره بذلك كفرهم بالله وتكذيبهم رسله عيسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم، وذهابهم عن الإيمان وبعدهم منه. وذلك كان ضالهم الذي وصفهم الله به. (١)

وقد ضرب الله مثلاً لما في اليهود من ضلال في اتباعهم أهوائهم حتى لمن نسب إلى الصلاح منهم، كما أخبرنا -جل وعلا- عن رجل من بني إسرائيل ممن اتبع هواه في قوله تعالى: {وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة الأعراف ١٧٦/٧]

واختلفت الروايات في تعيين اسم الرجل الذي آتاه الله الآيات وبعض الآثار تنص على أنه من بني إسرائيل وورد غير ذلك. وليس عندنا دليل من الكتاب أو السنة صريح يمكن الاعتماد عليه، ليكون حجة. وغالب الظن أن هذا التعيين متلقى من الإسرائيليات. قال الطبري معقباً على ما جاء في سبب النزول: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يتلو على قومه خبر رجل كان آتاه حججه وأدلته، وهي (الآيات) ... وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك (بلعم) - وجائز أن يكون (أمية) ... ولا خبر بأي الرجلين المعني، يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أي ذلك المعني به من أي. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونقر بظاهر التزويل على ما جاء به الوحي من الله." (٢)

(١) تفسير الطبري ج: ٦ ص: ٣١٦

(٢) تفسير الطبري (٢٦٠ - ٢٥٩/١٣) بتصرف .

وخطأ ابن كثير من قال إن بلعم قد أوتي النبوة فانسلخ منها. قال رحمه الله : "وأغرب، بل أبعد، بل أخطأ من قال: كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها، حكاه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح." (١)

وفيما ورد من وصف القوم الذين كذبوا واتبعوا أهوائهم من بني إسرائيل، وما حصل منهم، هو للعبارة والعظة لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللمسلمين من في كل زمان ومكان.

قال الطبري رحمه الله : "يقول تعالى ذكره: هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل، القوم الذين كذبوا بحجبتنا وأعلامنا وأدلتنا، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناه إياه في تركه العمل بما آتيناه من ذلك.

وأما قوله: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ} [سورة الأعراف ١٧٦/٧] فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاقصص يا محمد هذا القصص، الذي قصصته عليك من نبي آتيناه آياتنا، وأخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة وقصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حل بهم من عقوبتنا ونزل بهم، حين كذبوا رسلنا من نعمتنا على قومك من قريش ومن قبلك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يجل بهم مثل الذي حل بمن قبلهم من النقم والمثلات، ويتدبره اليهود من بني إسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك، إذ كان نبأ الذي آتيناه آياتنا من خفي علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه إلا أخبارهم ومن قرأ الكتب ودرسها منهم، وفي علمك بذلك وأنت أمة لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علمت من ذلك، وحالك الحال التي أنت بها إلا بوحى من السماء. (٢)

واتباع الهوى هو ما كان يريد اليهود زمن الرسول صلى الله عليه وسلم منه، ومن أمته ولذلك تتابع تحذير الله من كيدهم فقال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ

(١) تفسير ابن كثير (٥٠٩/٣)

(٢) تفسير الطبري ١٣٠/٩

حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣٠﴾ [سورة البقرة ١٢٠/٢]

قال الطبري رحمه الله : "يعني جل ثناؤه بقوله: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ} يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى، فيما يرضيهم عنك من تهود وتنصر، فصرت من ذلك إلى إرضائهم، ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جاءك من العلم بضاللتهم وكفرهم برهم، ومن بعد الذي اقتضت عليك من نبئهم في هذه السورة، {مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ} يعني بذلك: ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك، وقيم يقوم به، ولا نصير ينصرك من الله، فيدفع عنك ما يتزل بك من عقوبته، ويمنعك من ذلك أن أحل بك ذلك ربك. (١)

والخطاب في التحذير من متابعة اليهود والنصارى معهم، هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده كما ذكره المفسرون.

قال القرطبي رحمه الله : "وفي هذا الخطاب وجهان: أحدهما: أنه للرسول صلى الله عليه وسلم، وعليه وسلم، لتوجه الخطاب إليه. والثاني: أنه للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته، وعلى الأول يكون فيه تأديب لأمته، إذ مترلتهم دون مترلته. وسبب الآية أنهم كانوا يسألون المسألة والهدية، ويعدون النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام، فأعلمه الله أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، وأمره بجهادهم." (٢)

وقال السعدي رحمه الله : "فهذا فيه النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمته داخلة في ذلك؛ لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب." (٣)

(١) تفسير الطبري ٥١٨/١

(٢) تفسير القرطبي ٩٤/٢

(٣) تفسير السعدي ٦٥/١

وقد امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ربه وحذر أمته مما حذره ربه فقال صلى الله عليه وسلم : ((ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه من الخيلاء.)) (١)

ومن بعده صلى الله عليه وسلم حذر أصحابه كذلك فعن علي _ قال: ((إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل؛ أما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.)) (٢)

ولأن اليهود هم اليهود في كل زمان لا تنفعهم الموعظة، فهذا مثال بعد زمن النبوة بقليل والكاشف له من أعلم الناس باليهود، كيف وقد كان من علمائهم أعني: عبد الله بن سلام _ وقصته مع كبير اليهود، حين مر عليه الكوفة قال: ((شهدت فتح نهاوند فجاءني رأس الجالوت (٣) فجعل يشترى من كان يهودياً، فمرت به جارية صبيحة مع رجل فقال له هل أتاك هذا؟ قال: فظننت أنه حين رأى صباحتها فقلت: لقد أثمت بمسألتك إياها بما في كتابك، قال: وما يدريك ما في كتابي؟ قلت: أنا أعلم بكتابك منك. سل عني فأخبرك، فلما أتى منزله دعا بدابة وسألني أن آتيه، فرجوت أن ينفعه الله بي ويهديه للإسلام فأتيته فذاكرته كتابه وأخبرته بصفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه، فقال: إني لأعرف ما تقول. قلت: فما يمنعك من الإسلام فإذا الرجل مستكبر راغب في منزلته فلم يسلم.)) (٤)

(١) رواه الطبراني المعجم الأوسط ٥ / ٣٢٨ وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٠٤٥

(٢) رواه البيهقي شعب الإيمان ج: ٧ ص: ٣٦٩

(٣) رأس الجالوت اسم يطلق على كبير اليهود وكان يدعى سابقا -القطنون- فتح الباري ج: ١٠ ص: ٥٩٣ والإصابة في تمييز الصحابة ج: ٤ ص: ٧٦٦ .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ج: ٦ ص: ٥٥٨ و دلائل النبوة للصبهاني ج: ١ ص: ٩٩ .

المبحث الثالث: الآثار الواردة في تزكيتهم أنفسهم

الآثار:

المطلب الأول: قصر الجنة عليهم

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا

الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ [سورة البقرة ٩٤/٢]

١٩٠-١٣٠٠ - حدثني بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: {قُلْ إِنْ

كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ} وذلك أهم {قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ

الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} [سورة البقرة ١١١/٢] وقالوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}

[سورة المائدة ١٨/٥] (المائدة: ١٨) ف قيل لهم: {فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة البقرة

٩٤/٢]. (١)

١٩١-١٣٠١ - حدثني المثني قال: حدثنا آدم قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال: قالت

اليهود: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} [سورة البقرة ١١١/٢] وقالوا: {نَحْنُ

أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [سورة المائدة ١٨/٥] فقال الله: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ

خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة البقرة ٩٤/٢] فلم يفعلوا.

(٢)

١٩٢-١٣٠٢ - حدثني المثني قال: حدثنا إسحاق قال: حدثني أبو جعفر عن الربيع قوله: {قُلْ إِنْ

كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً} الآية وذلك بأنهم {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ

كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} وقالوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}. (٣)

١٩٣-١٣٠٣ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن

الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ} قال: قل يا محمد لهم

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٢٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٧) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٢٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٧) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٢٠) وحسن

إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٨)

- يعني اليهود - إن كانت لكم الدار الآخرة - يعني الخير - {عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً} يقول: خاصة لكم. (١)

١٩٤-١٣٠٤ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: {مَنْ دُونَ النَّاسِ} يقول: من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين استهزأتم بهم وزعمتم أن الحق في أيديكم وأن الدار الآخرة لكم دونهم. (٢)
قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ}
[سورة البقرة ١١١/٢]

١٩٥-١٤٩٢ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد عن قتادة: {تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} أماني يتمنونها على الله كاذبة. (٣)

١٩٦-١٤٩٣ - حدثني المثني قال: ثنا إسحاق قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع: {تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} قال: أماني تمنوا على الله بغير الحق. (٤)

١٩٧-١٤٩٦ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} [سورة البقرة ١١١/٢] قال: حجتكم. (٥)

(١) تفسير الطبري (٤٢٦ / ١) - تفسير الدر المنثور (٢٢٠ / ١) - تفسير ابن كثير (١٢٩ / ١)

(٢) تفسير الطبري (٤٢٦ / ١)

(٣) تفسير الطبري (٤٩٢ / ١) حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

(٤) تفسير الطبري (٤٩٢ / ١) - تفسير ابن أبي حاتم (٢٠٧ / ١)

(٥) تفسير الطبري (٤٩٣ / ١) - تفسير ابن أبي حاتم (١٥٧ / ١) - تفسير الدر المنثور (٢٦٣ / ١) - تفسير

ابن كثير (١٥٥ / ١) صححه في التفسير الصحيح (١٢٢/٣)

المطلب الثاني: قصر الهدى عليهم

قوله تعالى: { وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا } [سورة البقرة ١٣٥/٢]

١٩٨-١٧٢٦ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة جميعاً عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عبد الله بن سوريا الأعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد! وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله عز وجل فيهم: { وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } . (١)

المطلب الثالث: زعمهم محبة الله لهم

قوله تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } [سورة المائدة ١٨/٥]

١٩٩-٩٠٦٠ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثنا سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء وجرى بن عمرو وشأس بن عدي فكلموه فكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا: ما نخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحبأؤه! كقول النصارى فأنزل الله جل وعز فيهم: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } ... إلى آخر الآية. (٢)

٢٠٠-٩٠٦١ - حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } أما أبناء الله فإنهم قالوا: إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولداً من ولدك أدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد: أن أخرجوا كل محتون من ولد إسرائيل فأخرجهم. فذلك قوله: { لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ } [سورة آل عمران ٢٤/٣] وأما النصارى فإن فريقاً منهم قال للمسيح: ابن الله. (٣)

(١) تفسير الطبري (١ / ٥٦٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٤١) - تفسير الدر المنثور (١ / ٣٣٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١٨٧) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١٦٤) - تفسير القرطبي (٦ / ١٢٠) - تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦)

(٣) تفسير الطبري (٦ / ١٦٤) - تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦) حسنه في التفسير الصحيح (٢ / ٢٨١)

المطلب الرابع: زعمهم النجاة من النار

قوله تعالى: { وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً } [سورة البقرة ٢/٨٠]

٢٠١-١١٥٥ - حدثنا به أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: { وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً } قال ذلك أعداء الله اليهود قالوا: لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم الأيام التي أصبنا فيها العجل أربعين يوماً فإذا انقضت عنا تلك الأيام انقطع عنا العذاب والقسم. (١)

٢٠٢-١١٥٦ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: { لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً } قالوا: أياما معدودة بما أصبنا في العجل. (٢)

٢٠٣-١١٥٧ - حدثنا موسى قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي: { وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً } قال: قالت اليهود: إن الله يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة حتى إذا أكلت النار خطايانا واستنققتنا نادى مناد: أخرجوا كل محتون من ولد بني إسرائيل فلذلك أمرنا أن نختن. قالوا: فلا يدعون منا في النار أحداً إلا أخرجوه. (٣)

٢٠٤-١١٥٨ - حدثني المثني قال: ثنا آدم قال: ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال: قالت اليهود: أن ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة ثم يخرجنا. فأكذبهم الله. حدثني المثني قال: ثنا آدم قال: ثنا أبو جعفر عن قتادة قال: قالت اليهود: لن ندخل النار إلا تحلة القسم عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل. (٤)

٢٠٥-١١٥٩ - حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: { لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً } الآية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوباً "إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم". وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الجحيم سقر وفيه شجرة الزقوم فرعم أعداء الله أنه إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياما معدودة. وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم فقالوا: إذا خلا العدد انتهى الأجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك؛

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٨١)

(٢) تفسير عبد الرزاق (١ / ٥١) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٦) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٩) صححه في

التفسير الصحيح (١/١٦٤)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٨١)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٨١) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦).

فذلك قوله: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} يعنون بذلك الأجل. فقال ابن عباس: لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة قال لهم خزان سقر: زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياماً معدودة فقد خلا العدد وأنتم في الأبد! فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون. (١)

٢٠٦-١١٦٠ - حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن

ابن عباس رضي الله عنهما: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} إلا أربعين ليلة. (٢)

٢٠٧-٥٣٣٦ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتاده. {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا

أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ} قالوا: لن تمسنا النار إلا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل ثم ينقطع القسم والعذاب

عنا. قال الله عز وجل: {وَعَرَّهْمَ فِي دِينِهِمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} أي قالوا: نحن أبناء الله وأحباءه. (٣)

قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَلُونَ وَنَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾}

[سورة آل عمران ١٢/٣]

٢٠٨-٥٢٤١ - أبو كريب حدثنا قال: ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي محمد

مولي زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أصاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: "يا معشر يهود أسلموا

قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً" فقالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك إنك قتلت نفرًا من قريش كانوا

أغماراً لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وأنك لم تأت مثلنا! فأنزل الله عز

وجل في ذلك من قولهم: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَلُونَ وَنَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾}

إلى قوله: {لَأُولَىٰ الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾} (٤)

٢٠٩-٥٧٣٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: قال الله عز

وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٦) - تفسير القرطبي (٢ / ١٠) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٩) إسناده

ضعيف

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٨١) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٦) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠٧) - تفسير

ابن كثير (١ / ١١٩) إسناده ضعيف

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٢١٩) حسنه في التفسير الصحيح (١ / ٢٢٣)

(٤) تفسير الطبري (٣ / ١٩٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٠٤) - تفسير الدر المنثور (٢ / ١٥٨) - تفسير

ابن كثير (١ / ٣٥١) - سنن البيهقي الكبرى (٩ / ١٨٣)

يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ { يقول: مثل ما أوتيتهم يا أمة محمد أو يحاجوكم عند ربكم تقول اليهود: فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة حتى أنزل علينا المن والسلوى فإن الذي أعطيتكم أفضل فقولوا: {إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ... الآية. (١)}

قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا

تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ { [سورة آل عمران ٣/١٨٨]

٢١٠-٦٦٤٨ - حدثنا محمد قال: ثنا أحمد قال: ثنا أسباط عن السدي قال: كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون: نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ونحن على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله فيهم {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا} من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم: {وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٨﴾} أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم وليسوا كذلك. (٢)

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا

الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة البقرة ٢/٩٥]

٢١١-١٣٠٤ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: {مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ﴿٩٥﴾ يقول: من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين استهزأتم بهم وزعتم أن الحق في أيديكم وأن الدار الآخرة لكم دونهم. (٣)

المطلب الخامس: زعمهم براءتهم واولادهم من الذنوب:

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا

يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [سورة النساء ٤/٤٩]

(١) تفسير الطبري (٣ / ٣١٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٨٢) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٤٢) حسنه في التفسير الصحيح (٢٨١/٢)

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٨٤٦) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٤١٦)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤٢٦)

٢١٢-٧٦٩٧ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} وهم أعداء الله اليهود زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا: لا ذنوب لنا. (١)

٢١٣-٧٦٩٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الحسن في قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} قال: هم اليهود والنصارى قالوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [المائدة: ١٨] وقالوا: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة البقرة ١١١/٢] (٢)

٢١٤-٧٦٩٩ - وحدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك قال: قالت يهود: ليست لنا ذنوب إلا كذنوب أولادنا يوم يولدون فإن كانت لهم ذنوب فإن لنا ذنوبا فإنما نحن مثلهم قال الله تعالى ذكره: {انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا} [سورة النساء ١٥٠/٤] (٣)

٢١٥-٧٧٠٠ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} قال: قال أهل الكتاب. {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة البقرة ١١١/٢] وقالوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [سورة المائدة ١٨/٥] وقالوا: نحن على الذي يجب الله. فقال تبارك وتعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} { حين زعموا

(١) تفسير الطبري (٥ / ١٢٦) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (٥ / ١٢٦) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٦٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٧٢) - تفسير

الدر المنثور (٢ / ٥٦٠) - تفسير ابن كثير (١ / ٥١٢) صححه في التفسير الصحيح (٢/٦٠)

(٣) تفسير الطبري (٥ / ١٢٦) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٦٢)

أهم يدخلون الجنة وأهم أبناء الله وأحباؤه وأهل طاعته. (١)

٢١٦-٧٧٠١ - حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا} نزلت في اليهود قالوا: إنا نعلم أبناءنا التوراة صغارا فلا تكون لهم ذنوب وذنوبنا مثل ذنوب آبائنا ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل. (٢)

٢١٧-٧٧٠٢ - حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا} قال: يهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمنونهم يزعمون أنهم لا ذنوب لهم. فتلك التركيبة. (٣)

٢١٨-٧٧٠٣ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي عن سفيان عن حصين عن أبي مالك في قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا} قال: نزلت في اليهود كانوا يقدمون صبيانهم يقولون: ليست لهم ذنوب. (٤)

٢١٩-٧٧٠٤ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي عن أبي مكين عن عكرمة في قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا} قال: كان أهل الكتاب يقدمون الغلمان الذين لم يبلغوا الحنث يصلون بهم يقولون ليس لهم ذنوب فأنزل الله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا}... الآية. (٥)

٢٢٠-٧٧٠٥ - حدثني محمد بن سعد قال: ثنا أبي قال قال: ثنا عمي قال: ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا} وذلك أن اليهود قالوا: إن أبناءنا قد توفوا وهم لنا قرابة عند الله وسيشفعون ويزكوننا. فقال الله لحمد: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا

(١) تفسير الطبري (٥ / ١٢٧)

(٢) تفسير الطبري (٥ / ١٢٧) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٦١) حسنه في التفسير الصحيح (٢٨١/٢)

(٣) تفسير الطبري (٥ / ١٢٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٧٢) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٦٠) - تفسير

ابن كثير (١ / ٥١٢)

(٤) تفسير الطبري (٥ / ١٢٧) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٦٠)

(٥) تفسير الطبري (٥ / ١٢٧) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٦٠)

يُظَلَّمُونَ فِتْيَالًا ﴿٤٩﴾ ... إلى { وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيَالًا ﴿٤٩﴾ } (١)

قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦٦﴾ }

٢٢١-٢٣٦٧٥ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة { وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦٦﴾ } قال: هم اليهود والنصارى قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم. (٢)

قوله تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ }

[سورة الأعراف ١٦٩/٧]

٢٢٢-١١٨٩٧ - حدثنا أحمد بن المقدم قال: ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن سعيد بن جبير في قوله: { يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ } قال: يعملون الذنب ثم يستغفرون الله فإن عرض ذلك الذنب أخذوه. (٣)

٢٢٣-١١٩٠٢ - حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي قوله: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ } .. إلى قوله: { وَدَرَسُوا مَا فِيهِ } قال: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم. وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي! فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع. فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي يقول: وإن يأت الآخري عرض الدنيا يأخذوه. وأما عرض الأدنى فعرض الدنيا من المال (٤).

(١) تفسير الطبري (٥ / ١٢٧) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٦٠) إسناده ضعيف

(٢) تفسير الطبري (٢٥ / ١٩) - تفسير عبد الرزاق (٣ / ١٩١) - تفسير الدر المنثور (٧ / ٣٤٢) - تفسير القرطبي (١٦ / ١٤)

(٣) تفسير الطبري (٩ / ١٠٥) - تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦١)

(٤) تفسير الطبري (٩ / ١٠٦) تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٩٤) - تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦١) حسنه في التفسير الصحيح (٢٨١/٢)



الدراسة:

لم يكنفي اليهود بمبارزة الله بالمعصية والكفر بل ذهب صلفهم وغرورهم إلى تزكيتهم لأنفسهم، وذلك كما فسره السلف لنا بعدة أمور منها:

١- قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

٢- وقالوا: لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى.

٣- وقالوا: لن تمسنا النار الا أياماً معدودة.

٤- وقالوا: إن الهدى مقصور عليهم وحدهم، وليس لغيرهم الا اتباعهم، حتى ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥- وقالوا: إن ابناؤنا لا ذنوب لهم فنقدمهم في الصلاة وسيشفعوا لنا.

وأظهر هذه المعاني في معنى تزكيتهم أنفسهم أنهم لا ذنوب لهم، وهم أبناء الله وأحباؤه، وقد رد الله عليهم قولهم ذلك بعد سياق كل تزكية قالوها، فكان ذلك كافياً في الرد عليهم وتقريرهم من الله عز وجل :

فقال لمن زكى نفسه منهم: {بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ} [سورة النساء ٤/٤٩]

وقال لمن قال: نحن أبناء الله: {قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾} [سورة المائدة ١٨/٥]

وقال لمن ادعى أنه لن يدخل الجنة معهم أحد: {وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣١﴾} [سورة البقرة ١١١/٢]

وقال لمن قال إنه لن يدخل النار الا أياما يسيره: {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّٰهِ عَهْدًا فَلَن يَخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾} [سورة البقرة ٨٠/٢]

وساق ابن أبي حاتم بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما في الرد على من قال أن أبناءه سيشفعون له قال ابن عباس رضي الله عنهما : ((كان اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب وكذبوا قال الله: إني

لا أظهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له وأنزل الله {الْمَ تَرِ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ} [سورة النساء ٤/٤٩]. (١)

وقد أثرت هذه العقيدة عن اليهود أعني تزكيتهم أنفسهم، وأنهم فوق البشر، حتى ترسخت في أجيالهم خاصة إذا جمع معها تفضيل الله لأسلافهم على عالمي زمانهم، فنتج عن هذا مقولة (شعب الله المختار) (٢) وهي التي شجعتهم عبر العصور، خاصة المتأخر منها على العدوان، واستغلال الغير، والاستهانة في المعاصي، اتكالا على هذا التفضيل، ولمز كل من يتعرض لهم من قريب أو بعيد وما تهمه (معادة السامية) المعاصرة عنا ببعيد.

وتوراثهم المعاصرة هي معتمدتهم في ذلك فقد جاء في سفر التثنية (٢/١٤) "لأنك شعب مقدس للرب إلهك. وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض". والفكرة نفسها تتواتر في سفر اللاويين (٢٠/٢٤، ٢٦): "أنا الرب إلهكم الذي ميّزكم من الشعوب... وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب. وقد ميّزتكُم من الشعوب لتكونوا لي".

وفكرة الاستعلاء والعنصرية اليهودية من أسوأ أنواع العنصرية في العالم (فهي تتسم بسمات تخالف بها جميع العنصريات عند الأمم كتزييف التاريخ ومصادرة الفكر - اللاسامية - واستغلال الدين). (٣)

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٩٧٢ وتفسير ابن كثير ج: ١ ص: ٥١٢

(٢) تقدم في فصل -تفضيلهم على العالمين - مناقشة بعض جوانب تزكيتهم لأنفسهم وينطلق اليهود المعاصرون في تعاملهم مع الأمم من منطلق أنهم (الشعب المختار) فماذا يعني هذا المصطلح؟

يجيب الدكتور عبدالوهاب المسيري في موسوعة اليهود واليهودية بقوله: "مصطلح «الشعب المختار» ترجمة للعبارة العبرية «هاعم هنفحار»، ويوجد معنى الاختيار في عبارة أخرى مثل: «أنا بخرتانو»، والتي تعني «اخترتنا أنت»، و «عم سيجولاه»، أو «عم نبحلاه» أي «شعب الإرث» أي «الشعب الكثر». وإيمان بعض اليهود بأنهم شعب مختار مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي، وتعبير آخر عن الطبقة الحلولية التي تشكلت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي وتراكت فيه. والثالوث الحلولي مُكوّن من الإله والأرض والشعب، فيحل الإله في الأرض، لتصبح أرضاً مقدّسة ومركزاً للكون، ويحل في الشعب ليصبح شعباً مختاراً، ومقدّساً وأزلياً (وهذه بعض سمات الإله). ولهذا السبب، يُشار إلى الشعب اليهودي بأنه «عم قادوش»، أي «الشعب المقدّس» و«عم عولام» أي «الشعب الأزلي»، و«عم نيتسح»، أي «الشعب الأبدي»

(٣) العنصرية اليهودية ٤/٥٠٠ وللتوسع في العنصرية اليهودية ينظر في الدراسة المتميزة للدكتور أحمد الزغبيني وفقه الله بعنوان العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها - في أربعة مجلدات شافية في جميع جوانب

المبحث الرابع: الآثار الواردة في نقضهم العهود والمواثيق

الآثار:

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ } [سورة آل عمران ٧٧/٣]

٢٢٤-٥٧٥٣- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: نزلت هذه الآية: { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ } في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب. (١)

قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ } [سورة آل عمران ٨٧/٣]

٢٢٥-٦٦٣٠- حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أنه حدثه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ } إلى قوله: { عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ } يعني: فنحاص وأشيع وأشباههما من الأخبار. (٢)

٢٢٦-٦٦٣١- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ } كان أمرهم أن يتبعوا النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، وقال: { اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ } [سورة الأعراف ١٥٨/٧] فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال: { أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ } [سورة البقرة ٤٠/٢] عاهدكم على ذلك،

الموضوع ودراسة الدكتور زياد عليان بعنوان الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر وعنه نقلت نصوص التوراة.

(١) تفسير الطبري (٣ / ٣٢١)

(٢) تفسير الطبري (٤ / ٢٠٢) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٤٠١) وحسنه في التفسير الصحيح (١ / ٤٨٩)

فقال حين بعث محمداً: صدقوه، وتلقون الذي أحببتم عندي. (١)

٢٢٧-٦٦٣٩ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب البجلي، عن الشعبي في قوله: {فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ} ﴿٧٧﴾ قال: إنهم قد كانوا يقرؤونه إنما نبذوا العمل به. (٢)

٢٢٨-٦٦٤٠ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح: {فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ} ﴿٧٧﴾ قال: نبذوا الميثاق. (٣)

٢٢٩-٦٦٤١ - حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ} ﴿٧٧﴾ أخذوا طمعاً، وكتبوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم. (٤)

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ﴿١٣﴾ [سورة البقرة ٦٣/٢]

٢٣٠-٩٣٠ - حدثني به يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: لما رجع موسى عليه السلام من عند ربه بالألواح قال لقومه بني إسرائيل: إن هذه الألواح فيها كتاب الله، وأمره الذي أمركم به، ونهيه الذي نهاكم عنه، فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ قال: فجاءت غضبة من الله فجاءهم صاعقة فصعقتهم، فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله بعد موتهم، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله! فقالوا: لا، قال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: متنا ثم حينئذ، قال: خذوا كتاب الله! قالوا: لا. فبعث ملائكته فتتقت الجبل فوقهم، فقيل لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الطور، قال: خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم! قال: فأخذوه بالميثاق. وقرأ قول الله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

(١) تفسير الطبري (٤ / ٢٠٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٨٣٥) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٤٠٢) إسناده

ضعيف

(٢) تفسير الطبري (٤ / ٢٠٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٨٣٧) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٤٠٣) وحسنه

في التفسير الصحيح (١/٤٩١)

(٣) تفسير الطبري (٤ / ٢٠٤) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٤٠٣)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٢٥٣) - تفسير الدر المنثور (١ / ٤٠٨) - تفسير ابن كثير (١ / ٨٤) حسنه في التفسير

الصحيح (٢/٢٨١)

وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
 { حتى بلغ: { وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ } [البقرة: ٨٣-٨٥] قال: ولو كانوا أخذوه أول مرة
 لأخذوه بغير ميثاق. (١)

قوله تعالى: { وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
 لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ } [سورة البقرة ٧٦/٢]

٢٣١-١١٠٨-حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد،
 عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
 خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } أي بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم
 تستفتحون به عليهم، فكان منهم. فأنزل الله: { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ
 إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ }
 أي تقرون بأنه نبي، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يخبرهم أنه النبي صلى الله عليه
 وسلم الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا؟ احذوه ولا تقروا لهم به. يقول الله: { أو لا يعلمون أن الله
 يعلم ما يسرون وما يعلنون }. (٢)

قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [سورة البقرة ٨٣/٢]

٢٣٢-١١٩٢-حدثني به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي
 محمد، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ } أي ميثاقكم { لا
 تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ }. (٣)

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٩٢) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٥)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٧٠) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٩٨) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٦) إسناده
 ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٨٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠٩) إسناده

٢٣٣-١١٩٣- حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: أخذ موثيقهم أن يخلصوا له وأن لا يعبدوا غيره. (١)

٢٣٤-١١٩٤- حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: أخبرنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} قال: أخذنا ميثاقهم أن يخلصوا لله ولا يعبدوا غيره. (٢)

٢٣٥-١١٩٥- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} قال: الميثاق الذي أخذ عليهم في المائة. (٣)

قوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} [سورة البقرة ٨٣/٢].

٢٣٦-١١٩٦- حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} {٨٣} أمرهم أيضا بعد هذا الخلق أن يقولوا للناس حسنا: أن يأمروا بلا إله إلا الله من لم يقلها ورغب عنها حتى يقولوها كما قالوها، فإن ذلك قرينة من الله جل ثناؤه. (٤)

٢٣٧-١١٩٧- حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} قال: قولوا للناس معروفاً. (٥)

ضعيف.

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٨٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٢٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠٩) وحسن

إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦). وحسنه في التفسير الصحيح (١/١٨٦)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٨٩)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٥٠) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٦٠)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٩٢)

(٥) تفسير الطبري (١ / ٣٩٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٦١) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦)

وحسنه في التفسير الصحيح (١/١٨٨)

٢٣٨-١١٩٩- حدثت عن يزيد بن هارون، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول في قوله: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} ﴿٤٣﴾ قال: مروهم بالمعروف، وانهموم عن المنكر. (١)

٢٣٩-١٢٠١- حدثنا أبو كريب، قال: ثنا القاسم، قال: أخبرنا عبد الملك، عن أبي جعفر وعطاء بن أبي رباح في قوله: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} ﴿٤٣﴾ قال: للناس كلهم. (٢)

قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} ﴿٤٣﴾ [سورة البقرة ٤٣/٢].

٢٤٠-١٢٠٢- حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن مسعود، قال: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} ﴿٤٣﴾ هذه، وإقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها. (٣)

٢٤١-١٢٠٣- حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} ﴿٤٣﴾ قال: إيتاء الزكاة ما كان الله فرض عليهم في أموالهم من الزكاة، وهي سنة كانت لهم غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم؛ كانت زكاة أموالهم قربانا تمبط إليه نار فتحملها، فكان ذلك تقبله، ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل. وكان الذي قرب من مكسب لا يجلب من ظلم أو غشم، أو أخذ بغير ما أمر الله به وبينه له. (٤)

٢٤٢-١٢٠٤- حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} ﴿٤٣﴾ يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص. (٥)

قوله تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} ﴿٤٣﴾ [سورة البقرة ٤٣/٢].

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٩٢) - تفسير القرطبي (٢ / ١٦) - إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٩٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٦١)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٩٢)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٩٣)

(٥) حسنه في التفسير الصحيح (١/١٨٨)

٢٤٣-١٢٠٥ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: لما فرض الله جل وعز عليهم - يعني على هؤلاء الذين وصف الله أمرهم في كتابه من بني إسرائيل - هذا الذي ذكر أنه أخذ ميثاقهم به، أعرضوا عنه استثقالا وكرهية، وطلبوا ما خف عليهم إلا قليلا منهم، وهم الذين استثنى الله فقال: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} يقول: أعرضتم عن طاعتي {إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} قال: القليل الذين اخترتم لطاعتي، وسيحل عقابي بمن تولى وأعرض عنها؛ يقول: تركها استخفافا بها. (١)

٢٤٤-١٢٠٦ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما : {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} أي تركتم ذلك كله. (٢)

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} [سورة البقرة ٨٤/٢]

٢٤٥-١٢٠٧ - حدثنا بشر بن معاذ، قال ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} {٨٤} أي لا يقتل بعضكم بعضا، {وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} {٨٤} ونفسك يا ابن آدم أهل ملتك. (٣)

٢٤٦-١٢٠٨ - حدثني المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} {٨٤} يقول: لا يقتل بعضكم بعضاً {وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} {٨٤} يقول: لا يخرج بعضكم بعضا من الديار. (٤)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٩٣)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٩٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٦٢) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٩٤) وحسنه في التفسير الصحيح (١٨٩/١)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٩٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١١) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦)

وحسنه في التفسير الصحيح (١٨٩/١)

٢٤٧- حدثني المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن قتادة في قوله: { لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } يقول: لا يقتل بعضكم بعضا بغير حق { وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } فتسفك يا ابن آدم دماء أهل ملتك ودعوتك. (١)

٢٤٨-١٢٠٩- حدثنا المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: { ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } يقول: أقررتم بهذا الميثاق. (٢)

٢٤٩-١٢١٠- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } أن هذا حق من ميثاقنا عليكم. (٣)

٢٥٠-١٢١١- حدثني المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: { وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } يقول وأنتم شهود. (٤)

قوله تعالى: { أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [سورة البقرة ١٠٠/٢]

٢٥١-١٣٦٠- حدثنا أبو كريب، قال ثنا يونس بن بكير. قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عهد إلينا في محمد صلى الله عليه وسلم - وما أخذ له علينا ميثاقا! فأنزل

(١) حسنه في التفسير الصحيح (١٨٩/١)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٩٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٦٣) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١١) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦) وحسنه في التفسير الصحيح (١/١٨٩)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٩٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٦٣) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١١) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٩٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٦٣) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١١) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦) وحسنه في التفسير الصحيح (١/١٨٩)

الله جل ثناؤه: {أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون}. (١)

٢٥٢-١٣٦١ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٦﴾} يقول: نقضه فريق منهم. (٢)

٢٥٣-١٣٦٢ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله: {نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٦﴾} قال: لم يكن في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه، ويعاهدون اليوم وينقضون غدا. (٣)

قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [سورة الأعراف ١٦٩/٧]

٢٥٤-١١٩٠٥ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: {الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} قال: فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها. (٤)

قوله تعالى: {وَإِذْ تَتَّقْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾} [سورة الأعراف ١٧١/٧]

٢٥٥-١١٩١٠ - حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: {وَإِذْ تَتَّقْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾} فهو قوله: {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾} [النساء: ١٥٤] فقال: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾}، وإلا أرسلته عليكم. (٥)

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٨٣) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٣٢) وحسنه في التفسير الصحيح (١ / ٢٠٤)

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٨٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٣٢) - تفسير ابن كثير (١ / ١٣٥) وصححه في التفسير الصحيح (١ / ٢٠٤)

(٣) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٤٤٧ - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٣٢)

(٤) تفسير الطبري (٩ / ١٠٧)

(٥) تفسير الطبري (٩ / ١٠٩) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٩٥) وحسنه في التفسير الصحيح (٢ / ٣٦٠)

قوله تعالى: {إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} [سورة الأحزاب ١٠/٣٣]

٢٥٦-٢١٦٢٣- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، وعمن لا أتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا: أنه كان من حديث الخندق، أن نفرًا من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله. فقال لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾} [النساء: ٥١] إلى قوله: {وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾} [النساء: ٥٥] فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا لذلك، واتعدوا له. ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا فيه، فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومشعر بن رخیلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع؛ فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تمامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذب نقي إلى جانب احد، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء، فرفعوا في الآطام، وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعب بجيبي بن أخطب، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: يا

كعب افتح لي، قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشثوم، إني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا؛ قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جشيشتك أن أكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: يا كعب جئتكم يعز الدهر، وبيحر طم، جئتكم بقريش على قاداتها وساداتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نغمي إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه، فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماءه، يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، فدعني ومحمداً وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء؛ فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان عليه، فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، وإلى المسلمين، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أحد بني الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عباد بن ديلم أخي بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحرث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشامة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة: أي كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين"، وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو، وذلك عن ملاء من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا، وإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار". (١)

(١) تفسير الطبري (٢١ / ١٢٩) إسناده ضعيف.

قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} [سورة الأحزاب ٢٦/٣٣]

٢٥٧-٢١٦٨٨-حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح، فما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم -معتجراً بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحاله، عليها قطيفة من ديباج-؛ فقال: أفد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: "نعم"، قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إلى بني قريظة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً، فأذن في الناس: إن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب - برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب - حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخبات، قال: "لم؟ أظنك سمعت لي منهم أذى"، قال: نعم يا رسول الله. قال: "لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً". فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال: "يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟" قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً؛ ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: "هل مر بكم أحد؟" فقالوا: يا رسول الله، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاك جبرائيل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم"؛ فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة؛ نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أنا، فتلاحق به الناس، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله. (١)

قوله تعالى: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سورة المائدة ١١٤/٥]

٢٥٨-١٠١٣٢-حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن إسحاق بن عبد الله: أن المائدة نزلت على عيسى ابن مريم، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، يأكلون منها ما شاؤوا.

(١) تفسير الطبري (٢١ / ١٥١) إسناده ضعيف.

قال: فسرق بعضهم منها، وقال: لعلها لا تنزل غدا! فرفعت. (١)

٢٥٩-١٠١٣٣ - حدثنا المثني، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن سماك بن حرب، عن رجل من بني عجل قال: صليت إلى جنب عمار بن ياسر، فلما فرغ، قال: هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال: فقلت لا. قال: إهم سألو عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد، قال: فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تحبثوا أو تخونوا أو ترفعوا، فإن فعلتم فإني أعذبكم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين. قال: فما تم يومهم حتى حبثوا ورفعوا وخانوا، فعذبوا عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين. وإنكم معشر العرب كنتم تتبعون أذنان الإبل والشاء، فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرب، ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة، وإيم الله لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذبكم عذابا أليما!. (٢)

٢٦٠-١٠١٣٥ - حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو، عن عمار، قال: نزلت المائدة، وعليها ثمر من ثمر الجنة، فأمروا أن لا يحبثوا ولا يخونوا ولا يدخروا. قال: فخان القوم وحبثوا وادخروا، فحولهم الله قردة وخنازير.

٢٦١-١٠١٣٦ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة، وأمروا أن لا يحبثوا ولا يخونوا ولا يدخروا لغد، بلاء ابتلاههم الله به، وكانوا إذا فعلوا شيئا من ذلك أنبأهم به عيسى، فخان القوم فيه فحبثوا وادخروا لغد. (٣)

(١) تفسير الطبري (٧ / ١٣٣) - تفسير الدر المشثور (٣ / ٢٣٦) - تفسير ابن كثير (٢ / ١١٨)

(٢) تفسير الطبري (٧ / ١٣٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٥٦) - تفسير القرطبي (٦ / ٣٧٢)

(٣) تفسير الطبري (٧ / ١٣٤) - تفسير الدر المشثور (٣ / ٢٣٧) - حسنه في التفسير الصحيح (١ / ٢٢٣)

الدراسة:

يقول الله -تبارك وتعالى- معظماً أمر العهد: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} [سورة الإسراء ١٧/٣٤] ، وأثنى على أهل الوفاء وعدهم هم أولوا الألباب فقال:

{الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} [سورة الرعد ١٣/٢٠]

قال قتادة رحمه الله : قال الله : {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [سورة الرعد ١٩/١٣] فبين من هم، فقال: {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} [سورة الرعد ٢٠/١٣] فعليكم بوفاء العهد، ولا تنقضوا هذا الميثاق، فإن الله تعالى قد نهي وقدم فيه أشد التقديم، فذكره في بضع وعشرين موضعاً، نصيحة لكم وتقديم إليكم وحجة عليكم، وإنما يعظم الأمر بما عظمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظموا ما عظم الله. (١)

قال ابن منظور: "العهد كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من الموائيق، فهو عهد والعهد: الوفاء. وفي الترتيل: {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ} [سورة الأعراف ٧/١٠٢] ؛ أي من وفاء؛ قال أبو الهيثم: العهد جمع العهدة وهو الميثاق واليمين التي تستوثق بها ممن يعاهدك." (٢)

وقال: "الموثق والميثاق: العهد، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع الموائيق على الأصل، الموثقة: المعاهدة؛ ومنه قوله تعالى: {وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاْتَقَمَ بِهِ} [سورة المائدة ٥/٧] و الميثاق: العهد، مفعال من الوثاق، وهو في الأصل حبل أو قيد يُشدّ به الأسير والدابة . وفي التهذيب: "الميثاق من الموثقة والمعاهدة؛ ومنه الموثق . تقول: واثقته بأفعلن كذا وكذا . ويقال: استوثقت من فلان و توثقت من الأمر إذا أخذت فيه بالوثاقه" (٣)

(١) تفسير الطبري (١٣ / ١٣٩) - تفسير الدر المنثور (٤ / ٦٣٦) - تفسير القرطبي (٩ / ٣٠٧)

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣١١

(٣) لسان العرب ج ١٠ ص ٣٧١

لقد قصّ لنا القرآن عشرات العهود والمواثيق التي نقضها اليهود وهدموها وخرجوا عليها ولم يرعوها، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾} ثم تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾} [سورة البقرة ٦٣/٢-٦٤].

قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مذكراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له واتباع رسله، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم ليقروا بما عاهدوا عليه، ويأخذوه بقوة وجزم وامتنال، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رُفِعَ عليهم الجبل ليسمعوا. وقال السُّدي فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا إليه وقد غَشِيَهُمْ فسقطوا سُجَّدًا فسجدوا على شقٍّ ونظروا بالشقِّ الآخر فرحمهم الله فكشفه عنهم، فقالوا والله ما سجدة أحبّ إلى الله من سجدةٍ كشف بها العذاب عنهم فهم يسجدون كذلك..... فأقروا بذلك أنهم يأخذون ما أوتوا به بقوة..... قال أبو العالية والربيع

{وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ} [سورة البقرة ٦٣/٢] يقول: اقرءوا ما في التوراة واعملوا به، وقوله تعالى {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ} ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم تولَّيْتُمْ عنه وانثنيتم ونقضتموه" (١) ويقول تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سورة البقرة ٨٣/٢-٨٥]. فقد بين الله تعالى أنه أخذ الميثاق على بني إسرائيل بأن لا يعبدوا إلا الله، وبأن يحسنوا للوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، وأن لا يسفكوا الدماء، وقد أقرُّوا بهذا الميثاق واعترفوا به وشهدوا على أنفسهم. وبعد هذا كله نقضوا عهد الله وميثاقه الذي واثقهم به، فسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً وأخرجوا

(١) تفسير ابن كثير: ١/٤١١،

بعضهم من ديارهم. وقد نزلت هذه الآيات في معرض الإنكار على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج.

يقول ابن كثير رحمه الله: "وذلك أن الأوس والخزرج، وهم الأنصار، كانوا في الجاهلية عبّاد أصنامٍ وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريقٍ مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرامٌ عليهم في دينهم ونصّ كتابهم.... وذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة... {ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ} أي ثم أقررت بمعرفة هذا الميثاق وصحّته وأنتم تشهدون به {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ} فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حربٌ خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يُظاهر كل واحدٍ من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتّى تسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم." (١).

وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾} [سورة المائدة ١٢/٥-١٣].

وهكذا يقصّ علينا القرآن نقضهم المواثيق التي بينهم وبين الله. وإن كانوا قد نقضوا عهودهم مع الله فقد نقضوها مع أنبيائه ورسله. وحسبنا من ذلك أن نذكر جملةً من

(١) المصدر السابق

العهود والمواثيق التي أبرموها مع نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ثم نقضوها.

- صلى الله عليه وسلم :

"حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خيال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن حدثتكم عن شيءٍ فعرفتموه لتتابعنني على الإسلام. فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوا عما شئتم. قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن، أخبرنا أي الطعام حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن وليه من الملائكة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعنني؟، فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق، فقال: نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر الله نذراً لئن عافاه الله من مرضه ليحرّم من أحب الطعام والشراب إليه. وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها، فقالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد عليهم. وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل غليظٌ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله عز وجل، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله عز وجل ، قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد. وأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه). قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد. قالوا: أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجتمعك أو نفارقك. قال: فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعتك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تُصدقوه؟. قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله عز وجل {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿ سورة البقرة ٩٧/٢ ﴾ إلى قوله { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [سورة البقرة ١٠٢/٢] فعندها باؤوا بغضبٍ على غضبٍ (١).

-

"لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة... وكتب بينهم وبينه كتاب أمن، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، فحاربتهم بنو قينقاع بعد ذلك بعد بدرٍ وقد شرقوا بوقعة بدر، وأظهروا البغي والحسد فسارت إليهم جنود الله يقدمهم عبد الله ورسوله... وحاصروهم خمس عشرة ليلةً — وهُم أول من حارب من اليهود وتحصنوا في حصونهم، فحاصروهم أشدَّ الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رقابهم وأموالهم، ونسأهم وذريتهم، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها. فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام. فقلَّ أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم". (٢)

ثم نقضَ العهد بنو النضير: قال البخاري: وكان ذلك بعد بدرٍ بستة أشهر، قاله عروة. وسببُ ذلك أنه صلى الله عليه وسلم خرج إليهم في نفرٍ من أصحابه، وكلَّمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعنا يا أبا القاسم. اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك وخلا بعضهم ببعض، وسوّل لهم الشيطان الشقاء الذي كتبت عليهم فتأمروا بقتله صلى الله عليه وسلم، وقالوا أيكم يأخذ هذه الرّحى ويصعدُ فيلقها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوه فوالله ليُخبرنَّ بما همتم به، وإِنَّه لنقضَ العهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربِّه تبارك وتعالى بما همّوا به فنهض مُسرِعاً وتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه... وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اخرجوا من المدينة ولا تسكنوني بها وقد أجَلْتُكم عشراً. فمن وجدت بعد ذلك بها ضربتُ عنقه، فأقاموا أياماً

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١٧٢/١-١٧٣، وقد نقله عن ابن جرير الطبري وعزاه إلى مسند الإمام أحمد، وقد ورد بعض المناظرات في صحيح الإمام مسلم وفيها السؤال عن ماء الرجل والمرأة والشبه، وفيها السؤال عن أول طعام أهل الجنة ونحو ذلك.

(٢) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣: ١٢٦-١٢٧، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثلاثون، ١٤١٨ هـ.

يتجهزون. وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي أن لا تخرجوا من دياركم فإنّ معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفاءكم من غطفان. فبعثوا إلى رسول الله إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك. فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهضوا إليهم. وعلي بن أبي طالب _ يحمل اللواء، فلما انتهى إليهم، قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة. واعتزلتهم قريظة وخاتم ابن أبي وحلفاءهم من غطفان... فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نخلمهم وحرّق، فأرسلوا إليه: نحن نخرج عن المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذرائعهم وأنّ لهم ما حملت الإبل إلاّ السلاح. (١).

"وأما قريظة فكانت أشدّ اليهود عداوةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغلظهم كفرًا ولذلك جرى عليهم ما لم يجر على إخوانهم، وذلك لما أغراهم حيي بن أخطب بقوله جئتكم بقريش على سادتها، وغطفان على قادتها، وأنتم أهل الشوكة والسلاح، فهلّمّ حتى نناجز محمداً ونفرغ منه... فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، ونقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهروا سبّه، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فأرسل يستعلم الأمر، فوجدهم قد نقضوا العهد، فكبر وقال: ((أبشروا يا معشر المسلمين)). فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لم يكن إلاّ أن وضع سلاحه، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: أوضعت السلاح، والله إنّ الملائكة لم تضع أسلحتها فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائرٌ أمامك أززل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكبه من الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية علي بن أبي طالب _ ... ونازل حصون بني قريظة وحصرهم خمساً وعشرين ليلة، ولما اشتدّ عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال، فأبوا عليه أن يجيبوه إلى واحدةٍ منهن. وانتهى أمرهم إلى سعد بن معاذ _ إذ اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: ((ألا ترضون أن يحكم فيهم رجلٌ منكم، فذاك إلى سعد بن معاذ))، وجيء بسعد _ فكان

(١) المصدر السابق، ٣: ١٢٧-١٢٨ وأصل القصة في الصحيحين.

حكّمه أن تُقتل الرجال وتُسى النساء وتُقسّم الأموال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات)) (١).

"وكان هذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم إذا صالح قوماً فنقض بعضهم عهده وصلحه وأقرهم الباقون ورضوا به، غزا الجميع وجعلهم كلهم ناقضين" (٢).

وهذا ما أكّده التاريخ قديماً وحديثاً فقد عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة كما مرّ معنا ونقضوا عهودهم في حسنةٍ ونذالةٍ. وأما في العصر الحديث فالعالم كلّهُ شاهدٌ على نقض العهود والوعود، بل إنّ اليهود يتخذون الوعود والمواثيق أسلوباً وسبيلاً للوصول إلى أغراضهم، فقد يعقدون المعاهدة حتى يلتقطوا أنفاسهم ويُعدّوا أنفسهم. فإذا تحقّق لهم ما أرادوا ينكثون العهد والوعد كعادتهم.

ومما ينبغي أن نشير إليه، ونحن نستعرض شهادة القرآن على اليهود، أنّ القرآن الكريم قد أكّد على ثبات هذه الصّفة في اليهود قديماً وحديثاً، فالآيات القرآنية تربط بين اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وبين آبائهم وأجدادهم الأولين في مختلف أدوارهم ربطاً محكماً كأنّما هي تُقرُّ أنّ ما عليه اليهود من أخلاقٍ وأحوالٍ وما وقفوه من مواقف إنّما هي مظهرٌ من أصول جِبَلَةٍ خُلِقِيَّةٍ راسخةٍ يتوارثها الأبناء عن الآباء، بل هذا ما شهدت به التوراة والإنجيل.

شهادة التوراة والإنجيل:

مع أنّ التوراة كتابهم المقدّس، وبرغم تحريفها وتعرّضها للتزييف على أيديهم إلاّ أنّها لم تخلُ من الإشارة إلى أخلاقهم الذميمة، سيما خلق الغدر والخيانة ونبذ العهود.

ففي سفر التثنية من الإصحاح ٣٢ عدد ١٩ "إنّهم جيلٌ مُتقلّبٌ أولادٌ لا أمانة فيهم." وإنّك لتعجب حينما تقرأ في سفر أشعيا الإصحاح ٥٩ ما نصّه: "خيوطهم لا تصير ثوباً، ولا يكتسون بأعمالهم، أعمالهم أعمالٌ إثم، وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشرّ تجري وتسرّع إلى سفك الدّم. أفكارهم أفكارٌ إثم، في طرقهم

(١) المصدر السابق، بتصرّف، ٣: ١٢٩-١٣٤، والرواية في الصحيحين وآخرها ((لقد حكمت فيهم بحكم الله

((CE

(٢) المصدر السابق، ص: ١٣٦

اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبيلاً معوجّةً كُلٌّ من يسير فيها لا يعرف سلاماً"

أمّا الإنجيل فقد شهد عليهم بأنهم سفكة دماء وأولاد أفاعي. ففي إنجيل متى الإصحاح ٢٣ العدد ٢٥ "يا أولاد الأفاعي كيف تقدرّون أن تتكلموا، بالصلح، وأنتم أشرار فإنّه من فضلة القلب يتكلم اللسان".

وفي إنجيل متى أيضاً الإصحاح ٢٣ فقرة ٣٩ "يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها..."

فالذي نخلص إليه مما سبق أنّ نقض العهد صفة ملازمة لليهود. في كلّ العهود. إذ إنّ اليهود سلسلةً وسلالةً واحدةً متشابهةً في حلقاتها مهما تباعدت الأزمنة وتنوّعت البيئات. ولعلّ من إعجاز القرآن الكريم أنّ المرء يراهم في أخلاقهم اليوم صورةً طبق الأصل لما وصفهم به القرآن الكريم من صفاتٍ وأخلاق، ولم تزدهم الأيام فيها إلاّ رسوخاً. يقول الدكتور عبد الستار فتح الله: "وإنه لأمرٌ عجيب أن توجد أمةٌ من البشر على هذا النمط وتمتد في سلسلة واحدة عبر الأزمنة والأمكنة وتتأصل في أجيالها جميعاً كلّ خلائق السوء إلى هذا الحدّ الرهيب، ويكاد العقل ينكر هذا للوهلة الأولى ولا يصدّق استمرار هذا السعار النفسي في الجيل بعد الجيل على امتداد أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ولكن هذا فعلاً هو الواقع، اليهود ودينهم بل هو دينهم الذي وضعوه لأنفسهم، وأشربته قلوبهم على تعاقب القرون والأجيال حتّى كآته صار سليقةً مكتسبةً" (١).

اليهود نقضة عهود ومواثيق، وأول آية توافيك في الميثاق و نقضة هي في حق اليهود كقوله تعالى: { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٧﴾ } [سورة البقرة ٢/٢٧]

(١) صالح، د. سعد الدين السيد، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص: ٢٨، دار التابعين، عين شمس، الطبعة الثانية

قال الطبري: "وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: إن هذه الآيات نزلت في كفار أحرار اليهود الذين كانوا بين ظهراي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قرب منها من بقايا بني إسرائيل." (١)

وقد فصل لنا الله - تبارك وتعالى - الموائيق والعهود التي نقضوها ولكن أظهر آية في بيان أن هذا الخلق متأصل في النفس اليهودية وأن فيه خاصية الاستمرار في أجيالهم ولكي يلتفت المسلمون ولا يغيب عنهم هذا التحذير طرفة عين قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [سورة البقرة ٢/١٠٠]

وكان من أول الناقضين المعاصرين لنا نبينا صلى الله عليه وسلم ما فعله مالك بن الصيف، (٢) حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عهد إلينا في محمد صلى الله عليه وسلم - وما أخذ له علينا ميثاقاً.

والموائيق التي نقضوها مع الله كثير نذكر منها أمثلة تدل على المقصود فمن ذلك: ميثاق العمل بما في التوراة وأخذها بقوة وتبني ما فيها كقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة ٢/٦٣] قال ابن كثير: "يقول تعالى مذكراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والموائيق؛ بالإيمان به وحده لا شريك له، واتباع رسله، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم ليقروا بما عاهدوا عليه ويأخذوه بقوة وحزم وامتثال، قال السدي: فلما أبو أن يسجدوا أمر الله الجبل يقع عليهم فنظروا إليه وقد غشيهم فسقطوا سجداً فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم، فقالوا والله ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم فهم يسجدون كذلك." (٣)

ولكن النتيجة هي التولي عن أمر الله قال تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة البقرة ٢/٦٤]

ميثاق الله عليهم بتوحيده والبر بالوالدين والإحسان إلى الأقارب ومخاطبة الناس بالحسن من القول مع إقام الصلاة

(١) تفسير الطبري ٢١٩/١

(٢) من أحرار اليهود وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله الخبر السمين جلى مع قومه بنو قينقاع في السنة الثانية للهجرة

(٣) تفسير ابن كثير ٢٥٦/١-٢٥٧

وإيتاء الزكاة كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [سورة البقرة ٨٣/٢]

والنيجة ممن تعودوا الانحراف عن ما أخذ عليهم {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ} [سورة البقرة ٨٣/٢] وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه، بعدما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات، ويصلوا الأرحام، ويتعطفوا على الأيتام، ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته، ويقوموا الصلاة بحدودها وفرائضها، ويؤتوا زكاة أموالهم. فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولوا عنه معرضين، إلا من عصمه الله منهم فوفى الله بعهده. (١)

ميثاق الله لهم مع بني جنسهم بعدم القتل والإخراج من الديار.

كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُحْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} [سورة البقرة ٨٤/٢]

وقد أحاب الطبري عن تساؤل مفترض وهو: "أو كان القوم يقتلون أنفسهم، ويخرجونها من ديارها، فنهوا عن ذلك؟ فأجاب: ليس الأمر في ذلك على ما ظننت، ولكنهم نهوا عن أن يقتل بعضهم بعضاً، فكان في قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه، إذ كانت ملتتهما بمنزلة رجل واحد." (٢) وقال القرطبي: "وإنما كان الأمر أن الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة ميثاقاً ألا يقتل بعضهم بعضاً، ولا ينفيه ولا يسترقه، ولا يدعه يسرق، إلى غير ذلك من الطاعات." (٣)

وما كان منهم إلا إفساد الميثاق كما قال تعالى: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُحْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَتَطَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ

(١) تفسير الطبري ٤٣٧/١-٤٣٨

(٢) تفسير الطبري ٤٣٨/١

(٣) تفسير القرطبي ٠٠٠/١

مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ [سورة البقرة ٨٥/٢]

وهذا الميثاق وغيره عده المفسرون موجه لليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ،
وحكاية عن أسلافهم كما صرح بذلك الطبري بقوله: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك
بالصواب عندي أن يكون قوله: {وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} خبراً عن أسلافهم، وداخلاً فيه
المخاطبون منهم الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان قوله: {وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} خبراً عن أسلافهم وإن كان خطاباً للذين أدركوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؛ لأن الله تعالى أخذ ميثاق الذين كانوا على عهد رسول الله موسى صلى الله
عليه وسلم من بني إسرائيل على سبيل ما قد بينه لنا في كتابه، فألزم جميع من بعدهم من
ذريتهم من حكم التوراة مثل الذي ألزم منه من كان على عهد موسى منهم. ثم أنب الذين
خاطبهم بهذه الآيات على نقضهم ونقض سلفهم ذلك الميثاق، وتكذيبهم ما وكدوا على
أنفسهم له بالوفاء من العهود بقوله: {ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} فإذا كان خارجاً على
وجه الخطاب للذين كانوا على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم منهم، فإنه معني به كل من
وآثق بالميثاق منهم على عهد موسى ومن بعده، وكل من شهد منهم بتصديق ما في
التوراة؛ لأن الله جل ثناؤه لم يخص بقوله: {ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} وما أشبه ذلك
من الآي بعضهم دون بعض؛ والآية محتملة أن يكون أريد بها جميعهم. فإذا كان ذلك
كذلك فليس لأحد أن يدعي أنه أريد بها بعض منهم دون بعض. وكذلك حكم الآية التي
بعدها، أعني قوله: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ} الآية؛ لأنه قد ذكر لها أن أوائلهم قد
كانوا يفعلون من ذلك ما كان يفعله أو آخرهم الذين أدركوا عصر نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم " (١).

وهو - والله أعلم - لجنس اليهود فهو يذكر كل يهودي بما أخذ عليه وعلى أسلافه
فهو يتلى إلى يوم القيامة وفيه أيضا عظة وعبرة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى
يعتبروا بمن قبلهم.

(١) تفسير الطبري ٤٤٠/١ وإن كان ابن كثير يميل الى أنه موجه للمعاصرين زمن النبي ﷺ ٢٨٢/١

ميثاق السمع والطاعة لما يؤمرون به كما في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَا مُرُكُم بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾} [سورة البقرة ٩٣/٢]

وانظر كيف لم يأخذوا الميثاق إلا تحت التهديد بالعذاب أن يكون الجبل العظيم من فوقهم، ومع ذلك سمعوا وعصوا وأشركوا بالعجل حتى تشربته قلوبهم، كما قال الطبري: وإذ أخذنا ميثاقكم أن خذوا ما آتيناكم بقوة، واعملوا بما سمعتم، وأطيعوا الله، ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك. (١)

مواثيقهم الكثيرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم لا خلاف بين أي فريق منهم فمرة قريضة ومرة بنو النضير نقضوا العهد فأعانوا مشركي مكة بالسلاح، ثم اعتذروا فقالوا: نسينا، فعاهدهم عليه السلام ثانية فنقضوا يوم الخندق. وقد وصفهم الله (بشر الدواب) وأهم كالرجل الواحد سلفهم وخلفهم كما قال الطبري: "يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: لا تستعظموا أمر الذين هموا ببسط أيديهم إليكم من هؤلاء اليهود بما هموا به لكم، ولا أمر الغدر الذي حاولوه وأرادوه بكم، فإن ذلك من أخلاق أوائلهم وأسلافهم، لا يعدون أن يكونوا على منهاج أولهم وطريق سلفهم. وهكذا كما سيأتي في الآثار الواردة عنهم في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم."

مواثيق أخرى ذكرها الله لبعض أفرادهم كالنقباء الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا على العماليق وقد بعث النقباء من بني إسرائيل أمناء على الاطلاع على الجبارين والسبر لقوتهم ومنعتهم؛ فساروا ليختبروا حال من بها، ويعلموه بما اطعوه عليه فيها حتى ينظر في الغزو إليهم؛ فأطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة وظنوا أنهم لا قبل لهم بها؛ فتعاقدوا بينهم على أن يخفوا ذلك عن بني إسرائيل، وأن يعلموا به موسى عليه السلام، فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة فعرفوا قراياتهم، ومن وثقوه على سرهم؛ ففشنا الخبر حتى اعوج أمر بني إسرائيل فقالوا: {فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾} [سورة المائدة ٢٤/٥]. فلم يحافظوا على ما تواتقوا عليه

ونقول أخيراً أن اليهود قد وعدوا وعداً حسناً مشروطاً لو أخذوا به لجاءهم موعود الله لهم وهو قوله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} [سورة البقرة ٤٠/٢]

ويستفاد من ذلك ما نبه اليه الرازي عند قوله: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ

(١) تفسير الطبري ٤٦٦/١

(٢) كما في تفسير القرطبي ١١٢/٦ بتصرف يسير

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ [سورة
المائدة ١٢/٥] قال: "اعلم أن في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوها:

١- الأول: أنه تعالى خاطب المؤمنين فيما تقدم فقال: {وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [سورة المائدة ٧/٥] ثم ذكر الآن أنه
أخذ الميثاق من بني إسرائيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به، فلا تكونوا أيها المؤمنون
مثل أولئك اليهود في هذا الخلق الذميمة لثلاث تصيروا مثلهم فيما نزل بهم من اللعن
والذلة والمسكنة.

٢- والثاني: أنه لما ذكر قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ
قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} [سورة المائدة ١١/٥] وقد ذكرنا في بعض الروايات
أن هذه الآية نزلت في اليهود وأنهم أرادوا أيقاع الشر برسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما ذكر الله تعالى ذلك أتبعه بذكر فضائحهم وبيان أنهم أبداً كانوا مواظبين
على نقض العهود والمواثيق. (١)

(١) التفسير الكبير - الرازي ج: ١١ ص: ١٤٥

المبحث الخامس - الآثار الواردة كذبهم وافترائهم

الآثار:

قوله تعالى: { وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [سورة آل عمران ٧٦/٣] ٢٦٢-٥٧٥٠ - حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: فيقول على الله الكذب، وهو يعلم، يعني الذي يقول منهم إذا قيل له: ما لك لا تؤدي أمانتك؟ ليس علينا حرج في أموال العرب، قد أحلها الله لنا (١).

قوله تعالى: { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [سورة البقرة ٤٢/٢]

٢٦٣-٦٩٠ - حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روح، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } قال: لا تخلطوا الصدق بالكذب. (٢)

٢٦٤-٦٩١ - حدثني المثني، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } يقول: لا تخلطوا الحق بالباطل، وأدوا النصيحة لعباد الله في أمر محمد عليه الصلاة والسلام. (٣)

٢٦٥-٦٩٢ - وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } اليهودية والنصرانية بالإسلام. (٤)

٢٦٦-٦٩٤ - حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٥)

(١) تفسير الطبري (٣ / ٣١٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٨٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٨٥)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٥٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٥٥) - تفسير ابن كثير (١ / ٨٥)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٥٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٩٨) - تفسير ابن كثير (١ / ٨٥) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦ / ٣٦٦) وحسنه في التفسير الصحيح (١ / ١٤٧)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٢٥٥) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٥٥) - تفسير القرطبي (١ / ٣٤٢) - تفسير ابن

كثير (١ / ٨٥) ورواه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن قتادة انظر التفسير الصحيح (١ / ١٤٨)

يقول: ولا تكتنموا الحق وأنتم تعلمون. (١)

٢٦٧-٦٩٦- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد: {وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} قال: كتّموا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم. (٢)

قوله تعالى: {فَدَبَّحُوا بِهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} [سورة البقرة ٧١/٢].

٢٦٨-١٠٦٨- حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه، عن

ابن عباس رضي الله عنهما: إن القوم بعد أن أحيا الله الميت فأخبرهم بقاتله، أنكرت قتلته قتله، فقالوا:

والله ما قتلناه، بعد أن رأوا الآية والحق. (٣)

قوله تعالى: {يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} {

[سورة البقرة ٧٥/٢].

٢٦٩-١٠٩٧- حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد في قول الله: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ}

فالذين يحرفونه والذين يكتمونونه: هم العلماء منهم. (٤)

٢٧٠-١٠٩٨- حدثني موسى، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ

يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ} قال: هي التوراة حرفوها. (٥)

٢٧١-١٠٩٩- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ

ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} قال: التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها، يجعلون

الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا، والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا، إذا جاءهم المحق برشوة

أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق، وإن جاء أحد

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٩٨) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٥٥)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٥٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٩٨) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٥٥) - تفسير

ابن كثير (١ / ٨٥) وصححه في التفسير الصحيح (١٤٨/١)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٥٦) إسناده ضعيف

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٤٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٩٨) - تفسير

ابن كثير (١ / ١١٦) وصححه في التفسير الصحيح (١٧٨/١)

(٥) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٩٨)

يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمره بالحق، فقال لهم: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ } [سورة البقرة ٤٤/٢] (١)

٢٧٢-١١٠٠ - حديث عن عمار بن الحسن، قال: أخبرنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله:
{ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ }
فكانوا يسمعون من ذلك كما يسمع أهل النبوة، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون. (٢)

٢٧٣-١١٠١ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق في قوله: { وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } الآية، قال: ليس قوله:
{ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ } يسمعون التوراة، كلهم قد سمعها؛ ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربه،
فأخذتهم الصاعقة فيها. (٣)

٢٧٤-١١٠٢ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: بلغني عن بعض أهل العلم
أنهم قالوا لموسى: يا موسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل، فأسمعنا كلامه حين يكلمك! فطلب
ذلك موسى إلى ربه، فقال: نعم، فمرهم فليطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا! ففعلوا، ثم خرج بهم حتى
أتى الطور، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام، فوقعوا سجودا، وكلمه ربه فسمعوا كلامه
يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل، فلما جاؤوهم حرف فريق منهم
ما أمرهم به، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق الذي
ذكرهم الله: إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم. فهم الذين عنى الله لرسوله محمد صلى الله
عليه وسلم. (٤)

قوله تعالى: { أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ } [سورة البقرة ٧٧/٢]
٢٧٥-١١١٧ - حدثني المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: { أَوْ لَا يَعْلَمُونَ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ } يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٦)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٤٨)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٤٨) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٦) إسناده

ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بسند صحيح (١٧٨/١)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٦) إسناده ضعيف.

وتكذيبهم به، وهم يجدونه مكتوباً عندهم. {وَمَا يُعْلِنُونَ} يعني ما أعلنوا حين قالوا للمؤمنين آمناً. (١)
قوله تعالى: {وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [سورة البقرة ٧٨/٢].

٢٧٦-١١٣٥ - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن
مجاهد: {وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} إلا يكذبون. (٢)

قوله تعالى: {لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِ
تَمَنَّا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [سورة البقرة
٧٩/٢].

٢٧٧-١١٤٥ - حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} قال: كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب،
ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمناً قليلاً. (٣)

٢٧٨-١١٤٦ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق،
عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله، ولا
كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال: {هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} قال: عرضاً
من عرض الدنيا. (٤)

٢٧٩-١١٤٧ - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد
في قول الله: {لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} قال: هؤلاء الذين
عرفوا أنه من عند الله يحرفونه. (٥)

٢٨٠-١١٤٨ - حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، عن قتادة: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ}

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٧٣) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦ / ٣٦٦) و حسنه في التفسير الصحيح
(١٧٩/١)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٧٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠١) - تفسير
ابن كثير (١ / ١١٨) و صححه في التفسير الصحيح (١ / ١٨١)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٧٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠٣) -
تفسير ابن كثير (١ / ١١٨)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٧٩)

(٥) تفسير الطبري (١ / ٣٧٩) و صححه في التفسير الصحيح (١ / ١٨٣)

الآية، وهم اليهود. (١)

٢٨١-١١٤٩ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ} قال: كان ناس من بني إسرائيل كتبوا كتاباً بأيديهم ليتأكلوا الناس، فقالوا: هذا من عند الله، وما هو من عند الله. (٢)

٢٨٢-١١٥٠ - حدثني المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} قال: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم، فحرفوه عن مواضعه ينتعون بذلك عرضاً من عرض الدنيا، فقال: {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (٣).

قوله تعالى: {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة ٢/٨٠].

٢٨٣-١١٦٦ - حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا} أي موثقاً من الله بذلك أنه كما تقولون. (٤)

٢٨٤-١١٦٩ - حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي، قال: لما قالت اليهود ما قالت، قال الله عز وجل: {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ} وقال في مكان آخر: {وَوَعَدْنَاهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}. [سورة آل عمران ٣/٢٤] ثم أخبر الخبر فقال: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [سورة البقرة ٢/٨١]. (٥)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٧٩) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٨) وصححه في التفسير الصحيح (١/١٨٢)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٧٨) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠٣) و صححه في التفسير الصحيح (١/١٨٢)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٧٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٥) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦).

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٨٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٧) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٠٨) وصححه

في التفسير الصحيح (١/١٨٤)

(٥) تفسير الطبري (١ / ٣٨٤)

قوله تعالى: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ
وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [سورة البقرة ٨٧/٢].

٢٨٥-١٢٣٧ - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن
مجاهد. {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ} اليهود من بني إسرائيل. (١)

قوله تعالى: {وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [سورة البقرة
٩٥/٢]

٢٨٦-١٣٠٦ - حدثني محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن
أبي محمد فيما يروي أبو جعفر، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {قُلْ إِنْ
كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً} الآية، أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب،
فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وَلَنْ
يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} أي لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر
بذلك. (٢)

٢٨٧-١٣٠٧ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يقول: يا محمد ولن
يتمنوه أبدا لأهم يعلمون أنهم كاذبون، ولو كانوا صادقين لتمنوه ورغبوا في التعجيل إلى كرامتي، فليس
يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم. (٣)

٢٨٨-١٣٦٥ - حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: {نَبَدَ فَرِيقٌ مِّنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يقول: نقض فريق {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} أي أن القوم كانوا يعلمون. ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكتموا.
(٤)

(١) تفسير الطبري (٤٠٥ / ١) - تفسير ابن كثير (١٢٦ / ١)

(٢) تفسير الطبري (٤٢٦ / ١) وحسنه في التفسير الصحيح (١٩٩/١)

(٣) تفسير الطبري (٤٢٧ / ١)

(٤) تفسير الطبري (١٨٤ / ٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١٨٤ / ١) - تفسير الدر المنثور (٢٣٢ / ١) - تفسير

ابن كثير (١٣٥ / ١) وحسنه في التفسير الصحيح (٢٠٤/١)

قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سورة البقرة ١٤٠/٢].

٢٨٩-١٧٥٩-فحدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ} قال: في قول يهود لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ومن ذكر معهما إهم كانوا يهوداً أو نصارى. فيقول الله: لا تكتموا مني شهادة إن كانت عندكم فيهم. وقد علم أنهم كاذبون. (١)

٢٩٠-١٧٦٠-حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني إسحاق، عن أبي الأشهب، عن الحسن أنه تلا هذه الآية: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} إلى قوله: {قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية، كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام، فبم استحلوها؟ (٢)

٢٩١-١٧٦١-حدثنا عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً} أهل الكتاب، كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل: أنهم لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان. قوله تعالى: {وَرَأَيْنَا لَيًّا بِالسِّنْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة النساء ٤٦/٤]

٢٩٢-٧٦٧٦-حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر، قال: أبو روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {لَيًّا بِالسِّنْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ} قال: تحريفاً بالكذب. (٣)

٢٩٣-١٠٦٥٥-حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: {وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ} [سورة الأنعام ١٠٠/٦] قال: كذبوا. (٤)

(١) تفسير الطبري (١ / ٥٧٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٣٤١) وصححه في التفسير الصحيح (١/٢٤٨)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٥٧٤)

(٣) تفسير الطبري (٥/١١٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٦٧) - تفسير الدر المنثور (٢/٥٥٤) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٧ / ٢٩٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١٣٦٠) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٣٣٤) -

٢٩٤-١٠٦٥٦ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ} كذبوا، سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذبون! أما العرب فجعلوا له البنات ولهم ما يشتهون من الغلمان، وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسبا، ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون. (١)

٢٩٥-٩٣٢٢ - حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: {وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ} [سورة المائدة ٤١/٥] كان بنو إسرائيل أنزل الله عليهم: إذا زنى منكم أحد فارجموه. فلم يزالوا بذلك حتى زنى رجل من خيارهم؛ فلما اجتمعت بنو إسرائيل يرمونه، قام الخيار والأشراف فمنعوه. ثم زنى رجل من الضعفاء، فاجتمعوا ليرجموه، فاجتمعت الضعفاء فقالوا: لا ترجموه حتى تأتوا بصاحبكم فترجموهمما جميعاً! فقالت بنو إسرائيل: إن هذا الأمر قد اشتد علينا، فتعالوا فلنصلحه! فتركوا الرجم، وجعلوا مكانه أربعين جلدة بجبل مقير ويحتمونه ويحملونه على حمار ووجهه إلى ذنبه، ويسودون وجهه، ويطفون به. فكانوا يفعلون ذلك حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة، فزنت امرأة من أشراف اليهود، يقال لها بسرة، فبعث أبوها ناساً من أصحابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: سلوه عن الزنا وما نزل إليه فيه؛ فإننا نخاف أن يفضحنا ويخبرنا بما صنعنا، فإن أعطاكم الجلد فخذوه وإن أمركم بالرجم فاحذروه. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه، فقال: ((الرحم)). فأنزل الله عز وجل: {وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} [سورة المائدة ٤١/٥] حين حرفوا الرجم فجعلوه جلداً. (٢)

٢٩٦-٩٣٢٣ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ} [سورة المائدة ٤١/٥] قال: لقوم آخرين لم يأتوك من أهل الكتاب، هؤلاء سماعون لأولئك القوم الآخرين الذين لم يأتوه، يقولون لهم الكذب: محمد كاذب، وليس هذا في التوراة، فلا تؤمنوا به. (٣)

٢٩٧-٩٣٣٥ - حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {سَمَّاعُونَ

تفسير القرطبي (٧ / ٥٣) - تفسير ابن كثير (٢ / ١٦١)

(١) تفسير الطبري (٧ / ٢٩٧) - تفسير عبد الرزاق (٣ / ١٥٧) حسنه في التفسير الصحيح (١ / ٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٢٣٥) - تفسير القرطبي (٦ / ١٧٩) حسنه في التفسير الصحيح (٢ / ٢٨١)

(٣) تفسير الطبري (٦ / ٢٣٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٣١)

لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلشُّحِّ { [سورة المائدة ٤٢/٥] قال: كان هذا في حكام اليهود بين أيديكم، كانوا يسمعون الكذب ويقبلون الرشا. (١)

قوله تعالى: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة المائدة ١٣/٥]

٢٩٨-٩٠٤١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ} قال: على خيانة وكذب وفجور. (٢)

(١) تفسير الطبري (٦ / ٢٣٩) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١٥٦) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٨٦) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٢) - تفسير

القرطبي (٦ / ١١٦) صححه في التفسير الصحيح (١/١٦٤)

الدراسة:

من صفات اليهود التي اشتهروا بها قول الكذب، وسماع الكذب ونقله، كما حكى الله عنهم في كتابه، فقد كذبوا على الله وعلى أنبيائه، وكذب بعضهم من علمائهم على بعض؛ فقد كذبوا على الله:

- باختلاقهم أن له ولد بغير علم، كما قال مجاهد رحمه الله فهم قد تحرصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته وأنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك.

- وكذبوا على الله: بكتمان الحق والعلم، حتى وإن كان وحياً متزلاً من الله تعالى لهم، فإنهم لا يتورعون عن جحده وكتمانه مادام لا يخدم أغراضهم وغاياتهم الفاسدة، قال الله تعالى عنهم يعاتبهم على ذلك: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [سورة آل عمران ٧١/٣]

- وكذبوا على الله: بتحريف كلامه وشرعه والكذب على الله بما يتفق مع أهوائهم وأغراضهم الفاسدة قال تعالى: { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [سورة آل عمران ٧٨/٣]

ومعنى هذه الآيات الفاضحة لهم: وإن من أهل الكتاب، وهم اليهود الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على عهده من بني إسرائيل، يحرفون { أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ } [سورة آل عمران ٧٨/٣] يعني: لتظنوا أن الذي يحرفونه بكلامهم من كتاب الله وتزييله، يقول الله عز وجل: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله، ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه في كتاب الله من عند الله، يقول: مما أنزله الله على أنبيائه، وما هو من عند الله، يقول: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فأحدثوه مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه، ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم، افتراء على الله. يقول عز وجل:

{ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [سورة آل عمران ٧٥/٣] يعني بذلك: أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله، والشهادة عليه بالباطل، والإلحاق بكتاب الله ما ليس منه طلباً للرياسة والخسيس من حطام الدنيا. (١)

- وكذبوا على الله حين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها قال تعالى: { الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [سورة آل عمران ١٨٣/٣]

وهنا كذبتان كبيرتان:

١- الأولى: كذبهم في نسبتهم ما طلبوه الى الله افتراءً عليه.

٢- الثانية: أنهم كذبوا في ادعتهم تصديق النبي إذا أرسل، فقد جاءهم رسل حققوا لهم ما تمنوه ومع ذلك كذبوهم بل وقتلوهم ثم جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه أيضاً.

"وإنما أعلم الله عباده بهذه الآية، أن الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يقرؤا، وأن يكونوا في كذبهم على الله، وافتراءهم على ربه، وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه صادقاً محققاً، وجحودهم نبوته، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في عهد الله تعالى إليهم أنه رسوله إلى خلقه، مفروضة طاعته إلا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التي أيدهم الله بها، والأدلة التي أبان صدقهم بها، افتراء على الله، واستخفافاً بحقوقه."

وكذب من يعدون من صلاحهم الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات الله، فقالوا لقومهم غير ما سمعوه من الوصايا، ودأب علماءهم على الكذب وتغيير أحكام الله بحسب الرشوة التي يأخذونها من المتحاكمين لهم، بل أنهم كذبوا على المسلمين بعدم أداء الأمانة إليهم بحجة أن الله قد سمح لهم بهذا فقال تعالى عنهم: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِعِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ

(١) تفسير الطبري ج: ٣ ص: ٣٢٣

بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
[سورة آل عمران ٧٥/٣]

وإن كان سياق الآية فيه أمر طبيعي قد ينسحب على كل الناس: فمنهم الأمين ومنهم دون ذلك، ولكن هنا تنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته، أن هؤلاء اليهود يرون عدم الوفاء للمسلمين أمراً من أمور دينهم التي أذن الله بها لهم كذباً على الله، "إنما أراد جل وعز بإخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرهم أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفهم الاغترار بهم، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين" (١)

وكان صلى الله عليه وسلم يبين لأمته ما كانت اليهود تكذب به وتلبس على المسلمين، كما في حديث أبي سعيد الخدري _ قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ((إن اليهود تقول إن العزل هو المؤودة الصغرى.)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كذبت يهود، كذبت يهود، لو أراد الله خلقها لم يستطع عزلها.)) (٢)

وعن جابر بن عبد الله _ قال: ((كانت يهود يقولون من أتى امرأته وهي مجيبة من دبرها في قبلها كان ولده أحول.)) فذكر ذلك لرسول الله فقال: ((كذبت يهود.)) (٣)
وقد صرح صلى الله عليه وسلم بأنهم يكذبون وهم على الله أكذب كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر قالت فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي)) فقلت: ((يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة.)) قال: ((لا وعم ذاك؟)) قالت: هذه اليهودية لا تصنع إليها من المعروف شيئاً إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر. قال: كذبت يهود وهم على الله عز وجل أكذب لا عذاب دون يوم القيامة، قالت: ثم مكث بعد ذاك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه، محمرة عيناه، وهو ينادى بأعلى صوته ((أيها الناس أظلتكم الفتن كقطع الليل

(١) تفسير الطبري (٣/٣١٩)

(٢) رواه الامام احمد المسند جزء : ٢ صفحة : ٣٢٩ وابوداود ج:٢ ص:٢٥٢ وأبي يعلى جزء : ١٠ صفحة والطبراني في المعجم الكبير جزء : ٢ صفحة : ٨١ بالفاظ متقاربه

(٣) رواه النسائي ج:٥ ص:٣١٣ ٨٥

المظلم، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتكم قليلاً، أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق.) (١)

بل إن كذبهم على رسول الله استمر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولكن كان لهم عمر _ بالمرصاد فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قام عمر _ خطيباً)) فقال ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال نقركم ما أقركم الله، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يده ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وهمتنا وقد رأيت إجلاءهم.)) فلما أجمع عمر _ على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين أخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا فقال عمر _ أظننت أني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوبك ليلة بعد ليلة.)) فقال كانت هذه هزيمة من أبي القاسم قال: ((كذبت يا عدو الله.)) فأجلاهم عمر _ . (٢)

وهكذا هم إلى اليوم أهل بهت وكذب لا ينبغي الثقة بهم طرفة عين.

(١) رواه احمد ج:٦ ص:٨١ وقال ابن كثير هذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه التفسير(٨٠/٤)

(٢) صحيح البخاري ج٢/ص٩٧٣

المبحث السادس: الآثار الواردة في حسدهم

الآثار:

قوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾} [سورة البقرة ١٠٩/٢]

٢٩٩-١٤٧٩ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري في قوله:

{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} هو كعب بن الأشرف. (١)

٣٠٠-١٤٨١ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق. وحدثنا أبو كريب قال: ثنا

يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني

سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان حبي بن أخطب وأبو ياسر بن

أخطب من أشد يهود للعرب حسداً إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد

الناس عن الإسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ}

الآية. (٢)

٣٠١-١٤٨٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد عن قتادة: {مَّنْ بَعْدَ مَا

تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} من بعد ما تبين لهم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام دين الله. (٣)

٣٠٢-١٤٨٤ - حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية:

{مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} يقول: تبين لهم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوباً

عندهم في التوراة والإنجيل. (٤)

٣٠٣- حدثت عن عمار قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله؛ وزاد فيه: فكفروا به حسداً وبغياً

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٨٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٠٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٦١)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٨٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٠٤) تفسير الدر المنثور (١ / ٢٦٠) إسناده

ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤١٢) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٢٥٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٥٦) حسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦).

إذ كان من غيرهم. (١)

٣٠٤-١٤٨٦ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: {مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} يقول الله تعالى ذكره: من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئاً ولكن الحسد حملهم على الجحد. فعيرهم الله ولامهم ووبخهم أشد الملامة.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾} [سورة آل عمران ٧٣/٣]

٣٠٥-٥٧٣١ - حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾} : حسداً من يهود أن تكون النبوة في غيرهم وإرادة أن يتبعوا على دينهم. ٣٠٦-٥٧٣٣ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ} يقول: لما أنزل الله كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك؛ {قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} (٢)

قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾} [سورة آل عمران ٩٩/٣]

٣٠٧-٥٩٤٥ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: ثني الثقة عن زيد بن أسلم قال: مر شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله - من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه. فغاضه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملاً بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من اليهود وكان معه فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار. وكان يوم بعث يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٥٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٥٦) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٥٥) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٣ / ٣١٥) حسنه في التفسير الصحيح (١ / ٢٢٣)

الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيثي أحد بني حارثة بن الحرث من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شتتم والله رددناها الآن جذعه وغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة - والظاهرة: الحرة - فخرجوا إليها وتحاور الناس فانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: ((يا معشر المسلمين الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً)) فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً. ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنِ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا} [سورة آل عمران ٩٩/٣]... الآية وأنزل الله عز وجل في أوس بن قيثي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} إلى قوله: {أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [سورة آل عمران ١٠٥/٣] (١)

قوله تعالى: {لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ} [سورة الحديد ٢٩/٥٧]

٣٠٨-٢٦١٠٤- حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ} الآية قال: لما نزلت هذه الآية حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله عز وجل {لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ} الآية قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((إنما مثلنا ومثل أهل الكتابين قبلنا كمثل رجل استأجر أجراً يعملون إلى الليل على قيراط فلما انتصف النهار سئموا عمله وملوا فحاسبهم فأعطاهم على قدر ذلك ثم استأجر أجراً إلى الليل على قيراطين يعملون له بقية عمله فقيل له: ما شأن هؤلاء أقلهم عملاً وأكثرهم

(١) تفسير الطبري (٤/٢٢) تفسير الدر المنثور (٢/٢٧٨) إسناده ضعيف.

أجرأ؟ قال: مالي أعطي من شئت فأرجوا أن نكون نحن أصحاب القيراطين)). (١)
قوله تعالى: { هَذَا خِصْمَانِ اتَّخَصَّمُوا فِي رَيْبِهِمُ الْقَادِمِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ

نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ } [سورة الحج ١٩/٢٢]

٣٠٩-١٨٨٨٩ - حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: { هَذَا خِصْمَانِ اتَّخَصَّمُوا فِي رَيْبِهِمُ } قال: هم أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتابا، ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا، ثم تركتموه وكفرتم به حسدا. وكان ذلك خصومتهم في ريبهم. (٢)

قوله: { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } [سورة الناس ٥/١١٤]

٣١٠-٢٩٦٧٦ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا

حَسَدَ } قال: يهود لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم (٣)

(١) تفسير الطبري (٢٧ / ٢٤٦) . حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (١٧ / ١٣٢) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٢٠) إسناده ضعيف

(٣) تفسير الطبري (٣٠ / ٣٥٤)

الدراسة:

ومن صفات اليهود التي ظهرت بجلاء بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم : صفة الحسد المقيت للنبي صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن منهم ، كما كان حسدهم للمسلمين الذين هداهم الله ومن عليهم باتباع هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى عنهم: { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [سورة البقرة ١٠٥/٢]

يقول الطبري: وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهي المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين، والاستماع من قولهم وقبول شيء مما يأتونهم به، على وجه النصيحة لهم منهم؛ بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون. (١)

وأما قوله تعالى: { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [سورة البقرة ١٠٩/٢] فقد ورد أنه في آحاد بعض اليهود بعينهم كما في الآثار السابقة ولكن الإمام الطبري لا يراها خاصة في كعب أو غيره بل هي عامة لمن ظهرت أمارات الحسد عليهم في مواطن كثيرة فقال: وليس لقول القائل عنى بقوله: { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } كعب بن الأشرف معنى مفهوم؛ لأن كعب بن الأشرف واحد وقد أخبر الله جل ثناؤه أن كثيرا منهم يودون لو يردون المؤمنين كفارا بعد إيمانهم. لأن الله جل ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة فقال: { لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا } فذلك دليل على أنه

(١) تفسير الطبري ٥٢٠/١ .

عنى الكثرة في العدد. (١) ونبه تعالى أن حسدهم هذا لم يؤمروا به في كتابهم كما قال الربيع بن أنس: أنه من قبل أنفسهم. فعلى أي شيء يحسدون المسلمين؟

نقول: يحسدوننا على نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعلى ديننا، وعلى يسر شريعتنا، وعلى كوننا آخر الأمم، والتي اختارها الله لتكون شاهدة على باقي الأمم، وعلى مضاعفة الله لأجرنا مع قلة عملنا، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثلي رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين قالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذاك فضلي أوتيته من شئت.)) (٢)

بل و يحسدوننا على ثلاث يغفل عن فضلها بعض المسلمين ويتمناها اليهود كما بينها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة رضي الله عنها المشهور في قولهم السام عليكم وفيه: ((دخل اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا محمد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وعليك، فقالت عائشة رضي الله عنها : فهمت أن أتكلم فعلمت كراهية النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فسكت، ثم دخل آخر فقال السام عليك، فقال: عليك، فهمت أن أتكلم فعلمت كراهية النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، ثم دخل الثالث فقال: السام عليك، فلم أصبر حتى قلت: وعليك السام وغضب الله ولعنته إخوان القردة والخنازير أتحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لم يحبه الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولاً فرددنا عليهم، إن اليهود قوم حسد وهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على السلام وعلى آمين.))

(١) تفسير الطبري ٥٣٤/١-٥٣٥

(٢) رواه البخاري من أبي موسى- ج: ٢ ص: ٧٩٢.

وفي رواية ((لا حسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين.)) (١)

وفي رواية ((إن اليهود قوم سئموا دينهم وهم قوم حسد، ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث: رد السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة آمين.)) (٢)

وفي آيين ورد أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم ((ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على آيين فأكثرُوا من قول آمين.)) (٣)

وبعد أن نبه عليه الصلاة والسلام أمته ما بلغه حسد اليهود لهم ناسب أن يحذرهم من الحسد، وأنه سبب ضياع الدين فيمن قبلهم، وما أداه حسد اليهود وغيرهم، وأنه منقلب عليهم بسوء فقال صلى الله عليه وسلم : ((دب إليكم داء الأمم قبلكم؛ الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم.)) (٤)

وفي حديث أبي هريرة _ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب.)) (٥)

وفي حديث أبي هريرة _ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سيصيب أمتي داء الأمم، قالوا: يا نبي الله وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا

(١) رواه الإمام أحمد ١٣٤/٦-١٣٥ وابن خزيمة في صحیحة ٥٧٤ والبيهقي ٥٦/٢ بالفاظ متقاربة وصححه الألباني في صحیح الجامع رقم ١٩٩٧

(٢) رواه الطبراني المعجم الأوسط ج: ٥ ص: ١٤٧ وقال الحافظ المهيمني في مجمع الزوائد (٢ ١١٣) وإسناده حسن وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ١/١٩٤

(٣) رواه ابن ماجه ٢٧٩/١ رقم ٨٥٧ وصححه الألباني في صحیح الجامع رقم ٥٦١٣

(٤) رواه الترمذي ٤/٦٦٤ وأورده الألباني في صحیح الجامع رقم ٣٣٦١ وفي ارواء الغليل برقم ٧٧٧ مع علة يسيرة

(٥) سنن أبي داود ج: ٤ ص: ٢٧٦ وهو في ضعيف الجامع للألباني رقم ٢١٩٧

والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم المهرج.)) (١) وسيأتي مزيد من العرض لبعض هذه الصفات وغيرها في الفصول القادمة بإذن الله.

(١) رواه الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٦٥٨

الباب الثاني : الآثار الواردة عن السلف في عقيدة اليهود في أصول الإيمان

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول : الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالله.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالملائكة.

الفصل الثالث: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالكتب.

الفصل الرابع: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالأنبياء.

الفصل الخامس: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان باليوم الآخر والقدر.

الفصل الأول : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالله

المبحث الأول: الآثار الواردة في إيمان بعضهم بالله

الآثار:

قوله تعالى: {بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ} [سورة البقرة ٢/٨٨]

٣١١-١٢٤٩ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ} فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب إنما آمن

من أهل الكتاب رهط يسير. (١)

٣١٢-١٢٥٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة: {فَقَلِيلًا مَّا

يُؤْمِنُونَ} قال: لا يؤمن منهم إلا قليل. (٢)

قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ

خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴿١١﴾ [سورة آل عمران ٣/١٩٩]

٣١٣-٦٦٨٢ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج قال: نزلت - يعني هذه

الآية - في عبد الله بن سلام ومن معه. (٣)

٣١٤-٦٦٨٤ - حدثني المثني قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: {وَإِنَّ مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ} من اليهود والنصارى

وهم مسلمة أهل الكتاب. (٤)

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٠٨). حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير عبد الرزاق (١ / ٥١) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧١) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٥). صححه

في التفسير الصحيح (١/١٦٤)

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٨٤٦) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٤١٦).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٣/٨٤٦ - تفسير الدر المنثور (٢/٤١٦) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١٣/٤٩٤).

الدراسة:

أرسل الله -تبارك وتعالى- رسله لدعوة الخلق، لإفراده بالعبادة، والإيمان به، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالיום الآخر، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٥٨﴾} [سورة النساء ١٣٦/٤]

ومعلوم كثرة ما أرسل إلى اليهود من الأنبياء، ومع ذلك فقد كثر فيهم الكفر والشرك وقتل الأنبياء، -حتى اشتهروا به- وتكذيب الكتب والرسول، وقلة الإيمان باليوم الآخر، كل ذلك فصله الله -تبارك وتعالى- في كتابه الكريم.

ولأن الله يأمر بالعدل، فقد أنصف من آمن منهم واستثناه من الكفر، فلم يلعن إلا الذين كفروا من بني إسرائيل كما قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [سورة المائدة ٧٨/٥]

ويستثني القليل من المؤمنين منهم، فلا يدخلهم في عموم الذم، أو الوعيد، كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ} [سورة البقرة ٨٣/٢]

وقد أجمل ذلك ابن كثير عند قوله تعالى: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [سورة الأعراف ١٥٩/٧] فقال: "يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل إن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به كما قال تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [سورة آل ١١٣/٣] وقال تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [سورة آل عمران ١٩٩/٣] وقال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا

يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا { [سورة القصص ٥٢/٢٨-٥٤] الآية وقال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [سورة البقرة ١٢١/٢] وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿٩﴾} [سورة الإسراء ١٧/١٠٧-١٠٩] " (١)

وأخير - تبارك وتعالى - أن علماءهم يعلمون أن القرآن منزل من عند الله كما قال تعالى: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤﴾} [سورة الأنعام ١١٤/٦] وقوله: {فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤﴾} [سورة يونس ٩٤/١٠]

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: فإن كنت يا محمد في شك من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولا إلى خلقه، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل؛ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم." (٢)

واحتج القرآن بأهل الكتاب على المعاندين من مشركي مكة كما قال تعالى: {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿٩﴾} [سورة الإسراء ١٧/١٠٧-١٠٩]

(١) تفسير ابن كثير ٥٣٨/٣-٥٣٩.

(٢) تفسير الطبري (١١ / ١٦٨).

قال الطبري: "وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون - تعظيماً له وتكريماً، وعلماً منهم بأنه من عند الله - لأذقاهم سجداً بالأرض. (١)

هكذا يستثي الله - تبارك وتعالى - المؤمنين منهم ويشيد بالصلحين منهم وكثير منهم كافرون وهم من سنتعرض لهم عند بيان موقفهم من أركان الإيمان، فالحكم هنا على الأعم الأغلب ونستثي من استثناءهم الله - تبارك وتعالى - في قوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾} [سورة المائدة ٥/٦٦]

(١) تفسير الطبري (١٥ / ١٨٠).

المبحث الثاني : الآثار الواردة في وصفهم الله بالنقائص

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : :نسبة الولد الى الله:

الآثار:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: قولهم العزيز ابن الله

قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} [سورة التوبة ٣٠/٩]

٣١٥-١٢٩١٣ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريح قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} قال: قالها رجل واحد قالوا: إن اسمه فنحاص وقالوا: هو الذي قال: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [سورة آل عمران ٣/١٨١] (١)

٣١٦-١٢٩١٤ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثنا سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشأس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}... إلى: {أَتَى يُؤْفَكُونَ} (٢)

٣١٧-١٢٩١٥ - حدثني محمد بن سعد قال: ثنا أبي قال: ثنا عمي قال: ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} وإنما قالوا: هو ابن الله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق. وكان التابوت فيهم؛ فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل الله عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير الله وابتهل إليه أن يرد إليه الذي

(١) تفسير الطبري (١٠ / ١١٠) - تفسير الدر المنثور عن ابن جريح (٤ / ١٧١).

(٢) تفسير الطبري (١٠ / ١١٠) - تفسير الدر المنثور (٤ / ١٧١).

نسخ من صدره من التوراة. فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن في قومه فقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها إلي! فعلق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم. ثم إن التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم؛ فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزيز يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا: والله ما أوتي عزيز هذا إلا أنه ابن الله. (١)

٣١٨-١٢٩١٦ - حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} إنما قالت ذلك لأنهم ظهرت عليهم العمالة فقتلوه وأخذوا التوراة وذهب علماءهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة في الجبال. وكان عزيز غلاماً يتعبد في رؤوس الجبال لا يتزل إلا يوم عيد فجعل الغلام يبكي ويقول: رب تركت بني إسرائيل بغير عالم! فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه. فترل مرة إلى العيد؛ فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول: يا مطعماه ويا كاسياه! فقال لها: ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل؟ قالت: الله. قال: فإن الله حي لم يموت. قالت: يا عزيز فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فلما عرف أنه قد خصم ولى مدبراً فدعته فقالت: يا عزيز إذا أصبحت غداً فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ثم اخرج فصل ركعتين فإنه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذة! فلما أصبح انطلق عزيز إلى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال: افتح فمك! ففتح فمه فألقى فيه شيئاً كهية الجمره العظيمة مجتمعاً كهية القوارير ثلاث مرار. فرجع عزيز وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال: يا بني إسرائيل إني قد جئتكم بالتوراة. فقالوا يا عزيز ما كنت كذاباً. فعمد فربط على كل أصبع له قلماً وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها. فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزيز فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا دفنوها من التوراة في الجبال وكانت في حواب (٢) مدفونة فعارضوها بتوراة عزيز فوجدوها مثلها فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه. (٣)

٣١٩-١٢٩١٧ - حدثني المثني قال: ثنا أبو صالح قال: ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} يقول: يشبهون. (٤)

٣٢٠-١٢٩١٨ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ

(١) تفسير الطبري (١١٢/١٠) تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١ / ٦) - تفسير الدر المنثور (٤ / ١٧١). إسناده ضعيف

(٢) جمع حوبة، وهي الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين. اللسان (٣٦٨/١).

(٣) تفسير الطبري (١١١/١٠) تفسير الدر المنثور (٤ / ١٧٢). حسنه في التفسير الصحيح (٢٨١/٢)

(٤) تفسير الطبري (١١٢ / ١٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٧٨٣).

كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم. (١)

١٢٩١٩-٣٢١ - حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي:

{يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} النصارى يضاهئون قول اليهود في عزيز. (٢)

١٢٩٢٠-٣٢٢ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج: {يُضَاهِيُونَ قَوْلَ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} يقول: النصارى يضاهئون قول اليهود. (٣)

١٢٩٢١-٣٢٣ - حدثني محمد بن سعد قال: ثنا أبي قال: ثنا عمي قال: ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس

رضي الله عنهما قوله: {يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} يقول: قالوا مثل ما قال أهل

الأوثان. (٤)

المسألة الثانية: قولهم نحن أبناء الله:

قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [سورة المائدة ١٨/٥]

٩٠٦٠-٣٢٤ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي

محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثنا سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشأس بن عدي فكلموه فكلمهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نعمته فقالوا: ما نخوفنا يا محمد نحن والله أبناء

الله وأحباؤه! كقول النصارى فأنزل الله جل وعز فيهم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ

وَأَحِبَّاؤُهُ} (٥)

٩٠٦١-٣٢٥ - حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: {وَقَالَتِ

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} أما أبناء الله فإنهم قالوا: إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولدا

من ولدك أدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد: أن

أخرجوا كل محتون من ولد إسرائيل فأخرجهم. فذلك قوله: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ}

(١) تفسير الطبري (١١٢ / ١٠) - تفسير عبد الرزاق (٢٧١ / ٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٣ / ٦) -

تفسير الدر المنثور (١٧٣ / ٤). حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

(٢) تفسير الطبري (١١٢ / ١٠) - تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٢ / ٦) حسنه في التفسير الصحيح (٢٨١/٢).

(٣) تفسير الطبري (١١٣ / ١٠) - تفسير الدر المنثور (١٧٣ / ٤).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٣ / ٦) - تفسير الدر المنثور (١٧٣ / ٤). إسناده ضعيف

(٥) تفسير الطبري (١٦٤ / ٦) - تفسير القرطبي (١٢٠ / ٦) - تفسير ابن كثير (٣٦ / ٢).

[سورة آل عمران ٢٤/٣] وأما النصارى فإن فريقاً منهم قال للمسيح: ابن الله. (١)

٣٢٦-٩٠٦٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: قوله: {يَعْرِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} [سورة البقرة ٢/٢٨٤] يقول: يهدي منكم من يشاء في الدنيا فيغفر له ويميت من يشاء منكم على كفره فيعذبه. (٢)

قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ} [سورة التوبة ٣١/٩]

٣٢٧-١٢٩١٣ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ} قال: قالها رجل واحد قالوا: إن اسمه فنحاص وقالوا: هو الذي قال: {إِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتَبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [سورة آل عمران ٣/١٨١] (٣)

٣٢٨ -- حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثنا سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشأس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ} [سورة التوبة ٣١/٩]... إلى: {أَتَى يُؤْفَكُونَ} [سورة المائدة ٥/٧٦] (٤)

٣٢٩-١٢٩١٥ - حدثني محمد بن سعد قال: ثنا أبي قال: ثنا عمي قال: ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ

(١) تفسير الطبري (٦ / ١٦٤) - تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١٦٦) تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٢٩) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٤٥) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١).

(٣) تفسير الطبري (١٠ / ١١٠) تفسير الدر المنثور (٤ / ١٧١).

(٤) تفسير الطبري (١٠ / ١١٠)، تفسير الدر المنثور (٤ / ١٧١).

قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتِلِهِمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ { وَإِنَّمَا قَالُوا: هو ابن الله من أجل أن عزيزاً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق. وكان التابوت فيهم؛ فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل الله عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزيز. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزيز قبل من علمائهم فدعا عزيز الله وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره من التوراة. فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن في قومه فقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها إلي! فعلق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم. ثم إن التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم؛ فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزيز يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا: والله ما أوتي عزيز هذا إلا أنه ابن الله. (١)

٣٣-١٢٩١٦ - حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: { وَقَالَتْ

الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتِلِهِمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ { إنما قالت ذلك لأنهم ظهرت عليهم العمالة فقتلوهم وأخذوا التوراة وذهب علماءهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة في الجبال. وكان عزيز غلاماً يتعبد في رؤوس الجبال لا يتزل إلا يوم عيد، فجعل الغلام يبكي ويقول: رب تركت بني إسرائيل بغير عالم! فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه. فتزل مرة إلى العيد؛ فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول: يا مطعماه ويا كاسياه! فقال لها: ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفكك قبل هذا الرجل؟ قالت: الله. قال: فإن الله حي لم يموت. قالت: يا عزيز فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فلما عرف أنه قد خصم ولى مدبراً فدعته فقالت: يا عزيز إذا أصبحت غداً فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ثم أخرج فصل ركعتين فإنه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه! فلما أصبح انطلق عزيز إلى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصل ركعتين فجاءه الشيخ فقال: افتح فمك! ففتح فمه فألقى فيه شيئاً كهية الجمر العظيمة مجتمعاً كهية القوارير ثلاث مرار. فرجع عزيز وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال: يا بني إسرائيل إني قد جئتكم بالتوراة. فقالوا يا عزيز ما كنت كذاباً. فعمد فربط على كل أصبع له قلماً وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها. فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزيز فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا دفنوها من التوراة في الجبال

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٧٨١) - تفسير الدر المنثور (٤ / ١٧١). إسناده ضعيف

وكانت في خواب مدفونة فعارضوها بتوراة عزيز فوجدوها مثلها فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه. (١)

المسألة الثالثة: نسبة الجن والملائكة إليه

قوله تعالى: { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٣٧﴾ }
[سورة الصافات ٣٧/١٥٩]

٣٣١-٢٢٧٦٥- حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة قال: ثنا عمرو بن سعيد الأبح عن سعيد بن أبي

عروبة عن قتادة في قوله: { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٣٧﴾ }
[سورة الصافات ٣٧/١٥٩] قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن فخرج منهما الملائكة
قال: سبحانه سبح نفسه. (٢)

(١) تفسير الدر المنثور (٤ / ١٧٢) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٢٣ / ١٠٨) تفسير القرطبي (١٥ / ١٣٤).

الدراسة:

لما استولى بختنصر على بني اسرائيل قتل رجالهم وسبي ذراريهم وأحرق أسفار التوراة حتى لم يبق فيهم من يحفظ التوراة، وزعموا أن الله ألهم عزيزاً عليه السلام حتى قرأه من صدره، ولم يكن أحد قرأه حفظاً لا قبله ولا بعده؛ ولهذا قالوا بأنه ابن الله وعبدوه كما في الآثار السابقة، فمدار الأمر على إخراج التوراة بعد اندراسها؛ فلذلك قالت بنو إسرائيل: لم يستطع موسى أن يأتينا بها إلا في كتاب وأتانا بها عزيز من غير كتاب، فرماه طوائف منهم فقالوا هو ابن الله جل الله وعز وجل . (١)

والعزيز من ذرية هارون عليه السلام (٢) وفي سيرته روايات كثيرة يغلب عليها الوضع كما بين ذلك ابن كثير، (٣) وفيها من الاسرائيليات الشيء الكثير والمشهور أنه الذي مرّ على القرية كما في سورة البقرة عند أكثر المفسرين، وذكر الطبري أنه إرميا، وقيل غير ذلك في الذي مر على القرية، ثم قال: "ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك، وجائز أن يكون ذلك عزيزاً وجائز أن يكون إرميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك. (٤)

قال بعض أهل العلم أن الذي يقول ذلك بعض اليهود وليس كلهم بل الصدوقية من اليهود (٥) وباقي الطوائف تنكر هذا. قال ابن حجر: "ويمكن أن يجاب: بأن خصوص هذا الخطاب لمن كان متصفاً بذلك، ومن عداهم يكون جوابهم ذكر من كفروا به. (٦)

لكن الله ذكر ذلك عنهم باسمهم المعرف فنحن ننسبه إليهم كما نسبه الله إليهم، فليس كلهم قال: إن الله فقير، وليس كلهم عبد العجل وهكذا.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٤٠/ص ٣٢٨.

(٢) قاله ابن عساكر في تاريخ دمشق وساق نسبه اليه ٣١٧/٤٠ .

(٣) قصص الأنبياء ص ٦٣١ وما بعده.

(٤) تفسير الطبري ٢٩/٣.

(٥) طائفة من اليهود نسبوا إلى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود إن العزيز بن الله وكانوا بجهة اليمن انظر.. الفصل في الملل لابن حزم ج ١/ص ٨٢ والجواب الصحيح لابن تيمية ج ٤/ص ٤٧٦ .

(٦) فتح الباري ج ١١/ص ٤٤٩ .

قال القرطبي: "قال النقاش: لم يبق يهودي يقولها بل انقروا، فإذا قالها واحد فيتوجه أن تلزم الجماعة شنعة المقالة، لأجل نباهة القائل فيهم. وأقوال النبهاء أبداً مشهورة في الناس يحتج بها. فمن ههنا صح أن تقول الجماعة قول نبيها." (١)

وقد مر في الآثار أن القائل غير واحد، فقليل: فنحاص وقيل سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشأس بن قيس ومالك بن الصيف.

وقد رد الله عليهم قولهم الشنيع فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَزِيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيْحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [سورة التوبة ٣٠/٩]

وقوله: {يُضَاهِئُونَ}: يشبهون من سبقهم من الذين كفروا ، وللعلماء فيهم ثلاثة أقوال:

- ١- الأول: قول عبدة الأوثان: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.
- ٢- الثاني: قول الكفرة: الملائكة بنات الله.
- ٣- الثالث: قول أسلافهم، فقلدوهم في الباطل واتبعوهم على الكفر، كما أخبر عنهم بقوله تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ} [سورة الزخرف ٢٣/٤٣]. (٢)

(١) تفسير القرطبي ج ٨/ص ١١٧.

(٢) تفسير القرطبي ج ٨/ص ١١٨.

المطلب الثاني : نسبة الفقر والبخل والتعب الى الله

الآثار

المسألة الأولى: نسبة الفقر الى الله

قوله تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا

وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٨١﴾} [سورة آل عمران ١٨١/٣]

٣٣٢-٦٦١٥ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل أبو بكر الصديق - بيت المدارس فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص كان من علمائهم وأخبارهم ومعه خبر يقال له: أشيع. فقال أبو بكر - لفنحاص: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم! فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل! قال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً عنا ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين! فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: وما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه. فجحذ ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ} [سورة آل عمران ١٨٢/٣] وفي قول أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: {لَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَّبُوا وَتَقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٦٦﴾} [سورة آل عمران ١٨٦/٣] (١)

(١) تفسير الطبري (٤ / ١٩٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٨٢٩) - تفسير الدر المشهور (٢ / ٣٩٦) .

المسألة الثانية : نسبة البخل الى الله :

قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} [سورة المائدة

[٦٤/٥

٣٣٣-٩٥٥٠ حدثني المثني قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} قالوا: ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. (١)

٣٣٤-٩٥٥١- حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} قال: لقد يجهدنا الله يا بني إسرائيل حتى جعل الله يده إلى نحره. وكذبوا. (٢)

٣٣٥-٩٥٥٢ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} قالوا: الله بخيل غير جواد قال الله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}. (٣)

٣٣٦-٩٥٥٣ حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} قالوا: إن الله وضع يده على صدره فلا يبسطها حتى يرد علينا ملكنا. (٤)

المسألة الثالثة : نسبة النعب الى الله

قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}

[سورة ق ٣٨/٥٠]

٣٣٧-٢٤٧٦٤- حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان ، عن أبي بكر ، قال : جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة ؟ فقال : "خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق المدائن والأقوات والأهبار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات، -يعني من يوم الجمعة- وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم، قالوا : صدقت إن

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣٠٠) - تفسير الدر المنثور (٣ / ١١٣) - تفسير ابن كثير (٢ / ٧٦) وحسن

إسناده الحافظ في الفتح (٤٤١/١٠).

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٣٠٠) .

(٣) تفسير الطبري (٦ / ٣٠٠) . حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٤) تفسير الطبري (٦ / ٣٠٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٦٨) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١).

أتمت، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون، فغضب، فأُنزل الله {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} ﴿٣٨﴾
فَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ} [سورة طه ٢٠/٣٨-٣٩]. " (١)

٣٣٨-٢٤٧٦٩ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ} الآية أكذب الله اليهود والنصارى وأهل القرى على الله؛ وذلك أنهم قالوا: إن الله خلق
السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح يوم السابع وذلك عندهم يوم السبت، وهم يسمونه يوم
الراحة. (٢)

٣٣٩-٢٤٧٦٧ - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه؛ عن
ابن عباس رضي الله عنهما: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} يقول: وما مسنا من نصب. (٣)

-
- (١) تفسير الطبري (٢٦ / ١٧٩) - تفسير عبد الرزاق ج:٣ ص:٢١٠ تفسير الدر المنثور (٧ / ٣١٦) المستدرک علی الصحیحین ج٢/ص٥٩٢ تفسير ابن كثير ٩٥/٤ . إسناده ضعيف.
- (٢) تفسير الطبري (٢٦ / ١٧٩) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٣٠) - فتح الباري (٦ / ٢٨٨) . حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)
- (٣) تفسير الطبري (٢٢ / ١٤٠) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣١٨٤) - تفسير الدر المنثور (٧ / ٣٠) . إسناده ضعيف

الدراسة:

وصف اليهود الله- تبارك وتعالى- بصفات تتم عن نفسية خبيثة، وافتروا عليه، وألحدوا في صفاته -جل وعلا- كما قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [سورة الأنعام ٩١/٦]

فوصفوه بأنه فقير ومحتاج إليهم ثم أمعنوا بالكفر ووصفوه بالبخل ثم جردوه من صفات الكمال ووصفوه بالتعب والأعياء. ولشناعة مقولتهم، كان التصرف الفطري من أبي بكر الصديق _، هو التصرف الصحيح، مع الطاغوت فنحاص اليهودي.

ولما أنكر أنه قال ذلك -كعادتهم بالمرأغة- أكذبه الله بالوحي فقال تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [سورة آل عمران ١٨١/٣]

ومرة أخرى: ينسب ما يقوله بعضهم إليهم جميعاً، وقد مرّ معنا ذلك في أكثر من موضع قال الطبري رحمه الله: "وقد ذكرت الآثار التي رويت، أن الذين عنوا بقوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ} بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكن من أولئك أحد قتل نبياً من الأنبياء، لأنهم لم يدركوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه، وإنما قيل ذلك كذلك لأن الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء، وكانوا منهم، وعلى منهاجهم، من استحلال ذلك واستجازته. فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته إلى جميعهم، إذ كانوا أهل ملة واحدة، ونحلة واحدة، وبالرضا من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل." (١)

ما الذي جعلهم يقولون هذه المقولة الشنيعة؟

(١) تفسير الطبري ج ٤/ص ١٩٦.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما نزل قوله تعالى : { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً } [سورة البقرة ٢/٢٤٥] قالت اليهود يا محمد أفنقر ربك فسأل عباده القرض فأنزل الله { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } [سورة آل عمران ٣/١٨١] (١)

وقد توعدهم الله جزاء هذه الفرية، فقال: { سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [سورة آل عمران ٣/١٨١]

ونبين هنا الفرق بين من فهم اليهود السقيم لطلب الله منهم الأنفاق في سبيله، وبين من فهم معنى الإقراض لله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن عبد الله بن مسعود _، قال: لما نزلت { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } قال أبو الدحداح: (٢) ((يا رسول الله إن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح. قال: أرنا يدك قال فناوله يده قال: قد أقرضت ربي حائطي - وحائطه فيه ستمائة نخلة - فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها فنأدى يا أم الدحداح قالت: لبيك قال اخرجي فقد أقرضته ربي.)) (٣)

وفي رواية: أنها قالت: ((ربح بيعك يا أبا الدحداح.)) ونقلت منه متاعها وصبياتها وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح)) وفي لفظ ((رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبي الدحداح في الجنة.)) (٤) ثم زعموا - عليهم لعنة الله - أن يد الله مغلولة واصفين الله بالبخل!!

قال الطبري: "يعنون: أن خير الله ممسك، وعطاءه محبوس عن الاتساع عليهم، كما قال تعالى ذكره في تأديب نبيه صلى الله عليه وسلم: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } [سورة الإسراء ١٧/٢٩] وإنما وصف تعالى ذكره اليد بذلك،

(١) تفسير ابن كثير ج ١/ص ٤٣٤.

(٢) قال ابن حجر: أبو الدحداح الأنصاري حليف لهم قال أبو عمر لم أف على اسمه ولا نسبه أكثر من أنه من الأنصار حليف لهم وقال: عاش الى زمن معاوية: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٧/ص ١١٩.

(٣) قال الهيثمي رواه أبو يعلى والطبراني ورجاهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال الصحيح مجمع الزوائد ٩/٣٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٤/ص ٣٠٨.

والمعنى: العطاء، لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم. {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [سورة المائدة ٦٤/٥] يعني بذلك أنهم قالوا: إن الله يبخل علينا ويمنعنا فضله فلا يفضل، كالمغلوله يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف. " (١)

ولأن مرادهم من ذلك وصفه -تعالى- بالبخل كما قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكن يقولون بخيل يعني أمسك ما عنده بخلاً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. (٢) ، ردّ الله عليهم مقولتهم بوصفه نفسه بالإنفاق وأن يده مبسوطتان بذلك قال تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [سورة المائدة ٦٤/٥]

وما قدروا الله حق قدره، قال صلى الله عليه وسلم : ((إن يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، ويده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض.)) (٣) وذهب السدي إلى أن مرادهم بذلك أن يده مغلوله حتى يرد علينا ملكنا كما رواه الطبري عنه.

وقال الحسن بن أبي الحسن: "قولهم {يد الله مغلوله} إنما يريدون عن عذابهم فهي على هذا في معنى قولهم {نحن أبناء الله وأحباؤه}" (٤)

لكن المشهور الذي وردت به النصوص ودل عليه سياق الآيات وصفهم الله بالبخل ثم ذكر الله زعماً آخر من مزعامهم السيئة وقلة تقديرهم لعظمة الله فرعموا: أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة. (٥)

(١) تفسير الطبري ج ٦/ص ٢٩٩.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢/ص ٧٦.

(٣) رواه البخاري ١٧٥/٨.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الأندلسي ج ٢/ص ٢١٥.

(٥) في سفر التكوين [فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدس له لأنه فيه استراح من جميع عمله] -تكوين

وإلى اليوم واليهود لا يعملون شيئاً من أعمالهم اليومية يوم السبت تأثراً بهذا الاعتقاد،
ولهم في هذا تكلف عجيب حتى أنهم لا يستعملون المواصلات ولا يباشرون شيئاً مما يشغل
ويستفاد منه إلا بواسطة على طريقة خداعهم يوم السبت. وقد أكذبهم الله بقوله: {أَوْلَمْ
يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى
بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة الأحقاف ٤٦/٣٣].

وبقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} ﴿٣٨﴾
{ [سورة ق ٥٠/٣٨].

المبحث الرابع : الآثار الواردة في شركهم بالله :

الآثار:

قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾} [سورة الجن ١٩/٧٢] ٣٤٠-٢٧٢٢٩ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده. (١)

المسألة الأولى : عبادة العجل

قوله تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} سورة الأعراف ١٣٩٧ ٣٤١-١١٦٩ م حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ} قال ابن جريج: على أصنام لهم قال: تماثيل بقر فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر فذلك كان أهل شأن العجل {قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (٢)

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [سورة البقرة ٥٤/٢]

٣٤٢-٧٨٦ - حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال: حدثنا إبراهيم بن بشار قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال موسى عليه السلام لقومه: {فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [سورة البقرة ٥٤/٢] قال: أمر موسى عليه السلام قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال: فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل وأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم

(١) تفسير الدر المنثور (٨ / ٣٠٦) - تفسير القرطبي عن مجاهد (١٩ / ٢٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٣٢).

حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ٤٥) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٣٣) - تفسير القرطبي (٧ / ٢٧٣).

ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً. فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له توبة. (١)

٣٤٣-٧٨٨ - حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى: {بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ} قال: كان موسى أمر قومه -عن أمر ربه - أن يقتل بعضهم بعضاً بالخناجر فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده فتاب الله عليهم. (٢)

٣٤٤-٧٨٩ - حدثني المثني قال: حدثنا آدم قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} الآية. قال: فصاروا صنفين فجعل يقتل بعضهم بعضاً فبلغ القتلى ما شاء الله ثم قيل لهم: قد تيب على القاتل والمقتول. (٣)

قوله تعالى: {فَأُخْرِجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ سُرَّةَ

طه ٥٨٩٠

٣٤٥-١٨٣٧ م - حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله {أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ} ذلك العجل الذي اتخذوه {قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا}. (٤)

٣٤٦-١٢٩٠ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا معمر، عن قتادة: {وأشربوا في قلوبهم العجل} قال: أشربوا حبه حتى خلس ذلك إلى قلوبهم. (٥)

المسألة الثانية: عبادة العزيز:

قوله تعالى: {وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [سورة الصافات ٣٧/٢٥]

٣٤٧-٢٢٤٦٩ - حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا عبد الرحمن قال: ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال: ثنا أبو الزعراء قال: كنا عند عبد الله فذكر قصة ثم قال: يتمثل الله للخلق فيلقاهم فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٨٦) تفسير الدر المنثور (١ / ١٦٨) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٣).

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٨٧) تفسير ابن كثير (١ / ٩٣).

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٨٧) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦ / ٣٦٦).

(٤) تفسير الطبري (١٦ / ٢٠٢) تفسير ابن كثير عن ابن عباس (٣ / ١٦٣) - تفسير القرطبي عن ابن عباس

أيضاً (١١ / ٢٣٦). حسنه في التفسير الصحيح (١ / ٢٢٣).

(٥) تفسير الطبري (١ / ٤٢٢) - تفسير عبد الرزاق (١ / ٥٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٦) -

تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٩) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٧). صححه في التفسير الصحيح (١ / ١٦٤).

عزيراً قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم قرأ: {وَعَرَصْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا} [سورة الكهف ١٨/١٠٠] قال: ثم يلقي النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: المسيح فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً ثم قرأ عبد الله {وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} (١)

المسألة الثالثة : عبادة [بعل] وهم قوم الياس من بني إسرائيل :

٣٤٨-٢٢٦٩٠- حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه قال: إن الله قبض حزقيل وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فتاح بن العيزار بن هارون بن عمران نبياً. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يبعثون إليهم بتحديد ما نسوا من التوراة فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له: أحاب كان اسم امرأته: أربل وكان يسمع منه ويصدقه وكان إلياس يقيم له أمره وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل. (٢)

قوله تعالى : {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ} [سورة الصافات ٣٧/١٢٥]

- ٢٢٦٨٨- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} [سورة الصافات ٣٧/١٢٦] قال: بعل: صنم كانوا يعبدون، كانوا يبعلك، وهم وراء دمشق وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون. (٣)

المسألة الرابعة : عبادة الأحرار والرهبان

قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [سورة التوبة ٩/٣١]

٣٥٠-١٢٩٢٤- حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ} قال: قراءهم وعلماءهم. (٤)

٣٥١-١٢٩٢٦- حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: ثنا سفيان عن حبيب بن أبي

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٣٦٧) - تفسير الدر المنثور (٨ / ٢٦٠)

المستدرک علی الصحیحین (٤ / ٥٤٢) - مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٥١١).

(٢) تفسير الطبري (٢ / ٥٩٦) - تفسير الدر المنثور (١ / ٧٥٠) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢٣ / ٩٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٢٥) - تفسير الدر المنثور (٧ / ١١٩).

(٤) تفسير الطبري (١٠ / ١١٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٧٨٤).

الطَّاغُوتِ} قال: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلى اليهود لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة، فأُنزل الله فيه هذه الآية: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}... حتى بلغ: {وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا} (١)

٣٥٧-٧٨١٧- حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} فذكر نحوه، وزاد فيه: فأُنزل الله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} يعني المنافقين {وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} يعني اليهود {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} يقول: إلى الكاهن {وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} أمر هذا في كتابه، وأمر هذا في كتابه أن يكفر بالكاهن. (٢)

٣٥٨-٧٨١٨- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أن رجلاً من اليهود كان قد أسلم، فكانت بينه وبين رجل من اليهود مداراة في حق، فقال اليهودي له: انطلق إلى نبي الله! فعرف أنه سيقضي عليه. قال: فأبي، فانطلقا إلى رجل من الكهان، فتحاكما إليه. قال الله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} (٣)

٣٥٩-٧٨٢٠- حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} قال: كان ناس من اليهود قد أسلموا وناق بعضهم، وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل الرجل من بني النضير قتلته بنو قريظة قتلوا به منهم، فإذا قتل الرجل من بني قريظة قتلته النضير، أعطوا ديتة ستين وسقا من تمر. فلما أسلم ناس من بني قريظة والنضير، قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة، فتحاكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النضيري: يا رسول الله إنا كنا نعطيهم في الجاهلية الدية، فنحن نعطيهم اليوم ذلك. فقالت قريظة: لا، ولكننا إخوانكم في النسب والدين، ودمائنا مثل دمائكم، ولكنكم كنتم تغلبوننا في الجاهلية، فقد جاء الله بالإسلام فأُنزل الله

(١) تفسير الطبري (٥ / ١٥٢) .

(٢) تفسير الطبري (٥ / ١٥٣) .

(٣) تفسير الطبري (٥ / ١٥٣) - تفسير الدر المشور (٢ / ٥٨٠) .

يعيرهم بما فعلوا. فقال: { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ } [سورة المائدة ٥/٥٤] فعيرهم، ثم ذكر قول النضيري: كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسقا وتقتل منهم ولا يقتلون، فقال: { أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ } [سورة المائدة ٥/٥٠]. وأخذ النضيري فقتله بصاحبه. فتفاخرت النضير وقريظة، فقالت النضير: نحن أكرم منكم، وقالت قريظة: نحن أكرم منكم، ودخلوا المدينة إلى أبي برزة الكاهن الأسلمي، فقال المنافق من قريظة والنضير: انطلقوا إلى أبي برزة ينفر بيننا! وقال المسلمون من قريظة والنضير: لا، بل النبي صلى الله عليه وسلم ينفر بيننا، فتعالوا إليه! فأبى المنافقون، وانطلقوا إلى أبي برزة فسأله، فقال: أعظموا اللقمة! يقول: أعظموا الخطر. فقالوا: لك عشرة أوساق، قال: لا، بل مائة وسق ديتي، فإني أخاف أن أنفر النضير فتقتلني قريظة، أو أنفر قريظة فتقتلني النضير فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوساق، وأبى أن يحكم بينهم، فأنزل الله عز وجل: { يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ } وهو أبو برزة، وقد أمروا أن يكفروا به، إلى قوله: { وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (١)

٣٦-٨٨٢٤ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ } قال: تنازع رجل من المؤمنين ورجل من اليهود، فقال اليهودي: اذهب بنا إلى كعب بن الأشرف، وقال المؤمن: اذهب بنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ }... إلى قوله: { صُدُّودًا } قال ابن جريج: يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، قال: القرآن، وما أنزل من قبلك، قال: التوراة. قال: يكون بين المسلم والمنافق الحق، فيدعوه المسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحاكمه إليه، فأبى المنافق ويدعوه إلى الطاغوت. قال ابن جريج: قال مجاهد: الطاغوت: كعب بن الأشرف. (٢)

(١) تفسير الطبري (٥ / ١٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٩١) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٨١) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٥ / ١٥٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٩١) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٨٢) - تفسير القرطبي (٥ / ٢٦٣) . صححه في التفسير الصحيح (٣/١٢٢)

الدراسة:

توحيد الله وإفراده بالعبادة هو ما بعث الله به موسى وبقية أنبياء بني إسرائيل إلى آخرهم عيسى عليهم السلام .

وقد بدأ بهم الكفر بالله والشرك به في أول عهدهم بمجازة البحر ونجاتهم من فرعون من الغرق كما قال تعالى: { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٣٨﴾ } [سورة الأعراف ١٣٨/٧] .

فكان أول استعدادهم للشرك تمثال بقرة شاهدوه فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم مثله ولما أنكر عليهم وبين لهم خطر ما يطلبون لم تلبث قلوبهم المشربه بالشرك أن يتحينوا أول فرصة فكان ذلك يوم ذهب موسى صلى الله عليه وسلم لموعده مع ربه فكانت المناسبة لهذه القلوب المريضة كما قال تعالى: { وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ } [سورة البقرة ٥١/٢] ولشناعة فعلهم هذا وتأثيره في من جاء بعدهم فقد ذكره الله في نحو سبع مواضع من القرآن لعظم ما اقترفوه في: سورة البقرة أربع مرات، وفي النساء والأعراف وطه. (١)

وسبب عبادتهم للعجل ذكره الله بقوله: { وَمَا أَجْعَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ } قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلِمْتُمْ بِعِبَادَتِكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفْطَلَّ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَتَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ

(١) أورد الطبري نحواً من خمسين أثراً في العجل والسامري اختصرت الكلام عليها مع إبعاد الاسرائيليات التي نبه عليها العلماء كابن كثير وغيره.

يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَازُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ { [سورة طه ٨٣-٩٨]

ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فعمد رجل منهم يقال له (السامري) (١) فأخذ ما كان استعاره من الحلبي فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقي، فراحوا يرقصون حوله ويفرحون، وقالوا: هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي: فنسي موسى ربه عندنا وذهب يتطلبه وهو ههنا.

قال الله تعالى -مبيناً بطلان ما ذهبوا إليه وما عولوا عليه من إلهية هذا الذي قصاره أن يكون حيواناً بهيماً وشيطاناً رجيماً-: {أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [سورة طه ٨٩/٢٠] وقال {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} [سورة الأعراف ١٤٨/٧] فذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم، ولا يرد جواباً، ولا يملك ضراً، ولا نفعاً، ولا يهدي إلى رشد، اتخذوه وهم ظالمون لأنفسهم وعالمون في أنفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل والضلال، {وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ} [سورة الأعراف ١٤٩/٧] أي ندموا على ما صنعوا {وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة الأعراف ١٤٩/٧] ولما رجع موسى عليه السلام إليهم، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل، ومعه الألواح المتضمنة

(١) وردت آثار في تعريف السامري- اسمه ، وأصله ، وحبه عبادة البقر ... وغير ذلك . كله من الإسرائيليات لما فيها من المبالغات وعدم دقة المصدر اللهم الا كتب أهل الكتاب.

التوراة ألقاها مع عظمتها، ولكن الأمر جلل، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((ليس الخبر كالمعاينة إن الله خبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح)) (١)

ثم أقبل عليهم فعنفهم، ووبخهم، في صنعهم هذا القبيح فاعتذروا إليه بما ليس بصحيح وقالوا: حملنا أوزاراً من زينة القوم التي خرجنا بها معنا من مصر، فهم تخرجوا من تملك حلى آل فرعون وهم أعدائهم، ولم يتخرجوا بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد الذي له حوار، ثم أقبل على أخيه هارون عليه السلام : هلا لما رأيت ما صنعوا اتبعني فأعلمتني بما فعلوا! فقال: خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل فتركتهم وجئتني وأنت قد استخلفتني فيهم وقد كان هارون عليه السلام نهاهم عن هذا بقوله: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ} [سورة طه ٩٠/٢٠] أي إنما قدر الله أمر هذا العجل، وجعله يخور فتنة واختباراً لكم وأن ربكم الله قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى.

وقد شهد الله لهارون عليه السلام أنه نهاهم وزجرهم عن ذلك فلم يطيعوه ولم يتبعوه، لأن اليهود يزعمون: أن هارون عليه السلام هو السامري الذي صنع العجل لبني إسرائيل، وأمرهم بعبادته، وهذا ليس غريباً عنهم في كذبهم على الأنبياء. (٢)

ثم أقبل موسى على السامري الذي قال: رأيت جبرائيل وهو راكب فرساً فقبضت قبضة من أثر فرس جبريل، و لما ألقاه في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من أمره ما كان ولهذا قال: فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال له موسى: فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس، وهذا دعاء عليه بأن لا يمس أحداً معاقبة له على مسه ما لم يكن له مسه، هذا معاقبة له في الدنيا ثم توعدته في الآخرة فقال: {وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} [سورة طه ٩٧/٢٠] فعمد موسى عليه السلام إلى هذا العجل، فحرقه بالنار وقيل بالمبارد ثم ذراه في البحر. (٣)

(١) قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه- المستدرک علی الصحیحین ج ٢/ص ٣٥١.

(٢) كما ورد في سفر الخروج، الأصحاح (٣٢) انظر الفصل في الملل ج ١/ص ١٤٠ اليهودية لأحمد شلبي ١٨٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٢٨٦/١-٢٨٨ بتصرف . انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/٦١ واليهودية لأحمد

ومحبتهم للعجل وصفها الله بوصف معجز بقوله: أشربوا وهذا يعني: جعلت قلوبهم تشربه، وهذا تشبيه عن تمكن أمر العجل في قلوبهم. حتى غلب عليه وخالط قلبه. (١)
قال البغوي: "أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها كإشراب اللون لشدة الملازمة، يقال: فلان أشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة." (٢)

وتوعد الله الذين لم يتوبوا من عبادة العجل بالغضب والذلة بالدنيا، والنار بالآخرة. ووردت آثار كثيرة في كيفية تنفيذهم للتوبة وكانت: قتلهم أنفسهم لكي يتوب الله عليهم، ولم يبين سبحانه وتعالى كيفية ذلك القتل، بل اكتفى بقوله {فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [سورة البقرة ٥٤/٢]. كما لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يفصل ذلك. ولكن ورد بعض التفصيلات لكيفية ذلك القتل في بعض الآثار، وذكر عدد القتلى من جراء القتل وغالب هذه التفصيلات منقولة عن كتب بني إسرائيل.

وفي سياق ما حصل من اليهود السابقين: خاطب الله اليهود في كل زمان (عن فعل آبائهم وأسلافهم وتكذيبهم رسلهم وخلافهم أنبياءهم، مع تتابع نعمه عليهم وسبوغ آلائه لديهم، معرفهم بذلك أنهم من خلافهم محمداً صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به وجحودهم لرسالته، مع علمهم بصدقه على مثل منهاج آبائهم وأسلافهم، ومخدرهم من نزول سطوته بهم بمقامهم على ذلك من تكذيبهم ما نزل بأوائلهم المكذبين بالرسول من المسخ واللعن وأنواع النقمات) (٣)

وأما عن عبادتهم للعزير، فهو ما سيبعث عيه فئام منهم ففي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري _: ((أن أناساً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟)) قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب قالوا: لا قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب قالوا: لا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذن

شلي ١٨٠ وما بعدها.

(١) تفسير القرطبي ج ٢/ص ٣١.

(٢) تفسير البغوي ج ١/ص ٩٥.

(٣) تفسير الطبري ج ١/ص ٢٨١.

مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون قالوا: كنا نعبد عزيراً بن الله فيقال لهم: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم: من كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح بن الله فيقال لهم: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقال: ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد فيقول: أنا ربكم فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً.)) (١)

وأما عبادتهم (بعل) فإن إلياس عليه السلام دعى قومه من بني إسرائيل إلى إفراد الله بالعبادة، وأنكر عليهم عبادتهم لغيره فقال: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} [سورة الصافات ٣٧/١٢٥]

١- وبعل هنا: هو الرب في لغة أهل اليمن، تقول: من بعل هذا الثور: أي من ربه؟

٢- وقيل: هو صنم كان لهم يسمى بعلًا.

٣- وقيل امرأة كانوا يعبدونها.

قال السيوطي: "وكل ما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج إلا {أتدعون بعلًا} فهو الصنم" (٢)

وقد وردت آثار طويلة في قصة إلياس مع قومه حاصلها، أنهم كذبوه وعبدوا

بعلًا، وورد في بعض الآثار، أنهم هم أهل بعلبك (٣) ومن هنا جاءت التسمية.

(١) رواه البخاري ١٦٧٢/٤.

(٢) الإتيان (١/٤١٧).

(٣) مدينة بالشام وهي من مدن لبنان الآن وهي قديمة البناء، فتحت بصلح في زمن عمر رضي الله عنه سنة (١٤هـ) وكان

لأهلها صنم يدعى (بعلًا) فسميت به لعبادة أهلها له، واسم الموضع (بك). المعجم البلدان (١/٤٥٣)، يتصرف يسير.

ومع دعوته لهم، إلا أنهم كذبوه، قال تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٧﴾} [سورة الصافات ٣٧/١٢٧] أي للعذاب يوم الحساب {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} أي الموحدين منهم. (١)

وأما عبادتهم للأخبارهم والرهبان، فهي كما قال صلى الله عليه وسلم: ((بطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام.)) وكما قال الحسن: {أَرْبَابًا} في الطاعة. و الأخبار: جمع خبر، وهو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه. ومنه ثوب مخبر أي جمع الزينة.

والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة، وهو الذي حمله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس، ويجعل زمانه له وعمله معه وأنسه به. (٢) وقال الضحاك: الأخبار: قراؤهم، ورهبانهم علماءهم. (٣)

وقصة قدوم عدي بن حاتم الطائي _ ، برواياتها المتعددة تجلي كيف فسر صلى الله عليه وسلم عبادتهم لهم، وكيف صاروا لهم أربابا، قال _ : ((أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب)) فقال: ((يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك.)) قال: فطرحتة وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم! فقال: ((أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويجلون ما حرم الله فتحلونونه؟ قال: قلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم.)) (٤)

وكما قال حذيفة _ : ((كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه.))

(١) تفسير ابن كثير ج ٤/ص ٢١ وسيأتي مزيدا من التفصيل عند الكلام عن أنبيائهم بإذن الله.

(٢) تفسير القرطبي ج ٨/ص ١١٩ لسان العرب - ابن منظور ج ٤/ص ١٥٨.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ج ٦/ص ١٧٨٤.

(٤) رواه أحمد ٤/٣٧٨ والترمذي ٢٩٥٣.

وقال أيضاً: ((أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم، ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرموه، فتلك كانت ربوبيتهم.)) وقال: ((لم يعبدوهم، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي.))
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ((لم يأمرهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمرهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسامهم الله بذلك أرباباً.))
وقال أبو البخترى رحمه الله (١): ((انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراماً، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً، فأطاعوهم في ذلك، فجعل الله طاعتهم عبادتهم، ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا.))

وسئل أبو العالية رحمه الله: ((كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: قالوا: ما أمرنا به ائتمرنا، وما نهونا عنا انتهينا لقولهم: وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحو الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.)) (٢)
وهم إلى اليوم يطيعون علمائهم، حتى في نبذهم التوراة وما أمروا فيها، والاستعاضة عنها بالتلمود الذي عملتها أيديهم الآثمة.

ويتبع ما سبق تحاكمهم إلى طواغيت الأرض، وترك حكم الله، وهذا من الشرك الأكبر الذي أمروا أن يجتنبوه، وذلك يوم أن شاورت قريش بعض أحبارهم في المفاضلة بينهم وبين ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ففضلوا الكهنة والشياطين ممثلة بحبي بن أخطب وكعب بن الأشرف وكل طاغوت: على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا: إنكم أهدى من محمد سبيلاً، بل توجهوا ذلك بسجودهم للأصنام كما في الأثر: ((أن كعب بن الأشرف انطلق إلى المشركين من كفار قريش، فاستجاشهم على النبي صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يغزوه، وقال: إنا معكم نقاتله، فقالوا: إنكم أهل كتاب، وهو صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكرماً منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهدذين الصنمين وآمن بهما! ففعل، ولأن هذا منطبق عليهم كجنس.

(١) سعيد بن فيروز أبو البخترى بفتح الموحدة والمثناة بينهما معجمة بن أبي عمران الطائي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فيه تشيع قليل كثير الارسال من الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين تقريبات التهذيب ١/٢٤٠.

(٢) انظر للروايات المتعددة في تفسير الطبري ١٠/١١٥.

قال الطبري رحمه الله بعد أن ساق أسباب التزول للآية : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ } [سورة آل عمران ٢٣/٣] ... إلى قوله: { وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً } [سورة النساء ٥٢/٤] .

"وأولى الأقوال بالصحة في ذلك قول من قال: إن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن جماعة من أهل الكتاب من اليهود، وجائز أن يكون كانت الجماعة الذين سماهم ابن عباس رضي الله عنهما في الخبر الذي رواه محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعد أو يكون حياً وآخر معه، إما كعباً وإما غيره." (١)

ففضل علماء وكبار اليهود حكم الطاغوت وشرك الجاهليين على الإيمان والتوحيد الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً } [سورة النساء ٥١/٤]

ومعنى الآية: إن الله وصف الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة والإذعان له بالطاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما، وأهم قالوا: إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الإيمان به، وإن دين أهل التكذيب لله ولرسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق لله ولرسوله، وذكر أن ذلك من صفة كعب بن الأشرف، وأنه قائل ذلك. (٢)

ويمكن الجمع بينها كما قال الطبري: يصدقون بمعبودين من دون الله يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين؛ وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة أو خضوع له، كائنا ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان. وإذ كان ذلك كذلك وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدتها كانت معظمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جبوتاً وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالوا في أهل

(١) تفسير الطبري ٤ / ١٣٨ .

(٢) تفسير الطبري ٥ / ١٣٣ .

الشرك بالله، وكذلك حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، لأنهما كانا مطاعين في أهل
ملتتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله، فكانا جبّتين وطاغوتين. (١)
هذا ما وصف الله به اليهود، ولم يفرق بين أولهم وآخرهم ومن عاصروا الرسول
صلى الله عليه وسلم ومن سبقه، وأن سلسلة الكفر والشك والشرك ماضية بينهم على قدر
كبير فوصفهم وصف عام، ولو بان أن سبب التزول في مقولة الشرك أو عبادة غير الله على
أي وجه فهي تنسب للجميع.

(١) تفسير الطبري ج ٥/ص ١٣٠ تفسير ابن كثير ج ١/ص ٥١٣.

الفصل الثاني : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالملائكة :
الآثار:

المبحث الأول: الآثار الواردة في الإيمان بهم مطلقا:

قوله تعالى: { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ } [سورة الأنبياء
٢٦/٢١]

٣٦١-١٨٥٢٢ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن فكانت منهم الملائكة. قال الله تبارك وتعالى تكذبا لهم وردا عليهم: { بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } وإن الملائكة ليس كما قالوا إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته. (١)

قوله تعالى: { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا } [سورة الصافات ٣٧/١٥٨]

٣٦٢-٢٢٧٦٥ - حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة قال: ثنا عمرو بن سعيد الأبح عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا } قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن فخرج منهما الملائكة قال: سبحانه سبحانه سبغ نفسه. (٢)

قوله تعالى: { أَأَفْصَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ } [سورة الإسراء ٤٠/١٧] (٣)

٣٦٣-١٦٨٤٦ - حدثنا محمد قال: ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة { وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا } قال: قالت اليهود: الملائكة بنات الله. (٤)

(١) تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٣) - تفسير الدر المنثور (٥ / ٦٢٤) - تفسير القرطبي (١١ / ٢٨١) . حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

(٢) تفسير الطبري (٢٣/١٠٨) تفسير القرطبي (١٥/١٣٤)

(٣) تفسير القرطبي (١٥ / ١٣٤) .

(٤) تفسير الدر المنثور (٥ / ٢٨٨) . صححه في التفسير الصحيح (٢٦٢/٣)

المبحث الثاني: الآثار الواردة في جبريل وميكايل خاصة

قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾} [سورة البقرة ٩٦/٢]

٣٦٤-١٣٢٨ - حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ} فهم الذين عادوا جبريل عليه السلام. (١)

قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ} [سورة هود ١١/١٧]

٣٦٥-١٣٩٤٩ - حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالوا: ثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال: هو جبرئيل تلا التوراة والإنجيل والقرآن وهو الشاهد من الله. (٢)

٣٦٦-١٣٩٥٩ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي عن أبيه عن منصور عن إبراهيم في قوله: {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ} قال: من قبله جاء بالكتاب إلى موسى. (٣)

قوله تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [سورة البقرة ٩٧/٢]

٣٦٧-١٣٣١ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين يعني المكّي، عن شهر بن حوشب الأشعري: أن نفراً من اليهود جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن فإن فعلت اتبعناك وصدقناك وآمنا بك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني)) قالوا: نعم. قال: ((فاسألوا عما بدا لكم- وفيه- قالوا: فأخبرنا عن الروح! قال: ((أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه جبريل وهو الذي يأتيني؟)) قالوا: نعم ولكنه لنا عدو وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك. فأنزل الله فيهم: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ} [سورة البقرة ٩٧/٢] إلى قوله: {كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٣١). إسناده ضعيف

(٢) تفسير الطبري (١٢ / ١٦).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٢٠١٥) - تفسير الدر المنثور (٤ / ٤١١).

٣٦٨-١٣٣٢ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: حدثني القاسم بن أبي بزة: أن يهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه الذي يتزل عليه بالوحي فقال: ((جبريل)). قالوا: فإنه لنا عدو ولا يأتي إلا بالحرب والشدة والقتال. فتزل: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} [سورة البقرة ٩٧/٢] الآية. (٢)

٣٦٩-١٣٣٣ - حدثني محمد بن المثني قال: ثنا ربعي بن علي عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: نزل عمر _ الروحاء فرأى رجالاً يتدرون أحجاراً يصلون إليها فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ههنا. فكره ذلك وقال: إنما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواد فصلى ثم ارتحل فتركه. ثم أنشأ يحدثهم فقال: كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان ومن الفرقان كيف يصدق التوراة فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك! قلت: ولم ذلك؟ قالوا: إنك تغشانا وتأتينا. قال: قلت إني آتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق الفرقان! قال: ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فالحق به! قال: فقلت لهم عند ذلك: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه واستودعكم من كتابه أتعلمون أنه رسول الله؟ قال: فسكتوا. قال: فقال عالمهم وكبيرهم: إنه قد عظم عليكم فأجيبوه! قالوا: أنت عالمنا وسيدنا فأجبه أنت. قال: أما إذ أنشدتنا به فإننا نعلم أنه رسول الله. قال: قلت: ويحكم! إذا هلكتم. قالوا: إننا لم نهلك. قال: قلت: كيف ذاك وأنتم تعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه؟ قالوا: إن لدينا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة وإنه قرن به عدونا من الملائكة. قال: قلت: ومن عدوكم ومن سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل. قال: قلت: وفيم عاديتم جبريل وفيم سلمتم ميكائيل؟ قالوا: إن جبريل ملك الفضاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا، وإن ميكائيل ملك الرأفة والرحمة والتخفيف ونحو هذا. قال: قلت: وما مترلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره قال: قلت: فوالله الذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما ما ينبغي لجبريل أن يسلم عدو ميكائيل ولا لميكائيل أن يسلم عدو جبريل. قال: ثم قمت فاتبعته النبي صلى الله عليه وسلم فلحقته وهو خارج من مخرفة لبني فلان فقال لي: ((يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات نزلن؟)) فقرأ علي: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٣٢) تفسير ابن كثير (١ / ١٣٠) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ١٣١).

يَدِيهِ} حتى قرأ الآيات. قال: قلت: بأي أنت وأمي يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك الخبر فأسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر. (١)

١٣٣٥-٣٧٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ} قال: قالت اليهود: إن جبريل هو عدونا لأنه يتزل بالشدة والحرب والسنة وإن ميكائيل يتزل بالرخاء والعافية والخصب فجبريل عدونا. فقال الله جل ثناؤه: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ}. (٢)

١٣٣٦-٣٧١ - حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} قال: كان لعمر بن الخطاب - أرض بأعلى المدينة فكان يأتيها وكان ممره على طريق مدراس اليهود وكان كلما دخل عليهم سمع منهم. وإنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا: يا عمر ما في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أحب إلينا منك! إنهم يمرون بنا فيؤذوننا وتمر بنا فلا تؤذينا وإنا لنطمع فيك. فقال لهم عمر -: أي يمين فيكم أعظم؟ قالوا: الرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء. فقال لهم عمر -: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أبتدون محمدا صلى الله عليه وسلم عندكم؟ فأسكتوا. فقال: تكلموا ما شأنكم؟ فوالله ما سألتكم وأنا شاك في شيء من ديني! فنظر بعضهم إلى بعض فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل لتخبرنه أو لأخبرنه! قالوا: نعم إنا نجده مكتوباً عندنا ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف ولو أنه كان وليه ميكائيل إذا لامنا به فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث. فقال لهم عمر -: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أين مكان جبريل من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره. قال عمر -: فأشهدكم أن الذي هو عدو للذي عن يمينه عدو للذي هو عن يساره والذي هو عدو للذي هو عن يساره عدو للذي هو عن يمينه وأنه من كان عدوهما فانه عدو الله. ثم رجع عمر ليخبر النبي فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه فقال عمر -: والذي بعثك بالحق لقد جئتكم وما أريد إلا أن أخبرك. (٣)

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٣١) تفسير الدر المنثور (١ / ٢٢٢) - تفسير ابن كثير (١ / ١٣٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٣٢) تفسير عبد الرزاق (١ / ٥٢) - تفسير ابن كثير (١ / ١٣٣). صححه في التفسير الصحيح (١٦٤/١)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤٣٣٣) تفسير الدر المنثور (١ / ٢٢٣-٢٢٤).

٣٧٢-١٣٣٨ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا هشيم قال: أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى في قوله: {فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} [سورة البقرة ٩٨/٢] قال: قالت اليهود للمسلمين: لو أن ميكائيل كان الذي ينزل عليكم لتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والغيث وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة وهو لنا عدو. قال: فتزلت هذه الآية: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ}. (١)

٣٧٣-١٣٤٠ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} قال: وذلك أن اليهود قالت حين سألت محمداً صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فأخبرهم بها على ما هي عندهم إلا جبريل فإن جبريل كان عند اليهود صاحب عذاب وسطوة ولم يكن عندهم صاحب وحي - يعني تنزيل من الله على رسله - ولا صاحب رحمة - فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سأله عنه أن جبريل صاحب وحي الله وصاحب نعمته. وصاحب رحمته. فقالوا: ليس بصاحب وحي ولا رحمة هو لنا عدو. فأنزل الله عز وجل إكذاباً لهم: {قُلْ} يا محمد {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ} يقول: فإن جبريل نزله. يقول: نزل القرآن بأمر الله يشد به فؤادك ويربط به على قلبك يعني بوحينا الذي نزل به جبريل عليك من عند الله وكذلك يفعل بالمرسلين والأنبياء من قبلك. (٢)

٣٧٤-١٣٥٧ - حدثت عن عن عمار قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: إن يهوديا لقي عمر فقال له إن جبريل الذي يذكره صاحبك هو عدو لنا. فقال له عمر: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} [سورة البقرة ٩٨/٢] قال: فتزلت على لسان عمر. (٣)

(١) تفسير ابن كثير (١ / ١٣٣).

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٣٥ - ٤٣٦).

(٣) تفسير الدر المنثور (١ / ٢٢٤) - تفسير ابن كثير (١ / ١٣٣) إسناده ضعيف.

الدراسة:

بين الله تبارك وتعالى أن المعاصرين لدعوة موسى عليه السلام من فرعون ومن معه يعرفون الملائكة ويقدرونهم بدليل سؤالهم لموسى أن يأتي بهم ليشهدوا معه على صدقه كما قال تعالى: { فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٤٣﴾ } [سورة الزخرف ٤٣/٥٣] و موسى عليه السلام بعثه الله بما بعث به رسله، ومن ذلك الإيمان بالملائكة، ولكن اليهود وإيمانهم بالملائكة، ومحبتهم لهم - كما بينه القرآن - خاضع لأهوائهم، فهم ينتخبون في ذلك بأهوائهم، كما تقدم في صفاتهم وعقائدهم.

فالملائكة منهم العدو ومنهم الولي، ولكن قبل ذلك هناك بعض الروايات تنسب القول في بعض الآيات وإن لم يصرح باسمهم ولكن نص عليه بعض السلف كما مر في الآثار منهم من تكلم في أصل الملائكة فقالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن فخرج منهما الملائكة وأن جنسهم إناث فهم بنات الله.

وهذا مجمل ما في الآيات التالية:

{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ } [سورة الأنبياء ٢٦/٢١]

{ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٥٨﴾ } [سورة الصافات ١٥٨/٣٧]

{ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ } [سورة الإسراء ٤٠/١٧]

وبينتها الآثار السابقة وهذا من شنيع قولهم كما مر في نسبتهم الولد لله. وليهود مع جبريل عليه السلام شأن آخر فهم يعتقدون عداوته ويناصبونه البغض ويصرحون بذلك، ومع تعدد الروايات في سبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام إلا أن النتيجة واحدة وقد قال الطبري رحمه الله عند قوله تعالى: { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ } من

كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ [سورة البقرة ٩٧/٢-٩٨].

"أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدوهم، وأن ميكائيل ولي لهم. ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك." ثم أورد أكثر من أربعة عشر سبباً من أسباب النزول لهاتين الآيتين. (١)

فمن الأسباب التي ذكرت:

١- أن عداوتهم لأنه يتزل عليهم بالعذاب، وهو قول الجمهور، (٢) كما في المناظرة التي جرت بين اليهود وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام)). فقالوا: ذلك لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلوني عما شئتم فقالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن! أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعني. فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، فقال: نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد الله عليكم وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء

(١) تفسير الطبري ٤٧٦-٤٨٦ وانظر تفاصيل الروايات وتخرجها في العجائب في بيان الأبواب لابن حجر ٢٨٩/١ وما بعدها.

(٢) حكاة ابن حجر في العجائب ٢٩٨/١.

الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبيه بإذن الله، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله؟ قالوا: اللهم نعم! قال: اللهم اشهد. قال: وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي الأُمِّي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم! قال: اللهم اشهد. قالوا: أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبياً فقط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله عز وجل: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [سورة البقرة ٩٧/٢] إلى قوله: {كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة ١٠١/٢]. فعندها باؤوا بغضب على غضب وفي رواية قالوا: نعم ولكنه لنا عدو وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك.)) (١)

٢- ومن الأسباب: أنهم يرون أن جبريل عليه السلام حال بينهم وبين قتل بختنصر الذي حرب بيت المقدس، وسفك دمائهم، وسبى ذراريهم. فقد حكى الثعلبي، والواحدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أن سبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام: أن نبيهم أخبرهم، أن يختنصر سيخرب بيت المقدس، فبعثوا رجلاً ليقتله، فوجده شاباً ضعيفاً، فمنعه جبريل من قتله، وقال له: إن كان الله أراد هلاككم على يده فلن تسلط عليه، وإن كان غيره فعلى أي حق تقتله، فتركه فكبر يختنصر، وغزا بيت المقدس، فقتلهم، وخربه، فصاروا يكرهون جبريل لذلك.)) (٢)

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٣١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٧٠٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٢١) وأحمد في المسند عن ٢٧٤-٢٧٨ والطبراني في الكبير والترمذي ٣١١٧ مختصراً وصححه شاكر في تعليقه على التفسير وصححه في التفسير الصحيح ١١٥/١.

(٢) فتح الباري ٨٦٦ والواحدي في أسباب النزول ٢٨ ثم ضعف هذه الرواية ابن حجر في العجائب في بيان الأسباب ٢٩٧/١.

٣- ومن الأسباب: أنهم يرون أن جبريل عليه السلام عدل بالنبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، كما في تفسير مقاتل: قالت اليهود إن جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا. (١)

وأما الملك المحبوب عندهم فهو ميكال الذي يتزل بالرحمة والغيث كما مرّ في الآثار السابقة، ولذلك نصت الآية على ذكر جبريل وميكائيل رغم دخولهما ضمن الملائكة بالجملة، وذلك للرد على مزاعم اليهود في التفريق بينهما وتكذيب مزاعمهم حول معادة جبريل ومحبة ميكال.

والذي يفهم من سياق الآية أن اليهود كسبوا عداوة الله بعداوتهم للملائكة ولجبريل خاصة فليس لهم التفريق لأن الله وصف الملائكة جميعاً بوصف واحد فقال {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [سورة النحل ١٦/٥٠] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [سورة التحريم ٦/٦٦].

فليس لهم تصرف من عند أنفسهم، بل هم عباد مكرمون، خاصة كبيرهم جبريل عليه السلام، فهو الروح القدس، ورسول الله إلى أنبيائه، وأفضلهم، وهو الذي بسبب عداوتهم له استحقوا غضب الله.

قال الطبري رحمه الله عند تفسير الآيات السابقة: "قل يا محمد - لمعاشر اليهود من بني إسرائيل الذين زعموا أن جبريل لهم عدو من أجل أنه صاحب سطوات وعذاب وعقوبات لا صاحب وحي وتزليل ورحمة فأبوا اتباعك وجحدوا نبوتك وأنكروا ما جئتهم به من آياتي.... وإعلام منه أن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل وعادى جميع ملائكته ورسله؛ لأن الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته، ومن عادى الله ولها فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته؛ لأن العدو لله عدو لأوليائه، والعدو لأوليائه الله عدو له. فكذلك قال لليهود الذين قالوا: إن جبريل عدونا من الملائكة، وميكائيل ولينا منهم: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ

(١) أسباب النزول للواحدى ٢٨.

وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ { [سورة البقرة ٩٨/٢] من أجل أن عدو جبريل عدو كل ولي لله. فأخبرهم جل ثناؤه أن من كان عدوا لجبريل فهو لكل من ذكره من ملائكته ورسله وميكال عدو، وكذلك عدو بعض رسل الله عدو لله ولكل ولي. " (١)

ومن افتراءهم المعهود : قولهم: ولكن صاحب صاحبنا، ميكائيل كما قالوه لعمر— وهذا هو الكذب المبين، لأن جبريل هو الروح الأمين بين الله وجميع رسله، وهو ولي جميع الأنبياء، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه.)) (٢)

وكذلك قول ورقة بن نوفل حين أخبرته خديجة رضي الله عنها بما رآه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الغار فقال: ((هذا الناموس الذي نزل الله على موسى عليه السلام.)) (٣) إن جبريل، وميكائيل عليهما السلام، وجميع ملائكة الله، هم أولياء الله، ومن عادى لله ولياً فقد آذنه بالحرب وعدو أولياء الله عدو لله. إذاً: اليهود الذين عادوا جبريل، قد عادوا الله وملائكته ورسله فهم بذلك كافرون والله عدو للكافرين.

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٣٥).

(٢) تفسير الطبري ج ١/ص ٤٣٢ ورواه أحمد ٢٧٤/١ والترمذي ٣١١٧ وقال حسن صحيح وصححه شاکر برقم ١٦٠٥ في حاشية التفسير.

(٣) رواه البخاري ج ١/ص ٤.

الفصل الثالث : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالكتب

المبحث الأول : الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالكتب مطلقاً

الآثار:

قوله تعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ } [سورة الأنعام ٩١/٦]

٣٧٥-١٠٥٤٤ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الخبير السمين؟" وكان حبراً سمينا فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء! فقال له أصحابه الذين معه: ويحك ولا موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } (١).

٣٧٦-١٠٥٤٥ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } قال: نزلت في مالك بن الصيف كان من قريظة من أحبار اليهود؛ { قل يا محمد من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس } .. الآية. : (٢)

٣٧٧-١٠٥٤ - حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } قال: قال فنحاص اليهودي: ما أنزل الله على محمد من شيء. (٣)

٣٧٨-١٠٥٤٧ - حدثنا هناد قال : ثنا يونس قال: ثنا أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا: يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله! فأنزل الله: { يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ } [سورة النساء ١٥٣/٤] .. الآية فجثا رجل من يهود فقال: ما أنزل الله

(١) تفسير الطبري (٧ / ٢٦٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١٣٤٢) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٣١٤)
إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٧ / ٢٦٧) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٣١٤)

(٣) تفسير الطبري (٧ / ٢٦٧) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٣١٤)

عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً! فأنزل الله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} قال محمد بن كعب: ما علموا كيف الله {إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِمَّنْ شَاءَ} فحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته وجعل يقول: ((ولا على أحد)). (١)

١٠٥٤٨-٣٧٩ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} هم اليهود والنصارى قوم آتاهم الله علماً فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به فذمهم الله في عملهم ذلك ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: إن من أكثر ما أنا مخاصم به غداً أن يقال: يا أبا الدرداء قد علمت فماذا عملت فيما علمت؟ (٢)

١٠٥٤٩-٣٨٠ - حدثني المثنى قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} يعني: من بني إسرائيل. قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: "نعم" قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً. فأنزل الله: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [سورة البقرة ١٨/٢] يا محمد {مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى} قال: الله أنزله. (٣)

١٠٥٥٤-٣٨١ - حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: {قَرَاتِيسَ تَبْدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا} اليهود. (٤)

١٠٥٥٥-٣٨٢ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة: {قُلْ} يا محمد {مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهَدَى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاتِيسَ يَبْدُونَهَا} يعني يهود لما أظهروا من التوراة. {وَيُحْفُونَ كَثِيرًا} مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه قال ابن جريج: وقال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهداً يقول: قال: هم يهود الذين يبدونها ويحفون كثيراً. (٥)

(١) - تفسير الطبري (٧ / ٢٦٧) تفسير الدر المنثور (٣ / ٣١٤)

(٢) تفسير الطبري (٧ / ٢٦٨) تفسير الدر المنثور (٣ / ٣١٥) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٣) تفسير الطبري (٧ / ٢٦٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١٣٤١) تفسير الدر المنثور (٣ / ٣١٤) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠/٤٤١).

(٤) تفسير الطبري (٧/٢٦٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٢/٦٧١) تفسير الدر المنثور (٣/٣١٥) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١٣/٤٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٧/٢٦٩) - تفسير القرطبي ٣٧/٧.



الدراسة:

أنزل الله كتبه على رسله، هدى للناس ونور، كما وصف الله ما أنزله على أنبيائه من بني إسرائيل، فقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَّائُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ } [سورة المائدة ٤٤/٥]

ولكن بعضهم أنكر أن الله أنزل كتباً، إما عناداً وإما غير ذلك كما قال تعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ بُدُونَهَا وَتَحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ } [سورة الأنعام ٩١/٦]

قالوا: لم يترل الله على آدمي كتاباً ولا وحيًا. و اختلف في سبب التزول :

١- فقيل: كان قائل ذلك رجلاً من اليهود اسمه:

أ- مالك بن الصيف. حين جاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ((أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة أن الله ييغض الحبر السمين؟)) وكان حبراً سميناً، فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء! فقال له أصحابه الذين معه: ويحك ولا موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء.

وفي القصة أن مالك بن الصيف، لما سمعت اليهود منه تلك المقالة، عتبوا عليه، وقالوا: أليس أن الله أنزل التوراة، على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء قال: فقال مالك بن الصيف: أغضبي محمد فقلت ذلك فقالوا له: وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فترعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف. (١)

(١) تفسير البغوي ج ٢/ص ١١٤

ب- وقيل نزلت في فنحاص اليهودي: حين قال: ما أنزل الله على محمد من شيء.
٢- وقيل في جماعة من اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى عليه السلام . فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى الواحاً يحملها من عند الله فجثا رجل من يهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً! فحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته، وجعل يقول: ((ولا على أحد)).

٣- وقيل هم اليهود والنصارى، قوم آتاهم الله علماً فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به، فذمهم الله في عملهم ذلك.

٤- وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: القائل مشركو قريش. وهو اختيار ابن جرير حيث قال: "وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً، فإن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود، ولما يجز لهم ذكر يكون هذا به متصلاً، مع ما في الخبر عن من أخبر الله عنه في هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب؛ وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود..، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [سورة الأنعام ٩١/٦] موصولاً بذلك غير مفصول منه، لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

ويذهب رحمه الله إلى ضعف الروايات القائلة أن سبب النزول في اليهود، ويرى أن الأمر التيسر على بعضهم "فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرؤوه على وجه الخطاب لهم: {تَجَعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيراً وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ} [سورة الأنعام ٩١/٦] فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم، إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتريل، لما وصفت قبل من أن قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان، وهو به متصل، فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم." (١)

(١) تفسير الطبري ج ٧/ص ٢٧٠

قال ابن كثير رحمه الله : "وهذا أصح ، لأن الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش والعرب كانوا ينكرون إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه من البشر." (١)

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها في اليهود: قال: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} يعني: من بني إسرائيل. قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: ((نعم)) قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً. (٢)

وحتى وإن كان الخطاب للمشركين، فإن قوله {تَجْعَلُونَهُ قَرَأْتِيسَ} على قراءة التاء المقصود بها اليهود، فهي تخبرهم عن تلاعبهم بالتوراة، من إبداء بعضها وإخفاء بعضها. وعلى القراءة الأخرى {يَجْعَلُونَهُ} (٣) فيه إخبار للمشركين عن فعل اليهود بالتوراة. وسياق الآيات فيه التفات إلى اليهود وبيان لجرمتهم مع التوراة من التحريف والتبديل كما سيأتي تفصيله.

(١) تفسير ابن كثير ج ٢/ص ١٥٧

(٢) التفسير الصحيح ٢٥٦/٢

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو - انظر القراءات العشر على هامش المصحف ص ١٣٩

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من التوراة

الآثار:

المطلب الأول : مم تتكون التوراة وكيف أخذوها ؟

قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ} [سورة البقرة ٥٦/٢].

٣٨٣-٨٠٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال: إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه. فقالوا: ومن يأخذ بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ وقرأ قول الله تعالى: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} [سورة البقرة ٥٥/٢] قال: فجاءت غضبة من الله عز وجل فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول الله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة البقرة ٥٦/٢] فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله! فقالوا لا فقال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: أصابنا أنا متنا ثم حيينا. قال: خذوا كتاب الله! قالوا لا. فبعث الله تعالى ملائكة فنثقت الجبل فوقهم. (١)

قوله تعالى: {وَإِذْ تَتَّقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة الأعراف ١٧٢/٧]

٣٨٤-١١٩١٢ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} أي بجدة. {وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤوسهم فقال: لتأخذن أمري أو لأرمينكم به! (٢)

٣٨٥-١١٩١٤ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال: هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم. قالوا: انشر علينا ما فيها فإن كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها! قال: اقبلوها بما فيها! قالوا: لا حتى

(١) تفسير الطبري (١ / ٢٩٢) - تفسير ابن كثير (١ / ٩٥)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ١٠٩) - تفسير القرطبي (٧ / ٣١٣) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها. فراجعوا موسى مراراً فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربي؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل! قال: فحدثني الحسن البصري قال: لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من أن يسقط عليه؛ فلذلك ليس في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بما العقوبة. قال أبو بكر: فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الأرض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونغض لها رأسه. (١)

قوله تعالى: {وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة الأعراف ١٧١/٧]

٣٨٦-١١٩٠٩ - حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ} فقال لهم موسى: خذوا ما آتيناكم بقوة! يقول: من العمل بالكتاب؛ وإلا خر عليكم الجبل فأهلككم! فقالوا: بل نأخذ ما آتانا الله بقوة! ثم نكثوا بعد ذلك. (٢)

قوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [سورة الأعراف ١٥٠/٧]

٣٨٧-١١٧٥٣ - حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا إسرائيل، عن السدي، عن أبي عمار، عن علي _ قال: كتب الله الألواح لموسى عليه السلام وهو يسمع صريف الأقلام في الألواح. (٣)

٣٨٨-١١٧٥٦ - حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ألقى موسى الألواح فتكسرت، فرفعت إلا سدسها. قال ابن جريج: وأخبرني أن الألواح من زبرجد وزمرد من الجنة. (٤)

(١) - تفسير الطبري (٩ / ١٠٩) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦١ - ٢٦٢)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ١٠٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٦١١) إسناده ضعيف

(٣) تفسير الطبري (٩ / ٦٦) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٤٨)

(٤) تفسير الطبري (٩ / ٦٦) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٤٨)

١١٧٥٨-٣٨٩ - حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي الجنيد ، عن جعفر بن أبي المغيرة، قال : سألت سعيد بن جبير عن الألواح من أي شيء كانت ؟ قال : كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمن بيده ، فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها. (١)

(١) تفسير الطبري (٩ / ٦٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٥٦٣) إسناده ضعيف.

المطلب الثاني: الآثار الواردة في تحريفهم للتوراة

قوله تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة ٧٦/٢].

٣٩٠-١٠٩٧ - حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: {أَفَتَطْمَعُونَ} فالذين يحرفونه والذين يكتُمونه: هم العلماء منهم . (١)

٣٩١-١٠٩٨ - حدثني موسى قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: {يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ} قال: هي التوراة حرفوها. (٢)

٣٩٢-١٠٩٩ - حدثنا يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: {يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ} قال: التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراماً والحرام فيها حلالاً والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقاً إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق، وإن جاء أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمره بالحق فقال لهم: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}. [سورة البقرة ٤٤/٢] (٣)

٣٩٣-٥٧٦٤ - حدثنا محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: {وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ الْكِتَابَ} قال: يحرفونه. (٤)

٣٩٤-٥٧٦٥ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: {وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ الْكِتَابَ} حتى بلغ: {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} هم أعداء الله اليهود حرفوا كتاب الله وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله. (٥)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٤٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٩٨) -

تفسير ابن كثير (١ / ١١٦)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٩٨)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٦٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٦)

(٤) تفسير الطبري (٣ / ٣٢٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٨٩) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٤٩)

(٥) تفسير الطبري (٣ / ٣٢٣) - تفسير ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس (٢ / ٦٨٩) حسنه في التفسير الصحيح

(٢٢٣/١)

٣٩٥-٥٧٦٧ - حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ} وهم اليهود كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم يتزل الله . (١)

٣٩٦-٥٧٦٨ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ} قال: فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم وذلك تحريفهم إياه عن موضعه. (٢)

٣٩٧-٧٦٦٤ - حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} تبديل اليهود التوراة . (٣)

(١) تفسير الطبري (٣ / ٣٢٣ - ٣٢٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٨٩) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٤٩)

إسناده ضعيف

(٢) تفسير الطبري (٣ / ٣٢٤)

(٣) تفسير الطبري (٥ / ١١٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٥) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٥٤)

المطلب الثالث : الزيادة والمتاجرة بالتوراة

الآثار:

قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [سورة البقرة ١٢١/٢]

٣٩٨-١٥٦١ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} قال: من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود فأولئك هم الخاسرون. (١)

قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [سورة البقرة ٨٠/٢].

٣٩٩-١١٤٥ - حدثني موسى قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدي: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ} قال: كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمناً قليلاً. (٢)

٤٠٠-١١٤٦ - حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتاب أنزله الله فكتبوا كتاباً بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال: {هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} قال: عرضاً من عرض الدنيا. (٣)

٤٠١-١١٤٧ - حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} قال: هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله يحرفونه. (٤)

(١) تفسير الطبري (٥١٨/١) تفسير ابن أبي حاتم (٢١٨/١) تفسير الدر المنثور (٢٧٢/١) تفسير ابن كثير (١٦٥/١)

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٥٤/١) - تفسير الدر المنثور (٢٠٣/١) - تفسير ابن كثير (١١٨/١)

(٣) تفسير الطبري (٣٧٩/١)

(٤) تفسير الطبري (٣٧٩/١)

٤٠٢-١١٤٨ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد عن قتادة: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ} وهم اليهود. (١)
٤٠٣-١١٤٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: {فَوَيْلٌ
لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ} قال: كان ناس من بني إسرائيل كتبوا كتاباً بأيديهم ليتأكلوا الناس فقالوا: هذا من عند
الله وما هو من عند الله. (٢)

٤٠٤-١١٥٠ - حدثني المثنى قال: ثنا آدم قال: ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ} قال: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه
عن مواضعه يتغون بذلك عرضاً من عرض الدنيا فقال: {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ
مِمَّا يَكْسِبُونَ} (٣)

٤٠٥-١٠٥٥٥ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة: {قُلْ} يا
محمد {من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يدونها} يعني
يهود لما أظهروا من التوراة. {ويخفون كثيراً} مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وما
أنزل عليه.

٤٠٦- قال ابن جريج: وقال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهداً يقول: "يجعلونه قراطيس يدونها ويخفون
كثيراً" قال: هم يهود الذين يدونها ويخفون كثيراً. (٤)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٧٩) - تفسير ابن كثير عن ابن عباس (١ / ١١٨) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٥) صححه في التفسير الصحيح (١/١٦٤)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٣٧٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٥٥) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦).

(٤) تفسير الطبري (٧ / ٢٦٩) - تفسير القرطبي (٧ / ٣٧)

الدراسة:

المطلب الأول: مما تتكون التوراة وكيف أخذوها:

ذكر الله تبارك وتعالى كتبه التي أنزلها على خلقه، ورضياها لهم، وكان من أوائل الكتب التي فصل فيها تبارك وتعالى — شرائعه كتابه الذي أنزله على موسى وهو التوراة فقال: تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ} والآيات التي تتحدث عن التوراة تورد مدى ما فعله اليهود حيالها من إيمان وتحريف وتبديل وغير ذلك فما هي التوراة.

وردت الآثار عن السلف في تفسير آيات القرآن التي تحدثت عن اليهود وإيمانهم بكتب الله المترلة فقد جحد كثير منهم أن الله أنزل كتباً كما جاء بعض اليهود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يجادلونه في ذلك بل ردوا ما جاء عن موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ويروى ذلك أيضاً عن بعض كبارهم كما فعل مالك بن الصيف حيث قال: والله ما أنزل على بشر من شيء وحين راجعه اليهود في ذلك فقالوا: ويحك ولا موسى قال: والله ما أنزل الله على بشر فقال تعالى في ذلك: {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى} [سورة الأنعام ٩١/٦] الآية. وورد مثل ذلك في حق فنحاص اليهودي.

بل فسر الطبري رحمه الله قوله تعالى: {وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ} [سورة القصص ٤٨/٢٨] قالت اليهود إنا بكل كتاب في الأرض من توراة وإنجيل وزبور وفرقان كافرون.

ورد في الآثار أن الله تبارك وتعالى كتب لموسى الألواح وهي التي فيها التوراة وكما قال تعالى: {فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} وأدى الله موسى حتى سمع صريف الأقلام كما قال بعض السلف. (١)

واختلف السلف في ماهية التوراة، ومن أي شيء هي، فقيل: من ياقوته، وقيل: زمرد أخضر، وقيل: غير ذلك.

(١) الدر المنثور - السيوطي ج ٣/ص ٥٤٨

قال الشوكاني رحمه الله بعد قول سعيد بن المسيب رحمه الله وغيره: "أقول رحم الله سعيداً، ما كان أغناه عن هذا الذي قاله من جهة نفسه، فمثله لا يقال بالرأي، ولا بالحدس، والذي يغلب به الظن، أن كثيراً من السلف رحمهم الله كانوا يسألون اليهود عن هذه الأمور، فلهذا اختلف واضطربت، فهذا يقول من خشب، وهذا يقول من ياقوت، وهذا يقول من زمرد، وهذا يقول من زبرجد، وهذا يقول من برد، وهذا يقول من حجر" (١)

وقال أبو شهبة رحمه الله: "فقد ذكر في الألواح: مما هي؟ وما عددها؟ أقوالاً كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين وعن كعب ووهب من أهل الكتاب الذين أسلموا، مما يشير إلى منبع هذه الروايات، وأما من إسرائيليات بني إسرائيل، وفيها من المرويات ما يخالف المعقول والمنقول". (٢)

ولكن الثابت أن الله زادها شرفاً، بأن كتبها بيده سبحانه وتعالى، كما في الحديث قال: ((احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، تلومني على أمر قدره علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟! فحج آدم موسى.)) (٣)

ومما كتب الله فيها ما أمر به بنو إسرائيل وما نهوا عنه من الحلال والحرام بل من كل شيء موعظة وتفصيلاً ومما جاء فيها:

"لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء، ولا من أهل الأرض، فإن كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذباً، ووقرّ والديك." وفيها ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث صفوان بن عسال المرادي _ قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} فقال لا تقل له شيئاً فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين فسألاه فقال النبي: ((لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا

(١) فتح القدير - الشوكاني ج ٢/ص ٢٤٦.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير-ابو شهبة- ص ٢٠١ - ٢٠٥ وفيه نقد لكثير من الروايات السابقة

(٣) صحيح مسلم ج: ٤ ص ٢٠٤٢ سنن أبي داود ج ٤/ص ٢٢٦ واللفظ له

تمشوا يبرئ إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة أو قال لا تفروا من الزحف - شعبة الشاك - وأنتم يا معشر يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت.)) قال فقبلا يديه ورجليه وقالوا: نشهد أنك نبي قال: فما يمنعكما أن تتبعاني قالوا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود.)) (١)

قال ابن كثير رحمه الله: "اشتبه على الراوي التسع الآيات بالعشر الكلمات وذلك أن الوصايا التي أوصاها الله إلى موسى وكلمه بها ليلة القدر بعد ما خرجوا من ديار مصر وشعب بني إسرائيل حول الطور حضور وهارون ومن معه وقوف على الطور أيضاً وحينئذ كلم الله موسى تكليماً آمراً له بهذه العشر كلمات وقد فسرت في هذا الحديث. (٢)

هذا ما ورد في الآثار التي رواها السلف عن التوراة.

وأما التوراة المعاصرة فقد فصل فيها العلماء وعلى ما تحتوي فهي تسمى اليوم العهد القديم مقابلاً للعهد الجديد وهو الإنجيل.

العهد القديم:

هو التوراة الكتابية بمجموع أسفارها المقدسة لدى اليهود والنصارى، ومعنى العهد في هذه التسمية، وتسمية العهد الجديد ما يرادف معنى الميثاق، فالعهد القديم هو الميثاق الذي أخذه الله على الإسرائيليين أن يلتزموا به. (٣)

أما اصطلاح (العهد القديم) فما كان معروفاً قديماً، وإنما هو اصطلاح حديث خطت له اليهودية، واستجابت له البروتستنتية النصرانية ثم الكاثوليكية لتكون التوراة أما للعقيدة النصرانية، فوضع النصارى التوراة وسموها بالعهد القديم إلى جوار الأناجيل وبقية أسفار دينهم وسموها بالعهد الجديد، وضموا الاثنين في غلاف واحد باسم (الكتاب المقدس) لتكون عقيدة اليهود في التوراة هي عقيدة النصارى كذلك، بما ضمن لليهود تعاطف النصارى معهم في كل ما تتبناه التوراة من عقائد، فيتبعون اليهود لأنهم

(١) وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي من طرق عن شعبة به وقال الترمذي حسن صحيح قلت وفي رجاله من تكلم فيه

(٢) البداية والنهاية ج: ٦ ص: ١٧٤

(٣) رحمة الله الهندي، إظهار الحق (١/٥٢)،.

يوصفون في التوراة بأنهم شعب الله المختار! ويعينونهم بكل طاقاتهم على تحقيق أحلامهم وادعاءاتهم، ومن تلك الأحلام تملك أرض الميعاد.... في حين أن التوراة لم يكن لها رصيد في الماضي لدى العالم النصراني، ولم تكن الكنيسة قبل أربعة قرون لتسمح بقراءة التوراة وتداولها بينهم. (١) وهو المصدر الأول للتشريع، وقد قسم من حيث المحتوى إلى:

- : وعددها خمس وهي: التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية.

ويدعي اليهود نسبتها إلى موسى عليه السلام وقد ورد بها الحديث عن بدء الخلق العام وخلق آدم عليه السلام وتفرع بنيه منه حتى إبراهيم عليه السلام، ثم التناسل من إبراهيم، والإشارة إلى سكنى إسماعيل عليه السلام أرض مكة (فازان)، وإغفال الحديث عن سائر ولد إبراهيم، إلا إسحاق عليه السلام، ومن خرج من صلبه وهو ما ركز عليه كاتبوا سفر التكوين حتى وفاة عليه السلام يوسف عليه السلام.

وأما أسفار الخروج- والعدد- واللاويين- والتثنية- فقد تحدثت عن الخروج من مصر إلى سيناء، وما كان من أمر القوم مع موسى وهارون عليهما السلام، والآداب التي كلفوا بها، فتخلوا عنها، فضلاً عن ذكرها لقتل موسى لهارون عليهما السلام لأنه حقد عليه، كما أشارت إلى وفاة موسى عليه السلام ودفنه وحزن بني إسرائيل عليه، وأنه لم يقم نبي في بني إسرائيل مثله بعده. مع نسبة هذا الكلام إلى موسى. وهذه الأسفار تسمى بالتوراة عند الإطلاق.

- : وعددها اثنا عشر هي: يشوع - القضاة - راعوث - صموئيل الأول والثاني - الملوك الأول والثاني - أخبار الأيام الأول والثاني - عزرا - نحميا - أستير-

وهذا القسم يدل اسمه على محتواه حيث التركيز على تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام وهي خير معبر عن شرور القوم وآثامهم وفسادهم الخلقي فضلاً عن إلقاء الضوء على السلب والنهب والغضب كأمر مشروع عند اليهود.

(١) عبد الوهاب زيتون - الأصولية في اليهودية، ص ١٤١.

- : وعددها خمسة هي: أيوب- مزامير داود - أمثال سليمان -
الجامعة - نشيد الإنشاد - وهي في جملتها ضرب من الحكيم والأمثال والترانيم فضلاً عن
سيرة أيوب عليه السلام مع فساد خلقي عبر عنه في سفر نشيد الإنشاد بدعوى أنه أدب
صوفي يهودي.

- : وعددها سبعة عشر سفرها هي: أشعيا - أرميا - مراثي أرميا -
حزقيال - دانيال - هوشع - يؤول - عاموس - عوبديان - يونان - ميخا - ناحوم -
حقوق - صفنيا - حجي - زكريا - ملاحى.
وبذلك تكون الأسفار في جملتها تسعة وثلاثين (٣٩) سفرًا تعورف عليها باسم (العهد
القديم).

وقد بقيت أسفار عدة محل خلاف من حيث القبول والرد. (١)
ويكفي المسلم أن القرآن قد أشار إلى أن تحريفًا قد وقع في هذا المصدر وأن اليد
اليهودية قد امتدت إليه بالزيادة كما سيأتي.

والذي بقي من نسخ التوراة المتداولة الآن ثلاثة أنواع:

- ١- : وهي معتبرة لدى اليهود، والبرتستنت.
- : معتبرة لدى النصارى جميعاً، حتى القرن الخامس عشر للميلاد، وكانوا
يعتقدون بتحريف العبرانية، وهي لم تزل معتبرة عند الكنيسة اليونانية، وكنائس المشرق.
- : وهي معتبرة لدى السامريين، وهي كالعبرانية، ولكنها سبعة أسفار،
وتزيد عليها بالألفاظ والفقرات، ومن النصارى من يفضلها على العبرانية. (٢)

ترجمة النوراة:

بدأت الترجمات العربية القديمة في أوائل القرن التاسع للميلاد، وأقدم ترجمة عربية
للتوراة من العبرانية واليونانية والسريانية كانت في زمن هارون الرشيد رحمه الله .

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/١٦٦-١٥٧)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/٩-١١)،
وإظهار الحق، ص ٩٥ - ١٠٠، ومقدمة ابن خلدون، ص ٢٠٧.

(٢) إظهار الحق، رحمة الله الهندي ١/٢١٧ - ٢١٨.

ترجمها: أحمد بن عبد الله سلام الإنجلي مولى هارون الرشيد، (١) وترجمة يوحنا أسقف إشبيليا في أسبانيا عام ٧٢٤م (٢) كما ترجمها أبو زيد حنين بن إسحاق النسطوري — يهودي ت ٢٩٠هـ — ٨٧٣م من السبعينية اليونانية إلى العربية وهي أصح النسخ عند الأغلبية. وهنالك تراجم عربية غيرهم لم يصلنا من جميعها شيء. أما أشهر الترجمات العربية الحديثة فهي ما يلي:

- ١- ترجمة فارس يوسف الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٢) في لندن بمعاونة الدكتور لي وهي دقيقة جداً طبعت عام ١٨٥٧م. ولكنها بعد طبع الترجمة أعلن المؤلف إسلامه في تونس وسمى اسمه (أحمد أبو العباس) فمنعت من التداول وصودرت وهي أصح الترجمات.
- ٢- الترجمة البروتستانتية الأمريكية: (١٨٦٠ - ١٨٦٤م) وقامت بها الإرساليات الأمريكية — بيروت.
- ٣- ترجمة اليسوعية الكاثوليكية عام ١٨٧٢ - ١٨٨٠ في بيروت. أعيدت طباعتها في مجلد واحد سنة ١٩٦٠م.

٤- ترجمة الآباء الدومنيكان في الموصل عام (١٨٧٨م).

٥- ترجمة سميث وكرينلوس البستاني واليازجيك عام ١٨٦٥م. (٣)

التمود:

ومن الكتب المعتمدة عند اليهود (التمود) ، ويسمونه قديماً (المثناة) و (المشنا) وربما كان مقدماً عند أكثرهم على التوراة، ولعله المقصود ببعض الآثار: أنهم استحدثوا كتاباً من عندهم وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، وقد وردت آثار بذكره منها:

- ١- عن أبي موسى _ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً واتبعوه وتركوا التوراة.)) (٤)

(١) الفهرست لابن النديم، ص ٢٢ بتصرف يسير

(٢) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية. د. فتحي محمد الزغي.

(٣) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي محمد الزغي، ص ٦١ - ٦٢.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٥/ص ٣٥٩ وقال الهيثمي رجاله ثقات (مجمع الزوائد ج ١/ص ١٥٠) ورواه

الدارمي عن أبي موسى موقوفاً ج ١/ص ١٣٥

٢- وروي أن عمر بن الخطاب _ أراد أن يكتب السنن فاستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: ((إني كنت أريد أن اكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً.)) (١) والفروق _ يقصد المثناة.

٣- كما روى ابن حزم بسنده إلى زيد بن أسلم قال: حدثه أن يهودية جاءت إلى عمر بن الخطاب _ فقالت: إن ابني هلك فزعمت اليهود أنه لا حق لي في ميراثه، فدعاهم عمر _، فقال: ((ألا تعطون هذه حقها فقالوا: لا نجد لها حقاً في كتابنا فقال: أفي التوراة قالوا: بل في المثناة قال: وما المثناة قالوا: كتاب كتبه أقوام علماء حكماء فسيبهم عمر _ وقال: اذهبوا فأعطوها حقها.)) (٢)

٤- وقال ابن زيد في قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ} قال: ((هؤلاء اليهود كتبوا كتاباً ضادوا به كتاب الله، يقال له الحق فيها مبطل في التوراة والمبطل فيها محق في التوراة.)) (٣)

هو المصدر الثاني من حيث المتزلة الدينية في الظاهر، والأول من حيث الالتزام والتطبيق، ومحتواه عبارة عن تعاليم وضعها الحاخامات عبر فترة زمنية لاقى اليهود فيها من الهوان ما لا قوفاً، وبخاصة بعد استدلالهم من قبل غيرهم، وتفرقهم إلى سائر البقاع، فلعبت البقية الباقية دورها في وضع تلك التعاليم لجمع شتات اليهود ثانية، وإحياء نزعة العنصرية وادعاء الاصطفاء، فضلاً عن تفاصيل تتناول جوانب السياسة والاقتصاد والاجتماع والعقيدة والأخلاق. إفسادا للعقائد، وتحريفاً لكلام الله، كما قال ابن القيم رحمه الله: "فليهن أمة الغضب علم المشنا والتلمود وما فيهما من الكذب على الله وعلى كلمه موسى عليه السلام وما يحدث لهم أحبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت." (٤)

(١) مصنف عبد الرزاق ج ١١/ص ٢٥٧

(٢) المحلى ج ٩/ص ٣٠٧

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ج ٥/ص ١٦٠٧

(٤) هداية الحيارى ج ١/ص ١٢٩

وقد قسم علماء اليهود التلمود إلى قسمين:

- « » وهي كلمة تعني الأصل أو المتن أو الجوهر أو الصلب. ومحتواها عبارة عن جملة من التعاليم الشفوية التي كانت تنقل شفاهاً على ألسنة الساسة وقادة التوجيه، ثم بدا لهم التدوين في أواخر القرن الأول ومطلع القرن الثاني الميلادي.

- « » وهي شروح للنصوص السابقة وقد نمت تلك الشروح في منطقتين. أولاهما: فلسطين وهي الأقدم والأقل حجماً، وثانيتها: في بابل وهي تبلغ حداً كبيراً في الحجم. وقد كان للشروح أثرها في وجود تلمودين.

أ- الأول: تلمود فلسطين أو أورشليم، ب- الثاني: تلمود بابل وهو المراد عند الإطلاق. (١)

هذا ويدعي بعض اليهود أن «المشناة» قد أوحى بها إلى موسى عليه السلام شفاهاً في طور سنياة محاولين لي بعض النصوص لإثبات ذلك، وأن أربعين من علماء اليهود قد تناقلوا تلك التعاليم عن موسى جيلاً بعد جيل، زمن وجود الهيكل، فلما هدم دونت تلك التعاليم لتكون وسيلة لجمع شتات اليهود. كما قال ابن النديم: "سألت رجلاً من أفاضلهم عن ذلك فقال: أنزل الله جل اسمه على موسى التوراة... ولموسى كتاب يقال له: المشناة ومنه يسخرج اليهود علم الفقه والشرائع والأحكام وهو كتاب كبير." (٢)

وتشتمل المشناة على ستة مباحث تتعلق بـ -لوائح الزراعة - لوائح الأعياد- والصيام - قوانين الزواج والطلاق والندور- وعلاقة اليهود بغيرهم- القوانين المدنية والجنائية- قوانين الصلاة - قوانين الطهارة والنجاسة- كما يلحق بها بعض الرسائل الأخرى. (٣)

وقد اعترى التلمود ما اعترى العهد القديم من زيادة ونقصان وتصحيف وتحريف وقبول ورد.

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه - ظفر الإسلام خان، ص ١١، ١٢، والكتر المرصود في قواعد التلمود، ص ٤١، ٤٢.

والفكر الديني اليهودي وهو من أوسعها تفصيلاً د. حسن ظاظا

(٢) الفهرست باختصار ج ١/ص ٣٤

(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه، ص ١٥ - ١٧.

قال ابن القيم عن التلمود: " ولم يكن المؤلفون له في عصر واحد وإنما ألفوه في جيل بعد جيل، فلما نظر متأخروهم إلى ذلك، وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه، وفي الزيادات المتأخرة ما ينقض كثيراً من أوله، علموا أنهم إن لم يقفلوا باب الزيادة وإلا أدى إلى الخلل الفاحش، فقطعوا الزيادة وحظروها على فقهاءهم، وحرموا من يزيد عليه شيئاً فوقف الكتاب على ذلك المقدار." (١)

وفي القرن الخامس عشر الميلادي أجرى اليهود بعض التعديلات فيه، وذلك بحذف بعض النصوص المتعلقة بلعن المسيح عليه السلام وسبه وسب أتباعه؛ حتى لا يكون ذلك وسيلة لإيذاء نصارى الغرب لهم.

وقدسية التلمود أكد وأشد من قدسية التوراة، وأقوال الحاخامات أعلى قدراً من نصوص الوحي — كما يزعمون — (٢)

(١) هداية الحيارى ج ١/١٣٢-١٣٣

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه، ص ٢٩، والكتز المرصود، ص ٤٤، ٤٨.

المطلب الثاني: تحريف التوراة والاتجار بها

لاشك أن اليهود هم أهل التحريف كما وصفهم الله في آيات كثيرة كما قال تعالى:

١- {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾} [سورة البقرة ٧٥/٢]

٢- {مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا} [سورة النساء ٤٦/٤]

٣- {فِيمَا نَقَضَهُمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا} [سورة المائدة ١٣/٥]

٤- {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ} [سورة المائدة ٤١/٥]

والتحريف منطبق عليهم جميعاً، جيلاً بعد جيل، قال الطبري رحمه الله: "يجرفون كلام ربهم الذي أنزله على نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم، وهو التوراة، فيبدلونه ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله جل وعز على نبيهم، ويقولون لجهال الناس: هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أوحاها إليه. وهذا من صفة القرون التي كانت بعد موسى من اليهود ممن أدرك بعضهم عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن الله عز ذكره أدخلهم في عداد الذين ابتدأ الخبر عنهم ممن أدرك موسى منهم، إذ كانوا من أبنائهم وعلى مناهجهم في الكذب على الله والفرية عليه ونقض المواثيق التي أخذها عليهم في التوراة." (١)

وأسباب تحريفهم لكلام الله، وإحكامه، هي أهوائهم مرة، وحسداهم مرة، والمتاجرة بدينهم وبيعه رخيصاً لأتباعهم مراراً كثيرة.

فعن البراء بن عازب _ قال: ((مُر على النبي صلى الله عليه وسلم ييهودي محم (٢) مجلود.)) ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من علمائهم، فقال: ((أهكذا تجدون

(١) تفسير الطبري ج ٦/ص ١٥٥

(٢) حَمَمَةٌ تَحْمِيماً سَخِمَ وَجْهَهُ بِالْفَحْمِ . مختار الصحاح ج ١ ص ٦٦

حد الزاني فيكم؟ قال: نعم. قال: فأنشذك بالذي أنزل التوراة على موسى، وهكذا تجدون حد الزاني فيكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أحدثك، ولكن الرجم، ولكن أكثر الزنا في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا تعالوا نجتمع فنضع شيئاً مكان الرجم فيكون على الشريف والوضيع، فوضعنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه. فأمر به فرجم، فأنزل الله: {لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [سورة آل عمران ١٧٦/٣ الآية.]) (١)

وللعلماء في معنى تحريف اليهود للتوراة أقوال:

- هو أن التحريف والتبديل قد وقع في التأويل لا في النص المنزل. فمعنى تحريف الكلام عند من يقولون بهذا الرأي هو: أنهم - يتأولونه على غير تأويله - أي: تحريفاً معنوياً، ومن القائلين بهذا القول الإمام البخاري رحمه الله قال: "{يُحَرِّفُونَ} يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل ولكنهم يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله." (٢) وهو اختيار ابن كثير رحمه الله. (٣)

- وهو أن التوراة قد غُيِّرَتْ وبُدِّلَتْ، في اللفظ والمعنى، ولكن التغيير والتحريف أصاب جملاً قليلة وألفاظاً يسيرة. أما أكثر التوراة فهو باقٍ على ما أنزله الله على موسى الكليم عليه السلام. وممن قال بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: "أن ما وقع من التبديل قليل، والأكثر لم يبدل، والذي لم يبدل فيه ألفاظ صريحة تبين بها المقصود من غلط ما خالفها، ولها شواهد ونظائر متعددة يصدق بعضها بعضاً، بخلاف المبدل فإنه ألفاظ قليلة، وسائر نصوص الكتب يناقضها، وصار هذا بمنزلة كتب الحديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم." (٤) وقال: "يعلم من هذا أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس وبعد مجيء بختنصر وبعد مبعث المسيح عليه السلام وبعد

(١) مسند الإمام أحمد ج ٤/ص ٢٨٦ واللفظ له وأصله في صحيح البخاري ج ٤/ص ١٦٦٠

(٢) صحيح البخاري ج ٦/ص ٢٧٤٥

(٣) تفسير ابن كثير ج ١/ص ١١٦

(٤) الجواب الصحيح ج ٢/ص ٤٤٢

مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيها حكم الله والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن قيل أنه غير بعض ألفاظها بعد مبعثه فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك فإن هذا غير معلوم لنا، وهو أيضاً متعذر بل يمكن تغيير كثير من النسخ وإشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غير بعد ذلك، ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والإنجيل متفقة في الغالب إنما يختلف في اليسير من ألفاظها فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن لا يمكن أحداً أن يجزم بنفيه، ولا يقدر أحد من اليهود والنصارى أن يشهد بأن كل نسخة في العالم بالكتابين متفقة الألفاظ، إذ هذا لا سبيل لأحد إلى علمه، والاختلاف اليسير في ألفاظ هذه الكتب موجود في الكثير من النسخ كما قد تختلف نسخ بعض كتب الحديث، أو تبدل بعض ألفاظ بعض النسخ. " (١)

- : أن التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام كلها أو أكثرها قد بُدِّلَ وغير. والتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام لا تطابق بينها وبين التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم في شيء، وأن أحبار اليهود أولوا كثيراً من آيات التوراة تأويلاً فاسداً وباطلاً. ولكنهم كذلك لم يقتصروا على تحريف التأويل؛ بل قاموا فعلاً بإضافة أشياء كثيرة لم يزلها الله تعالى، ومن المستحيل أن يكون قد أنزلها مثل زعمهم - أن الله قام بمصارعة يعقوب عليه السلام طوال الليل ومع هذا لم يستطع أن يتغلب على يعقوب. - ومثل زعمهم أن الله منع آدم عليه السلام من الأكل من شجرة المعرفة حتى يبقى جاهلاً فلا يستطيع أن ينافس الرب في ملكوته - وأن هارون عليه السلام هو الذي صنع لبني إسرائيل العجل - وهو الذي أمرهم بعبادته. إلى آخر الأمثلة الكثيرة كما ذكر ذلك ابن حزم (٢) وإلى هذا القول ذهب الإمام ابن القيم الذي يقول: "وفي التوراة التي بأيديهم من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ما لا يشك فيه ذو بصيرة،

(١) دقائق التفسير - ابن تيمية ج ٢/ص ٥٠

(٢) الفصل في الملل والنحل ١/٩٣ وما بعدها

والتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام بريئة. (١) ورجح هذا القول ابن حجر قال: "ولا خلاف أنهم حرفوا وبدلوا والاشتغال بنظرها وكتابتها لا يجوز بالإجماع." (٢) وهذا هو الرأي الراجح - إن شاء الله - لوجهة أدلته الكثيرة، وقد ذهب إليه مجموعة من علماء الإسلام الذين اطلعوا على التوراة ودرسوها دراسة فاحصة، وتتبعوا ما فيها مما لا يمكن أن ينسب ما فيه إلى الله عز وجل. (٣)

ومن أهم الأمور التي ثبت تحريفهم لها: تحريفهم للبشارات بنبينا صلى الله عليه وسلم بتبديل صفته فيها أو بحذفها أو تأويلها وهو أكثر ما يهمننا هنا:

١- فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} [سورة البقرة ٢/٧٩] قال: ((أخبار اليهود وجدوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوباً في التوراة: أكحل أعين، ربعة جعد الشعر، حسن الوجه، فما وجدوه في التوراة محوه حسداً وبغياً، فأتاهم نفر من قريش من أهل مكة فقالوا تجدون في التوراة نبياً منا؟ قالوا: نعم، نجده طويلاً أزرق سبط الشعر، فأنكرت قريش وقالوا ليس هذا منا ... وقالوا: لا نجد نعته عندنا، وقالوا للسفلة: ليس هذا نعت النبي الذي يحرم كذا وكذا كما كتبوه وغيروا نعت هذا كذا كما وصف فلبسوا على الناس، وإنما فعلوا ذلك لأن الأخبار كانت لهم مأكلة يطعمهم إياها السفلة لقيامهم على التوراة فخافوا أن تؤمن السفلة فتقطع تلك المأكلة.)) (٤)

(١) هداية الحيارى ج ١/ص ١٠٧

(٢) فتح الباري فتح الباري ج ١٣/ص ٥٢٥

(٣) د. محمد شلي شتيوي: التوراة دراسة وتحليل. (بتصرف). ومن فصل في ذلك: الإمام الغزالي الذي رد عليهم في كتابه (الرد الجميل) وعبد الملك الجويني إمام الحرمين المتوفى سنة والإمام ابن القيم كتابه (هداية الحيارى).. والإمام القرطبي صاحب التفسير المشهور في كتابه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) والإمام علي بن محمد بن عبدالرحمن الباجي الشافعي . وله كتابان في الرد على عقائد اليهود والنصارى: الأول أسماه (الرد على اليهود والنصارى) والثاني: نقد للتوراة اليونانية وتعليق على كل إصحاح تقريباً في جميع الأسفار الخمسة وقد أسماه (على التوراة). ورحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق)

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ج ١/ص ١٥٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ١/ص ١٥٧ وللتوسع تفسير الدر المنثور

ج ١/ص ٢٠٢

وعن أبي صخر العقيلي _ قال : ((خرجت إلى المدينة فتلقتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما يمشي فمر بيهودي ومعه سفر فيه التوراة يقرأها على بن أخ له مريض بين يديه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((يا يهودي، نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى، وفلق البحر لبني إسرائيل، أتجد في توراتك نعتي وصفتي ومخرجي، فأوماً برأسه أن لا، فقال ابن أخيه: لكني أشهد بالذي أنزل التوراة على موسى، وفلق البحر لبني إسرائيل، أنه ليجد نعتك وزمانك وصفتك ومخرجك في كتابه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا اليهودي عن صاحبكم وقبض الفتى فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأجناه.)) (١) و سيأتي زيادة تفصيل في موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم بإذن الله

(١) رواه الإمام أحمد ج٥/ص٤١١ ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ج١/ص١٨٥ والهشمي في مجمع الزوائد

ج٨/ص٢٣٤ وقال ابن كثير:

حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس: تفسير ابن كثير ج٢/ص٢٥٢

المبحث الثالث: الآثار الواردة في موقفهم من الانجيل

الآثار:

قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ} [سورة البقرة ١١٣/٢].

٤٠٧-١٥٠٤ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة بن الفضل قالا جميعا: ثنا ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ} أي: كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به: أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعيسى عليه السلام وفي الإنجيل مما جاء به عيسى تصديق موسى وما جاء به من التوراة من عند الله؛ وكل يكفر بما في يد صاحبه. (١)

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} [سورة القصص ٤٨/٢٨].

٤٠٨-٢٠٩٤٠ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} قالت ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والفرقان فمن قال {سَاحِرَانِ} فيقول: محمد وعيسى ابن مريم عليهما السلام. (٢)

٤٠٩-٢٠٩٤٢ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح قال: ثنا عبيد عن الضحاك {وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ كَافِرُونَ} يقول: بالإنجيل والقرآن. (٣)

(١) تفسير الطبري (٤٩٦/١) - تفسير ابن أبي حاتم (٢٠٩/١) - تفسير ابن كثير (١٥٦/١) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٨٥ / ٢٠) - تفسير ابن أبي حاتم (٢٩٨٥ / ٩) - تفسير الدر المنثور (٤٢١ / ٦) حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

(٣) تفسير الدر المنثور بلفظ: بالتوراة والقرآن (٤٢١ / ٦) - تفسير ابن أبي حاتم بلفظ: بالتوراة والقرآن (٩ / ٢٩٨٦) إسناده ضعيف.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا
وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١١﴾ [سورة البقرة ٩١/٢]

٤١٠-١٢٨٦ - حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: {وَيَكْفُرُونَ بِمَا
وَرَاءَهُ} أي بما بعده، يعني بما بعد التوراة. (١)

(١) تفسير الطبري (٤١٩/١) - تفسير ابن أبي حاتم (١٧٤/١) حسن إسناده الحافظ في الفتح (٣٦٦/٦).

الدراسة:

بعث الله نبيه عيسى عليه السلام رسولاً مصداقاً للتوراة التي هي كتاب الله لبني إسرائيل، وأنزل معه الإنجيل فيه موعظة لهم، وتخفيف لبعض ما حرم عليهم كما قال تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعَيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورًا وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة المائدة ٤٦/٥]

قال ابن كثير رحمه الله: "أي مؤمناً بما حاكماً بما فيها {وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورًا} أي هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ} أي متبعاً لها غير مخالف لما فيها إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخباراً عن المسيح عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل: {وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [سورة آل عمران ٥٠/٣] ولهذا كان المشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة وقوله تعالى: {وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} أي وجعلنا الإنجيل هدى يهتدى به، وموعظة أي زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم، للمتقين أي: لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه. (١)
وقد أعلمهم الله أن إيمانهم بما بعد التوراة هو الصحيح؛ لأن المصدر واحد، والإيمان بالسابق يستلزم الإيمان باللاحق.

قال الطبري رحمه الله: "وإنما قال جل ثناؤه: {مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ} لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً؛ ففي الإنجيل والقرآن من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وبما جاء به، مثل الذي من ذلك في توراة موسى عليه السلام؛ فلذلك قال جل ثناؤه لليهود إذ خبرهم عما وراء كتابهم الذي أنزله على موسى صلوات الله عليه من الكتب التي أنزلها إلى أنبيائه: إنه الحق مصداقاً للكتاب الذي معهم، يعني أنه له موافق فيما اليهود به مكذبون."

(١) تفسير ابن كثير ج ٢/ص ٦٥

قال: "وذلك خبر من الله أنهم من التكذيب بالتوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفرقان، عناداً لله وخلافاً لأمره وبغياً على رسله صلوات الله عليهم." (١)

ولم ترد آثار عن تحريف اليهود للإنجيل كما هو المشهور من فعل شاول اليهودي المتسمي ب(بولس الرسول) الذي أدخل في النصرانية ما ليس منها كما فصل ذلك ابن حزم (٢) وغيره وينقل المفسرون هذه الرواية: أن أتباع عيسى عليه السلام كانوا على الحق بعد رفع عيسى، حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعاً من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا، ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فأضلهم، فعقر فرسه وأظهر الندامة مما كان يصنع، ووضع على رأسه التراب، وقال: نوديت من السماء ليس لك توبة إلا أن تنتصر، وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج، وتعلم الإنجيل فصدقوه وأحبوه، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلاً اسمه نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، وتوجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال: ما كان عيسى إنساناً ولا جسماً، ولكنه الله وعلم رجلاً آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلاً يقال له ملكا فقال له إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى، ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليفتي فادع الناس إلى إنجيلك، ولقد رأيت عيسى في المنام ورضي عني، وإني غداً أذبح نفسي لمرضاة عيسى، ثم دخل المذبح فذبح نفسه، ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة الناس إلى قوله ومذهبه فهذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى. (٣)

قال شيخ الإسلام " .. كما حصل مقصود بولص بإفساد الملة النصرانية بالرسائل التي وضعها لهم." (٤)

(١) تفسير الطبري ج ١/ص ٤١٩

(٢) الفصل في الملل ج ٢/ص ٦١

(٣) تفسير البغوي ج ٢/ص ٢٨٥ تفسير القرطبي ج ٦/ص ٢٥ التفسير الكبير - الرازي ج ١٦/ص ٢٨

(٤) مجموع الفتاوى ج ٦/ص ٢١٤

المبحث الرابع: الآثار الواردة في موقفهم من القرآن

الآثار:

قوله تعالى: { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } [سورة الرعد ٤٣/١٣]

٤١١- حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال: ثنا أبو داود الطيالسي قال: ثنا شعيب بن صفوان قال: ثنا عبد

الملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: قال عبد الله بن سلام: أنزل في: { قُلْ

كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }

٤١٢-١٥٥٧٦ - حدثني محمد بن سعد قال: ثنا أبي قال: ثنا عمي قال: ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس

رضي الله عنهما قوله: { قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } فالذين

عندهم علم الكتاب: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى. (١)

قوله تعالى: { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [سورة الإسراء ١٧/٨٩]

٤١٣-١٧١١٤ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن

أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثنا سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

((أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان وعمر بن أصان وبحري بن عمرو وعزيز بن أبي

عزير وسلام بن مشكم فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله عز وجل فإننا لا نراه

متناسقا كما تناسق التوراة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند

الله تجدون مكتوبا عندكم ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به" فقال عند ذلك

وهم جميعا: فنحاص وعبد الله بن سوريا وكنانة بن أبي الحقيق وأشيع وكعب بن أسد وسموعل بن زيد

وجبل بن عمرو: يا محمد ما يعلمك هذا إنس ولا جان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أما والله

إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدون مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل" فقالوا: يا محمد إن الله يصنع

لرسوله إذا بعثه ما شاء ويقدر منه على ما أراد فأنزل علينا كتابا تقرأه ونعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به،

فأنزل الله عز وجل فيهم وفيما قالوا: { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [سورة الإسراء ١٧/٨٨]] (٢)

(١) تفسير الدر المنثور (٤ / ٦٦٨) - تفسير ابن كثير (٢ / ٥٢٢) إسناده ضعيف

(٢) تفسير الدر المنثور (٥ / ٣٣٦)

قوله تعالى: { هَآأَنُتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ } [سورة آل عمران ١١٩/٣]

٤١٤-٦٠٩٠ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: { وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ } ((أي بكتابكم وكتابتهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم أحق بالبعضاء لهم منهم لكم.)) (١)

قوله تعالى: { وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ } [سورة الحجر ١٥/٨٩]. الآية:

٤١٥-١٦١٤ - حدثني عيسى بن عثمان الرملي قال: ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الله: { كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ } الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿١١﴾ [سورة الحجر ١٥/٩٠-٩١] قال: هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض. (٢)

قوله تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَنَّا كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [سورة المائدة ٥/٦٨]

٤١٦-٩٥٨٨ - حدثني المثني قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: { وَلِيُزِيدَنَّا كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا } قال: الفرقان. يقول: فلا تحزن. (٣)

٤١٧-١٥٦١ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [سورة البقرة ١٢١/٢] قال: من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود فأولئك هم الخاسرون. (٤)

٤١٨-١٥٦٢ - حدثني محمد بن المثني، قال: حدثني ابن أبي عدي، وعبد الأعلى، وحدثنا عمرو بن علي،

(١) تفسير الدر المنثور (٢ / ٣٠١) - تفسير ابن كثير (١ / ٤٠٠) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الدر المنثور (٥ / ٩٨) - تفسير ابن كثير (٢ / ٥٥٩) - المستدرک علی الصحیحین (٢ / ٣٨٧)

(٣) تفسير ابن كثير عن مجاهد (٢ / ٨١) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠ / ٤٤١).

(٤) تفسير الطبري (١ / ٥١٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢١٨) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٧٢) -

تفسير ابن كثير (١ / ١٦٥)

قال: ثنا ابن أبي عدي جميعا، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما : {يَتْلُونَهُ حَقًّا} تِلَاوَتِهِ { يتبعونه حق اتباعه. (١)

(١) تفسير الطبري ٥١٩/١، تفسير ابن أبي حاتم ٢١٨/١، تفسير الدر المنثور ٢٧٢/١، تفسير القرطبي (٩٥/٢)

الدراسة:

تقدم معنا أن من اليهود من يكفر بكل كتاب، ومن هذه الكتب القرآن الكريم ولكن من الإنصاف أن نذكر من آمن بالكتاب العزيز من اليهود ممن خضع لكلام الله، كما قال تعالى فيهم: { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ } [سورة الرعد ٤٣/١٣]

وعلى اختلاف المفسرين في سبب نزول الآية إلا أنهم يجمعون أنها في من آمن من أهل الكتاب، حتى وإن لم يعين كما قال ابن كثير: "والصحيح في هذا أن { وَمَنْ عِنْدَهُ } اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى: { وَرَحِمْتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ } [سورة الأعراف ١٥٧/٧] وقال تعالى { أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [سورة الشعراء ١٩٧/٢٦] وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المتزلة. (١)

لكن الغالبية العظمى من اليهود كفروا بالكتاب العزيز، كما قال تعالى: { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ } [سورة البقرة ١٨٩/٢]

قال الطبري رحمه الله: "ولما جاء اليهود من بني إسرائيل الذين وصف جل ثناؤه صفتهم، { كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ } يعني بالكتاب: القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم، { مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ } يعني مصدق للذي معهم من الكتب التي أنزلها الله من قبل القرآن." (٢)

(١) تفسير ابن كثير ج ٢/ص ٥٢٢

(٢) تفسير الطبري ج ١/ص ٤١٠

ومن ثم أنكر اليهود انتظارهم لهذا الكتاب: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((قال ابن سوريا الفطويوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فتبعك بها فأنزل الله عز وجل: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ} [سورة البقرة ٢/٩٩] (١)

بل أنكروا أن يكون حقاً فتوعدهم الله بالعقوبة فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ تُطَمِّسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [سورة النساء ٤/٤٧]

وكانت هذه الآية سبباً في إسلام كعب الأبحار رحمه الله ، فقد ساق الطبري بإسناده قال: "أسلم كعب في زمان عمر - أقبل وهو يريد بيت المقدس، فمر على المدينة، فخرج إليه عمر -، فقال: ((يا كعب أسلم! قال: أستم تقرأون في كتابكم: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [سورة الجمعة ٦٢/٥] وأنا قد حملت التوراة. قال: فتركه ثم خرج حتى انتهى إلى حمص، قال: فسمع رجلاً من أهلها حزيناً، وهو يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ تُطَمِّسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا} [سورة النساء ٤/٤٧] ... الآية، فقال كعب: ((يا رب أسلمت! مخافة أن تصيبه الآية، ثم رجعت فأتى أهله باليمن، ثم جاء بهم مسلمين.)) (٢)

وكان منهم من يصف القرآن بعدم التناسق، ويفاخر أنه لا يشبه تناسق التوراة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن مشكم في عامة من يهود سماهم، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله: {قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} [سورة الإسراء ١٧/٨٨] الآية (٣)

(١) تفسير الطبري ج ١/ص ٤٤٧

(٢) تفسير الطبري ج ٥/ص ١٢٤ الدر المنثور ج ٢/ص ٥٥٥

(٣) تفسير الطبري (١٥ / ١٥٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٢) لباب النقول - السيوطي ج ١/ص ١٤٠

وخاطب الله على اليهود بشأن القرآن وكيف يؤمنون به في قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٦﴾ }
[سورة البقرة ١٢١/٢] ومعنى الآية: الذين آتيناهم الكتاب يا محمد من أهل التوراة الذين
آمنوا بك وبما جئتهم به من الحق من عندي، يتبعون كتابي الذي أنزلته على رسولي موسى
صلوات الله عليه، فيؤمنون به، ويقولون بما فيه من نعتك وصفتك، وأنت رسولي فرض
عليهم طاعتي في الإيمان بك والتصديق بما جئتهم به من عندي، ويعملون بما أحلت لهم،
ويجتنبون ما حرمت عليهم فيه، ولا يحرفونه عن واضعه ولا يبدلونه ولا يغيرونه كما أنزلته
عليهم بتأويل ولا غيره. { يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ } [سورة البقرة ١٢١/٢] يتبعونه حق اتباعه.
(١)

ومن ثم ستقودهم الى الإيمان الحقيقي كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ} [سورة المائدة ٦٦/٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما
وغيره هو القرآن {لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [سورة المائدة ٦٦/٥] أي لو
أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا
تبديل ولا تغيير لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً صلى الله
عليه وسلم فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتما لا محالة. (٢)
وهنا تساؤل وهو كيف يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه
وسلم ، مع اختلاف هذه الكتب ونسخ بعضها بعضاً؟

والجواب: أنه وإن كانت في بعض أحكامها وشرائعها اختلاف، فهي متفقة في الأمر
بالإيمان برسول الله والتصديق بما جاءت به من عند الله؛ فمعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما
أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم تصديقهم بما فيها، والعمل بما هي متفقة فيه، وكل
واحد منها في الخبر الذي فرض العمل به. (٣)

(١) تفسير الطبري (١ / ٥١٩) باختصار

(٢) تفسير ابن كثير ج٢/ص٧٧

(٣) تفسير الطبري ج٦/ص٣٠٥ بتصرف يسير

ولكنهم لم يلتزموا بالإيمان بالقرآن ولا الانصياع إلى ما في كتبهم، فلم ينفعهم ذلك شيئاً كما قال صلى الله عليه وسلم للبيد _ فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال: ((وذاك عند ذهاب العلم قال: قلنا يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبنائنا يقرؤنه أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: ثكلتك أمك يا بن لبيد إن كنت لأراك من أفاقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون بما فيهما من شيء؟)) (١)

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل ١٦٠/٤ ورواه ابن ماجه ٤٠٤٨

الفصل الرابع : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالأنبياء

المبحث الأول : موقفهم من الأنبياء مطلقاً

الآثار:

المطلب الأول : القتل

قوله تعالى: { الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بُرْهَانٌ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [سورة آل ١٨٣/٣]

٤١٩-٦٦٢٢ - حدثنا محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: { حَتَّىٰ يَأْتِينَا بُرْهَانٌ تَأْكُلُهُ النَّارُ } كان الرجل يتصدق فإذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته. (١)

٤٢٠-٦٦٢٣ - حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: { بِرُحْمَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ } كان الرجل إذا تصدق بصدقة فتقبلت منه بعث الله نارا من السماء فترلت على القربان فأكلته. (٢)

قوله تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [سورة المائدة ٦٤/٥]

٤٢١-٩٥٥٨ - حدثني المثني قال: ثنا إسحاق قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله: { لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا } فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا } ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ

(١) تفسير الطبري (٤ / ١٩٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٨٣١) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٣٩٨) - تفسير ابن كثير (١ / ٤٣٥) (إسناده ضعيف)

(٢) تفسير الطبري (٤ / ١٩٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٨٣١) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٣٩٨) (إسناده ضعيف).

عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ [سورة الإسراء ٤/١٧-٦] قال: كان الفساد الأول فبعث الله عليهم عدواً فاستباحوا الديار واستنكحوا النساء واستعبدوا الولدان وخربوا المسجد. فغيروا زماناً ثم بعث الله فيهم نبياً وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان. ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياء حتى قتلوا يحيى بن زكريا عليه السلام فبعث الله عليهم بختنصر، قتل من قتل منهم وسي من سبي وخرب المسجد فكان بختنصر للفساد الثاني. (باختصار) (١)

قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفِسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٤﴾} [سورة الإسراء ٤/١٧]

٤٢٢-١٦٦٤٨ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا عليهما السلام سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس من قتل زكريا وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى. (٢)

المطلب الثاني: التكذيب

قوله تعالى: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبْرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٨٤﴾} [سورة آل ٣/١٨٤]

٤٢٣-٦٦٢٤ - حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا أبو زهير عن جوير عن الضحاك: {فَإِنْ كُذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} قال: يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم. (٣)

قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَحَقَّقْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [سورة البقرة ٢/٨٧]

٤٢٤-١٢٣٧ - حدثني بذلك محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: {رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ} اليهود من بني إسرائيل. (٤)

قوله تعالى: {وَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ} [سورة البقرة ٢/٢٨٥]

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣٠٣) وحسنه في التفسير الصحيح (١/٢٧٧)

(٢) تفسير الطبري (١٥ / ٢٢) - تفسير الدر المنثور (٥ / ٢٤٣)

(٣) تفسير الطبري (٤ / ١٩٨) - تفسير ابن أبي حاتم عن قتادة (٣ / ٨٣٢) - تفسير الدر المنثور أيضا عن قتادة

(٢ / ٣٩٩)

(٤) تفسير الطبري (١/٤٠٥)

٤٢٥-٥٠٩٦ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: { لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } كما صنع القوم يعني بني إسرائيل قالوا: فلان نبي وفلان ليس نبياً وفلان وفلان نؤمن به وفلان لا نؤمن به. (١)

قوله تعالى: { فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلْتُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } [سورة النساء ٤/١٥٥] - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: { فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } لما ترك القوم أمر الله وقتلوا رسله وكفروا بآياته ونقضوا الميثاق الذي أخذ عليهم. { طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } ولعنهم. (٢)

(١) تفسير الطبري (٣ / ١٥٣)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ١١) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٩) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

الدراسة:

لليهود مع الأنبياء سيرة عجيبة، وصفها الله - تبارك وتعالى - بانقسامهم حيال الأنبياء إلى قسمين: أنبياء كذبوهم، وأنبياء قتلوهم، فبئس ما وصفوا به، كما قال تعالى: {لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} [سورة المائدة ٥/٧٠] ، و قال تعالى: {ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيَّنَ مَا تَقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [سورة آل عمران ٣/١١٢] وآيات أخرى كثيرة.

ومع كونهم من أكثر الأمم أنبياء كما مرّ معنا في أن من نعم الله عليهم (كثرة الأنبياء) إلا أنهم استحقوا بكل سوء لقب (قتلة الأنبياء) كما قرنها الله بهم في آيات كثيرة، هو وصف لجميع اليهود على مرّ الأزمان، من قتل منهم ومن رضي، قال الطبري رحمه الله عن اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "ولم يكن من أولئك أحد قتل نبياً من الأنبياء لأنهم لم يدركوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه، قيل إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه وإنما قيل ذلك كذلك لأن الذين عني الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء، وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته، فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته إلى جميعهم، إذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة، وبالرضا من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم." (١)

ومعلوم أن من أعظم الناس جرماً من قتل نبياً كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً.)) (٢) ، وهذا ما فعله اليهود كما في الأثر عن ابن مسعود _ قال: ((قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار ثم أقاموا

(١) : تفسير الطبري ج٤/ص١٩٦

(٢) رواه الإمام أحمد ج١/ص٤٠٧ و مصنف عبد الرزاق ج١٠/ص٣٩٨ وقال المنذري في الترغيب والترهيب

ج٣/ص١١٧ ورواه ثقات

سوق بقلهم من آخره.)) (١) ، ومن ذلك ما رواه أبو عبيدة بن الجراح _ قال: قلت يا رسول الله، ((أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟)) قال: ((رجل قتل نبياً، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف.)). ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ} [سورة آل عمران ٢١/٣] إلى أن انتهى إلى: {وَمَا لَهُمْ مِّنْ تَأْصِرِينَ} [سورة آل عمران ٢٢/٣] ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنان عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم، وهم الذين ذكر الله عز وجل)). (٢)

وفي الآيات التي ذكر فيها قتل اليهود للأنبياء، قرنت بقوله تعالى {بِغَيْرِ حَقٍّ} [سورة آل عمران ٢١/٣] وبـ {بِغَيْرِ الْحَقِّ} [سورة البقرة ٦١/٢] والحكمة -والله أعلم- مع أن قتل الأنبياء لن يكون بحق أبداً: أن هذا القول تعظيم للشنعة والذنب الذي أتوه ومعلوم أنه لا يقتل نبي بحق ولكن من حيث قد يتخيل متخيل لذلك وجهاً، فصرح قوله: {بِغَيْرِ الْحَقِّ} عن شنعة الذنب ووضوحه ولم يجترم قط نبي ما يوجب قتله وإنما أتاح الله تعالى من أتاح منهم وسلط عليه كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين. (٣)

ومن ورد التصريح بقتلهم من الأنبياء: زكريا وابنه يحيى عليهما السلام وقيل أشعياء. وأما كيفية قتلهم فقد أورد الطبري رحمه الله آثاراً طويلة (٤) حاصلها: أن من قتلوه من الأنبياء في إفسادهم المذكور في سورة الإسراء قولان: ١ - أحدهما: زكريا ٢ - والثاني: أشعياء.

(١) تفسير ابن أبي حاتم ج ٣/ص ٧٣٦ و تفسير ابن كثير ج ١/ص ٣٥٦ والديلمي الفردوس بمأثور الخطاب ج ٣/ص ٤٣٣ عن أبي ذر

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ج ٢/ص ٦٢١ تفسير ابن كثير ج ١/ص ٣٥٦

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الأندلسي ج ١/ص ١٥٦ و فصل فيها القرطبي ج ١/ص ٤٣٢

(٤) استغرقت أكثر من ١٥ صفحة تفسير الطبري ج ١٥/ص ٢٠ وما بعدها

أما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني: فهو يحيى بن زكريا عليه السلام .
والسبب في قتلهم زكريا عليه السلام (بحسب الروايات المتداخلة) أنهم اهتموه بمريم
وقالوا منه حملت، فهرب منهم فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من رذائه هذب،
فجاءهم الشيطان فدلهم عليه فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها.
والسبب في قتلهم أشعيا فهو أنه قام فيهم برسالة من الله ينهاهم عن المعاصي، وقيل:
هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة حتى قطعوه بالمنشار وأن زكريا عليه السلام مات
حتف أنفه.

وأما السبب في قتلهم يحيى بن زكريا عليه السلام :

أن ملكهم أراد نكاح امرأة لا تحل له فنهاه عنها يحيى عليه السلام .. فحنقت أمها
على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها، وعمدت إلى ابنتها فزينتها وأرسلتها إلى الملك حين
جلس على شرابه وأمرها أن تسقيه وأن تعرض له فإن أرادها على نفسها أبت حتى يؤتى
برأس يحيى بن زكريا عليه السلام في طست، ففعلت ذلك فقال: ويحك سليمان غير هذا،
فقالت: ما أريد إلا هذا، فأمر فأتي برأسه والرأس يتكلم ويقول لا تحل لك لا تحل لك.
(١)

وأهم هذه النصوص الحديث المرفوع الذي رواه حذيفة _ قال عنه ابن كثير رحمه الله
: "وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة _ مرفوعاً مطولاً، وهو
حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل
العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو
الحجاج المزي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب، وقد
وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأن منها ما هو موضوع
من وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ونحن في غنية عنها والله
الحمد، وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يجوزنا الله
ولا رسوله صلى الله عليه وسلم إليهم، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله
عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقاً، وما ربك

(١) تفسير الطبري ج ١٥/ص ٢٠ و زاد المسير - ابن الجوزي ج: ٥ ص: ٨

بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء ... وجرت أمور
وكوائن يطول ذكرها، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته والله
أعلم. (١)

(١) تفسير ابن كثير ج٣/ص٢٦ باختصار ونقد هذه الروايات ابوشهبة ' في الاسرائيليات في
التفسير ص٢٣٤ وما بعدها

المبحث الثاني: افتراؤهم على بعض الأنبياء

المطلب الأول: افتراؤهم على إبراهيم وبنيه بنسبتهم لليهودية

الآثار:

قوله تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [سورة آل عمران ٦٧/٣]

٤٢٧-٥٦٩٥ - حدثني إسحاق بن شاهين الواسطي قال: ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال:

قالت اليهود: إبراهيم على ديننا وقالت النصارى: هو على ديننا فأنزل الله عز وجل: { مَا كَانَ

إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا } ... الآية. فأكذبهم الله وأدحض حجتهم يعني اليهود الذين ادعوا أن

إبراهيم مات يهودياً. (١)

قوله تعالى: { وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ } [سورة الشعراء ٨٥/٢٦]

٤٢٨-٢٠٢٥٨ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قوله: { وَاجْعَلْ

لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ } قوله { وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ

الصَّالِحِينَ } [سورة العنكبوت ٢٧/٢٩]. قال: إن الله فضله بالخلعة حين اتخذه خليلاً فسأل الله

فقال: { وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ } حتى لا تكذبني الأمم فأعطاه الله ذلك فإن اليهود

آمنت بموسى وكفرت بعیسی وإن النصارى آمنت بعیسی وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكلهم

يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود: هو خليل الله وهو منا فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقرؤا له بالنبوة وآمنوا

به فقال: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ } [سورة آل عمران ٦٧/٣] ثم ألحق ولايته بكم فقال: { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ

بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } [سورة آل عمران

٦٨/٣] فهذا أجره الذي عجل له وهي الحسنة إذ يقول: { وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ

لَمِنَ الصَّالِحِينَ } [سورة النحل ١٦/١٢٢] وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه. (٢)

(١) تفسير الطبري (٣ / ٣٠٧) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٣٧)

(٢) - تفسير الطبري (١٩ / ٨٦)

قوله تعالى: { أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَغْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [سورة البقرة ١٤٠/٢]

٤٢٩-١٧٥٩ - فحدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ } [سورة البقرة ١٤٠/٢] قال: في قول يهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معهما إثم كانوا يهوداً أو نصارى. فيقول الله: لا تكتموا مني شهادة إن كانت عندكم فيهم. وقد علم أنهم كاذبون. (١)

٤٣٠-١٧٦٠ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني إسحاق عن أبي الأشهب عن الحسن أنه تلا هذه الآية: { أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ } إلى قوله: { قُلْ أَغْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ } قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام فبم استحلوها؟ (٢)

٤٣١-٥٦٩٨ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ } [سورة آل عمران ٦٨/٣] يقول: الذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته، { وَهَذَا النَّبِيُّ } وهو نبي الله محمد. { وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ } وهم المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه، كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين أولى الناس بإبراهيم. (٣)

(١) تفسير الطبري (١ / ٥٧٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٣٤١)

(٢) - تفسير الطبري (١ / ٥٧٤)

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٣٠٨) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٣٩) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

الدراسة:

طلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه أن يكونوا هوداً حتى يهتدوا إلى الحق بزعمهم ولكن الله أهدى نبيه صلى الله عليه وسلم حجة بالغة، فأمره الله أن يقول لهم: تعالوا نتبع ملة إبراهيم عليه السلام التي تجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتبه وأمر به فقال تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة البقرة ١٣٥/٢] ، فاليهود إذا يزعمون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وأبناؤه كانوا هوداً أو على ملتهم، وهذا محال؛ لأن اليهودية حدثت بعدهم، حين بعث الله موسى عليه السلام وقد أكذبهم الله بهذه الفرية بقوله: {قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ} [سورة البقرة ١٤٠/٢] يعني بما كانوا عليه من الأديان ثم جاء القول الفصل {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ومن أصدق من الله قيلاً، ولكن هل كان اليهود يظنون أنهم على حق في نسبتهم إبراهيم عليه السلام إلى اليهودية، أم هي عادتهم التي جبلوا عليها من الافتراء والكذب؟

وختام الآية يبين الجواب: قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ} [سورة البقرة ١٤٠/٢]. فلا أظلم منهم، حين عرفوا الحق وكتموا شهادته.

ولكن هل لليهود شهادة عندنا؟ الجواب: "الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم، ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل، وأمرهم فيها بالاستئذان بسنتهم واتباع ملتهم، وأنهم كانوا حنفاء مسلمين. وهي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها حين دعاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فقالوا له: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى} [سورة البقرة ١١١/٢] وقالوا له ولأصحابه: {كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا} [سورة البقرة ١٣٥/٢]. فأنزل الله فيهم هذه الآيات في تكذيبهم وكتماهم الحق، وافتراءهم على أنبياء الله الباطل والزور." (١)

(١) تفسير الطبري (٥٧٥/١)

ولن يفيدهم أن يكون بينهم وبين من ذكروا من الأنبياء صلة النسب من غير متابعة لهم حتى يكونوا منقادين مثلهم لأوامر الله واتباع رسله.

وأما إبراهيم عليه السلام فقد بين الله من أولى الناس به فقال: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة آل عمران ٦٨/٣] وليس كما قال رؤساء اليهود: والله يا محمد لقد علمت أنا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك، فإنه كان يهودياً وما بك إلا الحسد؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. (١) فكان أحق الناس بإبراهيم عليه السلام ونصرته وولايته، الذين سلكوا طريقه ومنهاجه، فوحدوا الله مخلصين له الدين، وسنوا سننه، وشرعوا شرائعه وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به. وهم محمد صلى الله عليه وسلم والذين صدقوا محمداً، وبما جاءهم به من عند الله.

وعن ابن مسعود _ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لكل نبي ولادة من النبيين وإن وليي منهم أبي وخلييل ربي عز وجل ثم قرأ {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ} [سورة آل عمران ٦٨/٣])) (٢)

(١) تفسير القرطبي ج ٤/ص ١٠٩

(٢) مسند الإمام أحمد ج ١/ص ٤٠٠ وسنن الترمذي ج ٥/ص ٢٢٣ والحاكم في المستدرک ج ٢/ص ٣٢٠ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

المطلب الثاني : افتراؤهم في تعيين الذبيح

الآثار:

قوله تعالى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} [سورة الصافات ٣٧/١٠٨]

٤٣٢-٢٢٦٤٦- حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثني محمد بن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رحمه الله وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما هو؛ ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم فحسن إسلامه وكان يرى أنه من علماء يهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: أي ابني إبراهيم عليه السلام أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم فالله أعلم أيهما كان كل قد كان ظاهراً طيباً مطيعاً لربه. (١)

٤٣٣-٢٢٦٤٧- حدثني محمد بن عمار الرازي قال: ثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة قال: ثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد بن محمد العتيبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه قال: ثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان _ فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال: على الخبير سقطتم: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين؛ فضحك عليه الصلاة والسلام؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله لئن سهل عليه أمرها ليدبحن أحد ولده قال: فخرج السهم على عبد الله فممنعه أخواله وقالوا: افد ابنك بمئة من الإبل ففداه بمئة من الإبل وإسماعيل الثاني. (٢)

قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا

مَكِينٌ أُمِينٌ} [سورة يوسف ١٢/٥٤].

٤٣٤-١٤٨٦٢- حدثنا أبو كريب قال: ثنا وكيع عن سفيان عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل: {قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} قال: قال له الملك: إني أريد أن أحلصك لنفسي غير أبي أنف

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ٨٤) - تفسير ابن كثير (٤ / ١٩) إسناده ضعيف.

(٢) - المستدرک علی الصحیحین (٢ / ٦٠٤) - تفسير ابن كثير (٤ / ١٩)

أن تأكل معي! فقال يوسف: أنا أحق أن آنف أنا ابن إسحاق - أو أنا ابن إسماعيل أبو جعفر شك -
وفي كتابي: ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله - (١)

٤٣٥- حدثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد قال: ثنا سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل
قال: قال العزيز ليوسف: ما من شيء إلا وأنا أحب أن تشركني فيه إلا أني أحب أن لا تشركني في أهلي
وأن لا يأكل معي عبدي! قال: أتأنف أن أكل معك؟ فأنا أحق أن آنف منك أنا ابن إبراهيم خليل الله
وابن إسحاق الذبيح وابن يعقوب الذي ابيضت عيناه من الحزن. (٢)

٤٣٦- ٢٢٦٢٣- حدثني الحسين بن يزيد بن إسحاق قال: ثنا ابن إدريس عن داود بن أبي هند عن عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق. (٣)

٤٣٧- ٢٢٦٢٩- حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبي سنان الشيباني عن ابن أبي الهذيل
قال: الذبيح هو إسحاق. (٤)

٤٣٨- ٢٢٦٣٥- حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا: ثنا يحيى بن يمان عن
إسرائيل عن ثور عن مجاهد عن رضي الله عنهما ابن عمر رضي الله عنهما قال: الذبيح: إسماعيل. (٥)
٤٣٩- ٢٢٦٤٠- حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان عن إسرائيل عن جابر عن الشعبي قال: الذبيح
إسماعيل. (٦)

قوله تعالى: {وَبَشِّرْنَا هُ يَاسْحَقُ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} [سورة الصافات ٣٧/١١٢].
٤٤٠- ٢٢٦٦٩- حدثني يعقوب قال: ثنا ابن علي عن داود عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله
عنهما: الذبيح إسحاق؛ قال: وقوله: {وَبَشِّرْنَا هُ يَاسْحَقُ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} قال بشر بنوته. قال:
وقوله: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} [سورة مريم ١٩/٥٣] قال: كان هارون أكبر
من موسى ولكن أراد وهب الله له نبوته. (٧)

(١) تفسير الطبري (١٣ / ٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢١٥٩)

(٢) - تفسير الطبري (١٣ / ٤)

(٣) تفسير الطبري (٢٣ / ٨١) - تفسير الدر المنثور عن ابن مسعود مرفوعا (٧ / ١٠٧)

(٤) تفسير الطبري (٢٣ / ٨٢) - تفسير ابن كثير (٤ / ١٨)

(٥) تفسير الطبري (٢٣ / ٨٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٢٣) - تفسير الدر المنثور (٧ / ١٠٥)

(٦) تفسير الطبري (٢٣ / ٨٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٢٣) - المستدرک علی الصحیحین و صححه

عن الشعبي عن ابن عباس (٢ / ٦٠٤)

(٧) تفسير الطبري (٢٣ / ٨٩) - تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠)



الدراسة:

رزق الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام ولدين على كبر في سنه إسماعيل عليه السلام وإليه ينتسب العرب، وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق عليه السلام وإليه وإلى ابنه يعقوب عليه السلام ينتسب اليهود، وقد قص الله في القرآن الكريم قصة أمر الله لإبراهيم الخليل عليه السلام بذبح ابنه، ولم يذكر اسمه صريحاً في القرآن، واليهود يقولون أنه : إسحاق عليه السلام كما تنص على ذلك التوراة التي بأيديهم، ويقولون أن الذبح قد حصل في الشام كما نقل عنهم، (١) وقد ذكر ياقوت الحموي عند الكلام على مدينة نابلس قال: "مدينة مشهورة بأرض فلسطين، وبها الجبل الذي تعتقد اليهود أن الذبح كان عليه، وعندهم أن الذبيح إسحاق عليه السلام ، ولليهود في هذا الجبل اعتقاد أعظم ما يكون." (٢)

واختلف علماء المسلمين في تعيين الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل عليهما السلام ؟

١- فمن قائل بأنه إسحاق.

٢- ومن ذهب إلى أنه إسماعيل.

٣- ومن متوقف في المسألة.

٤- ومن مقتصر على ذكر القولين بدون ترجيح.

وسأختصر الكلام في هذه المسألة مع الإحالة إلى أماكن الأدلة في مظاهها لطولها وتعدد أوجه استدلالها، وآثار السلف رحمهم الله فيها القولان، الصحابة رضي الله عنهم ، ومن بعدهم إلى يومنا وكل فريق له أدلته، وله رد على أدلة الفريق المقابل، وليس هناك دليل صحيح صريح في المسألة كما قال الطبري رحمه الله في تاريخه: "واختلف السلف من علماء أمة نبينا في الذي أمر إبراهيم عليه السلام بذبحه من ابنه، فقال بعضهم: هو إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وقال بعضهم هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين لو كان فيهما صحيح لم نعهده

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٢٢ كاملاً

(٢) في معجم البلدان (٢٤٨/٥)

إلى غيره غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه أنه قال هو إسحاق
أوضح وأبين منه على صحة الأخرى. (١)

ولكن أثر عمر بن عبد العزيز المتقدم، فيه إشارة إلى ما تعودناه من اليهود، في
التحريف، والكتمان، والحسد، بل فيه اعتراف بالتحريف وكما قال ابن تيمية رحمه الله :
"وكلّ من قال: إنّه إسحاق، فإنّما أخذه عن اليهود أهل التحريف والتبديل كما أخبر الله
تعالى عنهم" (٢)

وقال ابن كثير - بعد ذكره الآثار عن السلف بأنّ الذبيح إسحاق عليه السلام -
"وهذه الأقوال والله أعلم كلّها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنّه لما أسلم في الدّولة العمريّة
جعل يحدث عمر - عن كتبه قديماً، فربّما استمع له عمر - فترخّص النّاس في استماع ما
عنده، ونقلوا ما عنده عنه غثّها وسمينها، وليس لهذه الأُمَّة والله أعلم حاجة إلى حرف
واحد ممّا عنده." (٣)

وكان في تاريخه أكثر وضوحاً فقال: "وهذا هو الظاهر من القرآن، بل كأنه نص
على أن الذبيح هو إسماعيل لأنه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده {وَبَشِّرْنَا هُ يَسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ
الصَّالِحِينَ} [سورة الصافات ١١٢/٣٧] ومن جعله حالاً فقد تكلف ومستنده أنه إسحق
إنما هو إسرائيليّات وكتابهم فيه تحريف ولا سيما ههنا قطعاً لا محيد عنه فإن عندهم أن الله
أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيد وفي نسخة من المعربة بكره إسحق فلفظة إسحق ههنا
مقحمة مكذوبة مفتراة؛ لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر ذاك إسماعيل وإنما حملهم على هذا
حسد العرب، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وإسحق والد يعقوب وهو إسرائيليّ الذين ينتسبون إليه، فأرادوا أن يجروا
هذا الشرف إليهم، فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت، ولم يقرؤا بأن الفضل بيد
الله يؤتية من يشاء، وقد قال بأنه إسحق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم، وإنما أخذوه

(١) تاريخ الطبري ج: ١ ص: ١٥٨. و قال الألباني: : وقد جاءت أحاديث في أنّ إسحاق هو الذبيح، ولكن كلّها
ضعيفة: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٣٧/١

(٢) منهاج السنّة ٣٥٣/٥

(٣) تفسير ابن كثير (١٩/٤)

والله أعلم من كعب الأحبار أو صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، ولا يفهم هذا من القرآن بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل، وما أحسن ما استدل محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحق من قوله {فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ} قال فكيف تقع البشارة بإسحق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحق وهو صغير قبل أن يولد له، هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة والله أعلم. " (١)

والقول بأنه إسحاق أو إسماعيل لا يترتب عليه حكم شرعي عبادي، وكثير من المفسرين يسوقون الخلاف ويتوقفون، كما في آخر أثر عمر بن عبد العزيز : "فإن الله أعلم أيهما كان، كل قد كان طاهراً طيباً مطيعاً لربه"

قال العلامة الألوسي: "والتوقف عندي خير من هذا القول، والذي أميل أنا إليه أنه إسماعيل عليه السلام بناء على أن ظاهر الآية يقتضيه، وأنه المروي عن كثير من أئمة أهل البيت ولم أتقن صحة حديث مرفوع يقتضي خلاف ذلك، وحال أهل الكتاب لا يخفى على ذوي الأبواب. " (٢)

وفي إجابة للجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية عن هذه المسألة: "لم يرد في ذلك نصٌ صحيحٌ بتسميته أو تعيينه بوجه ما يقطع النزاع، والخَطْبُ في ذلك سهلٌ، إذ المسألة في أمرٍ معرفته غيرٌ ضروريَّةٍ، ولا يترتب على الجهل بما خطرٌ في العقيدة، ولا أثر لها في حياة النَّاسِ العمليَّةِ، فأبيّ ابني إبراهيم عليه السلام كان الذبيح، كان فيه وفي أبيه العبرة، وبهما تكون القدوة في الصبر على البلاء، وإثارة طاعة الله تعالى .. ولايشين ذلك من لم يكن الذبيح، ولا ينقص من قدره، كما لم ينقص كثيراً من الأنبياء والمرسلين أنهم لم يقع لهم مثل ذلك، فالمزية بعينها تدلّ على الفضيلة، لكنّها لا تدلّ على الأفضليَّةِ، والصَّوابُ أنّه

(١) البداية والنهاية/١-١٥٨-١٥٩ و أطال في ذكر القائلين من الفريقين، وانظر الرأي الصحيح في من هو الذبيح عبد الحميد الفراهي.

(٢) روح المعاني - الألوسي ج٢٣/ص ١٣٦ و انظر الشوكاني في فتح القدير ٤/٤٠٧-٤٠٨

إسماعيل لأنّه الأظهر من الآيات القرآنيّة، ولا سيّما الآيات من سورة الصّافات التي سبق ذكرها، وباللّه التّوفيق. " (١)

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٤/٢٩٠-٢٩١.

المطلب الثالث: افتراؤهم على موسى عليه السلام واذيته

الآثار:

قوله: {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنِّي دُونِي وَكَيْلًا} [سورة الإسراء ٣/١٧]

٤٤١-٢١٥٦٠ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنِّي دُونِي وَكَيْلًا} قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل. (١)

قوله تعالى: {فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} [سورة الشعراء ٦١/٢٦]

٤٤٢-٢٠٢٣٧ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: قلت لعبد الرحمن {فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} قال: تشاءموا بموسى وقالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا. (٢)

قوله تعالى: {قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [سورة الأعراف ١٣٠/٧]

٤٤٣-١١٦٢٨ - حدثني موسى قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي: فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم قالوا: {إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} وقالوا: {أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا} [سورة الأعراف ١٢٩/٧] كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا. {وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} {اليوم يدر كنا فرعون فيقتلنا} {إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} (٣)

٤٤٤-١١٦٢٩ - حدثني عبد الكريم قال: ثنا إبراهيم قال: ثنا سفيان قال: ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سار موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهج

(١) تفسير الطبري (٢١ / ١١٢) - تفسير الدر المنثور مرفوعا إلى النبي ﷺ (٦ / ٥٥٦) حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

(٢) تفسير الطبري (١٩ / ٧٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٧٠)

(٣) - تفسير الطبري (٩ / ٢٨)

دواب فرعون فقالوا: يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون
عن معه ! { قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمُ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

{ [سورة الأعراف ٧/١٣٠] (١)

قوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} [سورة الأعراف ٧/١٥٠]

٤٤٥-١١٧٤٤ - حدثني عمران بن بكار الكلاعي قال: ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمي قال: ثنا شريح

بن يزيد قال: سمعت نصر بن علقمة يقول: قال أبو الدرداء _ قول الله: { غَضْبَانَ } قال: الأسف: منزلة

وراء الغضب أشد من ذلك وتفسير ذلك في كتاب الله: ذهب إلى قومه غضبان وذهب أسفًا. (٢)

٤٤٦-١١٧٤٥ - حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي. {أَسِفًا} قال: حزينا. (٣)

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا

وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً } [سورة الأحزاب ٣٣/٧٠]

٤٤٧-٢١٨٨٥ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال: قال بنو إسرائيل: إن موسى

آدر؛ وقالت طائفة: هو أبرص من شدة تستره وكان يأتي كل يوم عينا فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة

عندها فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت إلى مجلس بني إسرائيل وجاء موسى يطلبها؛ فلما رأوه عريانا

ليس به شيء مما قالوا لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه فأثرت العصا في الصخرة. (٤)

٤٤٨-٢١٨٨٨ - حدثني علي بن مسلم الطوسي قال: ثنا عباد قال: ثنا سفيان بن حبيب عن الحكم عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب _ في قول الله: { لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا

مُوسَىٰ } [سورة الأحزاب ٣٣/٦٩] قال: سعد موسى وهارون الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل:

أنت قتلته وكان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك فأذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على

بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به

فدفنوه فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم فجعله الله أصم أبكم. (٥)

(١) - تفسير الطبري (٩ / ٢٨) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٣٠١)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ٦٣) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٦٤)

(٣) تفسير الطبري (٩ / ٦٣) - تفسير الدر المنثور (٥ / ٥٨٨) - تفسير ابن كثير (٣ / ١٦٣)

(٤) - تفسير الطبري (٢٢ / ٥١)

(٥) تفسير الطبري (٢٢/٥٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣١٥٧) - المستدرک علی الصحیحین (٢/٦٣٣) إسناده

ضعيف.

قوله تعالى: {فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُتَّصِرِينَ ﴿٨١﴾ [سورة القصص ٨١/٢٨]

٤٤٩-٢١٠٤٦ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا جابر بن نوح قال: أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار ديناراً وكل ألف شيء شيئاً أو قال: وكل ألف شاة شاة "الطبري يشك" قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً فجمع بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم فقالوا: أنت كبيرنا وأن سيدنا فمرنا بما شئت فقال: أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جعلاً فتقذفه بنفسها فدعوها فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها ثم أتى موسى فقال لموسى: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم فخرج إليهم وهم في براح من الأرض فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت أو رجمناه حتى يموت والطبري يشك" فقال له قارون: إن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا! قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فحرت بفلانة. قال: ادعوها فإن قالت فهو كما قالت؛ فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة قالت: يا لبيك قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا وكذبوا ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي؛ فوثب فسجد وهو بينهم فأوحى الله إليه: مر الأرض بما شئت قال: يا أرض خذهم! فأخذتهم إلى أقدامهم. ثم قال: يا أرض خذهم فأخذتهم إلى ركبهم. ثم قال: يا أرض خذهم فأخذتهم! إلى حقيهم ثم قال: يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أعناقهم قال: فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى ويتضرعون إليه. قال: يا أرض خذهم فانطبقت عليهم فأوحى الله إليه: يا موسى يقول لك عبادي: يا موسى يا موسى فلا ترحمهم؟ أما لو إياي دعوا لوجدوني قريباً محبباً؛ قال: فذلك قول الله: {فخرج على وقمه في زينته} وكانت زينته أنه خرج على دواب شقر عليها سروج حمر عليهم ثياب مصبغة بالبهرمان. {قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون}... إلى قوله {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [سورة المؤمنون ١١٧/٢٣] يا محمد {تَلِكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة القصص ٨٣/٢٨]. (١)

(١) - تفسير الطبري (٢٠ / ١١٦ - ١١٧)

الدراسة:

لم يسلم نبي الله موسى عليه السلام - وهو أخص أنبياء اليهود والمبعوث بالتوراة - من أذية اليهود له، حتى وصفوا أن مبعثه إليهم، كان شؤماً عليهم، وأن الأذى لحقهم حتى بعد أن جاءهم فلم يفدهم مبعثه شيئاً من التخفيف، ففرعون سامهم العذاب قبل موسى عليه السلام وبعده، فماذا اختلف؟

و اليهود المعاصرون لموسى عليه السلام يصعب حصر أذيتهم له بعدد، مع كثرة معاينتهم من آيات الله عز وجل وعبره والمعجزات الباهرة التي يسوقها الله لنبيه عليه السلام، ومع ذلك: مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلهاً غير الله، ومرة يعبدون العجل من دون الله، ومرة يقولون: لا نصدقك حتى نرى الله جهرة، وأخرى يقولون له إذا دعوا إلى القتال: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ومرة يقال لهم: قولوا: حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم، فيقولون: حنطة في شعيرة، ويدخلون الباب من قبل أستاههم، مع غير ذلك من أفعالهم التي آذوا بها نبيهم عليه السلام التي يصعب إحصاؤها. (١)

وذكر أذى اليهود لموسى عليه السلام صراحة في القرآن في معرض تحذير هذه الأمة من مشابهة اليهود فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً} [سورة الأحزاب ٦٩/٣٣] ، فكل ما سبق مما ذكرناه يصلح أن يكون مما آذى به اليهود نبيهم، ويورد بعض المفسرين نوعية معينة من الإيذاء:

١- فقيل: أنه إيذاؤه عليه السلام بوصفه الجسماني حين زعموا أنه آدر (٢) ، فعن أبي هريرة _ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن موسى عليه السلام كان

(١) للتفصيل انظر تفسير الطبري ج ١/ص ٢٨٩

(٢) الأدره- بالضم نفخة في الخصية يقال رجل آدر بين الأدر و المأدور الذي ينفثق صفاقه فيقع قصبه ولا ينفثق إلا من جانبه الأيسر وقيل هو الذي يصيبه فتق في إحدى وقيل الأدره الخصية والخصية الأدره العظيمة من غير فتق آدر بين الأدره بفتح الهمزة والذال وهي التي تسميها الناس القبلة ومنه الحديث إن بني إسرائيل كانوا يقولون إن موسى آدر (لسان العرب ج ٤/ص ١٥)

رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده، إما برص وإما أدرّة وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فأراه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً قال: فذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً } [سورة الأحزاب ٣٣/٦٩] ((١)

٢- وقيل: أن أذاهم إياه: اتهمهم إياه قتل هارون أخيه عليه السلام كما في أثر ابن عباس رضي الله عنهما الذي مر معنا. (٢) وحسبك بهذه التهمة الجريئة، وإن كانت غير مستغربة منهم.

وبكل حال: "جائز أن يكون ذلك كان قيلهم إنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون عليه السلام. وجائز أن يكون كل ذلك، لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا." (٣)

قال ابن كثير رحمه الله: "يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم."

٣- ولعل ابن كثير يقصد: اتهمهم له بالزنا كما في أثر ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لما أمر الله موسى عليه السلام بالزكاة، قال: رموه بالزنا، فجزع من ذلك، فأرسلوا إلى امرأة كانت قد أعطوها حكمها، على أن ترميه بنفسها؛ فلما جاءت عظم

(١) صحيح البخاري ٣٤٠٤

(٢) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه المستدرک على الصحيحين ج٢/ص٦٣٣ وضعفه ابن حجر وقال: وفي الإسناد ضعف ولو ثبت لم يكن فيه ما يمنع أن يكون في الفريقين معا لصدق أن كلا منهما آذى

موسى فبرأه الله مما قالوا والله أعلم: فتح الباري ج٦/ص٤٣٨

(٣) تفسير الطبري ج١/ص٢٩٠

عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبيني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت. قالت: إذ قد استحلقتني، فإني أشهد أنك بريء، وأنت رسول الله.)) (١)

وفي تحذير الله للمسلمين من التشبه ببني إسرائيل في أذيتهم نبههم موسى. أن لا يؤذوا محمداً صلى الله عليه وسلم بأي شيء، كيف وهو - فداه أبي وأمي - {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} {سورة التوبة ١٢٨/٩} وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يذكر موسى عليه السلام كثيراً ويثني على صبره ممن آذاه ويتمثل أمر الله له: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ} {سورة الأحقاف ٤٦/٣٥} وعن عبد الله بن مسعود _ قال: ((قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله قال فقلت: يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه.)) ثم قال: ((رحمة الله على موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر.)) (٢)

وفي رواية: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ((لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال فقسمه، قال: فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة. قال: فثبت حتى سمعت ما قالاً ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال: دعنا منك لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر.)) (٣)

(١) تفسير الطبري ج ٢٠/ص ١١٦ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٩/ص ٣٠٠٦ عساكر في تاريخ دمشق (٩٧/٦١-٩٨).
كلهم في قصة خسف قارون وقال ابن كثير بعد هذا الخبر: وقد ذكر ههنا إسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحا
(تفسير ابن كثير ج ٣/ص ٤٠٢)

(٢) رواه البخاري ٣٤٠٥ ومسلم ١٠٦٢

(٣) رواه أحمد ١٣٩٥ و أبو داود ١٣٩٥ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم ٦٣٢٢

المطلب الرابعة : أفتراؤهم على داود وسليمان عليهما السلام

الآثار

داود عليه السلام

قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾} [سورة المائدة ٥/٧٨]

٤٥٠-٩٦٠١ - حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن حصين، عن مجاهد: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} قال: لعنوا على لسان داود عليه السلام فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى عليه السلام فصاروا خنازير. (١)

قوله تعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ} [سورة ص ٣٨/٢٤].

٤٥١-٢٢٩٤٠ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم قال: لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي؛ ودخل محرابه ونشر زبوره يقرؤه وفي الحراب كوة تطلعه على تلك الجنيئة فيينا هو جالس يقرأ زبور إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة فرفع رأسه فأراها فأعجبته ثم ذكر ما كان قال: لا يشغله شيء عما دخل له فنكس رأسه وأقبل على زبوره فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة ف وقعت بين يديه فتناولها بيده فاستأخرت غير بعيد فاتبعها فنهضت إلى الكوة فتناولها في الكوة فتصوبت إلى الجنيئة فأتابعها بصره أين تقع فإذا المرأة جالسة تغتسل بميئة الله أعلم بما في الجمال والحسن والخلق؛ فيزعمون أنها لما رآته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه واختطف قلبه ورجع إلى زبوره ومجلسه وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها. وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ولداود تسع وتسعون امرأة؛ فلما أصيب زوجها خطبها داود فنكحها فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه مثلا يضربه له ولصاحبه فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال: ما أدخلكما علي؟ قالا: لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة {خَصَمَانِ بَغْيِ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ} [سورة ص ٣٨/٢٢] فجئناك لتقضي بيننا {فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ} أي احملنا على الحق ولا تخالف بنا إلى غيره؛ قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة: {إِنَّ

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣١٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٨٢) - تفسير الدر المنثور (٣ / ١٢٦)

هَذَا أَخِي} [سورة ص ٢٣/٣٨] أَي عَلَى دِينِي {لَهُ تَسَعٌ وَتَسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا} [سورة ص ٢٣/٣٨] أَي اِحْمَلْنِي عَلَيْهَا ثُمَّ عَزَى فِي الْخَطَابِ: أَي قَهَرَنِي فِي الْخَطَابِ وَكَانَ أَقْوَى مِنِّي هُوَ وَأَعَزَّ فَحَازَ نَعَجَتِي إِلَى نَعَاجِهِ وَتَرَكَنِي لِأَشْيَاءٍ لِي؛ فَغَضِبَ دَاوُدُ فَنَظَرَ إِلَى حَصْمِهِ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ فَقَالَ: لَنْ كَانَ صَدَقَتِي مَا يَقُولُ لِأَضْرِبَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْكَ بِالْفَأْسِ! ثُمَّ ارْعَوَى دَاوُدُ فَعَرَفَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَرَادُ بِمَا صَنَعَ فِي امْرَأَةِ أُورِيَا فَوَقَعَ سَاحِدًا تَائِبًا مَنِيئًا بَاكِيًا فَسَجَدَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا صَائِمًا لَا يَأْكُلُ فِيهَا وَلَا يَشْرَبُ حَتَّى أَنْبَتَ دَمْعَهُ الْخَضِرُ تَحْتَ وَجْهِهِ وَحَتَّى أَنْدَبَ السَّجُودَ فِي لَحْمِ وَجْهِهِ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَبِلَ مِنْهُ. وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: أَي رَبِّ هَذَا غَفَرْتَ مَا جَنَيْتَ فِي شَأْنِ الْمَرْأَةِ فَكَيْفَ بَدَمَ الْقَتِيلِ الْمَظْلُومِ؟ قِيلَ لَهُ: يَا دَاوُدَ - أَمَا إِنْ رَبِّكَ لَمْ يَظْلِمْهُ بَدَمَهُ وَلَكِنَّهُ سَيَسْأَلُهُ إِيَّاكَ فَيُعْطِيهِ فَيُضَعُّهُ عِنْدَكَ؛ فَلَمَّا فَرَجَ عَنِ دَاوُدَ مَا كَانَ فِيهِ رَسْمٌ حَظِيئَتُهُ فِي كَفِّهِ الْيَمْنِيِّ بَطْنِ رَاحَتِهِ فَمَا رَفَعَ إِلَى فِيهِ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا قَطُّ إِلَّا بَكَى إِذَا رَأَاهَا وَمَا قَامَ حَظِيئًا فِي النَّاسِ قَطُّ إِلَّا نَشَرَ رَاحَتَهُ فَاسْتَقْبَلَ بِهَا النَّاسَ لِيُرَوْا رَسْمَ حَظِيئَتِهِ فِي يَدِهِ. (١)

سليمان عليهما السلام

قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة ١٠١/٢]

٤٥٢-١٣٦٤ - حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} قال: لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت؛ فذلك قوله الله: {كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}. (٢)

قوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [سورة البقرة ١٠٢/٢]

٤٥٣-١٣٧٠ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق قال: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام فكتبوا أصناف السحر: من كان يجب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا. حتى إذا صنعوا أصناف السحر جعلوه في كتاب. ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ١٤٩) والمستدرک علی الصحیحین عن السدي (٢ / ٦٤١) إسناده ضعيف. وهذه

رواية من روايات كثيرة هذا مجملها كلها من الإسرائيليات انظر الإسرائيليات في التفسير لابي شهبه ص ٢٦٤ - ٢٦٩

(٢) تفسير الطبري ١٣٥/١ تفسير الدر المنثور (١ / ٢٣٣) - تفسير القرطبي (٢ / ٤١) - تفسير ابن كثير (١ /

سليمان وكتبوا في عنوانه: "هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم". ثم دفنوه تحت كرسيه فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا: ما كان سليمان بن داود إلا بهذا. فأفشوا السحر في الناس وتعلموه وعلموه فليس في أحد أكثر منه في يهود. فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عده من المرسلين قال من كان بالمدينة من يهود: ألا تعجبون لمحمد صلى الله عليه وسلم يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا! والله ما كان إلا ساحرا! فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم . (باختصار) (١)

٤٥٤-١٣٦٦ - حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ} على عهد سليمان. قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا. حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم، فأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة. فاكتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب. فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال: "لا اسمع أحدا يذكر أن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه". فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف بعد ذلك خلف، تمثل الشيطان في صورة إنسان، ثم أتى نفرا من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كثر لا تأكلونه أبدا؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان. فقام ناحية، فقالوا له: فادن! قال: لا ولكني هاهنا في أيديكم، فإن لم تجدوه فاقتلوني. فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر. ثم طار فذهب. وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب. فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها، فذلك حين يقول: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ}. (٢)

٤٥٥-١٣٦٧ - حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: {وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ} قالوا: إن اليهود سألو محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سأله عنه فيخصهم. فلما

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٥٠) تفسير ابن كثير (١ / ١٣٧) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/١٣٦) تفسير الدر المنثور (٦ / ٦٨٤) - تفسير ابن كثير (١ / ١٣٦)

رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا. وإيهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله جل وعز: {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}. وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت مجلس سليمان، وكان سليمان لا يعلم الغيب، فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر، وخذعوا به الناس وقالوا: هذا علم كان سليمان يكتبه ويحسد الناس عليه. فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث. فرجعوا من عنده، وقد حزنوا وأدحض الله حججتهم. (١)

٤٥٦-١٣٨٥ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال: لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت: من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدير الشمس وليقل كذا وكذا. فكتبته وجعلت عنوانه: "هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم" ثم دفنته تحت كرسيه. فلما مات سليمان قام إبليس خطيبا فقال: يا أيها الناس إن سليمان لم يكن نبيا وإنما كان ساحرا فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته! ثم دلم على المكان الذي دفن فيه فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا قهرنا. فقال المؤمنون: بل كان نبيا مؤمنا. فلما بعث الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم جعل يذكر الأنبياء حتى ذكر داود وسليمان فقالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء وإنما كان ساحرا يركب الريح. فأنزل الله عذر سليمان: {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ} الآية. (٢)

(١) تفسير الطبري (١٣٦/١) تفسير الدر المنثور (١ / ٢٣٤) - تفسير ابن كثير (١ / ١٣٦) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٥٠) - تفسير ابن كثير (١ / ١٣٧)

الدراسة

داود عليه السلام :

نبى الله داود عليه السلام ، من الرسل الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل، وقد آتاه الله الملك والنبوة، وهو من سبط يهوذا بن يعقوب، وقد ذكره الله في عدة آيات وقال: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا} [سورة الإسراء ١٧/٥٥].

فبعد انقضاء المدّة التي أقامها بنو إسرائيل في التيه - وهي أربعون (٤٠) سنة - وبعد وفاة هارون وموسى عليهما السلام ، تولى أمر بني إسرائيل نبي من أنبيائهم اسمه (يوشع بن نون عليه السلام)، فدخل بهم بلاد فلسطين، وقسم لهم الأرضين. وكان لهم تابوت يسمونه تابوت الميثاق أو "تابوت العهد"، فيه ألواح موسى عليه السلام وعصاه ونحو ذلك ولما توفي يوشع بن نون، تولى أمر بني إسرائيل قضاة منهم، ولذلك سمي الحكم في هذه المدّة: حكم القضاة.

وفي هذه المدّة دبّ إلى بني إسرائيل التهاون الديني، فكثر فيهم المعاصي، وفشا فيهم الفسق، إلى أن ضيعوا الشريعة، ودخلت في صفوفهم الوثنية، فسلب الله عليهم الأمم، فكانت قبائلهم عرضة لغزوات الأمم القريبة منهم، وكانوا إلى الخذلان أقرب منهم إلى النصر في كثير من مواقعهم مع عدوهم، وكثيراً ما كان خصومهم يخرجونهم من ديارهم وأموالهم وأبنائهم.

وفي أواخر هذه المدّة سلب منهم "تابوت العهد"، في أحد حروبهم، وكان ممن يدبر أمرهم في أواخر مدّة حكم القضاة نبي من أنبياء بني إسرائيل من سبط لاوي اسمه: (صمويل)، يتصل نسبه بهارون عليه السلام .

فطلب بنو إسرائيل من (صمويل) أن يجعل عليهم ملكاً يجتمعون عليه، ويقاتلون في سبيل الله بقيادته، وهو قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ

دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ {
[سورة البقرة ٢/٢٤٦].

فسأل شمويل ربه في ذلك، فأوحى الله إليه أن الله قد جعل عليهم ملكاً منهم اسمه (طالوت) من سبط بنيامين، وكانت قبيلة بنيامين في ذلك العهد قد أوشكت على الفناء في حرب أهلية وفتن داخلية قامت بين بني إسرائيل، فاستنكروا أن يكون طالوت ملكاً عليهم.

قال الله عز وجل : { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [سورة البقرة ٢/٢٤٧]. فسألوا عن دليل ربي يدهم على أن الله ملكه عليهم، فقال لهم نبيهم شمويل: { إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ } [سورة البقرة ٢/٢٤٨]. وأعطاهم صمويل موعداً مجيء التابوت تحمله الملائكة، فخرجوا لاستقباله فلما وجدوا التابوت قد جيء به حسب الموعد أذعنوا لملك طالوت، فكان أول ملك من ملوك بني إسرائيل.

جمع طالوت صفوف بني إسرائيل، وهبأهم لمحاربة عدوهم، وخرج بهم، ثم اصطفى منهم بضعة عشر وثلاث مائة خلاصة للقتال، يقارب عددها عدد المسلمين في غزوة بدر. كما في حديث البراء _ قال: ((كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن.))

وهم الذين وصفهم الله لنا بقوله: { فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ

بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِيَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِيَّةً
كَثِيرَةً يَا ذَنْ لِلَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [سورة البقرة ٢/٢٤٩].

وهؤلاء القلة هم الذين اصطفاهم طالوت للقتال، وهي التي جاوزت النهر وواجه بها طالوت الأعداء. ثم لقي طالوت خصومه الوثنيين، وكان رئيسهم قوياً شجاعاً فرهبه بنو إسرائيل، وكان داود عليه السلام فتى صغيراً في الجند فرأى داود جالوت وهو يطلب المبارزة معتداً بقوته وبأسه، والمقاتلون من بني إسرائيل قد رهبوه وخافوا من لقاءه، وكان الملك قد وعد أن من يقتل هذا الرجل الجبار، يزوجه ابنته، ويجعل له الملك. فذهب داود إلى الملك طالوت وطلب منه الإذن بمبارزة جالوت، فضنَّ به طالوت وحذره. وأقبل داود على جالوت وأخذ مقلاعه - وكان ماهراً به - وزوَّده بحجرٍ من أحجاره، ورمى به فثبت الحجر في جبهة جالوت الجبار فطرحه أرضاً، ثم أقبل إليه وأخذ سيفه وفصل به رأسه، وتمت الهزيمة لجنود جالوت بإذن الله!

قال الله تعالى: { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } [سورة البقرة ٢/٢٥١].

اتسعت مملكة بني إسرائيل على يد داود عليه السلام ، وآتاه الله مع الملك النبوة، وجعله رسولاً إلى بني إسرائيل يحكم بالتوراة، كما أنزل عليه (الزبور) وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب. (١)

وقد أثنى عليه نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر فضل عبادته فقال: ((إن أحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.)) (٢)

وأهم ما ذكر الله في سيرة داود في القرآن الكريم:

إثبات نبوته ورسالته، وأن الله أوحى إليه وأنزل عليه الزبور، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وعلمه مما

(١) ملخصاً من تاريخ الطبري ٢٨٢/١ وما بعدها وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٧/٨٠ وقصص النبياء لابن كثير ص ٥٦٧.

(٢) رواه مسلم ج ٢/ص ٨١٦ عن عبد الله بن عمرو ر.أ.

يشاء، وأمره أن يحكم بين الناس بالحق.

إثبات أنه قتل جالوت في المعركة التي قامت بين بني إسرائيل وعدوهم بقيادة طالوت.

إثبات أن الله أنعم عليه بنعم كثيرة منها:

أن الله آتاه الملك وشده له، وجعله خليفة في الأرض، وأعطاه قوة في حكمه.

أن الله سخر الجبال والطيور يسبحن معه في العشي والإبكار.

"لقد آتاه الله صوتاً حسناً، وقدرة على الإنشاد البديع، فهو يصدح بصوته بتسبيح الله وتحميده، ويتغنى

فيه بكلام الله في الزبور في العشي والإبكار، فترجع الجبال معه التسبيح والتحميد، وتجتمع عليه الطيور فترجع معه تسيحاً .

أن الله آتاه علم منطلق الطير، كما أتى ولده سليمان عليه السلام من بعده مثل ذلك.

أن الله ألان له الحديد، فهو يتصرف بطيه وتقطيعه ونسجه

أن الله علمه صناعة دروع الحرب المنسوجة من زرد الحديد.

عرض قصة الخصمين اللذين تسورا على داود عليه السلام ، ودخلا عليه المحراب في وقت عبادته الخاصة

التي يخلو بها ولا يسمح لأحد أن يدخل عليه فيها، ففرع داود منهما، لأنهما لم يستأذنا بالدخول عليه، ولم

يدخلا محرابه من بابه، فقالا له: { لَا تَخَفْ حَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا

بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ } . فأصغى لهما داود، فقال أحد الخصمين: { إِنْ

هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا } - أي: ملكيتها-

{ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ } [سورة ص ٢٣/٣٨] أي: غلبني في المخاصمة بنفوذ أو بقوة، وسكت الآخر

سكوت إقرار. فقال داود: { لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ

لِيُغَيِّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ } [سورة ص

٢٤/٣٨]. وانصرف المتسوران دون أن يعلقا بشيء على ما أفتى به داود. فرجع داود إلى نفسه، فعرف أن

الله أرسل إليه هؤلاء القوم بهذا الاستفتاء ابتلاء، وذلك لينبهه على أمر ما كان يليق به أن يصدر منه بحسب

مقامه، { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } تائباً من ذنبه، خائفاً من ربه. هذا هو نبي الله داود

الذي آتاه الله الملك والنبوة وآتاه الزبور فكيف ينظر إليه اليهود؟

في الآثار الكثيرة التي نقلها بعض الرواة عن أهل الكتاب قذفه عليه السلام بالزنا

والخيانة وارتكاب الموبقات ما يتتزه وصفه عن آحاد الناس فكيف بنبي الله، والروايات

الكثيرة التي ساقها الإمام ابن جرير في قصة داود عليه السلام فيها أباطيل كثيرة، يردها

الشرع، ولا يقبلها العقل، ثم لم يعقب عليها رحمه الله بما يُفيد بطلانها!، وليته فعل مع أنها

اشتملت على منكرات كثيرة، وتناقضاتٍ وخرافاتٍ غير مقبولة، هي مما أخذ عن أهل الكتاب. (١)

فقولهم: إن داوود عليه السلام اطلع على امرأة وهي تغتسل فأعجبته، ثم قدم زوجها في الحرب ليقتل، ثم تزوجها... كل ذلك مما يقدر بالأنبياء، وينفي عنهم العصمة، "وما كان لداود عليه السلام ولا لأي نبي أن يسقط إلى هذا الحد في حمأة الشهوة، فيزني بامرأة غيره، ويحتال على قتله إنَّها لفرية بلقاء مفضوحة" (٢)

وقد مدح الله جلّ وعلا داوود عليه السلام في كتابه قبل ذكر هذه القصة وبعدها بصفاتٍ عديدة وكلّها تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر، والعمل القبيح، وتدللّ على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب.

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآيات: "قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه." (٣)

(١) هذه القصة متطابقة تماماً في مضمونها مع ما ورد في التوراة، سفر صموئيل الثاني الإصحاح (١١) إلا أنّها زادت إفكاً، فآثمت داوود A بالزنا بل جعلوا هذه المرأة هي أم سليمان A كما في الرواية (٢٢٩٣٨) عند الطبري: وقال قتادة: (بلغنا أم سليمان) وهذا مذكور في سفر صموئيل الثاني، الإصحاح (١٢) وأيضاً في إنجيل متى، الإصحاح الأول. - وانظر ابن حزم في الفصل (٤/١٨-١٩) وأبو شهبه في الإسرائيليات ص ٢٦٩. والقران والتوراة حسن باشا ٣٢٥ - وقال القاسمي: (وهذه القصة من احتلاق اليهود ونقولاهم ، ولم يقل بما القرآن قط ، وإنما ذكرها التلمود ، كما يعلم من مراجعة مدراس يدكوت في الإصحاح الثالث والثلاثين ، وجاراه جهلة القصاص من المسلمين ، فأخذوها منه) — محاسن التأويل (٢١٢/٢)

،ونقدها العلامة أحمد شاکر في تعليقه على الروايات التي ساقها الطبري في تفسيره : فقال: "وهذه الأخبار، في قصة هاروت وماروت، وقصة الزهرة، وأما كانت امرأة فمسخت كوكباً، أخبار أهل العلم بالحديث." ثم ذكر ما قاله ابن كثير في تفسيره وتاريخه - البداية والنهاية - عن القصة، ووافقه على ذلك حيث يقول: "وهذا هو الحق، وفيه القول الفصل والحمد لله." حاشية تفسير الطبري ط شاکر (٤٣٤/٢).

(٢) الإسرائيليات للذهبي ص ٣١

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤/ص ٣٢ وقال في تاريخه: وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيلية ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصداً اكتفاءً واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - البداية والنهاية ١٢/٢ وأورد النسفي في تفسيره: (اقال على _ من حدثكم بحديث داود A على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت

وقال ابن حزم : "وهذا قولٌ صادقٌ صحيحٌ لا يدلُّ على شيءٍ ممَّا قاله المستهزءون الكاذبون المتعلِّقون بخرافاتٍ ولِّدها اليهود، وإنَّما كان ذلك الخضم قوماً من بني آدم بلا شكٍّ مختصمين في نجاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نصِّ الآية، ومَن قال إنَّهم كانوا ملائكةً معرَّضين بأمر النَّساء، فقد كذب على الله عز وجل ، وقوله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله عز وجل ، وأقرَّ على نفسه الخبيثة أنَّه كذب الملائكة؛ لأنَّ الله تعالى يقول : {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ} فقال هو: لم يكونوا قطَّ خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قطَّ لأحدهما تسعٌ وتسعون نعجةً، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له: أكفنيها، فاعجبوا لما يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم، ونعوذ بالله من الخذلان، ثمَّ كلَّ ذلك بلا دليل، بل الدَّعوى المجرَّدة." (١)

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : "وهذا الذَّنْب الذي صدر من داوود عليه السلام لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرُّض له من باب التَّكَلُّف، وإنَّما الفائدة ما قصَّه الله علينا، من لطفه به، وتوبته، وإنابته، وأنه ارتفع محلّه، فكان بعد التَّوبَة أحسن منه قبلها." (٢)

وأما داود عليه السلام فالذي ورد عنه في حق بني إسرائيل في القرآن أنه لعنهم كما قال تعالى: {لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [سورة المائدة ٥/٧٨] والسبب بين في كتاب الله "لعن الله الذين كفروا من اليهود بالله على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام ، ولعن والله آباؤهم على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام ، بما عصوا الله فخالفوا أمره وكانوا يعتدون، يقول: وكانوا يتجاوزون حدوده." (٣)

على ما ذكرت وكف الله عنها سترها على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب الى

مما طلعت عليه الشمس) تفسير النسفي ج ٤/ص ٣٦

(١) في الفصل ٤/١٨-١٩

(٢) تفسير السعدي ٤١٦/٦

(٣) تفسير الطبري ج ٦/ص ٣١٩

وقد وضحه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن مسعود _ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يجلب لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً.)) (١) أي لعنوا في الزبور والإنجيل؛ فإن الزبور لسان داود عليه السلام ، والإنجيل لسان عيسى عليه السلام أي لعنهم الله في الكتابين. (٢)

وذلك يدل على تماوتهم بأمر الله وأن معصيته خفيفة عليهم فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر _ مع القدرة _ موجباً للعقوبة لما فيه من المفاصد العظيمة. (٣)

سليمان عليه السلام :

وأما نبي الله سليمان عليه السلام فهو من الرسل الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل بعد أبيه داود عليه السلام ، {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾} [سورة ص ٣٠/٣٨]. وقد انفردا من بين الرسل عليهم السلام بأن الله آتاهما الملك والنبوة. وآتاه الله علماً، وفضله وأباه على عالمي زمانه، كما قال أبوه داود عليه السلام من قبل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾} [سورة النمل ١٥/٢٧].

وكان داود عليه السلام أوصى بالملك لولده سليمان عليه السلام ، وكان سليمان ممن آتاهم الله الحكمة والفظانة وحسن السياسة. واتسع ملك سليمان عليه

(١) رواه ابو داود ج٤/ص١٢١ و ابن ماجه ج٢/ص١٣٢٧ و الترمذي ج٥/ص٢٥٢ وقال حديث حسن غريب

(٢) تفسير القرطبي ج٦/ص٢٥٢

(٣) تفسير السعدي ج١/ص٢٤١

السلام ، وحاز الشام، ثم امتد ملكه حتى كان له نفوذ على ملوك اليمن، وخضعت له ملكة سبأ، فأمنت به ودخلت في دينه وطاعته.

ومن النعم التي خص الله به سليمان عليه السلام ما يلي:

أن الله آتاه الملك ميراثاً من أبيه داود عليه السلام ، قال تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ} [سورة النمل ١٦/٢٧].

أن الله آتاه علم منطق الطير، كما أتى أباه داود مثل ذلك من قبله.

أن الله آتاه الحكمة والفهم والفقہ على حداثة سنه، {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [سورة الأنبياء ٧٩/٢١]

أن الله سخر لسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره حيث أراد، غُدُوها شهر ورواحها شهر، فإذا أرادها رخاء جرت بأمره رخاء حيث أصاب، وإذا أرادها عاصفة جرت بأمره عاصفة إلى الأرض التي أراد فتسوق له السفن حسب إرادته، وتتجه بأمره إلى الأرض التي يوجهها إليها حسب المصالح التي يقدرها. أن الله سخر له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يزغ منهم عن أمر الله يذقه من عذاب السعير، يعملون له ما يشاء من محاريب (١) وتماثيل، وجفان كالجواب، وقدور راسيات.

(١) ذكر في القرآن المحاريب ولم يذكر ما يسمى الهيكل، كما ينقل بعض المؤلفين المتأثرين بالتوراة والتلمود لقد ورد اسم المحراب في قصة النبي داود وكان يتعبد في هذا المحراب كما ورد المحراب مع زكريا ومع مريم مما يشير إلى وجود مكان للعبادة معروف للجميع لكن اللافت أنه لم يرد في القرآن ذكر لسليمان ^À وعلاقته بهذا المحراب أو أن له اهتماماً خاصاً به بل على العكس من ذلك نرى القرآن يذكر أن الجن تبني لسليمان ^À محاريب متعددة وليس محراباً واحداً مميزاً ومحدداً ولتكون هذه المحاريب أمكنة يُتَعَبَدُ بها لله فما أورده القرآن الكريم في قوله تعالى: (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات). "سورة سبأ، ١٢ — ١٣" ينفي تماماً ما أورده التوراة من بناء ما يسمى هيكل سليمان: انظر القرآن والتوراة حسن الباشا ٣٢٤-٣٤٤ بتصرف - وقد ثبت أن سليمان ^À هو الذي أكمل بناء المسجد الأقصى كما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً ((أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلافاً ثلاثاً)) الحديث.. و صححه ابن حجر في فتح الباري ج ٦/ص ٤٠٨

من الطريف أن التوراة تذكر أن (الملك سليمان) -وليس النبي- صرف في بنائه سبع سنين وقام بالعمل فيه ثلاثون ألف رجل و ٨٠ ألفاً كانوا يقطعون الحجارة و ٧٠ ألفاً يحملونها، وعلى رؤوس هؤلاء كان يوجد ٣٣٠٠ وكيل، أي أن مجموع من شارك في البناء بلغ نحو ١٨٤ ألف شخص على مدى سبع سنوات لكي يبنوا هيكلًا طوله ٦٠ ذراعاً وعرضه عشرون وارترافعه ثلاثون بحسب وصف التوراة، أي أن أبعاده ٣١ ضرب ٥، ١٠، ضرب ١٥ متر هذا يساوي ٣٢٥ متراً مربعاً فقط وهذه مساحة لا تحتاج لكل هذا الطاقم الكبير ولكنه

كما سخر له من الشياطين - وهم مَرَدَّة الجن - من يغوصون له في البحار، لاستخراج ما يريد منها، ومن يبنون له المباني الضخمة، كما سلطه الله على آخرين من الشياطين إذ يكف شرهم عن الناس، وذلك بتقييدهم بالأغلال. قال الله تعالى: { فَسَحَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ } [سورة النمل ٣٨-٣٦/٣٨].

أن الله سخر له الجنود من الجن والإنس والطير، يجتمعون بأمره ويطيعونه. قال تعالى: { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ } [سورة النمل ١٧/٢٧].
 أن الله أسال له عين القطر - وهو النحاس - فكان النحاس يتدفق له مذاباً من عين خاصة كتدفق الماء.

ومن الأحداث التي حرت لسليمان عليه السلام ، قصته مع ملكة سبأ، كما في سورة النمل. والله أعلم (١)

وحين يذكر اليهود سليمان عليه السلام ، يذكره كثير منهم، على أنه ملك أو ساحر (٢) ، كما في جرأة اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم (ألا تعجبون لمحمد يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً! والله ما كان إلا ساحراً) وذمهم الله باتباعهم السحر ثم نسبته إلى نبي الله سليمان عليه السلام ، واختلف هل المذموم اليهود الذين كانوا على عهد سليمان عليه السلام ، أم المعاصرين لنبينا صلى الله عليه وسلم ، والصواب أنه للجميع؛ "لأن المتبعة ما تلتته الشياطين في عهد سليمان عليه السلام".

التحريف السامح، وما زال اليهود منذ احتلالهم للأرض المباركة ينقبون عن "هيكل الرب" وهو قدس الأقداس لدى اليهود قاطبة، وحتى الآن لم يكتشف اليهود أي أثر لهذا الهيكل الأسطوري. ولن يكتشفوه لأنه لا حقيقة له، ثم ينفذوا أفذر خططهم والتي يعملون عليها بجد وهي هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه- ولمعرفة من انساق وراءه هيكلة الهيكل من المؤلفين في الدراسات اليهودية انظر كتاب (خطر التوراة على الكتاب المحدثين) د فضل العماري فقد أفاد وأجاد

(١) ملخصاً من تاريخ الطبري ٢٨٧/١ وما بعدها وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢٠/٢٢٠ والبداية والنهاية لابن كثير ١٨/٢.

(٢) كما في بعض نصوص التوراة انظر القران والتوراة حسن الباش ٣٤٠/١ قال ابن تيمية: فإن كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه منهم من يقول كان ساحراً وأنه سحر الجن بسحره ومنهم من يقول سقط عن درجة النبوة فيجعلونه حكيماً لا نبياً (الجواب الصحيح ج ٣/ص ٣٨) قال ابن كثير: (وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان .) تفسير ابن كثير (٦٠/٧)

السلام وبعده إلى أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالحق وأمر السحر لم يزل في اليهود.. وكل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية". (١)

قال تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [سورة البقرة ١٠٢/٢]

فاليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلو الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله وبه حصل له الملك العظيم، وهم كذبة في ذلك فلم يستعمله سليمان بل نزهه الله {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} أي بتعلم السحر فلم يتعلمه {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} بذلك {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق أنزل عليهما السحر امتحاناً وابتلاءً من الله لعباده فيعلمانهم السحر، وما يعلمان من أحد حتى ينصحاه ويقولوا: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} أي لا تتعلم السحر فإنه كفر، فின்றانه عن السحر ويجرانه عن مرتبته فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة، فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه الشياطين والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه. (٢)

وصرح في الآية بتسمية من يعلم الناس السحر في مدينة بابل: أنهما هاروت وماروت وليس غيرهما كما يزعم بعض اليهود، "لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل عليهما السلام إلى سليمان بن داود عليه السلام . فأكذبهما الله بذلك وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم يتزلا

(١) تفسير الطبري ج ١/ص ٤٤٨ باختصار

(٢) تفسير السعدي ج ١/ص ٦١ بتصرف

بسحر قط، وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر، فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تعلم الناس ببابل، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت؛ فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة على الناس ورداً عليهم." (١)

ويلاحظ في الآية أنها نفت الكفر عن سليمان عليه السلام وليس السحر؟ ولم يصفه أحد بالكفر صراحة.

والسبب - والله أعلم - أن الشياطين كانوا ينسبون السحر لسليمان عليه السلام فيحسنونه للناس فيقبلون عليه، كما أنها تجعل بعضهم يكرهه لأجل ذلك ويعتبرونه ساحراً لا رسولاً، ولذلك نفى الله الكفر عن سليمان لأنه نتيجة السحر وهو ليس بساحر كما تفتري عليه اليهود.

وأما تفاصيل القصة المذكورة في من يعلم الناس السحر فقد قال ابن كثير رحمه الله :
"وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم وقصتها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال." (٢)

ما ورد في فتنة سليمان

عرض القرآن الكريم لقصة فتنة سليمان عليه السلام ، وإلقاء الجسد على كرسيه، وذلك في قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} [سورة ص ٣٨/٣٤] وعلى كثرة الآثار الواردة عن السلف في ماهية هذه الفتنة إلا أنه لم يثبت بخبر صحيح الأمر الذي فتن الله به سليمان، ولا المراد من قوله تعالى:

(١) تفسير الطبري ج ١/ص ٤٥٥

(٢) تفسير ابن كثير ج ١/ص ١٤٢

{وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً}. وقد ذكر المفسرون عدة وجوه يحتملها النص،

ولكن لا سبيل إلى الجزم بواحد منها، وحكوا في ذلك قصصاً لا أصل لها! (١)

وقد استأنس بعض المفسرين في شرح المراد من هذه الآية بما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أن سليمان عليه السلام قال: لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. قال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون.)) (٢)

فعل المراد من فتنة سليمان عليه السلام ابتلاؤه بما آتاه الله من ملك عظيم، ونساء كثيرات حرائر وإماء، وتمنيه أن يكون له من صلبه أولاد كثيرون يقاتلون في سبيل الله، ونسيانه تعليق ذلك على مشيئة الله تعالى، وذلك إذ أخذ على نفسه أن يطوف في ليلة واحدة على عدد كبير من نساته، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، وتجاوز بذلك حدود بشريته، ونسي أن يفوض تحقيق الأمر إلى مشيئة الله تعالى، فجوزي على هذا بأن النساء اللواتي طاف عليهن لم يحملن منه إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. قالوا: فلعل هذا الشق هو المراد من قوله تعالى: {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} [سورة ص ٣٨/٣٤]، فلما رأى سليمان ذلك

(١) قال ابن كثير عن رواية ابن عباس (إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب .. وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب . والله أعلم بالصواب) اهـ تفسير ابن كثير (٦٠/٧) . ويدل عليه ما أورده السيوطي في تفسيره قال السيوطي: أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن ابن عباس (قال أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هي حتى سألت عنهن كعب الأحبار ... وسألته عن قوله {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} قال الشيطان أخذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه فقدف به في البحر فوقع في بطن سمكة فانطلق سليمان يطوف إذ تصدق عليه بتلك السمكة فاشتواها فأكلها فإذا فيها خاتمه فرجع إليه ملكه - الدر المنثور - السيوطي ج٧/ص١٨٠ وتفسير عبد الرزاق ج٣/ص١٦٥

(٢) رواه البخاري في ستة مواضع باختلاف يسير رقم ٣٤٢٤ ومسلم ١٦٥٤ قال الشنقيطي - بعد استشهاده بالحديث -: (فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله إن شاء الله وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقى على كرسيه بعد موته) - أضواء البيان - (٢٥٤/٣)

رجع إلى ربه وأتاب، وقال: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } { سورة ص ٣٨/٣٥ } (١)

نبيه

وردت آثار كثيرة في ذكر جملة من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام مثل (إلياس، شمويل، إرميا، أشعيا) وهناك اختلاف كبير في تسميتهم، وثبت ما يرد في حقهم و هذا من الإسرائيليات، كما قال ابن كثير عقب نقله فقراتٍ من هذه الروايات عن بعض الأنبياء : "ففي هذا نظرٌ، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحَّتها بعيدة. والله أعلم" (٢) وقد أعرضت عن إيرادها، اكتفاءً بذكر أهم ما ورد عن أبرز أنبياء بني إسرائيل وكيف عاملهم قومهم (٣) ، والموضوع يطول لو استقصي وفيما ذكر - مع التقصير - دال على غيره والله أعلم.

(١) الروايات الكثيرة التي أوردها الطبري ' مكثفياً باسنادها من غير تعليق على ما احتوته من نكارة متنها كما لم يثبت أغلبها سنداً، وما صحَّ منها لا يخرجها عن كونها من الإسرائيليات وكلُّ هذه الروايات مأخوذة عن أهل الكتاب كما قرّر ذلك الحافظُ ابنُ كثيرٍ ' في تفسيره (٤٠/٤) حيث قال: ((وقد رُوِيَ هذه القصة مطوّلة عن جماعة من السلف... وكلّها متلقّاةٌ من قصص أهل الكتاب)) اهـ. وانظر: تاريخه ٢/٣٤٠-٣٤١). وقال ابن حزم (وهذه كلّها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصحَّ إسنادها قط) الفصل (٢٠/٤) وتوسع في

ردها ابوشهبة في الاسرائيليات ص ٢٧٠

(٢) البداية والنهاية تاريخه (٢٧٤/٢)

(٣) وأما ما يوردونه في التوراة في حق الأنبياء من الأمور الشنيعة (من زنا وسكر وقتل وكذب وخداع) كالتي ذكرنا بعضها عند الكلام على تحريفهم للتوراة فيكفي في ردها انها تنادي على نفسها بالتحريف والكذب وعدم توقير انبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم للتوسع انظر بذل الجهود في افحام اليهود الذي كان من كبار احبارهم ثم اسلم

الفصل الخامس : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان باليوم الآخر.

الآثار:

المبحث الأول : وروده في شريعتهم:

قوله تعالى: { إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [سورة طه ٧٣/٢٠]

٤٥٧-١٨٢٦٩ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق { وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } خير منك ثواباً، وأبقى عذاباً. (١)

٤٥٨-١٨٢٧٠ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس في قول الله: { وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } قالوا: خيراً منك إن أطيع، وأبقى منك عذاباً إن عصي. (٢)

٤٥٩-١٨٢٧١ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: { وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى } [سورة طه ٧٥/٢٠] قال: عدن. (٣)

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ١٦٠) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الدر المنثور (٥ / ٥٨٧) - تفسير ابن كثير (٣ / ١٦٠)

(٣) - تفسير الطبري (١٦ / ١٩٠)

المبحث الثاني: زعمهم أن ذنوبهم مغفورة في الآخرة

قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيُقُولُونَ سَيُعْفَرُ لَنَا وَيَقُولُونَ سَيُعْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾} [سورة الأعراف ٧/١٦٩]

٤٦٠-١١٩٠٢ - حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ}.. إلى قوله: {وَدَرَسُوا مَا فِيهِ} قال: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم. وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا، فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى، فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي! فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع. فإذا مات أو نزع، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي، يقول: وإن يأت الآخري عرض الدنيا يأخذه. وأما عرض الأدنى، فعرض الدنيا من المال. (١)

٤٦١-١١٩٠٣ - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيُقُولُونَ سَيُعْفَرُ لَنَا} يقول: يأخذون ما أصابوا، ويتركون ما شاؤوا من حلال أو حرام، ويقولون: سيغفر لنا. (٢)

٤٦٢-١١٩٠٤ - وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى} قال: الكتاب الذي كتبه، ويقولون: {سَيُعْفَرُ لَنَا} لا نشرك بالله شيئا. {وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} يأثم المحق برشوة، فيخرجوا له كتاب الله ثم يحكموا له بالرشوة. وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة، وهو الكتاب الذي كتبه، فحكموا له بما في المثناة بالرشوة، فهو فيها محق، وهو في التوراة ظالم، فقال الله: {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

(١) تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٩٤) - تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦١) حسنه في التفسير الصحيح (٢ / ٢٨١)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ١٠٧) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٩٣) إسناده ضعيف

الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ { (١)

(١) تفسير الطبري (٩ / ١٠٧) - تفسير القرطبي (٧ / ٣١٢)

المبحث الثالث : إيمانهم بالموت والبعث

قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} [سورة الأعراف ٧/١٨٧]

٤٦٣-١١٩٩٩ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثنا سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال حمل بن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول، فإننا نعلم متى هي! فأنزل الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي} .. إلى قوله: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (١)

قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [سورة البقرة ٢/٩٦]

٤٦٤-١٣١٨ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد فيما يروي أبو جعفر، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} وذلك أن المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يجب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما ضيع مما عنده من العلم. (٢)

٤٦٥-١٣٢٢ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} حتى بلغ: {لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} يهود أحرص من هؤلاء على الحياة، وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة. (٣)

٤٦٦-١٣٢٨ - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ} فهم

(١) تفسير الطبري (٩ / ١٣٧) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٦١٩) - تفسير ابن كثير (٢ / ٥٦٢)

(٢) تفسير الطبري (٩ / ١٠٨) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٩) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٢١) - تفسير ابن كثير (١ / ١٣٠) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٩ / ١٠٨) تفسير ابن كثير (١ / ١٣٠)

الذين عادوا جبريل عليه السلام . (١)

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } ﴿١٣﴾

٤٦٧-٢٦٣٧٦- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: { لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } ... الآية، قال: قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة، لما عاينوا من أمر الآخرة، فكما يئس أولئك الكفار، كذلك يئس هؤلاء الكفار؛ قال: والقوم الذين غضب الله عليهم، يهودهم الذين يئسوا من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور، لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به، وما صنعوا وقد علموا. (٢)

قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ﴿٩٤﴾ [سورة البقرة ٩٤/٢]

٤٦٨-١٢٩٦- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثام بن علي، عن الأعمش، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: { فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه. (٣)

٤٦٩-١٣٠٨- حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله: { فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } وكانت اليهود أشد فرارا من الموت، ولم يكونوا ليتمنوه أبداً. (٤)

(١) تفسير الطبري (٤٣١/١) إسناده ضعيف

(٢) - تفسير الطبري (٢٨ / ٨٢) مصنف ابن أبي شيبة عن عكرمة بمعناه (٧ / ٢١٦)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤٢٤) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٧) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٢٠) - تفسير

ابن كثير (١ / ١٢٨) صححه في التفسير الصحيح (١٩٩/١)

(٤) - تفسير ابن كثير بمعناه عن الحسن (١ / ١٢٨)

المبحث الرابع : إيمانهم بالحساب

قوله تعالى: {وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾} [سورة آل عمران ٧٥/٣]

٤٧٠-٥٧٤٤ - حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} قال: يقال له: ما بالك لا تؤدي أمانتك؟ فيقول: ليس علينا حرج في أموال العرب، قد أحلها الله لنا. (١)

٤٧١-٥٧٤٨ - حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن صعصعة، قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: إنا نغزو أهل الكتاب، فنصيب من ثمارهم؟ قال: وتقولون كما قال أهل الكتاب: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} (٢)

٤٧٢-٥٧٤٩ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن صعصعة: أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إنا نصيب في الغزو - أو العذق، الشك من الحسن - من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، فقال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال نقول: ليس علينا بذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم. (٣)

(١) تفسير الطبري (٣ / ٣١٨) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٤٤)

(٢) - تفسير الطبري (٣ / ٣١٩) مصنف ابن أبي شيبة عن مجاهد نحوه (٦ / ٥٠٤)

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٣١٩) تفسير عبد الرزاق (١ / ١٢٤) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٤٤) - تفسير ابن

كثير (١ / ٣٧٥)

المبحث الخامس : إيمانهم بالجنة والنار

قوله تعالى: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض} [سورة آل عمران ١٣٣/٣]

٤٧٣-٦٢١٣ - حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا جعفر بن عون، أخبرنا الأعمش، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر _، فقال: تقولون: جنة عرضها السموات والأرض أين تكون النار؟ فقال له عمر: أرأيت النهار إذا جاء، أين يكون الليل؟ أرأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ فقال: إنه مثلها في التوراة، فقال له صاحبه: لم أخبرته؟ فقال له صاحبه: دعه إنه بكل موقن. (١)

٤٧٤-٦٢١٤ - حدثني أحمد بن حازم، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: ثنا جعفر بن برقان، قال: ثنا يزيد بن الأصم أن رجلا من أهل الكتاب أتى ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: تقولون جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال ابن عباس: أرأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار، أين يكون الليل؟ (٢)

قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة البقرة ١١١/٢]

٤٧٥-١٤٩٣ - حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: {تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} قال: أمني تمنوا على الله بغير الحق. (٣)

٤٧٦-١١٥٧ - حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} [سورة البقرة ٨٠/٢] قال: قالت اليهود: إن الله يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة، حتى إذا أكلت النار خطايانا واستنقتنا، نادى مناد: أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل، فلذلك أمرنا أن نختن. قالوا: فلا يدعون منا في النار أحداً إلا أخرجوه. (٤)

٤٧٧-١١٥٨ - حدثني المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قالت

(١) - تفسير الطبري (٤ / ٩٢) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٣١٥)

(٢) - تفسير الطبري (٤ / ٩٢) تفسير الدر المنثور (٢ / ٣١٥)

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤٩٢) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٠٧) الدر المنثور عن أبي العالية (١ / ٢٦٣)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٣٨١)

اليهود: أن ربنا عتب علينا في أمرنا، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يخرجنا. فأكذبهم الله. (١)

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٨١) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٣٦٦).

الدراسة:

الإيمان باليوم الآخر وما فيه أمر بُعث به جميع الرسل قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ} [سورة البقرة ١٧٧/٢]

وقال عن السابقين لبعثة محمد {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [سورة البقرة ٦٢/٢]

ودعوة موسى إلى بني إسرائيل لا تخرج عن هذا فالآيات التي فيما يقوله موسى {مِنْهَا
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [سورة طه ٥٥/٢٠]
وما ذكره الله عنهم يدل على إيمانهم بالبعث، والجنة والنار، وأهم لن يدخلوها إلا أربعين
يوماً، وأن الجنة مقصورة عليهم، وأن أولادهم سيشفعون لهم، إلى غير ذلك مما تناولناه
مفصلاً في فصول سابقة، ولكن المؤلفين في اليهود واليهودية، ومعتقداتهم، يذكرون عدم
إيمانهم باليوم الآخر، وخلو كتبهم المعتمدة منه سواء، التوراة المحرفة أو ما دونها "فقد خلت
الكتب الإسرائيلية من ذكر البعث واليوم الآخر، فالأرض السفلى هي الهاوية التي تهوي
بالأجسام بعد الموت، ولا نجاة منها ميت، وأن الذي يتزل إلى الهاوية لا يصعد." (١)

وهذا مستغرب على أهل ديانة حكي الله عنهم كلامهم في البعث والجنة والنار
وخاصة المعاصرين لنبينا صلى الله عليه وسلم حين قال بعضهم: يا محمد أخبرنا متى
الساعة إن كنت نبياً كما تقول، فإننا نعلم متى هي. وفي حديث ثوبان _ ، قال: سألت حبر
من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: أين الناس يوم تبدل الأرض غير
الأرض؟ قال: ((هم في الظلمة دون الجسر.)) (٢) وفي رواية أبي أيوب _ قال: ((أتى النبي
صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود، وقال: أرأيت إذ يقول الله في كتابه: {يَوْمَ يُبَدَّلُ

(١) اليهود واليهودية - على عبد الواحد في ٤٦/١ واليهودية لأحمد شلبي ١٩٩

(٢) رواه مسلم ضمن حديث طويل (١ / ٢٥٢)

الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ { فأين الخلق عند ذلك؟)) قال: ((أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه.)) (١) وكما روي عن سلمة بن سلامة بن وقش _ قال: ((كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل قال سلمة: - وأنا يومئذ حدث علي بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي- فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال فقال ذلك في أهل يثرب والقوم أصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائناً عند الموت، فقالوا له ويحك أترى هذا كائناً يا فلان إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى جنة ونار، ويجزون فيها بأعمالهم، قال: نعم والذي يحلف به، قالوا يا فلان ويحك وما آية ذلك، قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة، قالوا ومتى نراه قال فنظر إلي وأنا أصغرهم سنّاً فقال إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تبارك وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا فأمننا به وكفر بغياً وحسداً فقلنا له: ويحك يا فلان ألسنت الذي قلت لنا فيه ما قلت، قال: بلى ولكنه ليس به.)) (٢)

و يقول العلامة صديق حسن خان رحمه الله في معرض الكلام عن الإيمان باليوم الآخر عند أهل الكتاب قال: "كما يحكى ذلك عن كتب الله المتزلة على رسله وتحكيه أيضاً كتبهم المؤلفة من أحبارهم ورهبانهم فإنه لا خلاف بينهم في المعاد وفي النعيم المعد لأهل الجنة كما حكاها الكتاب العزيز وقد أوردنا... كثيراً من نصوص التوراة والإنجيل والزبور وسائر كتب نبوات بني إسرائيل ولم يشذ منهم إلا اليهودي الزنديق موسى بن ميمون الأندلسي وقد تبرأ منه قدماء اليهود وأخرجوه من دينهم." (٣)

(١) - تفسير الدر المنثور (٥ / ٥٨) وقال أخرجه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الدلائل وقال ابن حجر (رجاله موثقون) فتح الباري ج ١١/ص ٣٧٥

(٢) رواه الإمام أحمد ٤٦٧/٣ رواه الحاكم في المستدرک (٤٧١/٣) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٣) موسى بن ميمون الرئيس أبو عمران القرطبي اليهودي الطبيب المفتن في العلوم كان رئيساً على اليهود بمصر وكان أوجد أهل زمانه في الطب وكان السلطان صلاح الدين يستطبه وكذلك ولده الأفضل (فوات الوفيات للكتبي ج: ٢ ص: ٥٣٧) ولكن الذي نقل عنه غير ذلك في ما سماه اصول الايمان قوله: (انا أو من ايماننا كاملا بأن الخالق تبارك اسمه، يجزي الحافظين لوصاياه، ويعاقب المخالفين لها.. وأؤمن بقيامة الموتى، في الوقت الذي تبعث فيه إرادة الخالق) الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ١٣٤-١٣٥. ولعله من مخادعة اليهود وتبديلهم حسب الأهواء ولذلك قال صديق خان: (وقد وقع لهذا الملعون من تحريف كثير من التوراة ما يدل على إلحاده

و في القرآن الكريم لا تكاد تخلو سورة من ذكر متعلقاته أو التذكير بها، من بعث وحساب وجزاء، وما يليه من عقاب وثواب. وانعدام إيمانهم باليوم الآخر، أو جد لديهم الصفات السلبية، التي اتصفوا بها على مرّ العصور، مثل الحرص على الحياة، والجبن، والبخل، والسعي وراء الكسب المادي، وانعدام المبادئ والقيم والصفات البشرية المحمودة. والذي توضحه النصوص: أنهم يعرفونه و يجحدونه فعدم عملهم له وظهور ذلك في تصرفاتهم من معصية لله وكتابه ورسوله : هو عدم الإيمان به، ومهما بذلوا وحرصوا على هذه الدنيا فنهايتهم كما قال الله عز وجل : {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [سورة البقرة ٩٦/٢]

وزندقته وقد رددت ما حرفه وأوضحته بآتم إيضاح وأما يهودعصرنا فصاروا يعظمونه وذلك لجهلهم بحقيقة الحال وقد ذكرت لجماعة من أبحارهم بعض تحريفاته فلعنوه وتبرأوا منه) أجمد العلوم: ١/ ١٩-٢٠

الباب الثالث: الآثار الواردة عن السلف في موقف اليهود من النصرانية والإسلام

وفيه فصلان

الفصل الأول: الآثار الواردة في موقف اليهود من النصرانية.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم

والمسلمين.

الفصل الأول: الآثار الواردة في موقف اليهود من النصرانية
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من مريم -عليها السلام-

الآثار:

مكانة مريم:

قوله تعالى: { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [سورة آل عمران ٣/٣٧]

٤٧٨-٥٤٣٢ - حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال الله عز وجل: { فَتَقَبَّلَهَا
رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا } فانطلقت بها أمها في حرقها - يعني أم مريم
- بمريم حين ولدتها إلى المحراب - وقال بعضهم: انطلقت حين بلغت إلى المحراب - وكان الذين يكتبون
التوراة إذا جاؤوا إليهم بإنسان يجربونه اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه، وكان زكريا أفضلهم يومئذ
وكان بينهم، وكانت حالة مريم تحته. فلما أتوا بها اقترعوا عليها، وقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها تحتي
حالتها، فأبوا. فخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، أيهم يقوم قلمه فيكفلها. فجرت
الأقلام وقام قلم زكريا على قرنته كأنه في طين، فأخذ الجارية؛ وذلك قول الله عز وجل: { وَكَفَّلَهَا
زَكَرِيَّا } فجعلها زكريا معه في بيته، وهو المحراب. (١)

٤٧٩-٥٤٤٩ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا } قال: كنا نحدث أنها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف،
وفاكهة الصيف في الشتاء. (٢)

٤٨٠-٥٤٥٦ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: كفَّلها بعد هلاك أمها،
فضمها إلى حالتها أم يحيى، حتى إذا بلغت، ادخلوها الكنيسة لنذر أمها الذي نذرت فيها، فجعلت تنبت
وتزيد، قال ثم أصابت بني، إسرائيل، أزمة، وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها،

(١) تفسير الطبري (٣ / ٢٤٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٣٩)

(٢) تفسير ابن أبي حاتم عن عكرمة (٢ / ٦٤٠) - تفسير الدر المنثور عن مجاهد (٢ / ١٨٦) حسنه في التفسير

الصحيح (١/٢٢٣)

فخرج على بني إسرائيل، فقال، يا بني إسرائيل أتعلمون، والله لقد ضعفت عن حمل ابنة عمران! فقالوا: ونحن لقد جهدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم. فتدافعوها بينهم، وهم لا يرون لهم من حملها بدءاً. حتى تقارعوا بالأفلام، فخرج السهم بحملها على رجل من بني إسرائيل نجار يقال له جريج، قال: فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه، فكانت تقول له: يا جريج أحسن بالله الظن، فإن الله سيرزقنا! فجعل جريج يرزق بمكائها، فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها، فإذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أمامه الله وكثره، فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق وليس بقدر ما يأتيها به جريج، فيقول: يا مريم أرى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. (١)

قوله تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} [سورة النساء ١٥٣/٤].

٤٨١-٨٥٢٤ - حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: أنزل الله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ}... إلى قوله: {وَقَوْلِهِمْ عَلَيَّ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} فلما تلاها عليهم - يعني على اليهود - وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة، جحدوا كل ما أنزل الله، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، ولا على موسى، ولا على عيسى، وما أنزل الله على نبي من شيء. (باختصار) (٢)

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [سورة آل عمران ٤٢/٣]

٤٨٢-٥٥٣٥ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} قال: ذلك للعالمين يومئذ.

٤٨٣-٥٥٣٦ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: كانت مريم حبيساً في الكنيسة، ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف، وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيراً حبيساً، فكانا في الكنيسة جميعاً، وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف، أخذتا قلتيهما فانطلقا إلى المفازة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه، فيملاان قلتيهما، ثم يرجعان إلى الكنيسة، والملائكة في ذلك مقبلة على مريم: {يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} فإذا سمع ذلك زكريا، قال: إن لابنة عمران

(١) تفسير الطبري (٣ / ٢٤٦) - تاريخ مدينة دمشق (٧٠ / ٨١) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٢٨) - تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٦)

لشأننا. (١)

انها مها بالزنا

قوله تعالى: { فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا } [سورة مريم ١٩/٢٢]

٤٨٤-١٧٧٨٥ - حدثنا محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما اشتملت مريم على الحمل ، كان معها قرابة لها ، يقال له يوسف النجار ، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون ، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد ، في ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا في ذلك ، فكانا يلبان معالجته بأنفسهما ، تحبيره وكناسته وطهوره ، وكل عمل يعمل فيه ، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهاداً وعبادة منهما ، فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف؛ فلما رأى الذي بها استفظعه، وعظم عليه، وفضع به، فلم يدر على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها، ذكر صلاحها وبراعتها، وأنها لم تغب عنه ساعة قط؛ وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي ظهر عليها؛ فلما اشتد عليه ذلك كلمها، فكان أول كلامه إياها أن قال لها : إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيتيه، وقد حرصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشقى لصدري، قالت: فقل قولاً جميلاً، قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر؛ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك.

(باختصار) (٢)

قوله تعالى: { فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا } [سورة مريم ١٩/٢٧]

٤٨٥-١٧٨٤٢ - حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما ولدته ذهب

(١) تفسير الطبري (٣ / ٢٦٤) - تفسير الدر المنثور (٢ / ١٩٥) إسناده ضعيف.

(٢) - تفسير الطبري (١٦ / ٦٤)

الشیطان، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدون، فدعوها {فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ} (١) ٤٨٦-١٧٨٤٦ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ابن إسحاق، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه،

قال: لما رأوها ورأوه معها، قالوا: يا مريم {لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيئاً} أي الفاحشة غير المقاربة. (٢)

٤٨٧-١٧٨٤٧ - حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: {يَا أُحْتِ هَارُونَ} [سورة مريم ٢٨/١٩] قال: كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل يسمى هارون، فشبها به، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح. (٣)

٤٨٨-١٧٨٥٩ - حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها {قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} [سورة مريم ٢٩/١٩] (٤)

قوله تعالى: {وَيَكْفُرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} [سورة النساء ٤/١٥٦]

٤٨٩-٨٤٨١ - حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} يعني أنهم رموها بالزنا. (٥)

٤٩٠-٨٤٨٢ - حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط عن السدي: قوله: {وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} حين قذفوها بالزنا. (٦)

٤٩١-٨٤٨٣ - حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يعلى بن عبيد، عن جوير في قوله: {وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} قال: قالوا زنت. (٧)

(١) المستدرک علی الصحیحین عن ابن عباس (٢ / ٦٤٨) - تفسير الدر المنثور عن ابن عباس (٥ / ٤٩٥)

(٢) تفسير الطبري (١٦ / ٧٧) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٩) - تفسير عبد الرزاق (٣ / ٧ - ٨)

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ١٢٠)

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٩) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٧٢٧) - تفسير ابن كثير (١ / ٥٧٤)

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٩) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١)

(٧) تفسير الطبري (٦ / ١٢)

الدراسة:

ذكر الله فضل بيت طاهر طيب وهم: آل عمران بقوله: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [سورة آل عمران ٣/٣٣] والمراد بعمران هذا: والد مريم عليها السلام، ثم بين أصل ميلاد مريم وكيف كان من أمرها وكيف حملت بولدها عيسى عليه السلام بما قصه علينا في سورتي: آل عمران ومريم وقد استجاب الله دعاء امرأة عمران كما في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة _ قال: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها.)) ثم يقول أبو هريرة _ {وَأْتَى أُعْيِدَهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [سورة آل عمران ٣/٣٦] (١) وفي رواية ((كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بحضنيه إلا ما كان من مريم وابنها ألم تروا إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ قالوا بلى يا رسول الله قال فذاك حين يلكزه الشيطان بحضنيه.)) (٢) وقد فضل الله مريم وكرمها على نساء العالمين، بل جعلها الله من كمل النساء القليلات كما قال صلى الله عليه وسلم: ((خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة.)) وفي رواية: ((كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.)) (٣) وقد منّ الله عليها أن جعلها صديقة بقوله تعالى: {وَأُمَّهُ صِدِّيقَةٌ} [سورة المائدة ٥/٧٥] (٤)، ثم جعل لها الكرامة العظيمة حين انفردت بالحمل من غير زوج، ورزقها بنبي من أولى العزم من الرسل، ولكن حين أتت به قومها من بني اسرائيل تحمله اثمواها

(١) صحيح البخاري ج٣/ص١٢٦٥ واللفظ له ورواه مسلم ج٤/ص١٨٣٨

(٢) رواه أحمد ج٢/ص٣٦٨

(٣) صحيح البخاري ج٣/ص١٢٦٥ وج٣/ص١٢٥٢

(٤) والصديقة: الفعيلة من الصدق، وكذلك قولهم فلان صديق: فعيل من الصدق، ومنه قوله تعالى ذكره: {والصديقين والشهداء} وقد قيل: إن أبا بكر الصديق _ إنما قيل له ذلك لصدقه، وقد قيل: إنما سمي صديقاً لتصديقه النبي^١ في مسيره في ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة وعوده إليها. تفسير الطبري ٦/ص٣١٤.

بقولهم: { يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا } فأنطق الله عبده ورسوله عيسى، وكان أول كلام تفوه به { إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ } [سورة مريم ١٩/٣٠]، اعترف لربه تعالى بالعبودية وأن الله ربه فتره جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته، ثم برأ أمه مما نسبته الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله: { آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } [سورة مريم ١٩/٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: "فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا كما قال تعالى: { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا } [سورة النساء ٤/١٥٦] وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنا في زمن الحيض، فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة، واتخذ ولدها نبياً مرسلًا أحد أولي العزم الخمسة الكبار" (١) وكما هي عادة اليهود فقد وصل أذاهم إلى أم نبي الله عيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل وسمى الله ماقالوه فيها: { بُهْتَانًا عَظِيمًا } فيزعمون: أنها فجرت، وزنت، مع يوسف النجار الذي كان معها يتعبد في المحراب كما ورد في بعض الآثار. (٢)

والبهتان العظيم هو التعريض لها أي قولهم: { مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا } [سورة مريم ١٩/٢٨] أي أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد وفقولهم: { لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا } [سورة مريم ١٩/٢٧] جوابه { وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا } [سورة النساء ٤/١٥٦] (٣)

وقد أوضح الله براءتها مع بيان سبب حملها بعيسى عليه السلام من غير زوج وذلك في قوله تعالى: { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكا مكاناً شرقياً } فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا } قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا }

(١) البداية والنهاية ج: ٢ ص: ٦٨

(٢) تاريخ الطبري (١/٥٩٤-٥٩٥) وهكذا عند اليهود في التلمود يسمونه «ابن النجار» وتارة يقولون: «أم الرجل المعين» يقصدونه وهكذا يصف اليهود نبيهم أنه ابن غير شرعي حملته أمه وهي خائض انظر الكثر المرصود للشرقاوي (بتصرف) ص ٢٥٢ -

(٣) أضواء البيان - الشنقيطي ج ٥/ص ٤٣٦ بتصرف يسير

قَالَتْ أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ
عَلَىٰ هَيْنٍ وَلَجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا
قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا
مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ { [سورة مريم ١٩/١٦-٢٣] إلى آخر الآيات

ومن الآيات التي بين الله فيها براءتها قوله تعالى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾} [سورة الأنبياء ٩١/٢١]
وقوله تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظُّمُورُ ﴿١٢﴾} [سورة التحريم ١٢/٦٦]
وقوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾} [سورة آل عمران ٥٩/٣] (١)

(١) أعرضت عن روايات كثيرة من لأسرائيليات في قصة مريم وولادتها مقتصرًا على أهم ما ورد وهو بهتان اليهود لها والرد عليهم.

المبحث الثاني: موقفهم من عيسى صلى الله عليه وسلم عليه السلام والنصارى :

الآثار:

قوله تعالى: { إِذِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } [سورة آل عمران ٤٥/٣].

٤٩٢-٥٥٥٧ - حدثني به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: { إِذِ

قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ } أي هكذا كان أمره، لا ما يقولون فيه. (١)

قوله تعالى: { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } [سورة النساء ٤/١٥٩].

٤٩٣-٨٥١١ - حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا الحكم بن عطية، عن محمد بن سيرين:

{ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } قال: موت الرجل من أهل الكتاب. (٢)

٤٩٤- حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من يهودي ولا نصراني

يموت حتى يؤمن بعيسى ابن مريم. فقال له رجل من أصحابه: كيف والرجل يغرق، أو يحترق، أو يسقط

عليه الجدار، أو يأكله السبع؟ فقال: لا تخرج روحه من جسده حتى يقذف فيه الإيمان بعيسى. (٣)

قوله تعالى: { وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ } [سورة آل عمران ٤٩/٣]

٤٩٥-٥٥٧٧ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير: { وَرَسُولًا

إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } أي تحقق بها نبوي وأي رسول منه إليكم. (٤)

قوله تعالى: { وَأَنْبِيَّكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنَّ

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [سورة آل عمران ٥٠/٣]

٤٩٦-٥٥٩٣ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء بن أبي

(١) تفسير الطبري (٢٧٠/٣) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٢١) تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١١٤) - تفسير ابن كثير (١ / ٥٧٨)

(٣) تفسير الطبري (٦ / ٢١) تفسير القرطبي (٦ / ١١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٧٧) فتح الباري (٦ /

٤٩٢) حسنه في التفسير الصحيح (٢٨١/٢)

(٤) تفسير الطبري (٣ / ٢٧٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٥٤) إسناده ضعيف.

رباح يعني قوله: {وَأَنْبِئِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ} قال: الطعام والشيء يدخرونه في بيوتهم غيبا علمه الله إياه. (١)

قوله تعالى: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [سورة آل عمران ٥٠/٣]

٤٩٧-٥٥٩٩- حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الكريم، قال: ثنا عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن عيسى كان على شريعة موسى عليه السلام، وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس، فقال لبني إسرائيل: إني لم أدعكم إلى خلاف حرف مما في التوراة إلا لأحل لكم بعض الذي حرم عليكم، وأضع عنكم من الآصار. (٢)

٤٩٨-٥٦٠٣- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ} أي لما سبقتني منها، {وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَحِجَّتُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} أي أخبركم أنه كان حراما عليكم، فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفا عنكم، فتصيرون يسره وتخرجون من تبعته. (٣)

٤٩٩-٥٦٠٤- حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن: {وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَحِجَّتُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} قال: كان حرم عليهم أشياء، فجاءهم عيسى ليحل لهم الذي حرم عليهم، يتنغي بذلك شكرهم. (٤)

قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} [سورة آل عمران ٥١/٣]

٥٠٠-٥٦٠٦- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ} تبرياً من الذي يقولون فيه، يعني ما يقول فيه النصارى واحتجاجا لربه عليهم، فاعبدوه، و {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} أي الذي هذا قد حملتكم عليه وجئتكم به. (٥)

(١) تفسير الطبري (٣ / ٢٧٩) - تفسير ابن أبي حاتم عن مجاهد (٢ / ٦٥٦)

(٢) - تفسير الطبري (٣ / ٢٨١) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٢٢) تفسير ابن كثير (٤ / ١٦٨)

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٢٨٢) مصنف عبد الرزاق (٥ / ٢٣) - تفسير ابن كثير (٢ / ٥٢١) إسناده

ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٣ / ٢٨٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٥٧) المستدرک على الصحيحين (٤ / ١٢٩)

(٥) - تفسير الطبري (٢٥ / ٩٣) إسناده ضعيف.

٥٠١-٥١١ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ} قال: كفروا وأرادوا قتله، فذلك حين استنصر قومه، قال: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ} [سورة آل عمران ٥٢/٣] (١)

قوله تعالى: {وَمَكْرُوهًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [سورة آل عمران ٥٤/٣] ٥٠٢-٥١٨ - حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ثم إن عيسى سار بهم: يعني بالحواريين الذين كانوا يصطادون السمك، فأمنوا به واتبعوه إذ دعاهم حتى أتى بني إسرائيل ليلا فصاح فيهم، فذلك قوله: {فَأَمْنَتْ طَافِةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَافِةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [سورة الصف ١٤/٦١] (٢)

٥٠٣-٥١٩ - حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ثم إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة، فأخذها رجل منهم، وصعد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله: {وَمَكْرُوهًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء، فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلاً من العدة، ويرون صورة عيسى عليه السلام فيهم فشكوا فيه، وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى، وصلبوه، فذلك قول الله عز وجل: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} [سورة النساء ٤/١٥٧] (٣)

قوله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [سورة آل عمران ٥٥/٣]

٥٠٤-٥٢٤ - حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح أن كعب الأحبار، قال: ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم، إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده، فلما رأى

(١) تفسير الطبري (٣ / ٢٨٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٥٩) صححه في التفسير الصحيح (٣/١٢٢)

(٢) تفسير الطبري (٣ / ٢٨٨) - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٦٣) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١)

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٢٨٩) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٢٤) حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١)

عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه، شكاً ذلك إلى الله عز وجل ، فأوحى الله إليه: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} وليس من رفعتة عندي ميتاً، وإني سأبعثك على الأعور الدجال، فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحي. (١)

٥٠٥-٥٦٣٥ - حدثني محمد بن سنان قال: ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله: {وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} قال: طهره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه. (٢)

قوله تعالى: {النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [سورة الأعراف ١٥٩/٧]

٥٠٦-١١٨٤٢ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: قال مجاهد قوله: {الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} قال: عيسى ابن مريم عليه السلام. (٣)

٥٠٧-٢٣٩٣٠ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن قتادة {مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [سورة الزخرف ٦٠/٤٣] أحسبه قال: آية لبني إسرائيل. (٤)

(١) تفسير الطبري (٣ / ٢٩٠) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٢٥)

(٢) تفسير الطبري (٣ / ٢٩٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٦٢) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٢٦)

(٣) - تفسير الطبري (٩ / ٨٧) صححه في التفسير الصحيح (٣/١٢٢)

(٤) تفسير الطبري (٢٥ / ٨٩) - تفسير عبد الرزاق (٣ / ٨٢) - تفسير عبد الرزاق (٣ / ١٩٨)

المبحث الثالث: موقفهم من النصارى :

الآثار:

قوله تعالى: {وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة البقرة ١٤٥/٢]

٥٠٨-٢٠٧٦ - حدثني موسى قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي: {وَلَئِنِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [سورة البقرة ١٧٧/٢] يقول: هم اليهود والنصارى. يقول: هم في عداوة بعيدة. (١)

قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَيْتُكَ وَرَافَعَكَ إِلَىٰ وَمَطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [سورة آل عمران ٥٥/٣]

٥٠٩-٥٦٤١ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قول الله: {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا} قال: الذين كفروا من بني إسرائيل. {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} قال: الذين آمنوا به من بني إسرائيل وغيرهم {فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة قال: فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب هم في البلدان كلها مستدلون. (٢)

قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَىٰ يَوْمَهُمُ} [سورة التوبة ٣١/٩]

٥١٠-١٢٩١٨ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {يُضَاهِيُونَ} ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم. (٣)

(١) تفسير الطبري (٢ / ٩٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٨٧) - تفسير الدر المنثور (١ / ٤١٠)

(٢) تفسير الطبري (٣ / ٢٩٣) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٢٧)

(٣) تفسير الطبري ١١٢/١٠ - تفسير عبد الرزاق ٢٧١/٢ - تفسير ابن أبي حاتم ١٧٨٣/٦ - تفسير الدر المنثور

١٧٣/٤. حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

قوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُحْدُودِ} [سورة البروج ٤/٨٥]

٥١١-٢٨٥٥٠- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُحْدُودِ} يزعمون أن أصحاب الأُحدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالاً ونساء، فخذوا لهم أُحدوداً، ثم أوقدوا فيها النيران، فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: تكفرون أو نقدفكم في النار. (١)

(١) تفسير الطبري ١٣٣/٣٠ إسناده ضعيف.

الدراسة

موقف اليهود من عيسى عليه السلام وأمه:

جاء عيسى عليه السلام إلى الدنيا على خلاف ما جرت به عادة النساء غير أمه، حيث ولد بلا أب، كان هذا أمراً عجبياً. اتخذ اليهود مولده، الذي لم تستطع عقولهم القاصرة وقلوبهم المنكرة أن تستوعبه، مدعاة للطعن فيه، واعتقدوا أن المسيح عليه السلام ولد من الفحشاء، وأن مريم أتت به بطريق بشري غير شرعي في الحيض.

وهذا الأمر ليس غريباً على اليهود الذين تناولوا على خالقهم، وقتلوا أنبياءهم، ورموهم بالعظائم، وقد تقدم تبرئة الله لأمه، ومعجزته في ولادته عليه السلام .

وقد أجرى الله تعالى على يده كثيراً من المعجزات، وذكر القرآن أمر رسالته ومعجزاته فقال: {وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [سورة آل عمران ٤٩/٣]

ولما رأى اليهود المعجزات واضحة مؤثرة، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك من المعجزات العظيمة، ورأوا إقبال الناس على الدعوة وإيمانهم، جحدوا رسالته، وأنكروا دعوته وحاولوا صد الناس عنه بتكذيبه مرة، وبتهديده مرة، مع أن الذي صرح به المسيح عليه السلام أنه غير مبدل لما عندهم، بل يخفف عنهم الأغلال التي كانت عليهم، ومبشراً بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم من بعده، ولكن اليهود ناصبوه العدا، ولعل الذي دفع اليهود إلى هذا الموقف من عداٍ للمسيح عليه السلام هو اتباع الهوى الذي لازمهم، فتعاليم المسيح القويمة عاكست اتجاههم، وخالفت هوى نفوسهم، ومعلوم عنهم أنهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوه أو قتلوه، ولما رأى اليهود أن كل هذه السبل التي سلكوها لم توقف مدَّة هذه الدعوة تأمروا على نهاية المسيح كعادتهم مع من قتلوا من الأنبياء. لما عجزوا عن مقاومة هذه الدعوة قرروا أن يضعوا حداً لها، فقد أجمعوا على قتله وصلبه.

قال ابن كثير رحمه الله : في قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} [سورة النساء ٤/١٥٧] "أي رأوا شبهه فظنوه إياه ولهذا قال: {وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ} يعني بذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلمه إليهم من النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ولهذا قال: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين."

ثم قال رحمه الله : "فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه: إيكم يلقي عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب، فقال: أنت هو، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو، وفتحت دوزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ الَّذِي فِيهِ شَكٌّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ} [سورة آل عمران ٣/٥٥] فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه. وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبحجوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ما عدا من كان في البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فقد ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم.

(١)

واليهود يفتخرون بصلب المسيح (زعموا) وأنه دجال استحق القتل فقتل كما قال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} [سورة النساء ٤/١٥٧]

وأما قوله تعالى: {وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [سورة النساء ٤/١٥٩]

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/٥٧٤ وما بعدها) بتصرف يسير

فقد ورد في المقصود عدة أقوال: أصحابها: أي قبل موت عيسى عليه السلام ، ويوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الممل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وهو قول: قتادة وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ورجحه الطبري وابن كثير وابن حجر. (١)

موقف اليهود من النصارى:

يصور القرآن الكريم نظرة كل فريق للآخر، وموقف كل قوم من الآخرين فيقول تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ } [سورة البقرة ١١٣/٢]

وسبب نزول الآية: حين قدم أهل نجران على النبي صلى الله عليه وسلم فأنتهم أحرار يهود، فتنازعوا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالت كل فرقة منهم للأخرى لستم على شيء، فترلت الآية.

قال الرازي: "اختلفوا فيمن هم الذين عناهم الله تعالى أهم الذين كانوا من بعثة عيسى عليه السلام أو في زمن محمد عليه السلام والظاهر الحق أنه لا دليل في الظاهر عليه وإن كان الأولى أن يحمل على كل اليهود وكل النصارى بعد بعثة عيسى عليه السلام ولا يجب لما نقل في سبب الآية أن يهودياً خاطب النصارى بذلك فأنزل الله هذه الآية أن لا يراد بالآية سواه إذا أمكن حمله على ظاهره، وقوله { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ } يفيد العموم فما الوجه في حمله على التخصيص، ومعلوم من طريقة اليهود والنصارى أنهم منذ كانوا فهذا قول كل فريق منهما في الآخر. (٢)

وبعد رفع الله لنبيه عيسى عليه السلام تسلط اليهود على محاربة المسيحية وأتباعها، وانتهزوا كل فرصة واتتهم لذبح النصارى وتعاونوا مع الرومان والفرس والبيزنطيين في ذلك.

(١) تفسير الطبري ج٦/ص٢٢ تفسير ابن كثير ج١/ص٥٧٧ فتح الباري ج٦/ص٤٩٢

(٢) التفسير الكبير - الرازي ج٤/ص٨

ومما ورد في ذلك قصة أصحاب الأخدود التي قال تعالى فيها: {قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ
 ٥ النَّارَ ذَاتَ الْوُقُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا
 تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨} [سورة البروج ٤/٨٥-٨]

روي أن "ذو نواس (١) بلغه أن بنجران قوماً من النصارى فسار إليهم بجنود، ثم دعاهم إلى اليهودية وترك دين عيسى ابن مريم عليه السلام وخيرهم بين الدخول في اليهودية أو القتل، فاختاروا القتل على مفارقة دين عيسى عليه السلام، فاشتد غضبه فأمر بحد الأخدود لهم ثم ملأها بالنيران، وأخذ يقذف في نيران الأخدود، فقتل منهم بشراً كثيراً بلغوا قريباً من عشرين ألفاً". (٢) وعلى قول أنهم المعنيون في الحديث الصحيح في قصة الغلام والراهب. (٣)

وهكذا تستمر العداوة بين اليهود والنصارى إلى يومنا هذا، وإن ظهر غير ذلك في بعض الأزمان ولكن العداوة بينهم أبدية، إلا أن تكون ضد الإسلام. (٤)

(١) مللك من ملوك التتابعة ويسمى بيوسف ذي وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان همود من همود من أهل اليمن على يديهم تسلط على النصارى ثم هزمه النجاشي ومات غريقاً انظر تفسير ابن كثير ج ٤/ص ٤٩٦

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٥٣

(٣) ساقها بطولها وعنون لها الإمام مسلم (باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام) صحيح مسلم ج ٤/ص ٢٢٩٩ ووردة في أصحاب الأخدود أقوال كثيرة اقتصرنا هنا على الرواية التي تذكر تسلط اليهود على النصارى

(٤) للتوسع ينظر للدراسة المطولة التي أعدها د. احمد زايد بعنوان: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى واثرها على العالم الإسلامي

تنبيه: لم أطل في موضوع الآثار الواردة في علاقة اليهود بعيسى ' والنصارى لوجود رسالة دكتوراة في هذا المشروع بعنوان: الآثار الواردة في النصارى في تفسير الطبري.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين

المبحث الأول: الآثار الواردة في موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: الآثار الواردة في موقف اليهود قبل الهجرة

نعاونهم مع قريش

الآثار:

قوله تعالى: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} [سورة النساء ٥١/٤]

٥١٢-٧٧٣٥- حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: الجبت كعب بن الأشرف والطاغوت: الشيطان كان في صورة إنسان. (١)

٥١٣-٧٧٣٦- حدثنا محمد بن المثني قال: ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبت من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟ قال: أتم خير منه. قال: فأنزلت: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [سورة الكوثر ٣/١٠٨] وأنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} إلى قوله: {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} [سورة النساء ٥٣/٤]

٥١٤-٧٧٤٠- حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عمن قاله قال: أخبرني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبنو قريظة حبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع صلى الله عليه وسلم والربيع بن أبي الحقيق صلى الله عليه وسلم وأبو عامر ووحوح بن عامر وهودة بن قيس؛ فأما وحوح وأبو عامر وهودة فمن بني وائل وكان سائرهم من بني النضير. فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأول فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه ومن اتبعه! فأنزل الله فيهم: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} (٢)

(١) تفسير الطبري (٥ / ١٣١) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٤٩٥) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٢) - تفسير

ابن كثير (١ / ٥١٣) - إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٥ / ١٣٥) - تفسير القرطبي (١٤ / ١٢٩) - إسناده ضعيف.

٥١٥-١٧٢٣٠ - حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما - فيما يروي أبو جعفر الطبري - قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، ووصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول.... قال ابن إسحاق : فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ } [سورة الكهف ١/١٨] يعني محمداً إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوته {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا} أي معتدلاً ، لا اختلاف فيه . (باختصار) (١)

(١) تفسير الطبري (١٥ / ١٩١) - تفسير الدر المنثور (٥ / ٣٥٧)

الدراسة:

لا شك أن اليهود يعلمون بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الروايات الكثيرة، ففي ترجمة بحيرا الراهب عند ابن حجر قال: إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، فلما نزل الركب بصري وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان إليه علم النصرانية فلما نزل الركب وكانوا كثيراً ما يتزلون فلا يكلمهم، فرأى بحيرا محمداً صلى الله عليه وسلم والغمامة تظله، فتزل إليهم وصنع لهم طعاماً وجمعهم عنده، فتخلف محمد صلى الله عليه وسلم لصغره في رحالهم، فأمرهم أن يدعوه فأحضره بعضهم، فجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته، فلما فرغوا جعل يسأله عن أشياء من حاله وهو يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فأقبل على عمه فقال: ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من يهود فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده، ويقال إن نفراً من أهل الكتاب رأوا منه ما رأى بحيرا، فأرادوه فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم لا يستطيعون الوصول إليه، فلم يزل بهم حتى صدقوه ورجعوا، ورجع به أبو طالب إلى بلده بعد فراغه من تجارته بالشام. (١)

وكذلك اليهود من أهل يثرب كانوا يتوعدون الأوس والخزرج بمقدمه صلى الله عليه وسلم ومن أدلة ترائيهم له صلى الله عليه وسلم ما قاله حسان بن ثابت -: ((والله إني لغلام يفعة ابن سبع أو ثمان سنين، أعقل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً وهو على أطمه يثرب يصرخ يا معشر اليهود، فلما اجتمعوا قالوا: ويلك ما لك؟ فقال: قد طلع نجم الذي يبعث الليلة.)) (٢)

ومثل ذلك يحدث في مكة ويحاول اليهود اختباره صلى الله عليه وسلم لتبين أمره أو إحراجه فقد روى ابن مسعود _ قال: ((مرّ يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسألنه عن شيء لا

(١) الإصابة لابن حجر ٤٧٥/١ وقال اسناده ثقات

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج: ٣ ص: ٥٥٤ وسيرة ابن هشام ٩٩/١

يعلمه إلا نبي، قال: فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟)) قال: ((يا يهودي من كل يخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم. فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول من قبلك.)) (١)

ومع ذلك لما بعث في مكة وبان أنه من العرب ولم يكن منهم، ناصبوه العداء، وتمثل ذلك في صور كثيرة تتبين من الروايات التي ذكرت معاونة اليهود مع قريش في إخراجه وتليب أمره على الناس، والشهادة بأن أمر قريش أهدى منه سبيلاً كما مرّ في الآثار السابقة، وخاصة اعتقادهم أنه سيصعب عليه إجابة الأسئلة، ولذلك استبشروا مع قريش لما فتر الوحي ولم يؤمنوا لما نزلت الإجابة.

(١) رواه احمد في المسند ٦/١٩٩

المطلب الثاني : الاثار الواردة في موقف اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد

الهجرة

المسألة الأولى: سوء الاستقبال

الآثار:

قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [سورة البقرة ٨٩/٢]

١٢٥٤-٥١٦ - حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم قالوا: فينا والله وفيهم - يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة، يعني: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} قالوا: كنا قد علوناهم دهرًا في الجاهلية، ونحن أهل الشرك، وهم أهل الكتاب، فكانوا يقولون: إن نبيًا الآن مبعثه قد أظل زمانه، يقتلكم قتل عاد وإرم! فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به. يقول الله: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}. (١)

١٢٥٥-٥١٧ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا! فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته. فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم! فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قوله: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى

(١) تفسير الطبري (١ / ٤١٠) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٥) إسناده ضعيف.

الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (١)

١٢٥٦-٥١٨ - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما : {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} يقول: يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب - يعني بذلك أهل الكتاب - فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه. (٢)

١٢٥٧-٥١٩ - وحدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن علي الأزدي في قول الله: {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} قال: اليهود، كانوا يقولون: اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس؛ {يَسْتَفْتِحُونَ} يستنصرون به على الناس. (٣)

١٢٦٥-٥٢٠ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سألت ابن زيد عن قول الله عز وجل : {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} قال: كانت يهود يستفتحون على كفار العرب يقولون: أما والله لو قد جاء النبي الذي بشر به موسى وعيسى أحمد لكان لنا عليكم. وكانوا يظنون أنه منهم والعرب حولهم، وكانوا يستفتحون عليهم به ويستنصرون به {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} وحسدوه. وقرأ قول الله جل ثناؤه: {كَفَّاراً حَسِداً مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [سورة البقرة ١٠٩/٢] قال: قد تبين لهم أنه رسول، فمن هنالك نفع الله الأوس والخزرج بما كانوا يسمعون منهم أن نبياً خارج. (٤)

(١) تفسير الطبري (١ / ٤١١) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٥) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤١١) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٥) إسناده ضعيف

(٣) - تفسير الطبري (١ / ٤١١)

(٤) تفسير الطبري (١ / ٤١١) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢١٦)

الدراسة:

كان اليهود في المدينة يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله، وخاتم الأنبياء، وأنه ما جاء إلا بالدين الحق لجميع الناس، ولكن هذه المعرفة لم تكن لتهددهم إلى الحق واتباعه، بل على عكس ذلك، كانوا أول من عاداه، وأضمر الشر له صلى الله عليه وسلم وللإسلام والمسلمين، وهم الذين كان حديثهم في التبشير به كما روى عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت أبي مالك بن سنان يقول: ((جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظل خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم، فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي كالمستهزيء به: ما صفته؟ فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة، ويركب الحمار، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مهاجرة، قال: فرجعت إلى قومي بني خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فأسمع رجلاً منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده كل يهود يثرب يقولون هذا، قال أبو مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت بني قريظة فأجد جمعاً فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الزبير بن باطا قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلى لخروج نبي أو ظهوره، ولم يبق أحد إلا أحمد وهذا مهاجرة، قال أبو سعيد: فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أبي هذا الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود، إنما هم له تبع.)) (١)

والزبير هذا هو أعلمهم بقدمه صلى الله عليه وسلم، وكان يقول: "إني وجدت سفيراً كان أبي يَحْتَمُه علي، فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القرظ، صفته كذا وكذا، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة حتى عمد إلى ذلك السفر فمحاها، وكنتم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ليس به." (٢)

(١) الطبقات الكبرى ج: ١ ص: ١٥٩ صفة الصفوة ج: ١ ص: ٨٨

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج: ١ ص: ١٥٩

وفي السير: "لما قدم تبع المدينة ونزل بقناة فبعث إلى أحبار اليهود، فقال: إني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية، ويرجع الأمر إلى دين العرب، قال فقال له سامول اليهودي -وهو يومئذ أعلمهم- : أيها الملك إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي من بني إسماعيل مولده مكة، اسمه أحمد، وهذه دار هجرته، إن متلك هذا الذي أنت به، يكون به من القتلى والجراح أمر كبير في أصحابه وفي عدوهم، قال تبع: ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما تزعمون؟ قال يسير إليه قومه فيقتلون ههنا، قال: فأين قبره؟ قال بهذا البلد، قال: فإذا قوتل لمن تكون الدبرة؟ قال: تكون عليه مرة وله مرة، وبهذا المكان الذي أنت به تكون عليه ويقتل به أصحابه مقتلة لم يقتلوا في موطن، ثم تكون العاقبة له ويظهر فلا ينازعه هذا الأمر أحد، قال وما صفته؟ قال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يركب البعير ويلبس الشملة، سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقى أحاً أو ابن عم أو عمماً، حتى يظهر أمره، قال تبع: ما إلى هذا البلد من سبيل، وما كان ليكون خرابها على يدي، فخرج تبع منصرفاً إلى اليمن." (١)

والنصوص في ذلك كثيرة جداً، كما في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وغيرها، وهذا يدل على خبث طوية هؤلاء اليهود، وحسدكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما وصل صلى الله عليه وسلم إلى مهاجره كان اليهود على فرقتين:

١- من استجاب له وهم النادر.

٢- ومن توعده بمعاداته والكفر بما جاء به.

روى ابن إسحاق بسنده عن أم المؤمنين صفية - رضي الله عنها - أنها قالت: ((كنت أحبّ ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييُّ ابن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُعَلِّسين قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين، يمشيان الهويني، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت:

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١/ص ١٥٩

وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت)) (١)

ومثلهم: أبو ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه، ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي تنتظرون فاتبعوه ولا تخالفوه، فانطلق أخوه حبي بن أخطب وهو يومئذ سيد اليهود، وهما من بني النضير فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع إلى قومه وكان فيهم مطاعاً فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً، فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أم أظعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك، قال: لا والله لا أطيعك أبداً، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه.)) (٢)

وهذه العداوة منبعها البغض للإسلام ورسوله، والحسد للمسلمين، فقد منعهم هذا الحسد من الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباع دين الإسلام، محاولين أيضاً رد المسلمين عن الدخول فيه، يقول تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [سورة البقرة ١٠٩/٢]

قال ابن كثير رحمه الله: "كان حبي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ} ... الآية (٣)، وقد كانت مثل تلك المقدمات سبباً في إشعال نار العداوة بين المسلمين واليهود بعد ذلك، مما كان له الأثر المباشر في تحديد طبيعة العلاقة التي ظلت تحكم موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في ذلك الوقت، وهي العلاقة التي تميزت بالعداء منذ بدايتها، يتضح هذا في رد حبي بن أخطب، حينما سئل عما في نفسه تجاه النبي ﷺ فقال: (عداوته والله ما بقيت). ولم تقتصر عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وللإسلام فقط، بل تعدى ذلك

(١) ابن هشام، ٥١٩/١. البداية والنهاية لابن كثير ج: ٣ ص: ٢١٢

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج: ٣ ص: ٢١٢

(٣) ابن كثير، ١٥٣/١.

إلى معاداة المسلمين، حتى ولو كان من أحبار اليهود ومن علمائهم، ويبرز هذا في موقفهم من عبد الله بن سلام الذي حدث عن إسلامه قائلاً: ((لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له، فكنت مُسراً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدمه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خبيك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمه، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به، قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم، قال: فقالت: فذاك إذاً، قال: ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.)) (١)

فماذا كان موقف اليهود منه بعدما علموا بإسلامه؟ روى البخاري بسنده عن أنس _ قال: ((سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يجترف، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهم إلا .. (ثم قال)... قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم ييهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله ابن سلام، فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.)) (٢)

(١) ابن هشام، ١/٥١٦-٥١٧. البداية والنهاية ج: ٣ ص: ٢١١

(٢) صحيح البخاري ج ٣/ص ١٢١١.

المسألة الثانية: دعونه صلى الله عليه وسلم لليهود ومعاهدنه لهم:

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا التَّوْرَةَ الَّتِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة الأعراف ١٥٧/٧]

١١٨٣٤-٥٢١ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد،

قوله: {ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} قال: من اتبع محمداً ودينه من أهل

الكتاب، وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم. (١)

قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ فَمَنْ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأحقاف ١١/٤٦]

٢٤١٧٨-٥٢٢ - حدثني أبو شريحيل الحمصي قال: ثنا أبو المغيرة قال: ثنا صفوان بن عمرو عن عبد

الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم

وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكروها دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى

الله عليه وسلم ((يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون إنه لا إله إلا هو وأن محمداً رسول الله

يجب الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه)) قال: فأسكتوا فما أحابه منهم

أحد ثم قلت فلم يجبه أحد فانصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا

محمد قال: فأقبل فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود قالوا: والله ما نعلم أنه كان

فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدك قبل أبيك قال: فإني أشهد بالله أنه

النبي صلى الله عليه وسلم الذي تجدون في التوراة والإنجيل قالوا كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا له شرا

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كذبتن لن نقبل قولكم أما أنفا فتنتون عليه من الخير ما

أنثيتن وأما إذ آمن كذبتموه وقلتم ما قلتم فلن نقبل قولكم)) قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأنا وعبد الله بن سلام فأنزل الله فيه: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٥٨٤) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٥٨٢) صححه في التفسير الصحيح (٣/١٢٢)

كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَصْلُ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ^{طه} { [سورة فصلت ٥٣/٤١] ... الآية. (١)
 قوله تعالى: {وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ^{طه} } [سورة الأعراف ٤٧/٧]

٥٢٣-٧٦٨٩ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة جميعا، عن
 ابن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت، قال: ثنا سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن
 ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود، منهم
 عبد الله بن صوريا وكعب بن أسد فقال لهم: "يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا! فوالله إنكم لتعلمون أن
 الذي جئتكم به لحق" فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، وحدثوا ما عرفوا، وأصروا على الكفر. فأنزل الله
 فيهم: {يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها
 فنردها على أدبارها} ... الآية (٢)

(١) تفسير الطبري (٢٦ / ١١) - تفسير الدر المنثور (٧ / ٤٣٧) - المستدرک علی الصحیحین (٣ / ٤٦٩) صححه في التفسير الصحيح (٤/٣٣١).

(٢) تفسير الطبري (٥ / ١٢٤) (٧ / ٢٦٦) (١٠ / ١١١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٨) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٥٥) - تفسير القرطبي (٥ / ٢٤٤) - تفسير ابن كثير (١ / ١٢٣) إسناده ضعيف.

الدراسة:

خص الله محمداً صلى الله عليه وسلم وامته بفضل من عنده ووعد من يؤمن به من أهل الكتاب مضاعفة الأجر ولذلك اجتهد عليه السلام في دعوتهم كما في آيات كثيرة منها:

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } [سورة المائدة ١٥/٥]

وبين لهم فضل القرآن عليهم بقوله: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يُقَصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَحْتَلِفُونَ} [سورة النمل ٢٧/٧٦]

قال الطبري إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقص عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد. (١)

ثم توعدهم بالعذاب ان هم كفروا به فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [سورة النساء ٤/٤٧] قال ابن كثير معناه من قبل أن نطمس وجوها فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل أبصارهم من ورائهم ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهاً فلا نبقى لها سمعاً ولا بصرأً ولا أنفاً ومع ذلك نردها إلى ناحية الأدبار.

وقال العوفي عن ابن عباس في الآية وهي من قبل أي نطمس وجوها وطمسها أن تعمى فردها على أدبارها يقول نجعل وجوههم من قبل أفقيتهم فيمشون القهقري ونجعل لأحدهم عيين من قفاه وكذا قال قتادة وعطية العوفي وهذا أبلغني العقوبة والنكال.

وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقري على أدبارهم. (١)

(١) تفسير الطبري ١٢/١٠

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب وثيقة معاهدة اشتهرت بوثيقة المدينة فصل فيها سياسته مع اليهود ما لهم وما عليهم و سنورد بعض بنودها باختصار:

ذكر ابن إسحاق هذه الوثيقة فقال: "وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم، إثمهم أمة واحدة من دون الناس إلى أن قال ... ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم،... ثم يقول ... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وإثم، فإنه لا يوتغ (٢) إلا نفسه وأهل بيته، وإن لليهود بني النجار مثل ماليهود بني عوف وإن لليهود بني الحارث مثل ماليهود بني عوف، وإن لليهود بني ساعدة مثل ماليهود بني عوف، وإن لليهود بني جشم مثل ماليهود بني عوف، وإن لليهود بني الأوس مثل ماليهود بني عوف، وإن لليهود بني ثعلبة مثل ماليهود بني عوف، إلا من ظلم وإثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ماليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثار جرح وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى

(١) تفسير ابن كثير ١٠٨/١ بتصرف وهو اختيار الطبري (تفسير الطبري ج ٥/ص ١٢١)

(٢) يوتغ : يهلك . النهاية في غريب الأثر ج ٥/ص ٤٨

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره،
..... وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض
من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على
أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظلم وآثم، وإنه من خرج
آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو آثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم)) (١)

(١) ابن هشام، ٥٠١/١-٥٠٢ البداية والنهاية ج:٣ ص:٢٢٥ وما بعدها، والوثائق السياسية لمحمد حميد الله.
ص٥٧ وما بعدها وقد افردتها الدكتور فارس الجميل بدراسة خاصة بعنوان الرسول ' ويهود المدينة من
اصدارات مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

المطلب الثالث : الآثار الواردة في أسئلة اليهود التعنتية للرسول صلى الله عليه وسلم .

الآثار:

المسألة الأولى: طلبهم ان يكلمهم الله

قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ^ط } [سورة البقرة ١١٨/٢]

١٥٤٥-٥٢٤ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير. وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل،

قالا جميعاً: ثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة،

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: قال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن كنت

رسولاً من عند الله كما تقول، فقل لله عز وجل فليكلمنا حتى نسمع كلامه! فأنزل الله عز وجل في

ذلك من قوله: { وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية } الآية كلها. (١)

المسألة الثانية: طلبهم كتاباً خاصاً بهم

قوله تعالى: { أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ

بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ^ط } [سورة البقرة ١٠٨/٢]

١٤٧٣-٥٢٥ - حدثنا به أبو كريب، قال: حدثني يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن

الفضل، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن

جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله

عليه وسلم : اثنتا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أهارا نتبعك ونصدقك ! فأنزل الله في

ذلك من قولهم: { أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل } الآية (٢)

قوله تعالى: { يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى

أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ^ط } [سورة النساء

١٥٣/٤]

(١) تفسير الطبري (١ / ٥١٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢١٥) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٨٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٠٢) - تفسير الدر المنثور (١ / ٢٦٠) -

تفسير ابن كثير (١ / ١٥٣) إسناده ضعيف.

٥٢٦-٨٤٧٦ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء} وذلك أن اليهود والنصارى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لن نتابعك على ما تدعوننا إليه، حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان أنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله! قال الله جل ثناؤه: {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة} (١)

المسألة الثالثة: سؤاله عن الروح

قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة الإسراء ١٧/٨٥]

٥٢٧-١٧١٠٢ - حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة، ومعه عسيب يتوكأ عليه، فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم: اسألوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فقام متوكئا على عسيبه، فقمت خلفه، فظننت أنه يوحى إليه، فقال: {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} فقال بعضهم لبعض: ألم نقل لكم لا تسألوه.

المسألة الرابعة: سؤاله عن الله

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [سورة الإخلاص ١/١١٢]

٥٢٨-٢٩٦١٧ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن محمد، عن سعيد، قال: أتى رهط من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه؛ ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سأله عنه. قال: يقول الله: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد} فلما تلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: صف لنا ربك كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول، وساورهم غضبا، فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سأله عنه: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى

(١) تفسير الطبري (٦ / ٨) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٧٢٦)

عما يشركون { (١)

(١) تفسير الطبري (٢٤ / ٢٨) - تفسير الدر المشهور (٨ / ٦٧١) إسناده ضعيف.

الدراسة

كثيراً ما طلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم أموراً يظنون أنه في عدم تحقيقها سيوقعونه عليه السلام في الحرج، فهذا رافع بن حريملة أحد اليهود يقول: (يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه) ، ويقصد من طلبه هذا التعنت وإحراج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}

بل إنهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يتزل عليهم كتاباً من السماء، يأمرهم بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاء به عن ربه، يقول الله تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ}.

قال لطبري عد أن أورد الأقوال في معنى {كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} قال: "أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن أهل التوراة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه أن يتزل عليهم كتاباً من السماء آية، معجزة جميع الخلق عن أن يأتوا مثلها، شاهدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق، أمرة لهم باتباعه. وجائز أن يكون الذي سأله من ذلك كتاباً مكتوباً يتزل عليهم من السماء إلى جماعتهم، وجائز أن يكون ذلك كتباً إلى أشخاص بأعينهم.

بل الذي هو أولى بظاهر التلاوة أن تكون مسألتهم إياه ذلك كانت مسألة ليتزل الكتاب الواحد إلى جماعتهم لذكر الله تعالى في خيره عنهم الكتاب بلفظ الواحد، بقوله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} ولم يقل: (كتباً)". (١)

(١) تفسير الطبري ج ٦/ص ٨

وقد أكثر اليهود من الأسئلة والمجادلة والمحاورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم محاولين فتنه المسلمين، وزرع بذور الشك والريبة في قلوبهم، آملين أن لا يجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يبينوا للمسلمين أنه قد عجز عن إجابتهم، وأنهم وحدهم الذين عندهم العلم والكتاب، وما أكثر الأسئلة التي سألوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ماجاء في الصحيح عن عبد الله بن مسعود _ قال: ((بيننا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح، فقال ما رأيكم إليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقامت مقامي، فلما نزل الوحي قال: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}} (١)

و عن ثوبان _ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء خبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني، فقلت: ألا تقول رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمي محمد الذي سماه به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أينفعك شيء إن حدثتك، قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه، فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ} [سورة إبراهيم ١٤/٤٨] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم في الظلمة دون الجسر، فقال: فمن أولى الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شراهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني،

(١) صحيح البخاري ج ١/ص ٥٨

قال: جئت أسألك عن الولد، قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مئى الرجل مئى المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مئى المرأة مئى الرجل آنا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبى، ثم انصرف، فذهب.) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه، ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به)) (١)

توضح مدى تعنت اليهود في قبول الحق، واختلاف الأسباب للتفلسف من العهود والمواثيق، فقد أعطوا الرسول صلى الله عليه وسلم العهد إن أجابهم ليصدقنه ويتابعنه، لكنهم لم يفعلوا، بالرغم من إعطائهم العهد والميثاق على ذلك، وقد أكثر اليهود من أسئلتهم للرسول صلى الله عليه وسلم تعنتاً وصلفاً لا يبتغى عن الحق لمتابعته، وهكذا تدرج اليهود في الأسئلة، حتى وصل بهم الحال إلى التطاول على ذات الله تعالى كما بيناه فيما سبق.

(١) رواه مسلم ٣/٢١٧.

المطلب الرابع : إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقول السيء
الآثار:

المسألة الأولى: قولهم: اسمع غير مسمع وراعنا

قوله تعالى: {وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا^ط ٤٦} [سورة النساء ٤/٤٦]

٥٢٩-٧٦٦٧ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: {وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} قال: هذا قول أهل الكتاب يهود كهينة ما يقول الإنسان: اسمع لا سمعت أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشتماً له واستهزاء. (١)

٥٣٠-٧٦٦٨ - حدثت عن المنجاب قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ} قال: يقولون لك: واسمع لا سمعت. (٢)

٥٣١-٧٦٦٩ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد: {وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ} قال: غير مستمع. وغير مقبول ما تقول. (٣)

٥٣٢-٧٦٧٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الحسن في قوله: {وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ} قال: كما تقول: اسمع غير مسموع منك. (٤)

٥٣٣-٧٦٧١ - وحدثنا موسى بن هارون قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي قال: كان ناس منهم يقولون: {وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ} كقولك: اسمع غير صاغ. (٥)

(١) - تفسير الطبري (٥ / ١١٨) تفسير ابن كثير (١ / ٥٠٨)

(٢) تفسير الطبري (٥ / ١١٨) تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٥) تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٥٤) - تفسير القرطبي (٥ / ٢٤٣) - تفسير ابن كثير (١ / ٥٠٨) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٥ / ١١٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٦) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٥٤) - تفسير ابن كثير (١ / ٥٠٨) صححه في التفسير الصحيح (٣/١٢٢)

(٤) تفسير الطبري (٥ / ١١٩) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٦٣) صححه في التفسير الصحيح (٢/٦٠)

(٥) تفسير الطبري (٥ / ١١٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٦) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٥٤) - تفسير ابن كثير (١ / ١٥٠)

قوله تعالى: {وَرَا عِنَّا لَيَّا بِالْسِنْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ
وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة
النساء ٤/٤٧]

٥٣٤-٧٦٧٢ - حدثني الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر قال: قال قتادة: كانت
اليهود يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: راعنا سمعك! يستهزئون بذلك فكانت اليهود قبيحة فقال:

راعنا سمعك ليا بألسنتهم؛ واللي: تحريكهم ألسنتهم بذلك {وَطَعْنَا فِي الدِّينِ} (١)

٥٣٥-٧٦٧٣ - حدثني عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان قال: سمعت
الضحاك يقول في قوله: {رَاعِنَا} كان الرجل من المشركين يقول: أرعني سمعك! يلوي بذلك لسانه
يعني: يحرف معناه. (٢)

٥٣٦-٧٦٧٤ - حدثنا محمد بن سعد قال: ثنا أبي قال: ثنا عمي قال: ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي
الله عنهما: {وَطَعْنَا فِي الدِّينِ} فإنهم كانوا يستهزئون ويلوون ألسنتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
ويطعنون في الدين. (٣)

٥٣٧-١٤٣٨ - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية:
{لَا تَقُولُوا رَاعِنَا} [سورة البقرة ٢/١٠٤] قال: كان أناس من اليهود يقولوا أرعنا سمعك، حتى قالها
أناس من المسلمين. فكره الله لهم ما قالت اليهود، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا} كما
قالت اليهود والنصارى. (٤)

المسألة الثانية: قولهم: السام عليكم

قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَنِيسَ الْمَصِيرُ} [سورة المجادلة ٨/٥٨]

٥٣٨-٢٦١٤٤ - حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالوا: ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن
مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا:
السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) تفسير الطبري (٥ / ١١٩) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٦٣) صححه في التفسير الصحيح (١/١٦٤)

(٢) - تفسير الطبري (٥ / ١١٩)

(٣) تفسير الطبري (٥ / ١١٩) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٧) إسناده ضعيف

(٤) تفسير الطبري (١ / ٤٦٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٩٧) - تفسير ابن كثير (١ / ١٥٠)

((يا عائشة إن الله لا يحب الفحش))، فقلت: يا رسول الله، ألسنت ترى ما يقولون؟ فقال: ((ألسنت ترينني أرد عليهم ما يقولون؟ أقول: عليكم)) وهذه الآية في ذلك نزلت {وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} [سورة المجادلة ٨/٥٨]. (١)

٥٣٩-٢٦١٤٥ - حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق {وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} قال: كانت اليهود يأتون النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون: السام عليكم. (٢)

المسألة الثالثة: قولهم: عند نحويل القبله

قوله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [سورة البقرة ٢/١٤٢]

٥٤٠-١٧٧٣ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قالوا جميعا: ثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد قال: أخبرني سعيد بن جبير أو عكرمة - شك محمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعه بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ونافع بن أبي نافع - هكذا قال ابن حميد وقال أبو كريب: ورافع بن أبي رافع والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فقالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها تتبعك ونصدقك! وإنما يريدون فتنته عن دينه. فأنزل الله فيهم: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ م... إِلَى قَوْلِهِمْ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ وَعَقِبِيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} (٣)

٥٤١-١٧٨٦ - حدثنا به ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثنا ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ١٤) إسناده ضعيف. تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٧٩) - تفسير القرطبي (١٧ /

٢٩٢) - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٢٤) - صحيح البخاري (٥ / ٢٣٥٠) - صحيح مسلم (٤ / ١٧٠٧)

(

(٢) تفسير الطبري (٢٨ / ١٤) - تفسير القرطبي (١٧ / ٢٩٣) - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٢٤) ومسروق

هو الراوي عن عائشة في الصحيحين

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٣) - تفسير الدر المنثور (١ / ٣٤٤) إسناده ضعيف.

عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ذلك قوم من اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له: ارجع إلى قبلك التي كنت عليها تتبعك ونصدقك؛ يريدون فتنته عن دينه. (١)

١٧٨٧-٥٤٢ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ} قال: صلت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وصلى نبي الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة مهاجراً نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيت الحرام. فقال في ذلك قائلون من الناس: {مَا وَلَاَهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا} لقد اشتاق الرجل إلى مولده. فقال الله عز وجل: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [سورة البقرة ١٤٣/٢] (٢)

١٧٨٢-٥٤٣ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح أبو تميلة قال: ثنا الحسين بن واقد، عن عكرمة، وعن يزيد النحوي، عن عكرمة، والحسن البصري قالوا: أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقبل صخرة بيت المقدس وهي قبلة اليهود، فاستقبلها النبي صلى الله عليه وسلم سبعة عشر شهراً، ليؤمنوا به ويتبعوه، ويدعوا بذلك الأميين من العرب، فقال الله عز وجل: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة البقرة ١١٥/٢] (٣)

قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [سورة البقرة ١٤٤/٢]

١٨٦٥-٥٤٤ - حدثنا موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: {وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} أنزل ذلك في اليهود. وقوله: {لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} يعني هؤلاء الأخبار والعلماء من أهل الكتاب يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحرام الذي فرضه الله عز وجل على إبراهيم وذريته وسائر عبادته بعده. (٤)

(١) تفسير الطبري (٢ / ٣) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٤٨) - تفسير الدر المنثور (١ / ٣٤٤) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢ / ٥) - تفسير الدر المنثور (١ / ٣٤٧) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٤) - تفسير الدر المنثور (١ / ٣٤٣) - تفسير ابن كثير (١ / ١٥٨) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢ / ٢٣) - تفسير الدر المنثور (١ / ٣٥٥)

قوله تعالى: {وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سورة البقرة ١٥٠/٢]

٥٤٥-١٨٩٩-حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد عن قتادة: يعني بذلك أهل
الكتاب قالوا حين صرف نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة البيت الحرام: اشتاق الرجل إلى بيت
أبيه ودين قومه. (١)

(١) تفسير الطبري (٢ / ٣١) - تفسير عبد الرزاق (١ / ٦٢) - تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٢٥٨) - تفسير
الدر المنثور (١ / ٣٥٩) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

الدراسة:

إيذاؤهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول السيء

لم يكتف اليهود بسوء الاستقبال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل ذهبوا إلى ما ورثه لهم أسلافهم من أذية الأنبياء عليهم السلام فكان أول أمرهم، الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهمز، وليّ اللسان، وبذاءة المنطق، والتلبيس بتحريف الألفاظ، لتوهم أنها سليمة وليست كذلك، مما يدل على نفوس مريضة، يكفيها ولو مجرد لفظ سيء -صريح أحياناً وغير صريح أحياناً أخرى - تتشفى به قلوبهم المشربة بالمخادعة والنفاق، وقبل ذلك الكفر بالله ورسوله.

ومن الألفاظ التي نبه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنها قولهم: {اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ} [سورة النساء ٤/٤٦] ويقصدون بها الزجر والسب والأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى:

١- اسمع منا غير مسمع، كقول القائل للرجل يسبه: اسمع لا أسمعك الله.
٢- وقيل: أي سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه، أي لا يسمع كلامك وإن سمع لا يقبل منك.

وكلاهما قبيح في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان ظاهر الآية على القول الأول، واختاره ابن جرير وابن كثير. (١)

ومثلها كلمة (راعنا) (٢) والتي فهمى الله المؤمنين من قولها لما فيها من سوء الأدب والجداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص، فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا ويورون بالرعوننة الحماقة، ومنها الراعن وهو الأحمق والأرعن عن مبالغة فيه، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مشابهة الكفارة

(١) تفسير الطبري ج ١/ص ٤٧١ تفسير ابن كثير ج ١/ص ١٥٠

(٢) الأرعن: الأهوَجُ في منطقه المُسْتَرْخِي . و الرُعُونَةُ: السُّمُّقُ والاسْتِرْحَاءُ (لسان العرب ١٣/١٨٢)

قولاً وفعلاً، وكما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنها سبة بلغة اليهود. (١) وهو ما تنبه له سعد بن معاذ _ حين سمع ناساً من اليهود مخاطبوا بما النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: ((لئن سمعتها من أحد منكم لأضربن عنقه.)) (٢)

وقال الحسن: ((الراعن من القول السخري منه فهاهم الله أن يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم وما يدعوهم إليه من الإسلام.))

وقال البخاري: "من الرعونة: إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا راعناً." (٣)

وقال الزجاج: "قد قيل: في {راعنا} ثلاثة أقوال:

١- الأول: أرعنا سَمَعَكَ، وكانت اليهود تتسابَّ بينها بهذه الكلمة، وكانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم في بيوتهم، فلما سمعوا هذه الكلمة اغتتموا أن يُظهروا سبَّهُ بلفظ يسمعه ولا يلحقهم في ظاهره شيء، فأظهر الله النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على ذلك، ونهى عن الكلمة.

٢- الثاني: من المراعاة والمكافأة، فأمرُوا أن يخاطبوه بالتعزير والتوقير، فقيل لهم : لا تقولوا {راعنا} أي كافئنا في المقال، كما يقول بعضكم لبعض، بل قولوا {انظرننا} أي أمهلنا.

٣- الثالث : أن الكلمة {راعنا} كانت تجري مجرى الهُزء والسخرية، فنهوا أن يلفظوا بها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم . (٤)

وقول اليهود على سبيل التورية لأهم كانوا يخشون أن يشتموا النبي صلى الله عليه وسلم مواجهة، فيحتالون على سبه وشتمه عن هذا الطريق المتوي، الذي لا يسلكه إلا من كان مثلهم من السفهاء ومن ثم جاء النهي للمؤمنين عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة، وأمرُوا أن يستبدلوا به مرادفه في المعنى، الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالتة. كي

(١) الدر المنثور - السيوطي ج ١/ص ٢٥٢

(٢) فتح الباري ج ٨/ص ١٦٣

(٣) صحيح البخاري ج ٤/ص ١٦٢٥

(٤) (لسان العرب ١٣/١٨٢)

يفوتوا على اليهود غرضهم السيء، كما في الحديث عن ابن عمر _ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من تشبه بقوم فهو منهم.)) (١)

وأما القول الذي حكي عن عطية أن قوله: {راعنا} كانت كلمة لليهود بمعنى السب والسخرية، فاستعملها المؤمنون أخذاً منهم ذلك عنهم؛ فنقده الطبري قائلاً: "فإن ذلك غير جائز في صفة المؤمنين أن يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاماً لا يعرفون معناه ثم يستعملونه بينهم وفي خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم، ولكنه جائز أن يكون ذلك مما روي عن قتادة أنها كانت كلمة صحيحة مفهومة من كلام العرب وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربي هي عند اليهود سب، وهي عند العرب: أرعني سمعك وفرغه لتفهم عني. فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود في قيلهم ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن معناها منهم خلاف معناها في كلام العرب، فنهى الله عز وجل المؤمنين عن قيلها للنبي صلى الله عليه وسلم لئلا يجترأ من كان معناه في ذلك غير معنى المؤمنين فيه أن يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم به." (٢)

وهذا الذي امتثله صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده من توضيح الألفاظ وسياقها على مراد السامع وليس الحاكي، وأنه يجب العدول إلى اللفظ البين عن اللفظ الموهم، فقد روي عن عمر _ أنه كتب إلى أهل الكوفة ((إنه ذكر لي أن (مترس) بلسان الفارسية الأمانة فإن قلتموها لمن لا يفقه لسانكم فهو آمن.)) (٣)

ونفذ وصية عمر _ الصحابي الجليل: أبو موسى الأشعري _ يوم فتح سوق الأهواز فسعى رجل من المشركين وسعى رجلان من المسلمين خلفه فبينما يسعى ويسعيان إذ قال أحدهما له (مترس) فقام الرجل فأخذه فجاء به وأبو موسى _ يضرب أعناق الأسارى حتى انتهى الأمر إلى الرجل فقال أحد الرجلين إن هذا قد جعل له الأمان فقال أبو موسى _: فقد جعل له الأمان قال: إنه كان يسعى ذاهباً في الأرض وقلت له مترس

(١) رواه أبو داود ج ٤/ص ٤٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٢٨٣١

(٢) تفسير الطبري ج ١/ص ٤٧٢

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج ٦/ص ٥١١ وأصله في صحيح البخاري ٣ / ١٥٧ ولفظه (إذا قال مترس فقد آمنه إن الله يعلم الألسنة كلها). قال ابن حجر: ومترس كلمة فارسية معناها لا تخف وهي بفتح الميم وتشديد المثناة واسكان الراء بعدها مهملة وقد تخفف التاء وبه جزم بعض من لقيناه من العجم (فتح الباري ج ٦/ص ٢٧٥)

فقام، فقال أبو موسى _ وما مترس؟ قال: لا تخف قال: هذا أمان فخليا سبيله فخليا سبيل الرجل. (١)

ومن الألفاظ التي آذى بها اليهود - لعنهم الله - نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قولهم (السام)، فعن أنس بن مالك: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: ((هل تدرون ما قال؟)) قالوا: سلم يا رسول الله، قال: ((بل قال: سام عليكم، أي تسأمون دينكم))، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أقلت سام عليكم؟)) قال: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا وعليك))، أي عليك ما قلت. (٢)، لأن الله يستجيب دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم ودليل ذلك لما قالت عائشة رضي الله عنها: ((أو لم تسمع ما قالوا؟)) قال: ((أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في.)) (٣)

وقولهم (السام) يعنون به الموت - كأنهم دعوا عليه بالموت - ومنه حديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام قلت وما السام قال الموت.)) (٤) وقيل (السام) بالمد من السامة وهو الملل أي تسأمون دينكم، (٥) كما في حديث أنس

فاليهود يجيئون رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لم يجيه به الله كما قال تعالى: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} [سورة المجادلة ٨/٥٨] وحثتهم في ذلك أنهم يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن؛ لأن الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج ٦/ص ٥١١

(٢) سنن الترمذي ج ١/ص ٤٠٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح قال ابن كثير وأصل حديث أنس مخرج في

الصحيح (تفسير ابن كثير ج ٤/ص ٣٢٤). وانظر مجمع الزوائد ج ٨/ص ٤١

(٣) صحيح البخاري ج ٥/ص ٢٢٤٣

(٤) صحيح البخاري ج ٥/ص ٢١٥٣

(٥) عمدة القاري ج ٢٢/ص ١١٣ أو لسان العرب ج ١٢/ص ٢٨٠

تعالى {حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ} أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة {يَصَلُّونَهَا فَيَسَّ الْمَصِيرُ} (١) وجعلوا أن الباري تعالى حلیم لا يعاجل من سبه، فكيف من سب نبيه. وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا أحد أصبر على الأذى من الله يدعون له صاحبة والولد وهو يعافيههم ويرزقهم.)) (٢) فأنزل الله تعالى هذا كشفاً لسرايرهم، وفضحاً لبواطنهم، معجزة لرسول صلى الله عليه وسلم. (٣)

نحويل القبلة

حينما أمر الله - تبارك وتعالى - رسوله صلى الله عليه وسلم بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، قال: {قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلتُوَلِّتْكَ قِبَلَةَ تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} [سورة البقرة ١٤٤/٢]

في الصحيح ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان يصلي معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت.)) (٤)

وفي تحويل القبلة مخالفة لليهود الذين كان يعجبهم توجه المسلمين إلى بيت المقدس، لذا وجدوها فرصة سانحة، ومناسبة عظيمة فأكثرُوا من التساؤل حول هذا الأمر، وقد امتد أثرهم إلى المسلمين، وإلى غيرهم، أما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا وقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، وآذوا رسول الله صلى الله عليه

(١) تفسير ابن كثير ج ٤/ص ٣٢٤ بتصرف يسير

(٢) رواه البخاري ج ٦/ص ٢٦٨٧ و مسلم ج ٤/ص ٢١٦٠

(٣) انظر تفسير القرطبي ج ١٧/ص ٢٩٢

(٤) صحيح البخاري ج ٤/ص ١٦٣١.

وسلم بقولهم: لو كان نبياً لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء، وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا وما رجع إليها إلا أنه الحق، وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه، إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل، وكان الأمر كما أخبر الله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلِهِمُ النَّبِيَّ كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [سورة البقرة ١٤٢/٢]. (١)

وكانت كل هذه التساؤلات بإيحاء من اليهود الذين ذهب طائفة منهم إلى المسلمين قائلين: (أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، إن كانت هدى فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله بها، ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة؟ فقال المسلمون: إن الهدى ما أمر الله تعالى به، وإن الضلالة ما نهى الله تعالى عنه، فقال اليهود للمسلمين: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا، وكان قد مات قبل تحول القبلة من المسلمين، أسعد بن زرارة من بني النجار، والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانا من النقباء، ومات رجال آخرون، فانطلق عشائرتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا رسول الله لقد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم عليه السلام فكيف ياخواننا الذين ماتوا وهم يُصلُّون إلى بيت المقدس، فأنزل الله تعالى قوله في سورة البقرة: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [سورة البقرة ١٤٣/٢]. (٢).

يقول ابن كثير رحمه الله {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}: "أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ما كان يضيع ثوابها عند الله" (٣)، وهكذا زادت هذه الحادثة المؤمنين إيماناً وتصديقاً بالله تعالى ورسوله، وانقلب اليهود على أعقابهم خاسئين مدحورين. كل ذلك

(١) تفسير ابن كثير، ٢٤٩/١ وانظر فتح الباري ٨/ ٢١٦

(٢) تفسير الطبري ج ٢/ص ورواه الترمذي ج ٥/ص ٢٠٨ وقال: حديث حسن صحيح ورواه الحاكم وقال هذا

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرک على الصحيحین ج ٢/ص ٢٩٥)

(٣) تفسير ابن كثير، ٢٥٢/١.

منهم حسداً، أن منّ الله على نبيه والمؤمنين كما في حديث عائشة رضي الله عنها الطويل عند أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنهم لا يجسدونا على شيء كما يجسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين.)) (١)

(١) مسند الإمام أحمد ج٦/ص١٣٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٥١٥

المطلب الخامس: الإيذاء البدني للرسول صلى الله عليه وسلم بالسحر والسج:

الآثار:

قوله تعالى: {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [سورة البقرة ١٠٢/٢]

١٤٠٧-٥٤٦ - حدثنا ابن وكيع، قال: اثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله. (١)

١٤٠٨-٥٤٧ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحدثان: أن يهود بني زريق عقدوا سحر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلوها في بئر حزم حتى كان رسول الله ينكر بصره ودله الله على ما صنعوا. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر حزم التي فيها العقد فانتزعها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((سحرتني يهود بني زريق)). (٢)

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٦٠) - تفسير القرطبي (٢٠ / ٢٥٣) - تفسير ابن كثير (٤ / ٥٧٥) - صحيح

ابن حبان (١٤ / ٥٤٥) - سنن ابن ماجه (٢ / ١١٧٣)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٤٦٠) الطبقات الكبرى ج٢/ص١٩٨

الدراسة:

إيذاؤه بالسحر:

لم يترك اليهود محاولة لأذية الرسول صلى الله عليه وسلم إلاّ وسلكوها، ومن هذه المحاولات عقد السحر الذي يشتهرون به على يد رجل منهم يقال له لبيد بن الأعصم كما في الصحيحين: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: ((يا عائشة أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان (١) فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، (٢) قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت.)) (٣)

(١) في طبقات ابن سعد أهما جبريل وميكائيل ١٩٦/٢ ومصنف ابن أبي شيبة ج ٥/ص ٤٠

(٢) في رواية أخرى يعني مسحورا (صحيح البخاري ج ٥/ص ٢٢٥٢) قال ابن حجر: "يقال طب الرجل بالضم إذا

سحر يقال كتوا عن السحر بالطب تفاعلاً كما قالوا للديغ سليم" (فتح الباري ج ١٠/ص ٢٢٨)

(٣) رواه البخاري ج ٥/ص ٢١٧٤ و مسلم ج ٤/ص ١٧١٩، وقصة طلب اليهود سحر النبي^١ : عن عمر بن الحكم

قال لما رجع رسول الله^٢ من الحديبية في ذي الحجة ودخل الحرم جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق إلى لبيد بن الأعصم اليهودي وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسحر وبالسموم فقالوا له يا أبا الأعصم أنت أسحر منا وقد سحرنا محمداً فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئاً وأنت ترى أثره فينا وخلافه ديننا ومن قتل منا وأجلى ونحن نجعل لك على ذلك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله^٣ فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر فعقد فيه عقداً وتفل فيه تفلًا وجعله في جب طلعة ذكر ثم انتهى به حتى جعله تحت أرعوفة البئر فوجد رسول الله^٤ أمراً أنكره حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وأنكر بصره حتى دله الله عليه فدعا جبير بن إياس الزرقى وقد شهد بدرًا فدلّه على موضع في بئر ذروان تحت أرعوفة البئر فخرج جبير

ولكن الله نجاه منه وشفاه بفضلته ومنه، ولم يؤثر فيه هذا السحر إلا على جسده فقط
لا على ما يقوله ويبلغه عن ربه، والذي يدل على أن الذي أصابه كان من جنس المرض
قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: ((أما أنا فقد شفاني الله.)) ويؤيد ذلك حديث
ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن سعد: ((مرض النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عن
النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان.)) (١)

واعترض بعض العلماء، على مسألة - سحر الرسول صلى الله عليه وسلم - لأنها
تنافي العصمة عندهم. وليست كذلك، فإن الله سبحانه وتعالى يتلي رسله عليهم السلام
بأنواع البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، ويعظم ثوابهم، وهو - فداه أبي وأمي - واحد منهم (لم
يعصم منه عليه الصلاة والسلام، بل أصابه شيء من ذلك، فقد جرح يوم أحد، وكسرت
البيضة على رأسه، ودخلت في وجنتيه بعض حلقات المغفر، وسقط في بعض الحفر التي
كانت هناك، وقد ضيقوا عليه في مكة تضيقاً شديداً، فقد أصابه شيء مما أصاب من قبله
من الرسل، ومما كتبه الله عليه، ورفع الله به درجاته، وأعلى به مقامه، وضاعف به
حسناته، ولكن الله عصمه منهم فلم يستطيعوا قتله ولا منعه من تبليغ الرسالة، ولم يحولوا
بينه وبين ما يجب عليه من البلاغ فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة صلى الله عليه وسلم،
ومن الابتلاء الذي أودى به الرسول صلى الله عليه وسلم ما أصابه من السحر. (٢)

حتى استخرجه ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم فقال ما حملك على ما صنعت فقد دلني الله على سحرك وأخبرني
ما صنعت قال حب الدنانير يا أبا القاسم) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٢/ص ١٩٧ وانظر (فتح الباري
ج ١٠/ص ٢٢٦). وفي رواية للبيهقي:

فلما أصبح رسول الله ' غدا ومعه أصحابه إلى البئر فتزل رجل فاستخرج جف طلعة من تحب الراعوفة فإذا فيها
مشط رسول الله ' ومن مشاطة رأسه وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله ' وإذا فيها أبر مغروزة وإذا وتر فيه
إحدى عشرة عقدة فأتاه جبريل بالمعوذتين فقال يا محمد قل أعوذ برب الفلق وحل عقدة من شر ما خلق وحل
عقده حتى فرغ منها وحل العقد كلها وجعل لا يتزع إبرة إلا يجد لها ألماً ثم يجد بعد ذلك راحة فليل يا رسول
الله لو قتلت اليهودي فقال قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد فأخرجه (الدلائل ٧/٩٤ والدر المنثور
ج ٨/ص ٦٨٧)

(١) الطبقات الكبرى ج ٢/ص ١٩٨ وفتح الباري ١٠ : ٢٢٧

(٢) هناك بعض العلماء أنكروا هذا الحديث ، وردوه رداً منكراً. فمن هؤلاء العلماء (الخصاص) في كتابه أحكام
القرآن : (١ : ٤٩) حيث قال : (ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدین تلعباً بالحشو الطعام)
ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمي في حيث قال : (ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه ، وإن كان

إيذاؤه بالسّم:

مخرجاً في الصحاح ، وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سالماً من القدح والنقد سنداً أو معنى كما يعرفه الراسخون . . .)) (محاسن التأويل) وغيرهم، قال المازري: (وقد انكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب انه يحط من منصب النبوة و يشكك فيه و هذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لان الدلائل القطعية قد قامت على صدقه و صحته و عصمته فيما يتعلق بالتبليغ و يجوز ما قام الدليل بخلافه باطل و اما ما يتعلق بامور الدنيا التي لم يبعث بسببها و لا كان مفضلاً من اجلها و هو مما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا حقيقة له- نقله النووي في شرح صحيح مسلم ج ١٤/ص ١٧٤ وابن حجر في فتح الباري ج ١٠/ص ٢٢٦) وقد اجاب العلماء عن هذه الشبهة بالآتي :

١- أولاً : من المعلوم أن الرسول ' بشر ، فيجوز أن يصيبه ما يصيب البشر من الأوجاع والأمراض وتعدي الخلق عليه وظلمهم إياه كسائر البشر إلى أمثال ذلك مما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها فإنه عليه ' لم يعصم من هذه الامور ، وقد كان ' يصيبه ما يصيب الرسل من أنواع البلاء وغير ذلك، فغير بعيد أن يصاب بمرض أو اعتداء أحد عليه بسحر ونحوه يخيل إليه بسببه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له، كأن يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وهو لم يطأهن، وحدث أنه جاء للرسول ' أحد الصحابة يعوده قائلاً له : إنك توعك يا رسول الله فقال : ((إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم.)) إلا أن الإصابة أو المرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقي الوحي عن الله سبحانه وتعالى ولا إلى البلاغ عن ربه إلى الناس لقيام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الامة على عصمته ' في تلقي الوحي وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشؤون الدين. والذي وقع للرسول ' من السحر هو نوع من المرض الذي يتعلق بالصفات والعوارض البشرية والذي لا علاقة له بالوحي وبالرسالة التي كلف بإبلاغها ، لذلك يظن البعض أن ما أصاب الرسول ' من السحر هو نقصاً وعبياً وليس الأمر كما يظنون لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعترهم من ذلك ما يعترى البشر كما قال الله سبحانه وتعالى : {قالت رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده} وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من تبليغه وشريعته كما حصل لموسى {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [سورة طه ٢٠/٦٦] وجاء في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد ان أخت لبيد بن الاعصم قالت : ((إن يكن نبياً فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله.)) فوقع الشق الاول . فتح الباري ج ١٠/ص ٢٢٧

٢- ثانياً : أما دعواهم أن السحر من عمل الشيطان والشيطان لا سلطان له على عباد الله لأن الله يقول : {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [سورة الحجر ١٥/٤٢] أي في الاغواء ولا شك أن اصابة الشيطان للأنبياء في أبدنهم لا ينفيه القرآن كما قال الله عن أيوب A : {وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [سورة ص ٣٨/٤١] وقوله عن موسى A : {فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى} [سورة طه ٢٠/٦٧] فهذا التخيل الذي وقع لموسى يطابق التخيل الذي وقع للرسول ' ، إلا ان تأثير السحر كما قررنا لا يمكن أن يصل إلى حد الاخلال في تلقي الوحي والعمل به وتبليغه للناس ، لأن النصوص قد دلت على عصمة الرسل في ذلك .

لم يورد الطبري رحمه الله آثاراً في محاولة اليهود سم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنورد هذه المحاولة لارتباطها الوثيق بأذية اليهود لنبينا صلى الله عليه وسلم ، عن أبي هريرة _ أنه قال: ((لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم))، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود فجمعوا له، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبتكم بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت، فقال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبتك عرفت كذبنا كما عرفت في أيينا، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : احسبوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبداً، ثم قال لهم: فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا نعم: فقال هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟ فقالوا: نعم، فقال ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضررك.)) (١)

وفي رواية: ((أن امرأة يهودية دعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحاباً له على شاة مصلية، فلما قعدوا يأكلون أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فوضعها ثم قال لهم: أمسكوا إن هذه الشاة مسمومة، فقال لليهودية: ويلك لأي شيء سممتني، قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فإنه لا يضررك، وإن كان غير ذلك أن أريح الناس منك، وأكل منها بشر بن البراء _ فمات فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم.)) (٢)

وفي رواية: ((كان جابر بن عبد الله _ يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا أيديكم، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها فقال

(١) رواه الإمام أحمد ٤٥١/٢ والبخاري ٥٧٧٧ والنسائي ١١٣٥٥

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ج٣/ص٢٤٢ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

لها: أسممت هذه الشاة؟ قالت اليهودية: من أحريك؟ قال: أخبرتني هذه في يدي للذراع، قالت: نعم، قال: فما أردت إلى ذلك؟ قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة، حجه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار.)) (١)

والذي وضع له السم زينب بنت الحارث قال ابن إسحاق ((لما اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية وكانت سألت أي عضو من الشاة أحب إليه؟ قيل: لها الذراع فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لآك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته فذكر القصة وأنه صفح عنها وأن بشر بن البراء مات منها.)) وإن كان الفاعل واحدة من اليهود إلا أن الفعل ينسب لهم جميعاً كما في رواية البخاري السابقة: ((هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟))

وكان أثر هذا السم على رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم، فكان يعاوده بين حين وآخر، بل في كل عام صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عمر _ قال: قالت أم سلمة رضي الله عنها: ((يا رسول الله لا يزال يصيبك كل عام وجع من الشاة المسمومة التي أكلت.)) قال: ((ما أصابني شيء منها إلا وهو مكتوب علي وآدم في طينته.)) (٢) وفي رواية: ((ما زالت أكلة خيبر تعاودني كل عام، حتى كان هذا أوان قطع أهبري.)) (٣) ثم كانت بإذن الله سبباً في وفاته صلى الله عليه وسلم، فقد زارته أم بشر الذي شاركه أكل الشاة المسمومة، قالت: ((دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي قبض فيه فقلت: بأبي أنت يا رسول الله ما تتهم بنفسك؟ فإني لا أتهم بابني، إلا الطعام الذي أكله معك بخير، - وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات قبل النبي

(١) رواه ابو داود ج٤/ص١٧٣

(٢) سنن ابن ماجه ج٢/ص١١٧٤ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفه رقم ٤٤٢٢

(٣) رواه ابو نعيم وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٥٦٢٩

صلى الله عليه وسلم -)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((وأنا لا أتهم غيرها هذا أوان انقطاع أبهري.)) (١) وهو ما صرح به لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قالت عائشة رضي الله عنها : ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه.)) (يا عائشة رضي الله عنها ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم.)) (٢)

وقد عدها بعض الصحابة شهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكون نبياً شهيداً، قال عبد الله بن مسعود _ : ((لأن أحلف تسعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة إنه لم يقتل، وذلك أن الله عز وجل اتخذ نبياً واتخذ شهيداً.)) (٣)

وهكذا هم اليهود كما هو وصف الله لهم مع الأنبياء: {فَفَرِقًا كَدَبْتُمُوم وَفَرِقًا تَقْتُلُونَ} [سورة البقرة ١٨٧/٢]

(١) رواه ابو داود ج ٤/ص ١٧٥ و الحاكم وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرک على

الصحيحين ج ٣/ص ٢٤٢

(٢) صحيح البخاري ج ٤/ص ١٦١١.

(٣) رواه الإمام أحمد ج ١/ص ٣٨١ و الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرک

على الصحيحين ج ٣/ص ٦٠) وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ج ٩/ص ٣٤

المطلب السادس: المواجهة القتالية بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود:

الآثار:

بنو قينقاع :

قوله تعالى: { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ لَّهُمْ وَسَيُجَنَّبُوكُمُ اللَّهُ وَيُسَوِّدُ لَوَاجِحَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ الْبَصِيرُ } [سورة آل ١٢/٣]

٥٤٨-٥٢٤١ - أبا كريب حدثنا، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر فقدم المدينة، جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: ((يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً))، فقالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنت لم تأت مثلنا! فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ لَّهُمْ وَسَيُجَنَّبُوكُمُ اللَّهُ وَيُسَوِّدُ لَوَاجِحَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ الْبَصِيرُ } إلى قوله: { لِلأُولَى الْأَبْصَارُ } (١)

قوله تعالى: { لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَبُوا وَتَقْتُلُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } [سورة آل عمران ١٨٦/٣]

٥٤٩-٦٦٢٨ - حدثنا به القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عكرمة في قوله: { لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً } قال: نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي أبي بكر رضوان الله عليه، وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق - إلى فنحاص يستمده، وكتب إليه بكتاب، وقال لأبي بكر: ((لا تفتتن علي بشيء حتى ترجع.)) فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف، فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربكم أن نمده ؟ فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا تفتتن علي بشيء حتى ترجع.)) فكف؛ ونزلت: { وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ }

(١) تفسير الطبري (٢٠ / ١١) تفسير ابن أبي حاتم ج: ٢ ص: ٦٠٤ الدر المنثور ج: ٢ ص: ١٥٨ سنن أبي داود

ج: ٣ ص: ١٥٤

[سورة آل عمران ٣/١٨٠] (١)

٥٥٠-٦٦٢٩ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري في قوله: {وَلْتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} قال: هو كعب بن الأشرف، وكان يجرى المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره، ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار فيهم محمد بن مسلمة، ورجل يقال له أبو عبس. فأتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي؛ فلما رأهم ذعر منهم، فأنكر شأنهم، وقالوا: جئناك لحاجة، قال: فليدن إلي بعضكم، فليحدثني بحاجته، فجاءه رجل منهم فقال: جئناك لنبيعك أدرعاً عندنا لنستنفق بها، فقال: والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل، فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدأ عنهم الناس. فأتوه، فنادوه، فقالت امرأته: ما طرقت هؤلاء ساعتهم هذه لشيء مما تحب، قال: إنهم حدثوني بحدثهم وشأنهم. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه أشرف عليهم فكلهم، فقال: أترهنوني أبناءكم؟ وأرادوا أن يبيعهم تماً، قال: فقالوا إنا نستحيي أن تعير أبناءنا فيقال هذا رهينة وسق، وهذا رهينة وسقين، فقال: أترهنوني نساءكم؟ قالوا: أنت أجمل الناس، ولا نأمنك، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك؟ ولكننا نرهنك سلاحنا، فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم. فقال: اتوني بسلاحكم، واحتملوا ما شئتم، قالوا: فانزل إلينا نأخذ عليك، وتأخذ علينا. فذهب يتزل، فتعلقت به امرأته وقالت: أرسل إلى أمثالهم من قومك يكونوا معك. قال: لو وجدني هؤلاء نائماً ما أيقظوني. قالت: فكلهم من فوق البيت، فأبى عليها، فترز إليهم يفوح ريحه، قالوا: ما هذه الرياح يا فلان؟ قال: هذا عطر أم فلان، امرأته. فدنا إليه بعضهم يشم رائحته، ثم اعتنقه، ثم قال: اقتلوا عدو الله، فطعنه أبو عبس في خاصرته، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف، فقتلوه، ثم رجعوا. فأصبحت اليهود مذعورين، فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعة، وما كان يحض عليهم، ويحرض في قتالهم، ويؤذيتهم، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً، فقال: فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه. (٢)

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة المائدة ٥/٥١]

٥٥١-٩٤٧٩ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي، عن عطية بن سعد، قال: جاء عبادة

(١) تفسير الطبري (٤ / ٢٠٠) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٣٩٦) - فتح الباري (٨ / ٢٣١)

(٢) تفسير الطبري (٤ / ٢٠١) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٤٢) - سنن البيهقي الكبرى (٩ / ١٨٣) -

المعجم الكبير (١٩ / ٧٧)

بن الصامت من بني الحرث بن الخزرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله! فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ من ولاية موالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن أبي: ((يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو إليك دونه.)) قال: قد قبلت. فأنزل الله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (١) قوله تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥ } [سورة المائدة ٥٥/٥]

٥٥٢-٩٥١٨ حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: ثني والدي إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف بن الخزرج، فخلعهم إلى رسول الله، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وقال: أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم! ففيه نزلت: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } لقول عبادة: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قينقاع وولايتهم. إلى قوله: { فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } (٢) قوله تعالى: { كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥ } [سورة الحشر ١٥/٥٩]

٥٥٣-٢٦٢٦٤ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قوله { كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } يعني بني قينقاع. (٣)

(١) تفسير الطبري (٦ / ٢٧٥) - تفسير ابن كثير (٢ / ٧٠) - تاريخ مدينة دمشق (٢٦ / ١٩٢)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٢٨٨) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٩٨) - تاريخ مدينة دمشق (٢٦ / ١٩٢)

(٣) تفسير الطبري (٢٨ / ٤٨) الدر المنثور ج: ٨ ص: ٩٢ الأحاديث المختارة ج: ١٠ ص: ٣٥٢ بنحوه إسناده

ضعيف.

الدراسة:

غزوة بني قينقاع :

في فرحة المسلمين بانتصارهم في بدر ، جمع الرسول صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع في سوقهم ودعاهم وذكرهم ما حصل لقريش في بدر ولم يكن مضى عليها إلا شهر تقريباً (١) فقال لهم صلى الله عليه وسلم : ((يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً))، فقالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك إنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا.))

لم يستح أولئك اليهود أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقد نزل الوحي ينذر هؤلاء بسوء المنقلب : {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ لَّهُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [سورة آل عمران ١٢/٣]

كان اليهود في المدينة يؤججون العداوة بين قبيلتي الأوس والخزرج، أهم قبائل المدينة، وجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة مباركة أيدها الأنصار الذين بايعوه في بيعتي العقبة الأولى والثانية وكان أول عمل قام به صلى الله عليه وسلم بعد دخوله المدينة هو المؤاخاة بين قبيلتي الأوس والخزرج ووضع حداً للصراع الذي كان بينهما، فهم حديثوا عهد بقتال فعاشت المدينة في سلم وأمان مطمئنين تحت راية الإسلام.

واليهود كانوا مجموعة من الطوائف أغناهم بنو قينقاع، لأنهم كانوا يشتغلون في صناعة الحلي والذهب والفضة، وكانت أماكنهم التي يعيشون فيها محصنة، وهم بطبيعة الحال لا يحملون خيراً في أنفسهم للمسلمين، بل يحقدون عليهم، وكان سبب الغزوة لما حدث لتلك المرأة المسلمة زوج أحد المسلمين الأنصار، التي كانت في السوق فقصدت أحد الصاغة اليهود لشراء حلي لها، وأثناء وجودها في محل ذلك الصاغة اليهودي، حاول بعضهم رفع حجائها، والحديث إليها، فتمنعت ونهرته، فقام

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨/٢

صاحب المحل الصائغ اليهودي بربط طرف ثوبها وعقده إلى ظهرها، فلما وقفت ارتفع ثوبها وانكشفت. فأخذ اليهود يضحكون منها ويتندرون عليها فصاحت تستنجد من يعينها عليهم. فتقدم رجل مسلم رأى ما حدث لها، فهجم على اليهودي فقتله، ولما حاول منعهم عنها وإخراجها من بينهم تكاثر عليه اليهود وقتلوه، وثار المسلمون لمقتل صاحبهم ونقض اليهود حلفهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وتظاهروا لقتال المسلمين، وكانوا أول يهود ينقضون عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)

ولما تنافر الفريقان، واستنفر كل منهم أصحابه وأعوانه، وصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغضب صلى الله عليه وسلم أشد الغضب وقال: ((ما على هذا أقررناهم.)) ولما علم المسلمون بهذا الخبر هبوا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لتأديب هؤلاء القوم، وإخراجهم من بلدة طيبة التي يسكنها أفضل خلق الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال هؤلاء القوم الذين خانوا عهدهم معه، طاعة لأمر الله تعالى: {وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [سورة الأنفال ٨/٥٨].

ولما أحسوا بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم، احتموا في حصونهم المنيعة في انتظار مجيء المسلمين، فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنذاراً بالخروج من حصونهم، وإلا قضي عليهم جميعاً، فجاء ردهم فيه من الفجور أكثر مما فيه من عدم التبصر. بما سيحدث لهم من جراء ذلك، عند ذلك استعد الرسول وأعد جنده للقتال.. فحمل لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب، وتم حصار الحصون

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤/٣-٤ قال ابن حجر:

وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام قسم وادعهم على أن لا يجاربه ولا يمالئوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وقينقاع وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه وانتظروا ما يتول إليه أمره كطوائف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة وبالعكس كبنو بكر ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً وهم المنافقون فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فترلوا على حكمه وأراد قتلهم فاستوهم منه عبد الله بن أبي وكانوا حلفاءه فوهبهم له وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات (فتح الباري ج ٧/ص ٣٣٠)

وكرر الرسول صلى الله عليه وسلم الإنذار مرة أخرى، فجعلوا يساومون الرسول صلى الله عليه وسلم ويراوغون عليهم يجدون فرصة للانقضاض على المسلمين، لكنهم في آخر الأمر اضطروا للاستسلام والتزول عند رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وجاء عبد الله بن أبي بن سلول الذي يميل إليهم ويعتبرهم قومه وخاصته. جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً له : ((يا محمد أحسن الى موالي -أي أصحابي-)). ولما أبطأ الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بالجواب أدخل يده في جيب درع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتمادى في طلبه، وأثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أغضبه، وقال له: ((اتركني))، ولكن عدو الله قال له : أتقتل أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع قد منعوني وحموني من الأحمر والأسود أي العجم والعرب ... وتحصدهم في غداة واحدة.

فلما ضاق به الرسول صلى الله عليه وسلم نهره قائلاً: ((هم لك ... خذهم لا بارك الله فيهم ...)) وتبرأ عبادة بن الصامت من عبد الله بن أبي بن سلول وكان هو أيضاً حليفهم وهذا دليل على إيمان عبادة _ وظهور نفاق ابن سلول وخرجوا من المدينة مذلولين بدون سلاح وعتاد، واستولى المسلمون على أموالهم وعتادهم وقسم الرسول صلى الله عليه وسلم أموالهم بين المسلمين أخماساً، وأخذ له الخمس، لينفقه على الفقراء والمحتاجين.

وهكذا خرجوا إلى بلاد الشام تاركين خلفهم الأرض الطيبة التي أرادوا أن يدنسوها بخيانتهم، ولم يكن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عبثاً فقد هلكوا جميعاً في بلاد الشام خلال فترة وجيزة. (١)

لقد أنزل الله القصاص العادل باليهود جزاء لهم على خيانتهم العهد، وخاب ظن المنافقين الذين انكشف أمرهم في قوله تعالى: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [سورة الأحزاب ١٢/٣٣] بل وعدهم الكاذب وعهدهم المنقوض ووعد الله ورسوله هو الصادق.

(١) انظر زاد المعاد ١٢٧/٣ وسيرة ابن هشام ٤٧/٢ والطبقات الكبرى ٢٨/٢

مقتل كعب بن الأشرف

بعد هلاك بني قينقاع قام كعب بن الأشرف (١) بتحريض المشركين في مكة بتباكيه شعراً على قتلى بدر ثم رجع يؤذي المؤمنات بتشبيبه بهن شعراً (٢) ثم طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحابته من يكفي المسلمين شرّ كعب بن الأشرف الذي آذى الله ورسوله، فقام بالمهمة العظيمة محمد بن مسلمة _ ومعه بعض الصحابة رضي الله عنهم ، فاحتالوا عليه حتى مكنهم الله منه فقتلوه كما تقدم في سياق الأثر.

(١) كان عربياً من بني نبهان وهم بطن من طيء وكان أبوه أصاب دماً في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرّف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعباً وكان طويلاً جسيماً ذا بطن وهامة وهجا المسلمين بعد وقعة بدر وخرج إلى مكة فتلّ على بن وداعة السهمي والد المطلب فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية فطرده فرجع كعب إلى المدينة وتشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم وروى أبو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أن كعب بن الأشرف كان شاعراً وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها أخلاط فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم استصلاحهم وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اللهم اكفني بن الأشرف بما شئت في إعلانه الشر وقوله الأشعار)) وأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر فلما أبى كعب أن يتزع عن أذاه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه وذكر بن سعد أن قتله كان في ربيع الأول من السنة الثالثة-الطبقات الكبرى ج ٢/ص ٣٢ فتح الباري ج ٧/ص ٣٣٧

(٢) اورد الطبري شيئاً منه يدل على مجونه تاريخ الطبري ٤٨٨/٢

بنو النضير:

الآثار:

قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَرَىٰ إِلَىٰ الْيَوْمِ لَكُم مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ أَوْ تَقُولُوا لَا طَعْنُ عَلَيْنَا قُلُوا لَا طَعْنُ عَلَيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَنَّا وَإِنَّ اللَّهَ لَخَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [سورة النساء ٥١/٤]

٥٥٤-٧٧٣٨ - حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير ما كان حين أتاهم يستعينهم في دية العامريين، فهموا به وبأصحابه، فأطلع الله رسوله على ما هموا به من ذلك، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فهرب كعب بن الأشرف حتى أتى مكة، فعاهدهم على محمد، فقال له أبو سفيان: يا أبا سعد، إنكم قوم تقرؤون الكتاب، وتعلمون، ونحن قوم لا نعلم، فأخبرنا: ديننا خير أم دين محمد؟ قال كعب: اعرضوا علي دينكم! فقال أبو سفيان: نحن قوم ننحر الكوماء، ونسقي الحجاج الماء، ونقري الضيف، ونعمر بيت ربنا، ونعبد آلهتنا التي كان يعبد آباؤنا، ومحمد يأمرنا أن نترك هذا ونتبعه. قال: دينكم خير من دين محمد، فاثبتوا عليه! ألا ترون أن محمداً يزعم أنه بعث بالتواضع، وهو ينكح من النساء ما شاء؟ وما نعلم ملكاً أعظم من ملك النساء! فذلك حين يقول: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَرَىٰ إِلَىٰ الْيَوْمِ لَكُم مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ أَوْ تَقُولُوا لَا طَعْنُ عَلَيْنَا قُلُوا لَا طَعْنُ عَلَيْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَنَّا وَإِنَّ اللَّهَ لَخَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [سورة النساء ٥١/٤]

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّا يَسْتُوعِبُونَ إِتْرَافًا بِأَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [سورة المائدة ١١/٥]

٥٥٥-٩٠١٧ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد بني النجار وهو أحد النقباء ليلة العقبة، فبعثه في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار. فخرجوا، فلقوا عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على بئر معونة، وهي من مياه بني عامر، فاقتتلوا، فقتل المنذر وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم، فلم يرعهم إلا والطير تحوم في السماء، يسقط من بين خراطيمها علق الدم، فقال أحد نفر: قتل أصحابنا والرحمن! ثم تولى يشتد حتى لقي رجلاً، فاختلفا ضربتين، فلما خالطته الضربة، رفع رأسه إلى السماء

(١) تفسير الطبري (٥ / ١٣٤) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٦٣) المعجم الكبير ج: ١١ ص: ٢٥١ مجمع الزوائد

ج: ٧ ص: ٥ حسنه في التفسير الصحيح (٢/٢٨١)

ففتح عينيه، ثم قال: الله أكبر، الجنة ورب العالمين! فكان يدعى "اعنق ليموت". ورجع صاحبا، فلقيا رجلين من بني سليم، وبين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادة، فانتسبا لهما إلى بني عامر، فقتلاه. وقدم قومهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية، فخرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، حتى دخلوا إلى كعب بن الأشرف ويهود بني النضير، فاستعانهم في عقلهما. قال: فاجتمعت اليهود لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، واعتلوا بصنيعة الطعام، فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم بالذي اجتمعت عليه يهود من الغدر، فخرج ثم دعا علياً، فقال: ((لا تبرح مقامك، فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل وجهه إلى المدينة فأدر كوه.)) قال: فجعلوا يبرون علي علي، فيأمرهم بالذي أمره حتى أتى عليه آخرهم، ثم تبعهم؛ فذلك قوله: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ} [سورة المائدة ١٣/٥] (١)

قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة البقرة ٢/٢٥٦]

٥٥٦-٤٥٣٧ - حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن داود، عن عامر، قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاتاً (٢) لا يعيش لها ولد، فتندر إن عاش ولدها أن يجعله مع أهل الكتاب على دينهم. فجاء الإسلام وطوائف من أبناء الأنصار على دينهم، فقالوا: إنما جعلناهم على دينهم، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا، وإذ جاء الله بالإسلام فلنكرهتهم! فتزلت: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} فكان فصل ما بين من اختار اليهودية والإسلام، فمن لحق بهم اختار اليهودية، ومن أقام اختار الإسلام. ولفظ الحديث لحميد. (٣)

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُحْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} [سورة الحشر ٢/٥٩]

(١) تفسير الطبري (٦ / ١٤٥) تفسير الدر المنثور (٣ / ٣٧)

(٢) مقلاتاً أي قليلة الولد فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده وكانت العرب تزعم أن المقلات إذا وطئت رجلاً قتل غدرا عاش ولدها (النهاية في غريب الأثر ج ٤/ص ٩٨) (لسان العرب ج ٥/ص ٢٠٣)

(٣) تفسير الطبري (٣ / ١٤) سنن أبي داود ج ٣: ص ٥٨: صححه في التفسير الصحيح (٣/٦١)

٥٥٧-٢٦١٨٨ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} قيل: الشام، وهم بنو النضير حي من اليهود، فأجلاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر، مرجعه من أحد. (١)

- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري {مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} قال: هم بنو النضير قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة، والحلقة: السلاح، كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسياء. (٢)

- ٢٦١٩٠ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، قال: نزلت في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله عز وجل به من نعمته، وما سلط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم، فقال: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} .. الآيات. (٣)

٥٦٠-٢٦١٩٨ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، قال: احتملوا من أموالهم، يعني بني النضير، ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، قال: فذلك قوله: {يُحْرَبُونَ يُبَوِّئُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} وذلك هدمهم بيوتهم عن نجف أبواهم إذا احتملوا. (٤)

٥٦١-٢٦٢٠١ - حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: {يُحْرَبُونَ يُبَوِّئُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} يعني أهل النضير جعل المسلمون كلما هدموا من حصنهم جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم يبنون ما حرب المسلمون. (٥)

قوله تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ} [سورة الحشر ٣/٥٩]

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ٢٨) - تفسير الدر المنثور (٨ / ٩٢) حسنه في التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

(٢) تفسير الطبري (٢٨ / ٢٨) - تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٨٢) - المستدرک علی الصحیحین (٢ / ٥٢٥)

- فتح الباري (٧ / ٣٣٠)

(٣) الدر المنثور ج: ٨: ص: ٩٢ تفسير ابن كثير ج: ٤: ص: ٣٣١ وفتح الباري ج: ٧: ص: ٣٣٢ إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢٨ / ٣٠) الدر المنثور ج: ٨: ص: ١١٥ تفسير ابن كثير ج: ٤: ص: ٣: إسناده ضعيف.

(٥) - تفسير الطبري (٢٨ / ٣٠) إسناده ضعيف.

٥٦٢-٢٦٢٠٤ - حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: كان النضير من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي. (١)

٥٦٣-٢٦٢٠٥ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ} وكان لهم من الله نعمة {لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا} أي بالسيف {وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} مع ذلك. (٢)

قوله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْحَزِيِ
الْفَاسِقِينَ} [سورة الحشر ٥٩/٥]

٥٦٤-٢٦٢١٩ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان، قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم يعني بيني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل، والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فأنزل الله عز وجل {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْحَزِيِ الْفَاسِقِينَ}. (٣)

قوله تعالى: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة الحشر
٥٩/٦]

٥٦٥-٢٦٢٢٨ - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} قال: أمر الله عز وجل نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجب بها. قال:

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ٣١) - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٣) - المستدرک علی الصحیحین (٢ / ٥٢٥)

(٢) تفسير الطبري (٢٨ / ٣) الدر المنثور ج: ٨ ص: ٩١ تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٣٣٢ سنن البيهقي الكبرى ج: ٩ ص: ٢٣٢ فتح الباري ج: ٧ ص: ٣٣١ إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢٨ / ٣٢) ومعناه في - تفسير الدر المنثور (٨ / ٩١) - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٤) - فتح الباري (٧ / ٣٣١) إسناده ضعيف.

والإيجاف: أن يوضعوا السير وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان من ذلك خير وفدك وقرى عربية، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله عز وجل عذره، فقال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [سورة الحشر ٥٩/٧] ثم قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}... الآية. (١)

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة الحشر ٩/٥٩]

٥٦٦-٢٦٢٤٢- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث أن بني النضير خلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سماك بن خرشة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢)

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ٣٦) تفسير الدر المنثور (٨ / ٩٩) إسناده ضعيف

وصحيح البخاري (٤ / ١٨٥٢) بنحوه سنن البيهقي الكبرى (٧ / ٥٨) السنن الكبرى (٦ / ٤٨٤)

(٢) تفسير الطبري (٢٨ / ٤١) تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٣٣٣ والطبقات الكبرى ج: ٢ ص: ٥٨ إسناده ضعيف.

الدراسة:

بنو النضير:

بنو النضير قبيلة من قبائل اليهود في المدينة، عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم على عدم الاعتداء وعدم نصر عدو له عليه الصلاة والسلام، يسكنون في ضاحية بأطراف المدينة بها حضرة ونخيل وماء تسمى (العوالي) وظل عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم أربع سنوات كاملة قبل أن تحدث هذه الغزوة، ولما ضعفت شوكة اليهود بعد جلاء بني قينقاع عن المدينة النبوية، أخذ بنو النضير يتعاونون مع مشركي قريش بعد انتصار المسلمين في بدر، فعندما أراد أبو سفيان الثأر خرج في مئتي رجل، وأتى سلام بن مشكم وهو سيد بني النضير فاستقبله وسقاه خمراً وتعاون معه لإيذاء المسلمين. ثم هجم أبو سفيان على بعض البيوت وقتل رجلين من الأنصار ثم عاد إلى مكة المكرمة. ثم نقض بنو النضير العهد ثانية عندما رفضوا الاشتراك مع النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد بحجة أن القتال يدور يوم السبت وأن العهد بينهم ينص على المشاركة في الدفاع داخل المدينة وأحد خارجها، ثم توالى الأحداث بعد هزيمة أحد يوم السبت في النصف من شوال في السنة الثالثة من الهجرة، فاستهانت القبائل بأمرهم وأخذت تكيد لهم، فكانت حادثة الرجيع وهو ماء لقبيلة هذيل تعرض فيه ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للقتل والأسر ثم كانت مجزرة بئر معونة وهو بين أرض بني عامر وبني سليم في نجد، في صفر في السنة الرابعة، حيث استشهد محمد بن المنذر بن عمر ومعه أربعين من المسلمين على يد عامر بن الطفيل ومن ناصره من بني سليم، ولم ينج منهم سوى اثنان كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضميري، الذي قتل رجلين من بني عامر أثناء عودته، رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد ضمن لهما أمنهما. (١)

(١) صحيح البخاري ج٤/ص١٥٠٢ والطبقات الكبرى ج٢/ص٥٤ ومجمع الزوائد ج٦/ص١٢٥ وفتح الباري ج٧/ص٣٣١

وكان بنو النضير حلفاء بني عامر، لذلك خرج النبي صلى الله عليه وسلم معه عشرة من كبار الصحابة منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم إلى مقربة من قباء لدفع دية الرجلين، فحاول بنو النضير قتل النبي صلى الله عليه وسلم بأن يلقي عمرو بن جحاش صخرة عليه من على ظهر الجدار وهو جالس. لكن الله تعالى فضح مؤامرتهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعودة إلى المدينة. فخرج وكأنه يريد قضاء حاجة له، فلم يفتن له أحد، ثم تبعه أصحابه، ثم أذّر النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير بالجللاء عن حصونهم ومزارعهم خلال عشرة أيام فاستعد اليهود للرحيل، لكن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وعدهم بالمساعدة بألفين من العرب وحثهم على الصمود لأن إخوتهم من بني قريظة لن يخذلوهم وكذلك حلفاؤهم من غطفان. رفض بنو النضير الإنذار وأخذوا يستعدون للقتال فرموا حصونهم، و أمدوها بالسلاح، وزودوها بمؤونة طعام تكفي أشهر طويلة.

حاصر النبي صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير في حصونهم لمدة عشرين يوماً وأخذ يقطع نخيلهم ويحرق بساتينهم، ومنع مساعدة المنافق عبد الله بن أبي بن سلول وحلفائهم من غطفان بعد أن رفض بنو قريظة نقض العهد معه.

فأيقن بنو النضير من سوء العاقبة، وتملكهم الخوف والرعب، وطلبوا منهم حقن دمائهم مقابل الاستسلام والجللاء، فأجابهم إلى طلبهم شرط أن يخرج كل ثلاثة منهم في بعير يحملون عليه ما شاءوا من دون السلاح، فخرجوا في ستمائة بعير فترل بعضهم في خيبر بزعامه حبي بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع، ورحل البعض الآخر إلى أذرعات عند حدود بلاد الشام. وفي أمر بني النضير يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ

٢ { سورة الحشر ٢/٥٩ } .

لقد خربوا بيوتهم بأيديهم، وذلك يتعلق بعقيدتهم فكل يهودي يعلق على نجاف داره صحيفة فيها وصية موسى لبني إسرائيل، (١) لذلك حملوها معهم عند جلائهم، وقيل: أن ما حملوه معهم هو أخشاب بيوتهم وهي غالية الثمن في ذلك الوقت. وظن بنو النضير أن هذا الجلاء هو انتصار لهم، فخرجوا يرقصون في ابتهاج وسرور، وقد تزينت نساؤهم ويحملون الدفوف والمزامير. (٢) ولم يعلموا ما ينتظرهم من الهلكة، وقد غنم المسلمون من يهود بني النضير سلاحاً كثيراً، عدا الأراضي والبساتين التي قسمت على المهاجرين. وقيل: أن رجلين فقط من بني النضير أسلما فلم تمس أموالهما وهما: يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب. (٣)

(١) تاريخ الطبري ج: ٢ ص: ٨٥ البداية والنهاية ج: ٤ ص: ٧٥

(٢) تاريخ الطبري ج: ٢ ص: ٨٥

(٣) البداية والنهاية ج: ٤ ص: ٧٦ فتح الباري ج: ٧ ص: ٣٣١ الإصابة في تمييز الصحابة ج: ٢ ص: ٤٠٦

بنو قريظة:

الآثار:

قوله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧١} [سورة البقرة ٧٦/٢]

٥٦٧-١١١٣ - حدثنا القاسم، قال: حدثني الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله، {أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم، فقال: ((يا إخوان القردة ويا إخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت)) فقالوا: من أخبر هذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم {أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} بما حكم الله للفتح ليكون لهم حجة عليكم؛ قال ابن جريج، عن مجاهد: هذا حين أرسل إليهم علياً فأذوا محمداً صلى الله عليه وسلم. (١)

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥١} [سورة المائدة ٥١/٥]

٥٦٨-٩٤٨٣ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ} قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة بن عبد المنذر من الأوس، وهو من بني عمرو بن عوف، فبعثه إلى قريظة حين نقضت العهد، فلما أطاعوا له بالتزول أشار إلى حلقه الذبيح الذبيح. (٢)

قوله تعالى: {الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} [سورة الأنفال ٥٦/٨]

٥٦٩-١٢٥٨٧ - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: {الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ} قال: قريظة ماثوا على محمد يوم الخندق

(١) تفسير الطبري (١ / ٣٧١) - تفسير الدر المنثور (١ / ١٩٩) - تفسير ابن كثير (١ / ١١٧) صححه في التفسير الصحيح (١٢٢/٣)

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٢٧٦) الدر المنثور ج: ٤ ص: ٤٩ بلفظ قريب تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ٦٩ والتمهيد لابن عبد البر ج: ٢٠ ص: ٨٥

قوله تعالى: {وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة التوبة ١٠٢/٩]

٥٧٠-١٣٣٢٩ - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: {وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ} قال أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال، أشار إلى حلقه: إن محمداً ذابحكم إن نزلتم على حكم الله. (٢)

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [سورة الأحزاب ٩/٣٣]

٥٧١ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان، في قول الله: {إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح: الملائكة. (٣)

قوله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ} [سورة الأحزاب ١٠/٣٣]

٥٧٢-٢١٦٢٤ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان، قوله {إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} فالذين جاؤوهم من فوقهم: قريظة، والذين جاؤوهم من أسفل منهم: قريش وغطفان. (٤)

٥٧٣-٢١٦٩١ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: فحدثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة))، ثم استزلوا، فحبسهم

(١) تفسير الطبري (١٠ / ٢٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٧١٩) - تفسير الدر المنثور (٤ / ٨١)

(٢) تفسير الطبري (١١ / ١٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٨٧٢) - تفسير الدر المنثور (٤ / ٤٩) -

تفسير القرطبي (١٤ / ١٤٠) - تفسير ابن كثير (٢ / ٣٨٦)

(٣) تفسير الطبري (٢١ / ١٢٨) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٥٧٣) - تفسير ابن كثير (٣ / ٤٧١) إسناده

ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢١ / ١٣١) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٥٧٥) - تفسير القرطبي (١٤ / ١٢٩) - فتح

الباري (٧ / ٤٠٠) إسناده ضعيف.

رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار ابنة الحارث امرأة من بني النجار. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخذق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حبي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ست مئة أو سبع مئة، والمكثر منهم يقول: كانوا من الثمان مئة إلى التسع مئة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالاً: يا كعب، ما ترى ما يصنع بنا؟ فقال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا يتزع، وإنه من يذهب به منكم فما يرجع، هو والله القتل؛ فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتى بجبي بن أخطب عدو الله، وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأئمة أئمة، لئلا يسلبها؛ مجموعة يدها إلى عنقه بجبل، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل؛ ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، وملحمة قد كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه؛ فقال جبل بن جوال الثعلبي:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل
لجهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يبغي العز كل مقلقل

(١)

(١) تفسير الطبري ١٥٣/٢١ إسناده ضعيف.

الدراسة:

بنو قريظة:

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صباح اليوم الذي فرغ فيه من غزوة الخندق ولم يكد يضع السلاح حتى أتاه جبريل عليه السلام في صورة رجل يلبس عمامة يركب بغلة عليها سرج وقال له أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: ((نعم))، قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إلى بني قريظة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً، فأذن في الناس: إن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب _ برأيته إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب _ حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخبات، قال: ((لم؟ أظنك سمعت لي منهم أذى.))، قال: نعم يا رسول الله. قال: ((لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً)). فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال: ((يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته.)) (١) قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً، ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: ((هل مر بكم أحد؟)) فقالوا: يا رسول الله، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ذاك جبرائيل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم.))؛ فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة؛ نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أنا، فتلاحق به الناس، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة.))، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله صلى الله عليه وسلم. قال:

(١) تفسير الطبري ج ١/ص ٣٧١ الدر المنثور ج ١/ص ١٩٩

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حبي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها، قالوا: وما هن؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقته، فوالله لقد تبين لكم إنه لنبي مرسل، وإنه الذي كنتم تجدونه في كتابكم، فتأمّنوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه علي، فهلّمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصليين بالسيوف، ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن هلك هلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؛ قال: فإذا أبيتم هذه علي، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؟ أما من قد علمت فأصابعهم من المسخ ما لم يخف عليك؟ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً، قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا من حلفاء الأوس، نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبيكون في وجهه، فرقّ لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت، وعاهد الله لا يطأ بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره، وكان قد استبطأه، قال: ((أما إنه لو كان جاعني لاستغفرت له. أما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.))

ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة، ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سعدى؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمي إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله؛ فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب، فلا يدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا؛ فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه، فقال: ((ذاك رجل نجاه الله بوفائه)). قال: وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصبحت رمته ملقاة، ولا يدرى أين ذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة، فإله أعلم.

فلما أصبحوا، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فتزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول، فوهبهم له؛ فلما كلمته الأوس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟)) قالوا: بلى، قال: ((فذاك إلى سعد بن معاذ))، وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: ((اجعلوه في خيمة رفيدة (١) حتى أعوده من قريب.))؛ فلما حكمه

(١) رفيدة بالفاء مصغرة يقال هي صاحبة الخيمة التي كانت في المسجد تداوي فيها الجرحى صحابية (بخ) وتسمى

كعيبة انظر تقريب التهذيب ج: ١ ص: ٧٤٧

رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة، أتاه قومه فاحتملوه على حمار، وقد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى إليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ من كلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، قال: ((قوموا إلى سيدكم))، فقاموا إليه فقالوا: ((يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك مواليك لتحكم فيهم))، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم كما حكمت، قال: نعم، قال: وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نعم))، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبي الذراري والنساء. (١)

وليس لمعارض أن يعتبر ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم حياً لسفك الدماء؛ لأن هذا حكم الله من فوق سبع سماوات أولاً وأخيراً، ثم إن هذا هو ما كان سيفعله اليهود لو قدروا عليه كما نص على ذلك كتابهم الذي يؤمنون به فقد ورد فيه: "حين تقترب من مدينة لكي تحاربها...و..لم تسالملك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إهلك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك." (٢)

(١) روايات غزوة بني قريظة كثيرة وساقها الطبري رحمه الله (٦ / ٢٣١) بعدة اسانيد وقد رواها غيره كما في - تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٨٧٣) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٥٩٣) - تفسير القرطبي (٥ / ٣٥) - تفسير ابن كثير (٢ / ٦٩) - صحيح البخاري (٣ / ١١٠٧) - صحيح مسلم (٣ / ١٣٨٨) - سنن البيهقي الكبرى (٦ / ٥٧) - صحيح ابن حبان (١٥ / ٤٩٦) - مصنف عبد الرزاق (٥ / ٣٧١) - مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٣٧٩) - مسند الإمام أحمد (٣ / ٧١) - تاريخ مدينة دمشق (١ / ١٨٢) (٢) سفر التثنية الاصحاح ٢٠ فقرة من ١٠ إلى ١٤ بواسطة العنصرية اليهودية د احمد الزغبى ٤٥٩/٢

يهود خبير:

الآثار:

قوله تعالى: {وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [سورة الفتح ٤٨/٢٠]

٥٧٤-٢٤٤١١ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ}

عن يبوهم، وعن عياهم بالمدينة حين ساروا إلى الحديبية وإلى خبير، وكانت خبير في ذلك الوجه. (١)

قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة البقرة ٢/٢٥٦]

٥٧٥-٤٥٣٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت داود، عن عامر، بنحو معناه، إلا أنه قال: فكان فصل ما بينهم إجماع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير، فلحق بهم من كان يهودياً ولم يسلم منهم، وبقي من أسلم. (٢)

قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة آل ٣/١٨٨]

٥٧٦-٦٦٥٤ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن أعداء الله اليهود يهود خبير أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فزعموا أنهم راضون بالذي جاء به، وأنهم متابعه وهم متمسكون بضلالتهم، وأرادوا أن يحمدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا، فأنزل الله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} (٣)

(١) تفسير الطبري (٢ / ١٨٧) تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٢٧) - تفسير الدر المنثور (٧ / ٥٢٥) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

(٢) تفسير الطبري (٣ / ١٤)

(٣) تفسير الطبري (٤ / ٢٠٨) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٤٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٨٤٠) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }^ط
[سورة المائدة ٨/٥]

٥٧٧-٩٠١٢ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } نزلت في يهود خيبر، أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم . وقال ابن جريج: قال عبد الله بن كثير: ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يهود يستعينهم في دية، فهموا أن يقتلوه. (١)

قوله تعالى: { وَأَوْزَرْتَكُمْ أَرْضَهُمْ وِدْيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْبُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا }^ط [سورة الأحزاب ٢٧/٣٣]

٥٧٨-٢١٧٠١ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان { وَأَرْضًا لَمْ تَطْبُوهَا } قال: خيبر. (٢)

قوله تعالى: { وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا }^ط [سورة الفتح ٢٠/٤٨]

٥٧٩-٢٤٤٠٩ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: { فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِ } وهي خيبر. (٣)

يهود فدك وتيماء ووادي القرى وأذرح

قوله تعالى: { وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ } [سورة المائدة ٤١/٥]

٥٨٠-٩٣٢١ - حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، قال: ثنا زكريا ومجالد، عن الشعبي، عن جابر في قوله: { وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ } قال: يهود المدينة؛ { لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ } قال: يهود فدك

(١) - تفسير الطبري (٦ / ١٤١) الدر المنثور ج: ٣ ص: ٣٥

(٢) تفسير الطبري (٢١ / ١٥٥) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢٦ / ٨٩) - تفسير الدر المنثور (٧ / ٥٢٥) - تفسير ابن كثير (٤ / ١٩٢) - سنن

البيهقي الكبرى (٦ / ٣٣٤) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

يقولون ليهود المدينة : إن أوتيتم هذا فخذوه. (١)

قوله تعالى: {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} [سورة الحشر ٦/٥٩]

٥٨١-٢٦٢٢٥ - حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، في قوله {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} قال : صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل فدك وقرى قد سماها لا أحفظها، وهو محاصر قوماً آخرين، فأرسلوا إليه بالصلح ، قال: {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} يقول : بغير قتال. قال الزهري : فكانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لم يفتحوها عنوة، بل على صلح، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئاً، إلا رجلين كانت بهما حاجة (٢)

قوله تعالى: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ

اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة الحشر ٦/٥٩]

٥٨٢-٢٦٢٢٨ - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قوله {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} قال: أمر الله عز وجل نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان من ذلك خيبر وفدك وقرى عربية، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله عز وجل عذره، فقال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [سورة الحشر ٧/٥٩] ثم قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}... الآية. (٣)

٥٨٣-١٦٤ - وحدثنا حميد بن مسعدة الشامي ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، قال : حدثنا الجريري عن

(١) تفسير الطبري (٦ / ٢٣٥) - تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٣١) - تفسير الدر المنثور (٣ / ٧٨)

(٢) تفسير الطبري (٢٨ / ٣٥) - تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٨٣) - تفسير الدر المنثور (٨ / ٩٩) - سنن

البيهقي الكبرى (٦ / ٢٩٦) - سنن أبي داود (٣ / ١٤٣)

(٣) تفسير الطبري (٢٨ / ٣٦) تفسير الدر المنثور (٨ / ٩٩) إسناده ضعيف

وصحيح البخاري (٤ / ١٨٥٢) بنحوه سنن البيهقي الكبرى (٧ / ٥٨) السنن الكبرى (٦ / ٤٨٤)

عبد الله بن شقيق: أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر وادي القرى فقال: من هؤلاء الذين تحاصر يا رسول الله؟ قال: ((هؤلاء المغضوب عليهم: اليهود.)) (١)

١٣٥٣٨-٥٨٤ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة، صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية. (باختصار) (٢)

(١) تفسير الطبري (١ / ٨٠)

(٢) تفسير الطبري (١١ / ٥٨) - سنن البيهقي (٩ / ١٨٥)

الدراسة:

خيبر:

عندما ذهب طائفة من يهود بني النضير إلى خيبر لم يطل بها المقام في سكون ودعة، بل أخذت تعد العدة وتجهز لفصل آخر من فصول الإيذاء للإسلام والمسلمين، وهذا هو دأب اليهود لا ينتهون من مؤامرة حتى يبدأوا في حياكة أخرى، فكان من أسباب تحزب الأحزاب يوم الخندق، أن نفرأ من اليهود، منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوههم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله، وكان يهود خيبر يسكنون على مسافة ليست بالبعيدة من المدينة إلى جهة الشام وكان أهلها ينعمون برواج مادي مكنهم من بناء بيوت حصينة لسكناهم، وأحاطوها بحصون بحسب تجمعاتهم، وفي السنة السابعة للهجرة بدؤوا يعدون العدة لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم واتصلوا بغطفان لنصرتهم.

وحال صلح الحديبية بينهم وبين قريش من الاشتراك في حرب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان لهجرة بني قينقاع إليهم وبعض بني النضير أثره في إيقاد نار الحقد على الرسول صلى الله عليه وسلم محاولين القضاء عليه.

وعندما تيقن الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان من أمرهم خرج إليهم في نفس السنة في ألف وستمائة من الصحابة رضي الله عنهم. وقد فاجأهم وصوله، فضلاً عن إرسال بعض الصحابة إلى غطفان ليشغلوهم عن التوجه إلى خيبر، حتى كتب الله له الغلبة على اليهود بعد قتال مرير، وقد انتهت المعركة بنصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم على يهود خيبر.

ثم استبقى الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود بأرض خيبر للمزارعة على أن يعطوا نصف الثمر للمسلمين. ليسوا شركاء ولكن عمالاً يطردهم متى شاء فقال لهم صلى الله عليه

وسلم : ((إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم.)) (١)

فعن ابن عمر _ أن صلى الله عليه وسلم : ((قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض وأجأهم إلى قصرهم فصالحوه على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء والحلقة ولهم ما حملت ركابهم، على أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكاً لحبي بن أخطب وقد كان قتل قبل خيبر كان احتمله معه يوم بني النضير حين أحليت النضير فيه حليهم، قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعيه أين مسك حبي بن أخطب، قال أذهبته الحروب والنفقات، فوجدوا المسك فقتل ابن الحقيق وسي نساءهم وذرايرهم وأراد أن يجليهم، فقالوا: يا محمد دعنا نعمل في هذه الأرض ولنا الشطر ما بدا لك ولكم الشطر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر وعشرين وسقاً من شعير، (٢) وكان من نتائج هذه الغزوة توقيع معاهدات صلح مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبين بقية اليهود مع دفع الجزية وذلك على النحو التالي:

: ما أن علموا بنصر الله لنبيه على يهود خيبر حتى أرسلوا رسلهم يطلبون المصالحة على النصف من فذك، فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك منهم بنفس شروط خيبر.

: (موضع قرب المدينة يسكنه اليهود) حاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى المدينة أربعة أيام وقتل منهم أحد عشر رجلاً وفتح ديارهم بالقوة ثم قسمهم الرسول صلى الله عليه وسلم كغنائم على أصحابه واستبقاهم لزراعة الأرض وعاملهم عليها.

: : صالحوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الجزية بعد علمهم بهزيمة يهود وادي القرى. (٣)

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٤٢ - ٣٤٦، و سنن البيهقي الكبرى ج ٦/ص ١١٤

(٢) سنن أبي داود ج: ٣ ص: ١٥٧

(٣) ومثال على ما كان يصالحهم رسول الله عليه ((هذا كتابه الى أهل أذرح وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله ومحمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيلاً عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من المسلمين:

المطلب الأول: إثارة الفتنة بينهم:

الآثار:

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } [سورة آل عمران ١٠٠/٣]

٥٨٥-٥٩٤ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني الثقة، عن زيد بن أسلم، قال: مر شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه. فغاظه ما رأى من جماعتهم وأقتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملاً بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من اليهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم وذكرهم يوم بعث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان يوم بعث يوماً اقتتل في الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى توثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيسي أحد بني حارثة بن الحرث من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شتتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة - والظاهرة: الحرة - فخرجوا إليها وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: "يا معشر المسلمين الله الله، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا" فعرف القوم أنها نزع من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً. ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما

المسلمين وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه)) للتفصيل في معارك الرسول مع اطوائف اليهود انظر: الطبقات الكبرى ج ١/ص ٢٩٠ سنن أبي داود ج ٣/ص ١٤٣ سنن البيهقي الكبرى ج ٦/ص ٣١٧ تاريخ مدينة دمشق ج ٢/ص ٣٢٢ وابن هشام ٣/٣٦٨. فتح الباري ج ٦/ص ٢٠٣

صنع فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ} ١٨ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا {سورة آل عمران ٩٨-٩٩} ... الآية وأنزل الله عز وجل في أوس بن قيطي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} إلى قوله: {أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١)

٥٨٦-٥٩٥ - حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} قال: نزلت في ثعلبة بن عنمة الأنصاري، كان بينه وبين أناس من الأنصار كلام، فمشى بينهم يهودي من قينقاع، فحمل بعضهم على بعض حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقاتلوا، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} يقول: إن حملتم السلاح فاقتلتهم كفرتم. (٢)

٥٨٧-٥٩٥ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، عن حميد الأعرج عن مجاهد في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} قال: كان جماع قبائل الأنصار بطين الأوس والخزرج، وكان بينهما في الجاهلية حرب. ودماء وشنآن، حتى من الله عليهم بالإسلام وبالنبي صلى الله عليه وسلم، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم، وألف بينهم بالإسلام قال: فبيننا رجل من الأوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان، ومعهما يهودي جالس، فلم يزل يذكرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهم، حتى استبأ، ثم اقتتلا. قال: فنادى هذا قومه، وهذا قومه، فخرجوا بالسلاح، وصف بعضهم لبعض. قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد يومئذ بالمدينة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل يمشي بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ليسكنهم، حتى رجعوا ووضعوا السلاح، فأنزل الله عز وجل القرآن في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} إلى قوله: {عَذَابٌ عَظِيمٌ} (٣)

(١) تفسير الطبري (٤ / ٢٣) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٧٨) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٤ / ٢٤) - تفسير القرطبي (٥ / ٢٥٠) حسنه في التفسير الصحيح (٢ / ٢٨١)

(٣) تفسير الطبري (٤ / ٢٥) - تفسير عبد الرزاق (١ / ١٢٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٧١٩)

المطب الثاني: تشكيك المسلمين

قوله تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا } [سورة آل

عمران ٩٩/٣]

٥٨٨-٥٩٤٦- حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: { يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا } كانوا إذا سألهم أحد: هل تجدون

محمدًا؟ قالوا: لا! فصدوا عنه الناس، وبغوا محمدًا عوجًا: هلاكًا. (١)

٥٨٩-٧٥٣٣ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن

سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف،

وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، ومجري بن عمرو، وحبي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت،

يأتون رجالا من الأنصار، وكانوا يخالطونهم، يتنصحنون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم

لا تدرون ما يكون فأنزل الله فيهم: { الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ

مِنْ فَضْلِهِ } [سورة النساء ٣٧/٤] أي من النبوة التي فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم،

{ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا }... إلى قوله: { وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا }. (٢)

قوله تعالى: { وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ

النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [سورة آل عمران ٧٢/٣]

٥٩٠-٥٧١٦- حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: { وَقَالَتْ

طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ } كان أحبار قرى عربية اثني عشر حبرا، فقالوا لبعضهم: ادخلوا في دين محمد أول النهار،

وقولوا نشهد أن محمدا حق صادق، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا

فسألناهم، فحدثونا أن محمدا كاذب، وأنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من

دينكم، لعلهم يشكون، يقولون: هؤلاء كانوا معنا أول النهار، فما بالهم؟ فأخبر الله عز وجل رسوله

(١) تفسير الطبري (٤ / ٢٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٧١٧) حسنه في التفسير الصحيح (٢ / ٢٨١)

(٢) تفسير الطبري (٥ / ٨٦) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٣٨) إسناده ضعيف.

صلى الله عليه وسلم بذلك. (١)

٥٩١-٥٧١٧- حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل {آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ} يهود تقوله صلت مع محمد صلاة الصبح، وكفروا آخر النهار مكرًا منهم، ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه. (٢)

٥٩٢-٥٧١٨- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: {وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ}... الآية. وذلك أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، لعلهم ينقلبون عن دينهم، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم. (٣)

٥٩٣-٥٧٢٤- حدثنا محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} : لعلهم ينقلبون عن دينهم. (٤)

(١) تفسير الطبري (٥ / ٨٦) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٥٣٨) حسنه في التفسير الصحيح (٢٨١/٢)

(٢) تفسير الطبري (٣ / ٣١٢) - تفسير ابن كثير (١ / ٣٧٤)

(٣) تفسير الطبري ٣/٣١٢ - تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٨٠ - تفسير الدر المنثور ٢/٢٤١ - تفسير ابن كثير ١/٣٧٤

إسناده ضعيف

(٤) تفسير الطبري (٣ / ٣١٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٨٠) إسناده ضعيف

الدراسة:

دخل الإسلام المدينة، وأصبح المسلمون أكثرية لا يستهان بها، ولم يبق بيت في المدينة لم يدخله نور الإسلام، في المقابل كانت هناك فئات لم تسلم، يشكل اليهود الغالبية العظمى منها، ولما كان هؤلاء اليهود لا يضمرون للإسلام وأهله إلا الكره والبغض، فقد عملوا ماوسعهم الجهد على إيجاد بواعث للشقاق والخلاف بين الفئات المسلمة، وأصبح في المدينة نوعان من المسلمين:

١- فئة أسلمت عن حق، ودخل الإسلام قلبها، تستهون في سبيله الصعاب والعقبات.

٢- وفئت أسلمت نفاقاً، كان لليهود دور كبير في إيجادها، وهواها تبع لهوى اليهود، تأتمر بأمرهم، وتنفذ خططهم، كما سيأتي.

أما الفئة التي أسلمت بحق، فقد سعى اليهود في تأليبهم على بعضهم لما رأوا من تماسكهم، وذلك متى ما وجدوا الفرصة مواتية، ولذا تتجلى طبيعة دور اليهود تجاه المسلمين، فقد كان الأوس والخزرج قبل ظهور الإسلام، وقبل أن يمنّ الله عليهم فيسلموا في فرقة وشتات وتناحر، وكان اليهود يغذون هذا الصراع الدائر بين القبيلتين، ويمدونه ما استطاعوا بعوامل إيقاد الحروب، ولما دخل الإسلام المدينة واجتمعت القلوب، وصفت الأنفس، وأصبح الأوس والخزرج تجمعهم كلمة واحدة، ويربطهم رباط الإسلام الذي صاروا بفضل الله ثم بفضلته قوة واحدة متماسكة، بعد أن كانوا قبائل متناحرة، فغيظ اليهود لهذا لأنهم كانوا في قرارهم يتمنون زوال هذا الدين، ويسعون لهدمه، ولما كان من الصعب عليهم مواجهة المسلمين وهم قوة متألّفة مترابطة، فإنه لم يكن أمامهم سوى خلخلة الجبهة الداخلية للمسلمين، وضرب هذه الوحدة وهذا التآلف، لذا سعوا ماوسعهم الجهد في تأليب المسلمين على بعض، والوقية بينهم، وتذكيرهم بما كانوا عليه قبل الإسلام، والتحريض على أخذ الثأر ليسهل عليهم اختراق الصفوف المسلمة، وهدم الإسلام من داخله وبأيدي أبنائه، ولكن الله حمى الإسلام والمسلمين من مكائد اليهود،

وعاد المسلمون إلى رشدهم بعد أن بين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا من دعوى الجاهلية، كما في قصة شاس المتقدمة في الأثر.

ومثله تشكيك المسلمين في دينهم منخدعين بكون اليهود أهل كتاب وقد استغل اليهود ذلك استغلالاً دينياً كما مر في الأثر قال ابن كثير: "هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم إطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين." (١)

وقال القرطبي: "معناه أنهم جاؤوا محمداً صلى الله عليه وسلم أول النهار ورجعوا من عنده فقالوا للسفلة: هو حق فاتبعوه، ثم قالوا: حتى ننظر في التوراة، ثم رجعوا في آخر النهار فقالوا: قد نظرنا في التوراة فليس هو به. يقولون إنه ليس بحق، وإنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة وأن يشككوا فيه." (٢)

(١) تفسير ابن كثير ج ١/ص ٣٧٤

(٢) تفسير القرطبي ج ٤/ص ١١١

المطلب الثالث: من أسلم منهم:

الآثار:

قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأحقاف ٤٦/١٠]

٥٩٤ - ٢٤١٧١ - حدثنا الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبو داود الطيالسي ، قال : ثنا شعيب بن صفوان ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : قال عبد الله :

أنزل في {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} . . . إلى قوله : {فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ} (١)

٥٩٥ - ٢٤١٧١ - محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [سورة فصلت ٤١/٥٢]... الآية قال: كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال: إنا نجد في التوراة وكان أفضل رجل منهم وأعلمهم بالكتاب فخاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((أترضون أن يحكم بيني وبينكم عبد الله بن سلام، أتؤمنون؟)) قالوا: نعم فأرسل إلى عبد الله بن سلام فقال: ((أتشهد أني رسول الله مكتوباً في التوراة والإنجيل)) قال: نعم فأعرضت اليهود، وأسلم عبد الله بن سلام فهو الذي قال الله جل ثناؤه عنه: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} يقول: فأمن عبد الله بن سلام. (٢)

٥٩٦ - ٢٤١٧٤ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}... الآية كنا نحدث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام وكان من أحبار اليهود. (٣)

٥٩٧ - ٢٤١٧٨ - حدثني أبو شرحبيل الحمصي ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن

(١) - تفسير الطبري (٢٦ / ١٠) (١) تفسير الدر المنثور (٧ / ٤٣٨) - تفسير الدر المنثور (٧ / ٤٣٩) -

تفسير القرطبي (٩ / ٣٣٦)

(٢) تفسير الطبري (٢٦ / ١٠) - تفسير الدر المنثور (٦ / ٤٢٣) إسناده ضعيف

(٣) تفسير الطبري (٢٦ / ١٠) حسنه في التفسير الصحيح (١/٢٢٣)

عبد الرحمن بن جبير بن نفيير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم ، فكرهوا دخولنا عليهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا هو ، وأن محمداً رسول الله ، يجبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه)) ، قال : فأسكتوا فما أجابه منهم أحد ، ثم ثلث فلم يجبه أحد ، فانصرف وأنا معه ، حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا : كما أنت يا محمد ، قال : فأقبل ، فقال ذلك الرجل : أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود ، قالوا : والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ، ولا أفاقه منك ، ولا من أبيك ، ولا من جدك قبل أبيك ، قال : فإني أشهد بالله أنه النبي صلى الله عليه وسلم الذي تجدون في التوراة والإنجيل ، قالوا : كذبت ، ثم ردوا عليه قوله وقالوا له شراً ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كذبتم لن نقبل قولكم ، أما أنفا فتشنون عليه من الخير ما أنثيتم ، وأما إذ آمن كذبتموه وقتلتم ما قتلتم ، فلن نقبل قولكم)) ، قال : فخرجنا ونحن ثلاثة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا ، وعبد الله بن سلام ، فأنزل الله فيه : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } . . . الآية . (١)

قوله تعالى : { لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ } [سورة آل عمران

[١١٣/٣

٥٩٨-٦٠٤٤ - حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثني محمد بن محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه ، قالت : أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ، وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : { لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ } إلى قوله : { وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } (٢)

٥٩٩-٦٠٤٦ - حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : { أُمَّةٌ قَائِمَةٌ } عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سلام أخوه ، وسعية ومبشر ، وأسيد وأسد ابنا كعب . (٣)

(١) تفسير الطبري (٢٦ / ١١) - تفسير الدر المنثور (٧ / ٤٣٧) - المستدرک علی الصحیحین (٣ / ٤٦٩)

صححه في التفسير الصحيح (٣٣١/٤)

(٢) تفسير الطبري (٤ / ٥٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٧٣٧) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٩٦) - تفسير

القرطبي (٤ / ١٧٥) إسناده ضعيف .

(٣) تفسير الطبري (٤ / ٥٣) - تفسير الدر المنثور (٢ / ٢٩٦)

الدراسة:

لم يسلم من اليهود إلا عدد قليل من الرجال والنساء:
أ- فمن الرجال:

١- :

لم تقتصر عداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ، وللإسلام فقط، بل تعدى ذلك إلى معاداة المسلمين، حتى ولو كان من أحبار اليهود ومن علمائهم، ويبرز هذا في موقفهم من عبد الله بن سلام الذي حدث عن إسلامه قائلاً: ((لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكل له، فكنت مُسراً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما نزل بقاء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدمه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران عليه السلام قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمه، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم، قال: فقالت: فذاك إذاً، قال: ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.)) (١)

ولكن اليهود كعادتهم في خبث الطوية وانقلاب المواقف لم يعجبهم إسلام حبر من أحبارهم، ذو علم كانوا يرجعون إليه وإلى والده، فعن أنس قال: ((سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يجترق فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهم إلا نبي: فما أول أشرط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة، وما يترع الولد إلى أبيه أو إلى أمه، قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى

(١) سيرة ابن هشام، ١/٥١٦-٥١٧. وفتح الباري ج٧/ص٢٥٢ الإصابة في تمييز الصحابة ج٧/ص٥٩٨

لِلْمُؤْمِنِينَ}، أما أول أشرطة الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يارسول الله: إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم ييهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أي رجل عبد الله فيكم؟)) قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: ((أرأيتم إن أسلم عبد الله ابن سلام؟))، فقالوا: أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.)) (١)

وتتضح من خلال المقارنة بين موقف اليهود من عبد الله بن سلام قبل أن يسلم وبعد أن أسلم النظرة التي كانوا ينظرون بها إلى الدين وإلى من تبعه من المسلمين، فإسلام عبد الله كان سبباً في عداوتهم له بعد أن كان في نظرهم خيرهم وأعلمهم، فسرعان ما تحول الثناء والمدح إلى انتقاص ودم في لحظات، وهو ما يدل على أن هؤلاء إنما تحكّمهم عقيدتهم المتأصلة في نفوسهم لا غير، بغض النظر عن صحتها أو فسادها، حيث لم يترددوا في إطلاق التهم على عبد الله بن سلام بسبب إسلامه، مما يبين موقف اليهود من الإسلام والمسلمين.

- : :

وكان من قصة سبب إسلام هؤلاء، ما رواه البيهقي بسنده عن شيخ من بني قريظة أنه قال: ((هل تدري عما كان إسلام ثعلبة وأسيد ابني سعية وأسد بن عبيد نفر من هذل لم يكونوا من بني قريظة ولا نضير كانوا فوق ذلك؟ فقلت: لا. قال: فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له: (ابن الهيبان) فأقام عندنا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس خيراً منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بستين فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول له يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا أمام محرّجكم صدقة، فنقول: كم نقدم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مدين من شعير، ثم يخرج إلى ظاهرة حرتنا ونحن معه، فيستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب، قد فعل

(١) رواه البخاري ج ٣/ص ١٢١١

ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة، فحضرته الوفاة فاجتمعنا إليه فقال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ فقلنا: أنت أعلم، فقال: إنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه هذه البلاد مهاجرة، فاتبعه فلا تسبقن إليه إذا خرج، يا معشر يهود فإنه يسفك الدماء ويسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه، ثم مات فلما كانت تلك الليلة التي افتتحت فيها قريظة قال أولئك الفتية الثلاثة - وكانوا شباباً أحداثاً- يا معشر يهود هذا الذي كان ذكر لكم ابن الهييان، قالوا: ما هو. قالوا: بلى والله إنه هو، يا معشر اليهود إنه والله هو بصفته، ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم، قال: وكانت أموالهم في الحصن مع المشركين فلما فتح رد ذلك عليهم.)) (١)

٥- ومنهم :

روى ابن حبان بسنده إلى عبد الله بن سلام _ قصة إسلامه فقال: ((إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدى زيد بن سعية قال زيد: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلاًماً، فلبثت أتلف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فخرج يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب _ فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله أهل قرية بني فلان أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت أخبرهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً وقد أصابتهم سنة وقحوظ من الغيث وأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً فإن رأيت أن ترسل إليهم ما يعينهم فعلت، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل عن جانبه أراه عمر _ فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله، قال زيد بن سعية: فدنوت إليه فقلت له يا محمد هل لك أن تبيعني تماً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا، قال: لا يا يهودي ولكن أبيعك تماً معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا أسمى حائط بني فلان، قلت: نعم، فبايعني صلى الله عليه وسلم فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاهما الرجل وقال اعجل عليهم وأغثهم، قال زيد بن سعية: فلما كان قبل محل

(١) سنن البيهقي الكبرى ج ٩/ص ١١٤ و الطبقات الكبرى ج ١/ص ١٦٠ والإصابة في تمييز الصحابة ج ١/ص ٥٢

الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه، فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضيي يا محمد حقي فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب مطل، ولقد كان لي لمخالطتكم علم، قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب _ وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني بنظره وقال: أي عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأميره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً من غيره مكان مارعته، فذهب بي عمر _ فقضاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت له: ما هذه الزيادة، قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدكها مكان ما رعتك، قلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا من أنت؟ قلت: زيد بن سعية قال: الخبر؟ قلت: نعم الخبر. قال: فما دعاك إلى أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت وتفعل به ما فعلت، قلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد خبرتهما فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وأشهدك أن شطر مالي وإني لأكثرها مالاً صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال عمر _ أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم! فقلت: أو على بعضهم، فرجع عمر _ وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وآمن به. (١)

٦- ومنهم :

(١) صحيح ابن حبان ج ١/ص ٥١٧ قال ابن حجر حديث حسن مشهور تهذيب التهذيب ج ٣/ص ٣١ المستدرک علی الصحیحین ج ٢/ص ٣٧ والإصابة في تمييز الصحابة ج ٢/ص ٦٠٦

كان يهودياً من بقايا بني قينقاع من بني ثعلبة، نازلاً في بني النضير فشهد أحد وقال لقومه: ((يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، فقال: لا سبت، فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتل)) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مخيريق سابق يهود.)) وأوصى مخيريق بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم فهي عامة صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وكانت أموال مخيريق في بني النضير. (١)

٧- ومنهم: ذكر أنه أحد من أسلم من اليهود ونزل فيهم: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} [سورة البقرة ١٢١/٢] (٢)
 ٨- ومنهم: عبد الرحمن بن سمالك ذكره خليفة فيمن أسلم من اليهود فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم. (٣)

- :

- رضي الله عنها: وهي من بني قريظة.

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغموص حصن ابن أبي الحقيق أتي بصفية بنت حبي رضي الله عنها ومعها ابنة عم لها، جاء بهما بلال فمر بهما على قتلى يهود، فلما رأتهن المرأة التي مع صفية صكت وجهها وصاحت وحثت التراب على وجهها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اعزبوا هذه الشيطانة عني.)) وأمر بصفية فجعلت خلفه وغطى عليها ثوبه، فعرف الناس أنه اصطفأها لنفسه، وقال لبلال: ((أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما!)) وفي رواية: فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه

(١) تاريخ الطبري ج: ٢ ص: البداية والنهاية ج: ٤ ص: ٣٦ فتح الباري ج: ٦ ص: ٢٠٣ ورد عند ابن سعد ما يشعر بعدم اسلامه فقال: وجد مخيريق مقتولا به جراح فدفن ناحية من مقابر المسلمين ولم يصل عليه ولم يسمع رسول الله يومئذ ولا بعده يترحم عليه ولم يزد على أن قال مخيريق خير يهود الطبقات الكبرى ج: ١ ص: ٥٠٢ ولن ابن حجر ترجم له في الصحابة وهو المشهور (الإصابة في تمييز الصحابة ج: ٦ ص: ٥٧) وهو ما رجحه النووي شرح صحيح مسلم ج: ١٢ ص: ٨٢

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ج: ٣ ص: ١١١

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ج: ٤ ص: ٣١٠

وسلم فقال: ((يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك)) ، قال: ادعوه بها، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خذ جارية من السبي غيرها)) ، قال: فأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروساً.)) (١)

وفي رواية: ((لما قدمت صفية من خيبر أنزلت في بيت لحارثة بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجنن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة رضي الله عنها متنقبة فلما خرجت خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أثرها فقال: ((كيف رأيت يا عائشة؟)) قالت: رأيت يهودية، فقال: ((لا تقولي ذلك، فإنها أسلمت وحسن إسلامها.))

وكانت صفية رضي الله عنها رأت قبل ذلك أن القمر وقع في حجرها، فذكرت ذلك لأمها فلطمت وجهها وقالت: إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوي عند ملك العرب، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فأخبرته. (٢)

وفضائلها كثيرة منها: ما رواه بن سعد بسند حسن عن زيد بن أسلم قال اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه، واجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حبي رضي الله عنها: ((إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزن أزواجه ببصرهن.)) فقال صلى الله عليه وسلم: ((مضمضن.)) فقلن: من أي شيء؟ فقال: ((من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة.)) وتوفيت صفية رضي الله عنها سنة اثنتين وخمسين (٥٢) هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان - وقبرت بالبقيع. (٣)

- : من بني النضير وكانت متزوجة رجلاً من بين قريظة يقال له الحكم ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبها، فأبت إلا اليهودية، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: هذا ثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ریحانة، فبشره وعرض عليها أن يعتقها

(١) صحيح البخاري ج ١/ص ١٤٥

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٧/ص ٧٣٩ - ٧٤٠

(٣) الطبقات الكبرى ج ٢/ص ٣١٣ سير أعلام النبلاء ج ٢/ص ٢٣٥ الإصابة في تمييز الصحابة ج ٧/ص ٧٤١

ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك فتركها. (١)

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٣/ص٢٣٩ البداية والنهاية ج:٤ ص:١٢٦ الإصابة في تمييز الصحابة ج٧/ص٦٥٨ الطبقات الكبرى ج٨/ص١٣١ وقال ابن حجر أعتقها فلحقت بأهلها واحتجبت وهي عند أهلها وهذه فائدة حليلة (الإصابة ٦٥٩/٧)

المبحث الثالث: الآثار الواردة في علاقة اليهود بالمنافقين :

الآثار:

قوله تعالى: {الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [سورة المجادلة ١٤/٥٨]

٦٠٠-٢٦١٧٨ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: {الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} إلى آخر الآية قال: هم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم. (١)

٦٠١-٢٦١٧٩ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قول الله عز وجل {الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ} قال: هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود وقرأ قول الله: {الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ} قال: هؤلاء المنافقون قالوا: لا ندع حلفاءنا وموالينا يكونوا معنا لنصرتنا وعزنا، ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة، فقال الله عز وجل: {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُم بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضِضِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ} [سورة المائدة ٥٢/٥] حتى بلغ: {فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} [سورة الحشر ١٣/٥٩] وقرأ حتى بلغ: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} [سورة الحشر ١٤/٥٩] قال: لا يبرزون. (٢)

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ} [سورة الحشر ٢/٥٩]

٦٠٢-٢٦١٩٥ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان أن رهطاً من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم فترصبوا

(١) - تفسير الطبري (٢٨ / ٢٣) تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٨٠) - تفسير الدر المنثور (٨ / ٨٥) حسنه في

التفسير الصحيح (٢٢٣/١)

(٢) - تفسير الطبري (٢٨ / ٢٣)

لذلك من نصرهم فلم يفعلوا وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل بهم. (١)

قوله تعالى: {الَّذِينَ نَافَقُوا} [سورة الحشر ١١/٥٩]

٦٠٣-٢٦٢٥٧ - حدثني به محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {الَّذِينَ نَافَقُوا} قال: عبد الله بن أبي ابن سلول ورفاعة أو رافعة بن تابوت. وقال الحارث: رفاعه بن تابوت ولم يشك فيه وعبد الله بن نبتل وأوس بن قيطي. (٢)

٦٠٤-٢٦٢٥٨ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله {الَّذِينَ نَافَقُوا} يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ومن كان منهم على مثل أمرهم. (٣)

قوله: {يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [سورة الحشر ١٢/٥٩]

٦٠٥-٢٦٢٥٩ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما {يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} يعني: بني النضير. (٤)

قوله تعالى: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} [سورة الحشر ١٥/٥٩]

٦٠٦-٢٦٢٦١ - حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا} قال: المنافقون يخالف

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ٢٩) - تفسير القرطبي (١٨ / ٧) - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٢) - الطبقات الكبرى (٢ / ٢٩) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢٨ / ٤٦) - تفسير الدر المنثور (٨ / ١١٥) - تفسير القرطبي (١٨ / ٣٤)

(٣) تفسير الطبري (٢٨ / ٤٦) - تفسير الدر المنثور (٨ / ١١٥) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٣ / ١٤) - تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ٩٧٧) إسناده ضعيف.

دينهم دين النصير. (١)

٦٠٧-٢٦٢٦٢ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا مهران عن سفيان عن ليث عن مجاهد {تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا} [

قال: هم المنافقون وأهل الكتاب. (٢)

٦٠٨-١٣٠٤٦ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم، كل قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض، وكل قد اجتمع حديثه في هذا الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد، وحين طاب الثمار وأحبت الظلال، والناس يجوبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي صمد له ليتأهب الناس لذلك أهبطه. فأمر الناس بالجهاد، وأخبرهم أنه يريد الروم، فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه، مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره، فأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله. فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبي ابن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين؛ فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، وكان عبد الله بن أبي أخا بني عوف بن الخزرج، وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله. قال: وفيهم أنزل الله: {لَقَدْ

ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ} . الآية . (٣)

(١) تفسير الطبري (٢٨ / ٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٣٤٧) - تفسير الدر المنثور (٨ / ١١٥)

(٢) تفسير الطبري (٢٨ / ٤٨) - إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١٠ / ١٤٧) - تفسير الدر المنثور (٤ / ٢١٤) - إسناده ضعيف.

الدراسة:

بداية عداوة المنافقين:

بدأ النفاق حين قويت شوكة الدين بانتصار رسول صلى الله عليه وسلم العظيم، والمؤمنون في معركة بدر الكبرى، وكان رأس النفاق رجل من سادات أهل المدينة كان أهلها يستعدون لتنصيبه ملكاً عليهم قبل وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مهاجره، كما في الصحيحين عن عروة بن الزبير قال أخبرني أسامة بن زيد - أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدية وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف فتزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال ابن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: ((أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا))، قال: ((اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصاة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك فذلك فعل به ما رأيت.)) فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم . (١)

(١) أخرجه البخاري ٥ / ٢٣٠٧ و مسلم ٣ / ١٤٢٤

ظهور النفاق على يد اليهود وبعض صورته:

معلوم أن هناك فئة من أهل المدينة لم تسلم، وهذه الفئة حينما عاينت انتصار المسلمين في بدر هالها الأمر، وأدركت أن المسلمين أصبحوا قوة لا يستهان بها، وأنه من الخير لهم ألا يقفوا منها موقف المعادي، وأن يجاروا المسلمين، فأظهروا إسلامهم نفاقاً، وتبعهم على ذلك بعض اليهود زوراً وبهتاناً ممن أظهر إسلامه بلسانه وأخفى في قلبه الحقد والغیظ على الإسلام وأهله.

وقد نجح سادة اليهود في جعل هؤلاء الذين لم يدخل الإسلام قلوبهم أدوات في أيديهم يستخدمونهم في تنفيذ مؤامراتهم ضد الإسلام وأهله، وقد كان المنافقون يشكلون جبهة داخلية مهمتها تقويض أركان الإسلام، وذلك باستغلال الأحداث التي تعرض للمسلمين، ومحاولة تضخيمها.

ويظهر القرآن الكريم مدى ارتباط المنافقين باليهود وذلك في حديثه عن المنافقين في سورة البقرة، يقول تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ^ط ١٤} [سورة البقرة ١٤/٢]

قال ابن كثير في معنى {شَيَاطِينِهِمْ}: "سادتهم وكبرائهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين... قال ابن عباس رضي الله عنهما: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ}: من يهود الذي يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم." (١)

فالآية السابقة إذاً توضح مدى الارتباط الكلي بين المنافقين واليهود، وتبين دور اليهود في تكوين فرق المنافقين، ولاشك أن النفاق أمر تعود عليه اليهود منذ القدم، فهم إذا ما غلبوا على أمرهم، وأصبحوا لا يستطيعون المواجهة فحينئذ تبرز خصلة النفاق وسيلة تنقذهم مما هم فيه، وتساعدهم على تدبير المكائد والخطط.

إذاً لا عجب والأمر كذلك أن يستخدم اليهود النفاق مع المسلمين في ذلك الوقت فيكونوا الطائفة التي عرفت بالمنافقين والتي كان دورها كبيراً في كثير من الأحداث التي حصلت للمسلمين فيما بعد بتوجيه من اليهود الذين عجزوا عن الاختراق المباشر لصفوف

(١) تفسير ابن كثير، ٧٢/١.

المسلمين، فبدأوا يوجهون الأحداث عن بعد، عن طريق المنافقين الذين كان على رأسهم: عبدالله بن أبي بن سلول.

يقول الميداني رحمه الله: "وبذلك استطاع اليهود أن يكونوا حزباً مستوراً من المنافقين من عرب يثرب مع بعض أفراد من يهود أسلموا نفاقاً، وصاروا يغذوهم بعوامل النفاق التي لهم فيها باع طويل وخبرات كثيرة مارسوها منذ آلاف السنين، في مختلف الأمم التي حكمتهم وأذلتهم، ويؤكد ذلك أيضاً أنه لما تم جلاء اليهود عن المدينة خفتت أصوات المنافقين، وتجمدت معظم حركاتهم، وصلاح بال الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الصادقين من جهة سلامة الصف الداخلي من عوامل الفتنة ومسببات التخلخل." (١)

وهذا عرض لبعض المواقف التي كان للمنافقين فيها دور كبير، ولليهود توجيه لا يخفى على أحد:

١- أولاً: في غزوة بدر الكبرى :

نصر الله - تعالى - المسلمين في غزوة بدر على قتلهم، وغاظ هذا النصر اليهود والمنافقين، فبدأوا يروجون الإشاعات والأراجيف حول المعركة، وذلك قبل وصول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة رضي الله عنهما ليشرأ أهل المدينة بالنصر. فلما سمع اليهود والمنافقون بهذا قال أحدهم: (قتل صاحبكم ومن معه؟ وقال آخر لأبي لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً، وقد قتل عليه أصحابه، قتل محمد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب.) (٢)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل زيدا على ناقته القصواء. لذا قالوا ما قالوه نشرأ للفتنة، ومحاولة لزرع الشبهات في صفوف المسلمين، واستبعاداً لحصول النصر، وتهويناً من أمره في نفوس المسلمين، ولكن الله أظهر أمرهم، وفضح نيتهم، ورد كيدهم في نحورهم، ذاك أنه عندما سمع أسامة بن زيد بن حارثة هذه المقالة، سأل أباه عن الحقيقة، يقول أسامة: ((فجئت حتى خلوت بأبي

(١) مكاييد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن الميداني ص ٩٤؛ وانظر كتاب: النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ، تأليف: إبراهيم على سالم، دار الشعب، القاهرة، وذلك في سبب نشوء النفاق في المدينة، من ص ٧٥ إلى ٨٧.

(٢) البداية والنهاية ج: ٣ ص: ٣٠٤

فقلت أحق ما تقول؟ فقال: إي والله حق ما أقول، فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين، لتقدمنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم فيلضربن عنقك، فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه.)) (١)

أما كعب بن الأشرف، وهو من أشد اليهود عداء قال: (أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمي هذان الرجلان؟ - يعني زيداً وعبد الله بن رواحة - فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمداً أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.) (٢) ولم يكتف بهذا، بل إنه ذهب إلى قريش يندب قتلاها، ويحرض على أخذ الثأر، كما تقدم.

٢- ثانياً: في غزوة أحد:

وقعت غزوة أحد في السنة الثالثة في شهر شوال منها، وكان لليهود فيها عن طريق المنافقين دور لا يخفى، حيث رجع عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الجيش، ولم يقاتل في ذلك اليوم هو ومن تبعه من المنافقين واليهود، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد استشار جملة من المسلمين في أن يخرج لمواجهة قريش خارج المدينة، أو أن ينتظرهم داخلها، فأشار عليه البعض ومنهم ابن أبي بآن لا يخرج، بينما رأى آخرون الخروج وملاقاة قريش خارج حدود المدينة، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يأخذ برأي ابن أبي، رجع ومعه ثلث جيش المسلمين.

يروى ابن إسحاق هذه القصة قائلاً: "حتى إذا كانوا بالشَّوط بين المدينة وأحد، اتخذل عنه عبدالله بن أبي بن سلول بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا! أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة يقول: ((يا قوم أذكركم الله ألا اتخذلوا قومكم ونيبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكننا لا نرى

(١) البداية والنهاية ج: ٣ ص: ٣٠٤

(٢) سيرة ابن هشام، ٥١/٢.

أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فيسغني الله عنكم نبيه)) (١)

وقد كان صنيعة اليهود عبد الله بن أبي يظن - وهم من وراءه - أنه بفعله هذا سيضعف من موقف المسلمين في المعركة، أو يفقدتهم ثقتهم بأنفسهم حينما يرون ثلث الجيش قد انخزل ورجع، لكن هذا الأمر لم يحصل، وقد كانت تلك مكيدة مدبرة بين اليهود وبين ابن أبي نفذها بتخطيطهم، وإن كانت تنسب إليه، إلا أن أصابع اليهود الخفية لعبت فيها دوراً لا يُنكر، ثم كيف تابع اليهود ابن أبي، مع العلم أن غزوة أحد وقعت في السنة الثالثة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أجلى قبيلة بني قينقاع حلفاء ابن أبي قبل ذلك، فكيف انضم من بقي في المدينة من اليهود وهم بنو قريظة والنضير إلى ابن أبي مع أنهم لم يكونوا حلفاءه في يوم من الأيام؟! ولكن حينما تتضح وحدة الهدف الذي يسعى إليه كل من ابن أبي المنافق واليهود بكافة قبائلهم وطوائفهم، يظهر سر اتحادهما معاً ضد المسلمين.

يقول الأستاذ إبراهيم سالم: "وعجيب أن ينضم بنو النضير وبنو قريظة إلى ابن أبي الخزرجي وكانوا من قبل أحلافاً للأوس ضد الخزرج، وهذا يدل دلالة واضحة على أنه كان هناك تنظيم دقيق أنشأه اليهود قضى بتجميع كل من أمكن وضمه لمعاداة المسلمين، ووضعوا له خططاً، ونصّبوا عليه ابن أبي زعيماً لما رأوا فيه شخصاً مريض القلب والنفس معجباً بنفسه، متفانياً ومتهاكاً في طلب السلطة." (٢)

وعلى الرغم من كل ما فعله، فقد حاول أن يستعيد بعد ذلك مكانته وهيبته بين صفوف المسلمين، يقول ابن إسحاق: "فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان عبد الله بن أبي بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع

(١) سيرة ابن هشام، ٦٤/٢.

(٢) النفاق والمنافقون، إبراهيم على سالم، ص ١٢٨.

يوم أحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنا قلت بجرأً (١) أن قمت أشدد أمره، فلقية رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: مالك؟ ويلك، قال: قمت أشدد أمره، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، كأنا قلت بجرأً أن قمت أشدد أمره، قال: ويلك، ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي. " (٢)

ويتضح من خلال استعراض الأحداث التي قام بها اليهود، سواءً سعيهم في الوقيعة بين المسلمين بتذكيرهم بالماضي، وما كانوا عليه، أم في زرعهم لشجرة النفاق في المدينة، وتغذيتها، أن هؤلاء اليهود اتخذوا هذه الطرق لتساعدهم في التصدي للإسلام، حين أيقنوا عجزهم عن مواجهته علناً، فبدلوا الجهد في محاربه سرّاً، وعن طريق تفكيك وحدة المسلمين، وتقويض أركانه الداخلية، ومع ذلك كشفهم الله تعالى، وفضح خبيثتهم، فلم تعد تلك الأساليب تنطلي على المسلمين في ذلك الوقت، ولم يعد لها أثر من جهة تماسكهم وترابطهم.

قال الطبري في قوله تعالى: {لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ} [سورة الحشر ١٢/٥٩]

يقول تعالى ذكره: لئن أخرج بنو النضير من ديارهم، فأنجلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم، ولئن قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر، ولئن نصر المنافقون بني النضير ليولن الأدبار منزهين عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه هارين منهم، قد خذلوهم. يقول: ثم لا ينصر الله بني النضير على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بل يخذلهم. (٣)

(١) قولاً كاذباً. لسان العرب ج ٣/ص ٢٠٢

(٢) سيرة ابن هشام، ١٠٥/٢. و تفسير ابن كثير ج ٤/ص ٣٧٠

(٣) تفسير الطبري ج ١/ص ٤٠١

روؤس المنافقون من إخبار اليهود:

فمن بني قينقاع:

٥-١ سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، ونعمان بن أوفى ابن عمرو، وعثمان بن أوفى، زيد بن اللصيت، الذي قاتل عمر بن الخطاب _ بسوق بني قينقاع، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله، ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته: ((إن قائلاً قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلي الله عليها، فهي في هذا الشعب، قد حبستها شجرة بزمامها، فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما وصف.)) (١)

٦-٨ ورافع بن حريملة، وهو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حين مات: ((قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين))، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح، وهو قافل من غزوة بني المصطلق، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تخافوا، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار.)) فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وجد رفاعة بن زيد ابن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا. (٢)

(١) تاريخ الطبري ج: ٢: ص: ١٨٤ البداية والنهاية ج: ٣: ص: ٢٤٠ فتح الباري ج ١٣/ص ٣٦٤

(٢) مسند أبي يعلى ج ٤/ص ٢٠١ تاريخ مدينة دمشق ج ١٣/ص ٣١١ لم أفصل في علاقة اليهود بالمنافقين لوجود رسالة عن آثار السلف عن المنافقين في الطبري.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

فبعد هذه الجولة مع هذه الموسوعة العظيمة- (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله - سنين عديدة مليئة بالمتعة والفائدة والعيش مع كتاب الله الكريم وأحاديث نبيه الكريم وآثار القرون المفضلة

وقد منّ الله عليّ فجمعت الآثار الواردة عن السلف الصالح عن اليهود بني إسرائيل في جميع أحوالهم التي قصها الله علينا في كتابه المجيد ، وقد زاد ما جمعته عن ثلاثة آلاف أثر كاجتهدت في تبويبها وتنسيقها ومن ثم جمع المثليل إلى مثيله والمختصر إلى المطول ونبتد الإسرائيليات الكثيرة والتي لا تفارق آثار بني إسرائيل وهذا له حديث يطول

ثم حذف المكرر وهو كثير والاكتفاء بالأثر الأشمل والأرفع مقدماً أثر الصحابي على من بعده وهكذا

وكان همي في البدايات التدقيق في جمع الآثار وتصنيفها ثم دراستها وكنت اکتفي بإيراد الأثر الواضح والتعليق عليه باختصار اكتفاء بوضوحه

وخلصت إلى أن كتاب الله العزيز فيه ما يربو على خمسمائة آية في اليهود وأحوالهم وهذا يدعو إلى تأمل ما ورد والاستفادة مما مر عليهم وأخذ العبر حتى لا يقع المسلم فيما وقعوا مع أنه كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن الملاحظ أن اسمه صلى الله عليه وسلم لم يرد إلا أربع مرات مصرحاً باسمه بينما ذكر موسى عليه السلام أكثر من مائة وأربع وثلاثين (١٣٤) مرة فتأمل.

وكان كثيراً ما يحذر مما صنع اليهود وأن أمته ستحذو حذوهم و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [سورة النساء ٧١/٤]

وتبين لي من جمع ودراسة آثار اليهود مايلي:

أن الله خاطبهم في القرآن الكريم بعدة أسماء: فيناديهم ببني إسرائيل في معرض تذكيرهم بنعمه عليهم وخاصة أيام بعث لهم نبيه موسى عليه السلام ثم لما عصوا ربه بعد خروجهم من البحر ونجّاهم من عدوهم ثم دعا لهم موسى طالباً المغفرة وحثهم على التوبة صاروا ينادون باليهود لأنهم هادوا أي تابوا

أن نعم الله على اليهود كثيرة من أعظمها تفضيلهم على عالمي زمانهم وبيننا أنهم غير مفضلين على أمة محمد خير أمة أخرجت للناس

ثم نعمة الله عليهم بكثره الانبياء فيهم فلم يرسل لأمة ما أرسل اليهم من الأنبياء
ومن ثم جعلهم ملوكا لانفسهم بعد عبودية فرعون وبطشه وكان ذلك بعد نعمة نجأتهم من عدوهم وما صاحبها
ثم النعم الكثيرة التي أنزلت لهم في التيه بعد بعثهم بعد الموت وقبول توبتهم ومن ثم نعمة تمكينهم من الارض المقدسة
وانتصارهم على عدوهم ثم نعمة الله عليهم بوعده مضاعفة أجر من آمن منهم
أن الله عاقبهم يوم لم يقدرُوا هذه النعم فعجل لهم من العقوبات الدنيوية
الصاعقة التي غشيتهم ثم التيه في الصحراء أربعين سنة ثم عوقب بعضهم بالمسخ و اللعن
و ضربت عليهم الذلة والمسكنة والقتل والسبي وطمس الوجوه والختم على القلوب وعوقبوا بتحريم بعض
الطيبات وشدد عليهم فيها

ووعدو في الآخرة بعذاب في القبر والعطش يوم القيامة ولحجب عن الرؤية ثم الخلود في النار التي هي مستقرهم
بين لنا الله الصفات التي تنطوي عليها شخصيات اليهود وتحدثت عن بعضها الذي يدل على غيرها وإذا هي جمع
لأوصاف الخسة والسوء والخيانة و قسوة القلوب وتغليظها عن قبول الحق واتباع الهوى تركيتهم أنفسهم وعنصريتهم
على باقي الأمم حتى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ثم اشتهارهم وتلذذهم بنقض العهود الدال على كذبهم وافترائهم
وحسد لهم لغيرهم خاصة نبي الإسلام وأمته

وفي أصول الإيمان تبين لنا كفر اليهود بالله وأهم أميل الناس الى الشرك حتى تشربته قلوبهم يوم العجل مع وصفهم
للّه بالتقائص من نسبة الولد اليه ورميه بالفقر والبخل والتعب تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً
أن اليهود لا يوقرون ملائكة الله الكرام بل وقفوا من كبيرهم موقف العدا وهو الروح الأمين وادعوا محبة غيره من
الملائكة فصاروا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض

أنزل الله التوراة على موسى وأمر اليهود بأن يحفظوها ويدرسون ما فيها ولكنهم عمدوا الى تحريفها ولي اللسان
بها بل كتموا ما فيها ثم جعلها بعض احبارهم بضاعة يتكسب بها ويقولون هذه من عند الله {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ
الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ
أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ} [سورة البقرة ٧٩/٢]

وكذلك فعلوا مع بقية كتب الله المتزلة من تكذيب بما جاء فيها أو أنكار أنها من عند الله كما قالوا في القرآن
وغيره { مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ } [سورة الأنعام ٩١/٦]

تبين حال اليهود مع أنبياء الله الكرام وأن اليهود هم أكثر الأمم أنبياء لفساد طبعهم وعدم استقرار الإيمان في
قلوبهم حتى بعث لهم الأنبياء الكثيرون في وقت واحد فهل نفعمهم ذلك ؟ لا بل صار أثر صفاتهم لصوقاً بهم أنهم قتلة
الأنبياء فهم من أشد الأمم أذية لأنبيائهم ففريقا كذبوا وفريقاً قتلوا تم ذلك حتى مع أحص أنبيائهم موسى عليه
السلام فقد آذوه في بدنه وسمعته ومعاشه فكيف بغيره؟

بناء على ادعاء اليهود للتمييز وأهم أبناء الله وأحباؤه فلم يؤثر عليهم الإيمان باليوم الآخر فادعوا أن الله لن يعذبهم
وأن اجنة ما خلقت الا لهم ولو كانوا سيعذبون فلن يعدوا أياما بعدد أيام عبادتهم للعجل وهذه أما نبيهم الباطلة بل هم
في النار خالدون

ومن أنبيائهم الذين لم يسلموا منهم عيسى عليه السلام الذي بهتوه وأمه الصديقة ورموها بالزنا فأنت بعيسى

بل تعدى الأمر لأذيته عليه السلام وأتباعه تشريداً وتعدياً قتلًا حتى أنهى بهم الأمر محاولة قتله وهو ما يدعونه أنهم قتلوه صلباً { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ احْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا } [سورة النساء ٤/١٥٧]

وقف اليهود من نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم النبي الذي يجدونه مكتوباً عندهم صفة ومخرجه ويعرفونه كما يعرفون أبنائهم الآن أنه ليس منهم وقفوا موقف العداة زكتم صغته والحسد والإيذاء بالقول والسخرية وتخريب الناس ضده وسحره ومحاولات عديدة لقتله لم يفلحوا فيها فعمدوا الى سمه في طعامه مما أدى الى مرضه ووفاته باي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وصار بينه وبينهم حروب ناجمة عن نقضهم للعهد الدائم انتهت بحمد الله بقتل بعضهم وجلاء سائرهم

ولم يؤمن منهم إلا قليل وهذا لم يسلم منهم أيضاً فرموهم بالكفر والكذب والجهل وهذا معدنهم فلا يستغرب منهم

دأب اليهود في حياته صلى الله عليه وسلم على بث الفرقة بين المسلمين وإثارة النعرات الجاهلية بينهم وكادوا ينجحون لولا أن الله سلم

عرفنا أن النفاق ظهر من رحم اليهود وأهم سبب أساس فيه خاصة بعد غزوة بدر فتعاونوا معهم على الإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم والحمد لله أولاً وآخراً

نوبيات الباحث

اقترح توزيع موضوع اليهود على أكثر من رسالة علمية وجمع الآثار من جميع الكتب التي تعني بها ، كموضوع صفات اليهود ، وعلاقتهم بالمسلمين في صدر الإسلام مثلاً
اتمنى من الجامعة إخراج مثل هذا المشروع الضخم أعني جمع ودراسة آثار الطبري بعد هذه المجموعة الطيبة من الرسائل التي نوقشت في الطبري
لا بد من تصفية التفسير من الإسرائيليات الكثيرة ولو سجل دراسات بموضوعات تشتت الآثار الصحيحة لكان أولى

لا بد من تفعيل نشر العلم الصحيح في علاقة المسلمين باليهود انطلاقاً من الكتاب والسنة خاصة في الشبكة العنكبوتية لأهميتها في عالمنا المعاصر

نراجع أبرز قائلج الآثار

هو : محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر، المطلبي، مولا هم، قال علي بن المديني : صالح وسط، واختلف قول ابن معين فيه، فقال : صدوق، وقال : ليس بذلك، ضعيف، وقال : ثقة، وليس بحجة، وقال : سقيم ليس بالقوي، وقال العجلي : مدني، ثقة، وقال النسائي : ليس بالقوي، وقال ابن عدي : لا بأس به، وقال ابن حجر: صدوق، يدلس، ورمي بالتشيع والقدري، من صغار الخامسة، مات سنة ١٥٩هـ ، ويقال بعدها. انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٣٢١/٧، وعلل ابن المديني ص/٣٧، وضعفاء النسائي ص/١٣٥٩، وتهذيب التهذيب ٥١/٣٤/٩، والتقريب ص/٥٧٦٢/٨٢٥.

هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح المكي، ثقة، فقيه، فاضل، وكان يدلس، ويرسل، من السادسة، مات سنة ١٥٠هـ ، أو بعدها. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٤٩١/٥، تهذيب التهذيب ٧٥٨/٣٥٧/٦، التقريب ص/٤٢٢١/٦٢٤.

: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي المديني، مولى عمر بن الخطاب، أخواه: أسامة، وعبد الله وكلهم يروي عن أبيه، وكل أبناء زيد بن أسلم ضعفاء في الحديث، مات سنة ٨٢هـ . انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٣٨٢٠/١١٤/١٧، التاريخ الكبير ٩٢٢/٢٨٤/٥.

هو: رُفيع - بالتصغير- ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية، ثقة كثير الإرسال من الثانية، مات سنة ٩٠هـ . وقيل بعدها انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ١١٢/٧، أسد الغابة ١٧٠٤/٢٩١/٢، تهذيب التهذيب ٥٣٩/٢٤٦/٣، تقريب التهذيب ص/١٩٦٤/٣٢٨.

ابو علي الأزدي عن ابي ذر اسمه عبيد بن علي وهو مقبول من الثالثة وقيل فيه ابو الفيض والاول اصح تقريب التهذيب ٦٥٩ / ١

البخثري بن ابي البخثري بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح المثناة وكسر الراء واسم ابيه المختار عبدي بصري صدوق من السادسة مات سنة ثمان تقريب التهذيب ١ / ١٢٠

_: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، صحابي بن صحابي، مات بالمدينة بعد السبعين، وكان أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم . انظر ترجمته في : الاستيعاب ٢٩٠/٢٩٢/١، الإصابة ١٠٢٨/٥٤٦/١.

جعفر بن ابي المغيرة الخزاعي القمي بضم القاف قيل اسم ابي المغيرة دينار صدوق يهم من الخامسة تقريب التهذيب ١٤١ / ١

الأزدي، أبو القاسم البلخي، يقال: اسمه جابر، وجُوَيْر لقب، نزل الكوفة، راوي التفسير، روى عن الضحَّاك بن مزاحم وأكثر عنه، ضعيفٌ جدًّا، مات بعد الأربعين ومائة. انظر: تهذيب الكمال ١٦٧/٥) التهذيب ١٢٣/٢) التقريب ١/١٣٦).

: واسم اليمان: حُسَيْلٌ ويقال: حِسْلٌ بن جابر بن ربيعة بن فروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة

بن عبس المعروف باليمان العبسي، حليف الأنصار صحابي جليل من السابقين، أمين الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم شهد الخندق وما بعدها، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير، مات في أول خلافة علي - سنة ٣٦هـ . انظر ترجمته في: الاستيعاب ١/٣٩٣/٥١٠، والإصابة ٢/٣٩/١٦٥٢.

: هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور، وكان يرسل كثيراً، ويدلس، وهو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة ١١٠هـ . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/١٥٦، تهذيب التهذيب ٢/٢٣١/٤٨٨، تقريب التهذيب ص/٢٣٦/١٢٣٧.

: البكري أو الحنفي، البصري، ثم الخراساني، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي : ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه، لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام، ورمي بالثبوع، من الخامسة، مات سنة ١٤٠هـ أو قبلها. انظر ترجمته: في طبقات ابن سعد ٧/٣٦٩، والجرح والتعديل ٣/٤٥٤/٢٠٥٤، وثقات ابن حبان ٨/٤٩١، وتهذيب التهذيب ٣/٢٠٧/٤٦١، والتقريب ص/٣١٨/١٨٩٢.

، هو : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد، الكوفي، من الرابعة، قال ابن عدي: مستقيم الحديث صدوق لا بأس به، وقال ابن حجر: صدوق يهمل، ورمي بالثبوع، مات سنة ١٢٧هـ . انظر ترجمته في: الكامل لابن عدي ١/٢٧٧، تهذيب التهذيب ١/٢٧٣/٥٧٢، تقريب التهذيب ص/١٤١/٤٦٧.

بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران القرشي المخزومي أبو محمد المدني الإمام العلم الفقيه عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه ولد لسنتين وقيل لأربع مضي من خلافة عمر - بالمدينة، كان رأس من بالمدينة في دهره المقدم عليهم في الفتوى وقال أحمد بن حنبل: أفضل التابعين سعيد بن المسيب وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه وهو أثبتهم في أبي هريرة، وكان ممن برز في العلم والعمل وقال يحيى بن سعيد كان أحفظ الناس لأحكام عمر وأفضيته، مات سنة ٩٣هـ وقيل ٩٤هـ انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٤/٢١٧-٢١٩/٨٨ ومعرفة الثقات ١/٤٠٥/٦١٦ وطبقات الحفاظ ١/٢٥/٣٧.

بن هشام الأسدي، الوالي مولاهم، الكوفي أبو محمد، الحافظ، المقرئ المفسر، من كبار التابعين، كان ذا عبادة ودين، ثقة ثبت فقيه، قتله الحجاج سنة ٥٩هـ ولم يكمل الخمسين . انظر ترجمته في: التاريخ الكبير ٣/٤٦١/١٥٣٣ ووفيات الأعيان ١/٣٦٧/٢٦١ وطبقات ابن سعد ٦/٢٥٦، وتهذيب التهذيب ٤/١١/١٤.

: هو سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، حافظ، فقيه، عابد، إمام، حجة، من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس، مات سنة ١٦١هـ . أمير المؤمنين في الحديث ساد الناس بالورع والعلم قال قبيصة بن عقبة ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكرت الموت، وما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه، ومناقبه وفضائله كثيرة جداً، إمام من أئمة المسلمين، وعلم من أعلام الدين، جمع على أمانته، بحيث يستغني عن تزكيته، مع الإتيان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد. وقال غيره: ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧هـ وفي ذلك خلاف، توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ . انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ١١/١٥٤-١٦٥/٢٤٠٧ وطبقات ابن سعد ٦/٣٧١، تهذيب التهذيب ٤/١٩٩/١٩٩، والتقريب ص/٣٩٤/٢٤٥٨.

هو: أبو عمرو، عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني الحميري الكوفي ثقة مشهور، كان إماماً حافظاً فقيهاً متفنناً ثباً متقناً مولده في أثناء خلافة عمر - قال ابن عنبسة: كان في الناس ثلاثة بعد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنهما في زمانه، والشعبي في زمانه والثوري في زمانه مات سنة ١٠٤هـ وبلغ ٨٢ سنة

انظر ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/٤٥٠/٢٩٦١ وتذكرة الحفاظ للقيصري ١/٧٩/٧٦، لسان الميزان ٥٨٤٤/٥٤٧/٧.

شهر بن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن صدوق كثير الإرسال والاهام من الثالثة مات سنة اثني عشرة تقرب التهذيب ١/٢٦٩

، أبو القاسم، أو أبو محمد الخراساني صدوق كثير الإرسال، ولم يسمع من ابن عباس، من الخامسة، مات بعد المائة. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/٣٠٠، تهذيب الكمال ١٣/٢٩١/١٣/٢٩١/٢٩٢٨، تقرب التهذيب ص/٤٥٩/٢٩٩٥.

بن عبد شمس، البجلي، الأحمسي، أبو عبد الله الكوفي، قال أبو داود: رأي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه، مات سنة ٨٢هـ أو ٨٣هـ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٥/٤/٥، تقرب التهذيب ص/٤٦١/٣٠١٧.

بن عبادة بن الصامت الانصاري ويقال له عبد الله ثقة من الرابعة تقرب التهذيب ١/٢٩٢
عبد الله ابن الهذيل العنزي، أبو المغيرة الكوفي، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره، وعنه ضرار وآخرون، ثقة، توفي في خلافة خالد القسري. انظر: التهذيب (٥٨/٦) والتقريب (٥٤٣/١).

الكوفي ابو المغيرة ثقة من الثانية مات في ولاية خالد القسري على العراق تقرب التهذيب

١/٣٢٧

— هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، حليف بني الخزرج، كان اسمه في الجاهلية الحُصين، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الله، وهو من المبشرين بالجنة. مات سنة ٤٣هـ. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٥/٦٢/٢٨٨، وأسد الغابة ٣/٢٦٥/٢٩٨٦، الإصابة ٤/١٠٢/٤٧٤٣.

الاكبر الكوفي وثقه العجلي من الثانية تقرب التهذيب ١/٣٢٧

بن سويد اللخمي حليف بني عدي الكوفي ويقال له الفرسي بفتح الفاء والراء ثم مهملة نسبة الى فرس له سابق كان يقال له القبطي بكسر القاف وسكون الموحدة وربما قيل ذلك ايضا لعبد الملك ثقة فصيح عالم تغير حفظه وربما دلس من الرابعة مات سنة ست وثلاثين وله مائة وثلاث سنين تقرب التهذيب ١/٣٦٤

بن مالك الانصاري ثقة من الثالثة تقرب التهذيب ١/٣٧٣

بن قتادة الليثي ابو عاصم المكي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قاله مسلم وعده غيره في كبار التابعين وكان قاص اهل مكة مجمع على ثقته مات قبل بن عمر تقرب التهذيب ١/٣٧٧

بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله المدني، روى عنه أبو الأسود وغيره، ثقة فقيه مشهور، ولد سنة ٢٣هـ وقواه الذهبي، ويقال ٢٩هـ ومات سنة (٩٤هـ) على الصحيح. انظر: السير ٤/٤٢١ (التهذيب ٧/١٨٠) التقريب ٢/١٩).

-بفتح الراء والموحدة- واسم أبي رباح، أسلم القرشي مولاهم، المكي، ثقة فقيه، فاضل، لكنّه كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة ١١٤هـ، على المشهور وقيل إنه تغير بأخرة. ولم يكثر ذلك منه. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٢/٣٨٦، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للحافظ صلاح الدين أبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العَلّائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ. ص/٢٣٧، تهذيب

التهذيب ٣٨٥/١٧٩/٧، تقريب التهذيب ص/٦٧٧/٤٦٢٣.

هو : عطية بن سعد بن جنادة، العوفي، قال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله، وله أحاديث صالحة، ومن الناس من لا يحتج به، وقال أحمد: هو ضعيف الحديث، وقال ابن معين: صالح، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، يكتب حديثه، وقال ابن حبان: ولا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب، وقال ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً، من الثالثة، مات سنة ١١١هـ . انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣٠٤/٦، الجرح والتعديل ٢١٢٥/٣٨٢/٦، المجرحين ١٧٦/٢، ميزان الاعتدال ٥٦٦٧/٧٩/٣، تقريب التهذيب ص/٦٨٠/٤٦٤٩.

أبو عبد الله مولى ابن عباس _ أصله بربري، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر _، ولا تثبت عنه بدعة، مات سنة ١٠٤هـ . انظر ترجمته في: ثقات ابن حبان ٢٢٩/٥، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧، تقريب التهذيب ص/٦٨٧/٤٧٠٧.

الليثي المدني ثقة ثبت من الثانية اخطأ من زعم ان له صحبة وقيل انه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مات في خلافة عبد الملك تقريب التهذيب ١ / ٣٩٧

جدعان التيمي البصري، أبو الحسن، أصله حجازي، روى عن عبد الله بن الحارث بن نوفل (بنة) وغيره، وعنه جعفر بن سليمان الضبي وآخرون، ضعيف، ت سنة (١٣١هـ) وقيل قبلها. انظر: التهذيب (٢٤٧/٧) والتقريب (٦٩٤/١).

الدهني بضم اوله وسكون الهاء بعدها نون ابو معاوية البجلي الكوفي صدوق يتشيع من الخامسة مات سنة ثلاث وثلاثين

أبو محمد الأثرم، الجمحي مولاهم، ثقة، ثبت، من الرابعة، مات سنة ١٢٠هـ ، وقيل سنة ١٢٦هـ . انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٤٧٩/٥، ثقات ابن حبان ١٦٧/٥، تهذيب التهذيب ٤٥/٢٦/٨، تقريب التهذيب ص/٧٣٤/٥٠٥٩.

بفتح الموحدة وتشديد الزاي المكّي مولى بني مخزوم القاريء ثقة من الخامسة مات سنة خمس عشرة وقيل قبلها تقريب التهذيب ١ / ٤٤٩

بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب، البصري، ثقة، ثبت، يقال وُلِدَ أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشر ومائة. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٦٣٧/٣١٥/٨، وتقريب التهذيب ص/٧٩٨/٥٥٥٣.

هو كعب بن ماته الحميري من آل ذي رعين أبو إسحاق كان قد قرأ الكتب وأسلم في خلافة عمر بن الخطاب _ مات سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان _، روى عن عمر بن الخطاب _، روى عنه ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٩٠٦/١٦١/٧ ومشاهير علماء الأمصار ٩١/١١٨/١.

-بفتح الجيم وسكون الموحدة- أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكّي، ثقة، إمام في التفسير والعلم، من الثالثة، مات سنة ١٠٢هـ أو ١٠٣هـ أو ١٠٤هـ . انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٤٦٦/٥، تهذيب التهذيب ٦٨/٣٨/١٠، تقريب التهذيب ص/٩٢١/٦٥٢٣.

بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المدني قال محمد بن سعد كان عالماً وقال ابن إسحاق كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم وقال الدارقطني مدني ثقة وقال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات بين عشر ومائة إلى عشرين ومائة وهو من رجال مسلم انظر ترجمته في: تهذيب

الكمال ٥١١٥/٥٧٩/٢٤، تهذيب التهذيب ١٢٤/٨١/٩، الجرح والتعديل ١٢٢١/٢٢١/٧، رجال مسلم، للأصبهاني أحمد بن علي بن منجويه أبي بكر، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ . ١٧٢/٢.

الأنصاري، أبوبكر ابن أبي عمرة، البصري، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة ١١٠هـ . انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٣٣٨/١٩٠/٩، تقريب التهذيب ٥٩٨٥/٨٥٣/ص.

المدني أبو إبراهيم ويقال أبو أيوب ويقال أبو عثمان مولى يعقوب القبطي ويقال مولى آل أبي سفيان بن حرب وهو قاص عمر بن عبد العزيز ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة قال وبها توفي وكان كثير الحديث عالما وقال يعقوب بن وأبو داود ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات توفي أيام الوليد بن يزيد. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٦٧٩/٣٦٧/٩، وتهذيب الكمال ٥٥٦٦ /٣٢٣/٢٦.

محمد بن قيس بن مخزومة بن المطلب المطلي يقال له رؤية وقد وثقه ابو داود وغيره التهذيب (٣٥٧/٩) تقريب التهذيب ٥٠٣ /١

بن سليم بن أسد، أبوحمزة القُرطبي، نسبة إلى بني قريظة، المدني وقد كان نزل الكوفة مدة، ثقة عالم من الثالثة، ولد سنة ٤٠هـ على الصحيح، ووهم من قال: ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم يثبت من سبي قريظة فترك، مات سنة ١٢٠هـ ، وقيل قبل ذلك. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري ٦٧٩/٢١٦/١، تهذيب التهذيب ٦٩١/٣٧٣/٩، تقريب التهذيب ص/٨٩١/٦٢٩٧.

بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلامان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة الهمداني الوداعي الكوفي، أبو عائشة، العابد الفقيه الإمام القدوة العلم صلى خلف أبي بكر ولقي عمرا وعليا كان أحد أصحاب عبد الله بن مسعود _ الذين يقرئون ويفتون شلت يده يوم القادسية وثقه ابن سعد و العجلي وابن معين وقال عنه لا يسأل عن مثله. وقال علي بن المدني ما أقدم على مسروق أحدا من أصحاب عبد الله _ . مات سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ وله ٦٣ سنة انظر ترجمته: التاريخ الكبير ٢٠٦٥/٣٥/٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/٦٨-٦٣/٤ وتهذيب التهذيب ٢٠٦/١٠٠/١٠.

بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار اليماني الصنعاني الذماري أبو عبد الله الأبنواي أخو همام بن منبه ومعقل بن منبه وغيلان بن منبه ذكره خليفة بن خياط في الطبقة الثانية من أهل اليمن وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة وقال أحمد بن حنبل كان من أبناء فارس قال العجلي تابعي ثقة وكان على قضاء صنعاء وقال أبو زرعة والنسائي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ولد سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان _ مات سنة ١١٤هـ بصنعاء وقيل إن الحجاج ضربه حتى مات. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ١٤٠/٣١ /٦٧٦٧، وتهذيب التهذيب ١١ /٢٨٨/١٤٧.

المدني ابو روح مولى ال الزبير ثقة من الخامسة مات سنة ثلاثين وروايته عن ابي هريرة مرسله اتلقيب ٦٠١ /١

بن زاوي ويقال بن زاذان بن ثابت السلمي أبو خالد الواسطي وكان جده زاذان مولى لأم عاصم امرأة عتبة بن فرقد فأعتقته قيل إن أصله من بخارى وكان متعبدا حسن الصلاة جدا وكان قد عمي أحد الأعلام الحفاظ المشاهير قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل كان حافظا متقنا للحديث صحيح الحديث وثقه يحيى بن معين و

العجلي وعلي بن المديني وقال في موضع آخر ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون وقال أبو حاتم ثقة إمام
صدوق لا يسأل عن مثله مات أول سنة ٢٠٦هـ انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ١١/٣٢١/٦١٢، والكاشف
٣/٢٨٧/٦٤٧٣، وتهذيب الكمال ٣٢/٢٦١/٧٠٦١.



فهرس المحتوى

- خطة البحث: ٢
- منهج البحث: ٤
- التمهيد: وفيه: ٨
- ترجمة الطبري ٨
- ١- نسبه: ٩
- ٢- الحالة السياسية والعلمية في عصره: ٩
- ٣- حياته العلمية ونبوغه: ١٠
- ٤- شيوخه وتلاميذه: ١١
- أ- شيوخه: ١١
- ب- تلاميذه: ١٣
- ٥- مكانته العملية وثناء العلماء عليه: ١٤
- ٦- عقيدته ومذهبه الفقهي : ١٧
- ٧- مؤلفاته : ١٨
- ٨- وفاته : ٢٠
- التعريف «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» وقيّمته
العلمية: ٢١
- عرض مجمل لحديث القرآن عن اليهود: ٢٣
- الروايات الإسرائيلية في التفسير: ٢٥

٢٦	موقف الطبري من الإسرائيليات :
٢٩	الباب الأول: الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود وأبرز صفاتهم
٣٠	الفصل الأول: الآثار الواردة في حقيقة اليهود
٣٠	المبحث الأول: الآثار الواردة في تسميتهم.
٣٠	أولاً: الآثار:
٣٠	المطلب الأول: تسميتهم بني إسرائيل
٣٠	المطلب الثاني: تسميتهم باليهود:
٣١	المطلب الثالث: تسميتهم أهل الكتاب:
٣٣	المطلب الرابع: تسميتهم بالعبرانيين:
٣٤	الدراسة:
٣٦	نشأتهم :
٣٧	الأسماء التي اشتهروا بها
٣٧	أولاً: اليهود:
٣٨	ثانياً: العبرانيون :
٣٩	ثالثاً: بنو إسرائيل :
٤٢	رابعاً: أهل الكتاب :
٤٣	خامساً: بنو صهيون :
	المبحث الثاني: الآثار الواردة في منزلتهم ونعم الله عليهم.
٤٧
٤٧	المطلب الأول: تفضيلهم على العالمين:
٤٧	الآثار:

الدراسة:	٥٠
منطلق اليهود في دعواهم:	٥١
أولاً: الإدعاء بالاصطفاء والتفضيل :	٥١
الرد علي هذا الإدعاء :	٥٢
المطلب الثاني:كثرة الانبياء فيهم	٥٦
الآثار:	٥٦
الدراسة:	٥٩
المطلب الثالث:جعلهم ملوكاً:	٦١
الآثار:	٦١
الدراسة:	٦٤
المطلب الرابع:نجاتهم من عدوهم وما صاحبها	٦٥
الآثار	٦٥
الدراسة:	٦٩
المطلب الخامس:بعثهم بعد الموت	٧١
الآثار:	٧١
الدراسة:	٧٣
المطلب السادس:تمكينهم من الأرض المقدسة	٧٥
الآثار:	٧٥
الدراسة:	٧٦
المطلب السابع:مضاعفة أجر من آمن منهم	٨٣
الآثار:	٨٣

الدراسة:	٨٥
المبحث الثالث: الآثار الواردة في عقاب الله لهم:	٨٧
المطلب الأول : عقاب الله لهم في الدنيا:	٨٧
المسألة الأولى: غضب الله عليهم	٨٧
الآثار:	٨٧
الدراسة:	٩١
المسألة الثانية: اللعن	٩٣
الآثار:	٩٣
الدراسة:	٩٤
المسألة الثالثة: الصاعقة	٩٧
الآثار:	٩٧
الدراسة:	٩٨
المسألة الرابعة: التيه (وأبرز ما حصل فيه)	١٠٢
الآثار:	١٠٢
قصة البقرة	١٠٤
وفاة هارون	١٠٦
قصة قارون:	١٠٦
الدراسة:	١٠٨
المراد بالأرض المقدسة	١٠٩
مما حصل في التيه:	١١٠
أولاً: وفاة هارون:	١١٠

- ثانياً: قصة موسى والخضر ١١١
- ثالثاً: بقرة بني إسرائيل : ١١٣
- رابعاً: قصة قارون ١١٤
- خامساً: وفاة موسى عليه السلام..... ١١٥
- سادساً : غير ذلك من الإسرائيليات فيما حصل في
التيه ١١٦
- المسألة الخامسة:التسليط عليهم و تشريدهم في الارض
..... ١١٨
- الآثار:..... ١١٨
- الدراسة:..... ١٢٢
- المسألة السادسة: المسخ قرده وخنزير ١٢٦
- الآثار:..... ١٢٦
- الدراسة:..... ١٣٠
- المسألة السابعة :تحريم بعض الطيبات ١٣٢
- الآثار:..... ١٣٢
- الدراسة:..... ١٣٤
- المسألة الثامنة:الرجز ١٣٧
- الآثار:..... ١٣٧
- الدراسة:..... ١٣٨
- المطلب الثاني: عقاب الله لهم في الآخرة. وفيه مسألتان:
..... ١٣٩

- المسألة الأولى: لا ينظر الله إليهم ١٣٩
- الآثار: ١٣٩
- المسألة الثانية: عذاب النار والخلود فيها ١٣٩
- الدراسة: ١٤٣
- حديث الفتون الطويل وفيه جامع لاحوال بني إسرائيل:
..... ١٤٦
- الفصل الثاني: الآثار الواردة في أبرز صفات اليهود ١٥٤
- المبحث الأول: الآثار الواردة في قسوة قلوبهم : ١٥٤
- الآثار: ١٥٤
- الدراسة: ١٥٨
- المبحث الثاني: الآثار الواردة في اتباعهم الهوى ١٦٢
- الآثار: ١٦٢
- الدراسة: ١٦٧
- المبحث الثالث: الآثار الواردة في تزكيتهم أنفسهم ١٧٣
- الآثار: ١٧٣
- المطلب الأول: قصر الجنة عليهم ١٧٣
- المطلب الثاني: قصر الهدى عليهم ١٧٥
- المطلب الثالث: زعمهم محبة الله لهم ١٧٥
- المطلب الرابع: زعمهم النجاة من النار ١٧٦
- المطلب الخامس: زعمهم براءتهم واولادهم من الذنوب:
..... ١٧٨

الدراسة:.....	١٨٣
المبحث الرابع: الآثار الواردة في نقضهم العهود	
والمواثيق.....	١٨٥
الآثار:.....	١٨٥
الدراسة:.....	١٩٧
شهادة التوراة والإنجيل:	٢٠٣
المبحث الخامس — الآثار الواردة كذبهم وافتراءهم	٢١٠
الآثار:.....	٢١٠
الدراسة:.....	٢١٩
المبحث السادس: الآثار الواردة في حسدهم.....	٢٢٣
الآثار:.....	٢٢٣
الدراسة:.....	٢٢٧
الباب الثاني : الآثار الواردة عن السلف في عقيدة اليهود في أصول الإيمان	٢٣١
الفصل الأول : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالله	
.....	٢٣٢
المبحث الأول: الآثار الواردة في إيمان بعضهم بالله ...	٢٣٢
الآثار:.....	٢٣٢
الدراسة:.....	٢٣٣
المبحث الثاني : الآثار الواردة في وصفهم الله بالنقائص	٢٣٦
وفيه أربعة مطالب :	٢٣٦
المطلب الأول : :نسبة الولد الى الله:	٢٣٦

- الآثار: ٢٣٦
- وفيه ثلاث مسائل: ٢٣٦
- المسألة الأولى: قولهم العزيز ابن الله ٢٣٦
- المسألة الثانية: قولهم نحن أبناء الله: ٢٣٨
- المسألة الثالثة: نسبة الجن والملائكة اليه ٢٤١
- الدراسة: ٢٤٢
- المطلب الثاني : نسبة الفقر والبخل والتعب الى الله . ٢٤٤
- الآثار ٢٤٤
- المسألة الأولى: نسبة الفقر الى الله ٢٤٤
- المسألة الثانية : نسبة البخل الى الله : ٢٤٥
- المسألة الثالثة : نسبة التعب الى الله ٢٤٥
- الدراسة: ٢٤٧
- المبحث الرابع : الآثار الواردة في شركهم بالله : ٢٥١
- الآثار: ٢٥١
- المسألة الأولى : عبادة العجل ٢٥١
- المسألة الثانية : عبادة العزيز: ٢٥٢
- المسألة الثالثة : عبادة (بعل) وهم قوم الياس من بني
بني إسرائيل : ٢٥٣
- المسألة الرابعة : عباد الأحبار والرهبان ٢٥٣
- المسألة الخامسة : التحاكم الى بالجبت والطاغوت ٢٥٤
- الدراسة: ٢٥٧

الفصل الثاني : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان

- بالملائكة : ٢٦٦
- الآثار:..... ٢٦٦
- المبحث الأول:الآثار الواردةفي الإيمان بهم مطلقا:..... ٢٦٦
- المبحث الثاني:الآثار الواردة في جبريل وميكايل خاصة ٢٦٧
- الدراسة:..... ٢٧١

الفصل الثالث : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان

- بالكتب ٢٧٦
- المبحث الأول : الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالكتب مطلقاً ٢٧٦
- الآثار:..... ٢٧٦
- الدراسة:..... ٢٧٩
- المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من التوراة... ٢٨٢
- الآثار:..... ٢٨٢
- المطلب الأول : مم تتكون التوراةو كيف أخذوها ؟ . ٢٨٢
- المطلب الثاني :الآثار الواردة في تحريفهم للتوراة .. ٢٨٥
- المطلب الثالث : الزيادة والمتاجرة بالتوراة..... ٢٨٧
- الآثار:..... ٢٨٧
- الدراسة:..... ٢٨٩
- المطلب الأول: مما تتكون التوراة وكيف أخذوها: ٢٨٩
- العهد القديم: ٢٩١

٢٩٣	ترجمة التوراة:
٢٩٤	التلمود:
٢٩٨	المطلب الثاني: تحريف التوراة والاتجار بها.....
٣٠٣	المبحث الثالث: الآثار الواردة في موقفهم من الانجيل ..
٣٠٣	الآثار:
٣٠٥	الدراسة:
٣٠٧	المبحث الرابع: الآثار الواردة في موقفهم من القرآن ...
٣٠٧	الآثار:
٣١٠	الدراسة:
	الفصل الرابع : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان
٣١٤	بالأنبياء.....
٣١٤	المبحث الأول : موقفهم من الأنبياء مطلقاً
٣١٤	الآثار:
٣١٤	المطلب الأول : القتل
٣١٥	المطلب الثاني:التكذيب
٣١٧	الدراسة:
٣٢١	المبحث الثاني: افتراءؤهم على بعض الأنبياء
	المطلب الأول: افتراءؤهم على إبراهيم وبنيه بنسبتهم
٣٢١	لليهودية
٣٢١	الآثار:
٣٢٣	الدراسة:

المطلب الثاني : افتراؤهم في تعيين الذبيح ٣٢٥

الآثار: ٣٢٥

الدراسة: ٣٢٨

المطلب الثالث: افتراؤهم على موسى عليه السلام واذيته

..... ٣٣٢

الآثار: ٣٣٢

الدراسة: ٣٣٥

المطلب الرابعة : أفتراؤهم على داود وسليمان عليهما

السلام ٣٣٨

الآثار ٣٣٨

داود عليه السلام ٣٣٨

سليمان عليهما السلام ٣٣٩

الدراسة ٣٤٢

داود عليه السلام : ٣٤٢

سليمان عليه السلام : ٣٤٨

ما ورد في فتنة سليمان ٣٥٢

تنبيه ٣٥٤

الفصل الخامس : الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان

باليوم الآخر. ٣٥٥

الآثار: ٣٥٥

المبحث الأول : وروده في شريعتهم: ٣٥٥

المبحث الثاني: زعمهم أن ذنوبهم مغفورة في الآخرة ...	٣٥٦
المبحث الثالث : إيمانهم بالموت والبعث	٣٥٨
المبحث الرابع : إيمانهم بالحساب	٣٦٠
المبحث الخامس : إيمانهم بالجنة والنار	٣٦١
الدراسة:	٣٦٣
الباب الثالث: الآثار الواردة عن السلف في موقف اليهود من النصرانية والإسلام	
.....	٣٦٦
الفصل الأول: الآثار الواردة في موقف اليهود من النصرانية	
.....	٣٦٧
المبحث الأول: موقفهم من مريم-عليها السلام-	٣٦٧
الآثار:	٣٦٧
مكانة مريم:	٣٦٧
اتهامها بالزنا	٣٦٩
الدراسة:	٣٧١
المبحث الثاني: موقفهم من عيسى صلى الله عليه وسلم عليه	
السلام والنصارى :	٣٧٤
الآثار:	٣٧٤
المبحث الثالث: موقفهم من النصارى :	٣٧٨
الآثار:	٣٧٨
الدراسة:	٣٨٠
موقف اليهود من عيسى عليه السلام وأمه:	٣٨٠

٣٨٢	موقف اليهود من النصارى:
	الفصل الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من الرسول صلى
٣٨٤	الله عليه وسلم والمسلمين
	المبحث الأول: الآثار الواردة في موقفهم من الرسول صلى الله
٣٨٤	عليه وسلم
	المطلب الأول: الآثار الواردة في موقف اليهود قبل
٣٨٤	الهجرة
٣٨٤	تعاونهم مع قريش
٣٨٤	الآثار:
٣٨٦	الدراسة:
	المطلب الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من
٣٨٨	الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة
٣٨٨	المسألة الأولى: سوء الاستقبال
٣٨٨	الآثار:
٣٩٠	الدراسة:
	المسألة الثانية: دعوته صلى الله عليه وسلم لليهود
٣٩٤	ومعاهدته لهم:
٣٩٦	الدراسة:
	المطلب الثالث: الآثار الواردة في أسئلة اليهود التعنتية
٣٩٩	للرسول صلى الله عليه وسلم
٣٩٩	الآثار:

- المسألة الأولى: طلبهم ان يكلمهم الله ٣٩٩
- المسألة الثانية: طلبهم كتاباً خاصاً بهم ٣٩٩
- المسألة الثالثة: سؤاله عن الروح ٤٠٠
- المسألة الرابعة: سؤالهم عن الله ٤٠٠
- الدراسة ٤٠٢
- المطلب الرابع : إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقول
السيء ٤٠٥
- الآثار: ٤٠٥
- المسألة الأولى: قولهم: اسمع غير مسمع وراعنا.. ٤٠٥
- المسألة الثانية: قولهم: السام عليكم ٤٠٦
- المسألة الثالثة: قولهم : عند تحويل القبلة ٤٠٧
- الدراسة: ٤١٠
- إيذاءؤهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول السيء. ٤١٠
- تحويل القبلة ٤١٤
- المطلب الخامس: الإيذاء البدني للرسول صلى الله عليه
وسلم بالسحر والسم: ٤١٧
- الآثار: ٤١٧
- الدراسة: ٤١٨
- إيذاءؤه بالسحر: ٤١٨
- إيذاءؤه بالسم: ٤٢٠

المطلب السادس: المواجهة القتالية بين الرسول صلى الله	
عليه وسلم واليهود:.....	٤٢٤
الآثار:.....	٤٢٤
بنو قينقاع :	٤٢٤
الدراسة:.....	٤٢٧
غزوة بني قينقاع :	٤٢٧
مقتل كعب بن الأشرف	٤٣٠
بنوا النضير:	٤٣١
الآثار:.....	٤٣١
الدراسة:.....	٤٣٦
بنو النضير:	٤٣٦
بنو قريظة:.....	٤٣٩
الآثار:.....	٤٣٩
الدراسة:.....	٤٤٢
بنوا قريظة:	٤٤٢
يهود خيبر:.....	٤٤٦
الآثار:.....	٤٤٦
يهود فدك وتيماء ووادي القرى وأذرح	٤٤٧
الدراسة:.....	٤٥٠
خيبر:	٤٥٠

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من المسلمين:

٤٥٢

المطلب الأول: إثارة الفتنة بينهم: ٤٥٢

الآثار: ٤٥٢

المطلب الثاني: تشكيك المسلمين ٤٥٤

الدراسة: ٤٥٦

المطلب الثالث: من أسلم منهم: ٤٥٨

الآثار: ٤٥٨

الدراسة: ٤٦٠

المبحث الثالث: الآثار الواردة في علاقة اليهود بالمنافقين

: ٤٦٧

الآثار: ٤٦٧

الدراسة: ٤٧٠

بداية عداوة المنافقين: ٤٧٠

ظهور النفاق على يد اليهود وبعض صورته: ٤٧٠

١- أولاً: في غزوة بدر الكبرى: ٤٧٢

٢- ثانياً: في غزوة أحد: ٤٧٣

روؤس المنافقون من أحبار اليهود: ٤٧٥

الخاتمة ٤٧٧

توصيات الباحث ٤٧٩

تراجم أبرز قائلِي الآثار ٤٨٠

فهرس المحتوى ٤٨٧